عبد الله النديم

ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية

دكتور
عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
ووكيل كلية التربية لشئون التعليم والطلاب
فرع جامعة القاهرة بالفيوم

المركز المصري للكتاب
طباعة * نشر * توزيع
٧ ش الأمير - نهاية حسن الصبان - مدكور - فيصل
ت : ٨٦٩٢٣٣٢

عبد الله النديم

ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية

دكتور

عبد المنعم ابراهيم الدسوقي الجميعي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

ووكيل كلية التربية لشئون التعليم والطلاب

فرع جامعة القاهرة بالفيوم



المركز المصري للكتاب

الإهــداء

الى من انبعث من غمــار عامة الشعب المصرى وكانت حياته لأمته بعثــا وطنيــا .

الى من عمــل على رفع مستوى شــعبه الاجتماعى وبعث وعيه الوطنى .

الى من كان حركة لا تهدأ وكان رجلا من رجال العمــل ورجال القــلم والقرطاس .

الى من عاش حيــاته يتأمل أفراح وطنــه ويعانى أتراحه .

الى من مات بعيدا عن الوطن بعد أن قاسى الكثير فى سبيله .

الى عبــد الله النــديم أهــدى هــذا الكتاب هدية الوفاء الى روحــه المكافحة .

يوليه ١٩٨٠

د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الدكتور عبد العزيز سليمان نوار
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس
ومدير مركز بحوث الشرق الأوسط

الرسائل الأكاديمية التى تناولت الثورة العرابية عديدة ومتنوعة، ومع ذلك فانها لا تزال وستظل موضوعا يتناوله الباحثون . فهى تمثل فترة تحول فى تاريخ مصر الحديث لا يمكن أن تتكون لدينا رؤية واضحة عنها الا اذا تعددت الدراسات فى هـذه الثورة .

وهـذه الدراسة تركز على واحدة من الشخصيات الرئيسية التى لعبت دورا جوهريا فى التطورات التى سبقت الثورة العرابية وأعقبتها .

وعبد الله النديم شخصية فذة ، متعددة المواهب بل وصل به الأمر أن أصبح مربيا لزعيم مصر الخالد مصطفى كامل ، وهـذه واحدة من النقاط التى كشف عنها الدكتور عبد المنعم الجميعى فى دراسته .

ودراسة الشخصيات بوجه عام أصعب من تناول فترات تاريخية وقد استطاع الدكتور عبد المنعم الجميعى أن يضع أمامنا رؤية واضحة عن عبد الله النديم ، رؤية تعتبر اسهاما فى المكتبة التاريخية .

وتصدر هـذه الدراسة ونحن على أبواب العيـد المئوى للثورة العرابية (فبراير ١٨٨١ - فبراير ١٩٨١) .

ولا شك أن هنـاك شخصيات عديدة أخـرى من زعمـاء مصر ورجالاتها خلال تلك الفترة الدقيقة من القرن التاسع عشر تحتاج الى الدراسة أو الى اعادة النظر فيما كتب عنها . وندعو أن يثابر هـذا الجيل الشاب من الباحثين والمؤرخين فى هـذا الطريق .

القاهرة ٢٩ يوليه ١٩٨٠

د. عبد العزيز نوار

مقدمة

يرجع اختيار هذا الموضوع للأسباب الآتية :

أولا : ان دراسته بمنهج علمي لم تعالج من قبل حيث ان من تناول دراسة الثورة العرابية من المؤرخين لم يعط للنديم حقه فى الدراسة نظرا لأن الدراسات الخاصة بالثورة وبزعيمها أحمد عرابى قد طغت على دراسة شخصيات ذات أهمية كبيرة فى تطورها مثل عبد الله النديم الذى كان يمثل الثورة فى كثير من نواحيها فكان الداعية الأكبر لها وخطيبها الذى مهد لها ووقف معها فى أحلك لحظاتها .

ثانيا : أنه — توضيحا لصورة الثورة العرابية أكاديميا — يجدر بنا أن ندرس كافة الشخصيات التى لعبت أدوارا رئيسية فيها ، ومع أن بعض الأدباء والروائيين قد كتبوا عن هذا الموضوع فان منهجهم يختلف عن منهج المؤرخين سواء من حيث الرجوع الى الوثائق التاريخية الأصلية أو من حيث تحليل الوقائع والأحداث التاريخية .

وتبعا لذلك فقد قسمت البحث الى أربعة أبواب ومقدمة وخاتمة والأبواب مقسمة الى أحد عشر فصلا .

وقد عنونت الباب الأول « بالنديم والثورة العرابية » وقسمته الى أربعة فصول هى :

الفصل الأول :

« الفكر الثورى فى مصر وظهور النـديم » وتحدثت فيـه عن العصر الذى ظهر فيـه النـديم مركزا على التطـورات السياسـية والاجتماعية والاقتصادية التى مرت بالبلاد فى عهد الخديو اسماعيل ، والمصادر التى استقى منها النديم ثقافته ، وأثر جمال الدين الأفغانى فى التكوين الثورى للرجال الذين حملوا راية الكفاح وبدايات حيـاة النـديم السياسية حتى قبيل قيام الثورة العرابية .

الفصل الثانى :

« دور النديم فى تصعيد الحركة الشعبية عند نشـوب الثورة العرابية » ودرست فى هذا الفصل ظروف انضمام النديم للعسكريين والأحداث التى كان له دور فيها وخصوصا بعد حادث قصر النيـل ومظاهرة عابدين ومواقفه تجاه العرابيين بعد عابدين كما أوضحت دور النديم فى التشجيع على انشاء « جمعية الشبان بالاسكندرية » لتكون ركيزة من ركائز الثورة .

الفصل الثالث :

« النديم ومقاومة التدخل العسكرى الانجليزى » وقد تناولت فيـه مذبحة الاسكندرية والاتهامات التى وجهت الى النديم بتدبيرها، وحريق الاسكندرية وملابساته ، ثم دور النديم أثناء المعـارك بين العرابيين والانجليز وكيفية مواجهته للهزيمة .

الفصل الرابع:

« عبد الله النديم فى أعقاب الثورة » وقد تحدثت فيـه عن دخول القوات الانجليزية القاهرة ، وامتلاء السجون بالثوار وانتشار روح الاستكانة والنفاق والقبض على كل قادة الثورة العرابيـة فيما عـدا النديم الذى ظل مختفيا عن أعين الحكومة ما يقرب من عشر سنوات ،

وذكرت أسماء القرى التى اختفى بهـا والرجال الذين آووه مسـتندا فى ذلك الى (وثائق مجلس الوزراء ــ نظارة الداخلية) ، وخاصـة المذكرة المقدمة من وكيل الداخلية لمجلس النظار فى هـذا الأمر كمـا تحدثت عما تعرض له النديم من محن أثناء الاختفاء والجهـاز الذى أشرف على اختفائه وطريقة تغلب النـديم على الفراغ وذلك بالكتابة والتأليف حتى القبض عليه ثم ختمت هـذا الفصل بتحليل العوامل التى ساعدت النديم على الاختفاء .

أما الباب الثانى فعنوانه « النديم وبعث الحركة الوطنية » وقد قسمته الى فصلين هما :

الفصل الخامس :

« النديم بين الخديو عباس الثانى والاحتلال » وقد تناولت فيه عفو الخديو عباس الثانى عن النـديم والسماح له بالعودة الى مصر ومزاولته مهمة الكفاح مرة أخرى حيث لم يهدأ له قلم فأصدر مجـلة « الأستاذ » كما تحدثت فيـه عن موقفه من الأزمات بين الخـديو والاحتلال ثم احساس المحتلين بخطورته ، ومطالبتهم بنفيه مرة ثانية وتخلى الخديو عنـه .

الفصل السادس :

« النديم ومصطفى كامل » وتحدثت فيه عن دروس الوطنيـة التى لقنها النديم لمصطفى كامل ثم أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى والخطابى والوطنى وأوجه الخلاف بينهما .

والباب الثالث تحت عنوان « مصر فى مفهوم النديم السياسى » وقد قسمته الى فصلين هما :

الفصل السابع :

« النديم بين الجامعة الاسلامية والقومية المصرية » وقد أبرزت فيـه مواقف النديم من الدولة العثمانية وتفضيله للوطنيـة المصرية

عن الولاء المطلق للسلطنة العثمانية وفكرته عن الجامعة الشرقية بدلاً من الجامعة الاسلامية ثم الفترة التى قضاها بمنفاه بالاستانة ولقاءه بأستاذه الأفغاني هناك ثم المبارزة الفكرية بين النديم وأبى الهدى الصيادى •

الفصل الثامن :

« فكر النديم السياسى » وقد تحدثت فيه عن فكرة القومية ومبدأ مصر للمصريين والوحدة الوطنية والديمقراطية والرأى العام وفكرة الجمهورية ، وكيف استطاع النديم نشر هذه الأفكار والآراء بين أكبر عدد ممكن من أبناء وطنه •

أما الباب الرابع فعنوانه « النديم وحركة الاصلاح الاجتماعى والثقافى » وقد قسمته الى ثلاثة فصول هى :

الفصل التاسع :

« النديم والاصلاح الاجتماعى » وقد قسمته الى أربعة أقسام تناولت القسم الأول موقف النديم من آفات المجتمع المصرى المتمثلة فى أساليب مشايخ الطرق والشعوذة والمشعوذين والاحتيال والكذب والخرافات والبدع التى تسمم بها النساء العجائز أفكار الشابات من النساء مثل الندب والصراخ خلف الميت والجلوس فوق المقابر وبدعتى (الزار) و (شحذ الشحاذ) ومضار الاسراف سواء فى الأفراح أو المآتم وعلة الطلاق والتكاسل والتواكل ثم تحذيره من الاندفاع فى تقليد الأوربيين ومحاكاتهم دون وعى وحديثه عن مضار الخمر والقمار والدعارة •

والقسم الثانى كان عن فهم النديم للعدالة الاجتماعية ومهاجمته للأغنياء الذين يستعبدون الفقراء ومطالبته بالمساواة حتى يتقدم المجتمع •

والقسم الثالث تناول فكر النـــديم عن انشاء الجمعيات الخيرية لمساعدة وتعليم أبنـــاء الفقراء وترجمة فكرته من النظرية الى التطبيق بانشاء « الجمعية الخيرية الاسلامية » ثم تشجيعه انشـــاء الجمعيات الأخرى مثل الجمعية الخيرية القبطية وجمعيات (شبراخيت) و (ميت غمـــر) و (الصنائع والفنون الخـــيرية بالمنصـــورة) ثم (التوفيق الخيرى) •

أما القسم الرابع فقد اشتمل على أفكار النـــديم عن اصـــلاح المهن والحرف وتناولت فيـــه حديث النـــديم عن تنظيم مهنة المحاماة وفكره عن اصلاح أحوال الصناعة والصـــناع ثم حديثه عن الفـــلاح وضرورة اصلاح أحواله ، وبينت أن هدف النديم من نقد مجتمعه كان الاصلاح وتهذيب الشعب وتقدم البـــلاد ، وقد كان نقده لاذعا ومؤلما لم يتملق فيه أحدا بل استخدم أسلوب التبكيت لايقاظ وانهاض الهمم لأن الاصلاح لا يتأتى الا من فهم الناس لأخطائهم وتوضيح الأسباب التى تؤدى الى اصلاحها •

الفصل العاشر :

« النديم وثقافة عصره » وتحدثت فيه عن فكر النديم عن اصلاح التعليم بشقيه المدنى المتمثل فى المدارس والدينى المتمثل فى الأزهـــر كما بينت دفاع النـــديم عن اللغـــة العربيـــة وتصديه لكل من حاول المساس بهـــا •

الفصل الحادى عشر :

« أساليب النديم فى العمل الوطنى » وقد درست فيه أساليب النديم فى العمل العلنى حيث الخطابة والصحافة والمسرح •

وقد أتبعت ذلك الفصل بدراسة عن وفاة النـــديم فى الاستانة ووجهات النظر المختلفة فى تحديد تاريخ وفاته وحسم ذلك بعد العثور

على مكاتبة واردة من الاستانة موجودة بملف خدمة عبد الله النـــديم بدار المحفوظات العمومية تحدد تاريخ وفاته •

وأخــيرا أوضحت فى خاتمــة البحث أهم ما توصلت اليــه من نتــائج •

أما عن المراجع التى اعتمدت عليها فى كتابة هــذا البحث فقــد تضمنت مجموعة من الوثائق العربيــة والأجنبية ونخص بالذكــر دار الوثائق القومية بالقلعة •

فقد اطلعت فى دار الوثائق القومية بالقلعة على محــافظ الثورة العرابية وسجلاتها ومحافظ مجلس الوزراء نظارات الداخلية والحربية والمعارف والحقانيــة ثم محافظ مجلس النظــار والجمعية العموميــة ومجلس شورى القوانين ودواوين المعية السنية عربى صــادر ووارد وديوان خديو والأوراق الخاصة بالسيد جمال الدين الأفغانى ومجموعة برودلى الخاصة بمحاكمات العرابيين والموجودة فى ثلاثة مجلدات تحت عنــوان :

A. M. Broadley

The Trial Exile and Pardon of Arabi Pascha. 1882 - 1902. 3 Vols.

وهى مجمــوعة من الوثائق المنشورة وغير المنشــورة قام المستر برودلى محامى العرابيين بتجميعها وتنظيمها •

بالاضــافة الى محــافظ الأبحــاث وخصوصا المحفظة (١١٦) والموجود بها ملف ثابت باشا « الذى يمثل وجهة النظر العثمانية تجاه الثورة العرابية » •

ثم التقارير وأوراق الخديوية الموجودة بمكتبة دار الوثائق عن الثورة العرابية •

هـذا بالاضافة الى المذكـرات الشخصية التى كتبهـا بعض من عاصروا تلك الفترة أو اشتركوا فى أحداثها ولم تنشر [١] مثل مذكرات (ابراهيم الهلباوى) و (محمـد فريد) و محمـد على علوبة) و (مصطفى ياور) الى جانب وثائق الحكومة النمسوية عن المسـألة المصرية .

وأفدت من وثائق (دار المحفوظات العمومية) خاصـة (وثائق الداخلية) و (غفر السواحل) و (الشياخات) وملفات خدمة وأذون ربط المعاشات الخاصـة بكل من (عبد الله النديم) و (الشيخ محمد عبـده) و (الشيخ محمـد الانبابى) شيخ الجامع الأزهر و (عثمان رفقى) و (أحمد عرابى ورفاقه) و (عمر باشـا لطفى) وهذه الملفات حافلة بالمـادة التاريخية التى تصور حياة كل منهم الوظيفية بالاضافة الى مؤهلاته وظروفه وممتلكاته عدا ملف عبد الله النديم الذى يمكن أن نسميه ملفا سياسيا وليس ملفا وظيفيا حيث أنه خاص بالمعـاش الشهرى الذى رتبته الحكومة المصرية له بعد مغادرته للبلاد واشترطت عليه ألا يكتب شيئا عن مصر لا سياسيا ولا أدبيا .

ذلك الى جانب وثائق وزارة الخارجية البريطانية .F. O المصورة من دار الوثائق العـامة بلندن .Public Record Office وكذلك الكتب الزرقاء «Blue Books» والخاصة بفترة البحث .

كما رجعنا الى مخطوطة (أحمد عرابى) المعروفة باسم (كشف السـتار عن سر الأسرار) والموجـودة بدار الـكتب المصرية تحت رقم ١٥٤٢ ، وغير ذلك من المراجع العديدة المطبوعة سواء العربيـة أو الافرنجية والدوريات التى صدرت فى ذلك الوقت والتى تخـدم فترة البحث ، وقـد اعتمدنا على هـذه المراجع فى ابراز وجهات النظر المختلفة وتحليلها ولم نخص وجهة نظر معينة عن أخرى .

---

(١) يستثنى من ذلك مذكرات محمد فريد التى نشرتها الهيئـة العامة للكتاب .

والجدير بالذكر أن هذا البحث مدين بالكثير من الجهود المخلصة التى قدمها أصحابها بلا حدود وأول ما يذكر فى هـذا المقـام أعضاء سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس حيث أن هـذا الموضـوع قد عرض فى السمنار أكثر من مرة ، ومن خلاصة المناقشات والأفكار التى قدمها الأساتذة والزملاء الباحثون ظهرت موضوعاتكثيرة أفادتنى فى اتمام هذا الموضوع • كما أود أن أقدم شكرى وعرفانى بالجميل لكل من مد لى يد العون والمساعدة أثناء عملى بالبحث وأخص بالذكر الدكتور سمير محمد طه مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب بسوهاج الذى أعارنى الوثائق البريطانية التى أفادتنى بالكثير من جوانب البحث كما أشكر الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن أستاذ التاريخالحديث المساعد، كلية الانسانيات جامعـة الأزهـر فرع البنات والمعار حاليا لجامعة قطر، والدكتور عادل غنيم مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة عين شمس والمعار حاليا لجامعة قطر ، لمـا قدماه لى من مسـاعدات علمية مخلصة وأشكر أيضا الأستاذ عبد العليم عبد الفتـاح المدرس الأول للغة العربية بدار المعلمين بالدقى ، ويوسف أمين غبريال موجه المكتبات بمديرية الجيزة التعليمية لمـا قدماه لى من مساعدات قيمـة أعانتنى فى اتمـام هـذا البحث •

أما أساتذتى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، والدكتور محمد أنيس ، والدكتور عبد العزيز سليمان نوار فقد كان لتوجيهاتهم أكبر الأثر فى توضيح ما غمض على من مسائل ، وفى تذليل الصعوبات التى اعترضتنى أثناء عملى بالبحث كما كان لآرائهم السـديدة أكبر الأثر أيضا فى اخراج هـذا البحث على هذه الصورة •

وانى لآمل أن أكون قد وفقت فى اضافة شىء جديد لخدمة البحث التاريخى ولخدمة مصرنا العزيزة •

والله ولى التوفيـق •

الباب الأول

النديم والثورة العرابية

الفصل الأول : الفكر الثورى فى مصر وظهور النديم .

الفصل الثانى : دور النديم فى تصعيد الحركة الشعبية عند نشوب الثورة العرابيـــة .

الفصل الثالث : النديم ومقاومة التدخل العسكرى الانجليزى .

الفصل الرابع : عبد الله النديم فى أعقاب الثورة .

الفصل الأول

الفكر الثورى فى مصر وظهور النديم

ـ عصر النـديم .

ـ نشأة النديم ومصادر ثقافته .

ـ أثر الأفغانى فى التكوين الثورى للنديم .

ـ النديم والعمل السياسى قبل قيام الثورة العرابية .

عصر النـــديم

مرت مصر بفترات من القوة وأخـــرى من الضعف ، وكانت فى الحالتين مصدرا للحياة الفكرية ولم يأت عصر اسماعيل (١) حتى كانت مصر قد خطت خطوات كبيرة فى ميدان الحضـــارة الحديثة وازدادت صلتها بأوربا خاصة بعد افتتاح قناة السويس(٢) حيث نزل اليها الكثير من الأوربيين مستغلين امكانياتها وظروف الضائقة المـــالية التى حاقت بالبلاد على أمل تكوين ثروات ضخمة من وراء القروض التى يقدمونها للحكومة ويستردونهـــا أرباحا مضـــاعفة (٣) ، وشـــاركوا فى حياتهـــا الاقتصادية والثقافية وشاركهم فى هـــذا بعض الشوام الذين تخرجوا من المدارس الأجنبية وضاقوا ذرعا اما بالحكم العثمانى — وخصوصا بعد مذابح ١٨٦٠ حيث أخذ النفور يزداد بينهم منه — واما نتيجـــة لظروفهم الاقتصادية فأسهموا فى النهضة الصحفية والأدبية فى البلاد وتصادف أن نزل الى مصر فى ذلك الوقت (٤) المصلح الدينى والزعيم

---

(١) اسماعيل باشا هو ابن اخ سعيد وابن ابراهيم .

(٢) عن الاستعدادات والدعوات التى ارسلت بهذه المناسبة . انظر :

L'Egypte : 18 Octobre 1869.

(3) Edward Dicey : The story of the Khedivate London 1902.

ولمزيد من التفاصيل انظر : جون مارلو : تاريخ النهب الاســـتعمارى ترجمة الدكتور عبد العظيم رمضان . القاهرة . الهيئة المصرية العـــامة للكتاب ١٩٧٦ ، ص ١٥٧

(٤) اقام الأفغانى فى مصر مرتين الأولى فى اواخر عام ١٨٦٩ فأقام فيها نحوا من اربعين يوما ، والثانية فى مارس ١٨٧١ وحتى سنة ١٨٧٩ . ولمزيد من التفاصيل عن دخول الأفغانى الى مصر انظر :

اديب اسحق : الدرر — وهى منتخبات اديب اسحق (جمعها عونى اسحق) الاسكندرية . مطبعة الآداب ١٩٠٥ . الجزء الثانى ، ص ١١٧ ، وايضا جريدة المحروسة العدد ١٢٩٦ فى ١٧ ابريل ١٨٨٦ تحت عنـــوان منتخبات الصديق الطيب الذكر اديب اسحق .

السياسى جمال الدين الأفغانى ، وهو يحمل بين جنباته أفكاره للنهوض بالاسلام والمسلمين ، والوقوف فى وجه الاستعمار والمستعمرين فى وقت كانت جذوة الوطنية تتقد فى نفوس المصريين و « مستعدة عند أول دعوة لتلبية نداء الحرية والثورة » (٥) فأمدها الأفغانى بآرائه وكان مجيئه فاتحة عهد عظيم فى يقظتها ، وفى اعطاء دفعة الى قادتها وزعماء الاصلاح فيها اذ اجتهد فى نشر المبادىء الوطنية بينهم (٦) ، وأخذ يبث فى النفوس روح الشهامة والاعتزاز بالنفس ، ومحاربة روح الذل والاستكانة (٧) ، وشجعهم على الكتابة فى الصحف لأنها أقرب الى عقول العامة ، وأكثر وقعا فى نفوسهم وأشد تحريكا لشعورهم (٨) كما دفعهم الى انشاء بعض الصحف «حيث أنه لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا آداب لهم ، ولا عزة لقوم لا تاريخ لهم ، ولا تاريخ لقوم اذا لم يقم منهم أساطين تحمى وتحيى آثار تاريخ رجالها ، فتعمل عملهم وتنسج على منوالهم (٩) » .

وسرعان ما أخذت الصحف السياسية طريقها الى الظهور نتيجة لتشجيعه فأخرج يعقوب صنوع جريدة « أبو نظارة زرقا » التى تعتبر أول جريدة سياسية هزلية ظهرت فى مصر (١٠) ، وكان يحررها بالعامية

---

(٥) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، القاهرة ــ مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الثانية ١٩٤٩ ، ص ٧٦

(٦) يوسف نعمان معلوف: خزانة الأيام فىتراجم العظام . نيويورك مطبعة جريدة الأيام ١٨٩٩ ، ص ٢٠٥

(٧) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، ج ١ ، القاهرة . النهضة المصرية ــ الطبعة الثانية ١٩٤٨ ، ص ١٥٩

(٨) د. محمد قاسم : جمال الدين الأفغانى . حياته وفلسفته . القاهرة ــ الأنجلو المصرية ، ص ٢٦

(٩) محمد باشا المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى. بيروت ، المطبعة العلمية ١٩٣١ ، ص ١٣٨

(١٠) قسطاكى الياس عطارة : تاريخ الصحف المصرية . الاسكندرية مطبعة التقدم ١٩٢٨ ، ص ٢٨٥ ، د. ابراهيم عبده : أبو نظارة ، امام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح فى مصر ١٨٣٩ ــ ١٩١٢ ــ القاهرة ــ مكتبة الآداب بالجماميز . الطبعة الأولى ١٩٥٣ ، ص ١٠ ــ ١٤.

ويضمنها تنديدا بسياسة الخديو اسماعيل وحاشيته كما انتقد فيهـا تصرفات الحكومة ونبه الجمهور [١١] الى حقوقه بصورة فكهة جذابة لاءمت روح العصر[١٢] فأحرزت شعبية واسعة ممـا دفع اسماعيـل الى الاحساس بخطر الصحيفة فصادرها ونفى صاحبها من مصر فذهب الى باريس وحررها من هنـاك وأرسل منها نسخا الى مصر ، كمـا شجع الأفغانى «ميخائيل عبد السيد » على انشاء صحيفة تنطق بلسان الوطنيين وتنتقد سياسة الخـديو اسماعيل صراحـة فأنشـأ جريدة « الوطن[١٣] » وكانت ذات طابع سياسى وأدبى كما عهـد الى أديب اسحق بعـد أن ارتبط به ارتباطا وثيقا بأن ينشىء «جريدة مصر[١٤]»،

---

(١١) أول ظهور هـذه الكلمة فى مصر كان فى كتابات عبد الرحمن الجبرتى عند حديثه عن الزعامة الشعبية وتولية محمد على .

انظر : عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ٣ ، ص ٣٢٩

(١٢) احمد شفيق : اعمالى بعد مذكراتى . القاهرة — مطبعة مصر ١٩٤١ ، ص ٣٢٦ ، د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٤

(١٣) جريدة سياسية اسبوعية اصدرها بالقاهرة ميخائيل عبد السيد وتقلب عليها ايدى شتى .

قسطاكى الياس عطاره : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥٨

(١٤) جريدة سياسية اسبوعية صدرت اول امرها فى القـاهرة ثم انتقلت فيما بعد الى الاسكندرية .

قسطاكى الياس : المرجع السابق ، ص ٢٥٨

وقد لاقت هـذه الصحيفة اقبالا عظيما ، وكان لها دور واضح فى شرح المبادىء الوطنية .

اديب اسحق : منتخبات أديب اسحق ، جـ ١ (المقدمة) .

والجدير بالذكر ان جمال الدين الافغانى كتب فى هـذه الجريدة بعض المقالات تحت اسم مستعار وهو « مظهرين وضاح » كما كتب فيهـا ايضا بعض المقالات باسمه الحقيقى منها « الحكومات الشرقية وأنواعها » و « روح البيـان فى الانجليز والأفغان » فصارت تلك الجريدة شيئا مذكورا .

سليم عنحورى : سحر هاروت . دمشق — المطبعة الحنفية ، الطبعة الأولى ١٨٨٥ ، ص ١٧٩ — ١٨٠

وكان ذلك عام ١٨٧٧ ، ولما وجد أن الاسكندرية كانت تسبق القاهرة فى مصادر الأخبار طلب منه أن ينتقل اليها • كما طالب منه أيضا أن يسهم مع سليم النقاش فى اصدار جريدة « التجارة » فصدرت فى عام ١٨٧٩ ولقيت رواجا شديدا حيث لفتت اليها الأنظار بروحها الجديدة[١٥] ونتيجة لتشجيعه أيضا أسس سليم وبشارة تقلا الأهرام[١٦] وسليم الحموى « الكوكب الشرقى[١٧] » كما أسس سليم عنحورى « مرآة الشرق » عام ١٨٧٩[١٨] ثم ظهرت بعد ذلك جرائد

---

(١٥) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث . القاهرة — النهضة المصرية ١٩٤٨ ، ص ٦٨ — ٦٩ ويذكر « الكسندر » أن الحرية التى منحت للصحف الوطنية . فى تلك الفترة اعطت للوطنيين الفرص المتعددة لتوضيح المظالم التى يشعرون بها ولنشر مطالبهم الوطنية .

Alexander : The Truth about Egypt. Cassell 1911 p. 13.

(١٦) صدر العدد الأول من الأهرام فى ٢١ ديسمبر ١٨٧٥ بالاسكندرية وكانت فى أول ظهورها اسبوعية ثم تحولت الى جريدة يومية وتعتبر هذه الجريدة من أقدم الصحف السياسية فى مصر .

قسطاكى الياس : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ ، وايضا قلينى فهمى : خلاصة الحوادث فى عهود الخديو اسماعيل والسلطان حسين والملك فؤاد الجزء الثانى ، القاهرة — مطبعة مصر ١٩٣٤ ، ص ٢٩

(١٧) صدر العدد الأول منها فى ٦ اغسطس ١٨٧٣ ، وكانت أول جريدة عربية تصدر بالاسكندرية ، وسليم الحموى هو أحد السوريين الذين وفدوا الى مصر .

عبد العليم القبانى : نشأة الصحافة العربية بالاسكندرية ١٨٧٣ — ١٨٨٢ القاهرة — الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ١٠

قسطاكى الياس : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥٧

(١٨) جريدة سياسية علمية ادبية ، كانت تصدر فى القاهرة يومى الأربعاء والسبت من كل اسبوع لصاحبها سليم عنحورى بك الدمشقى ومديرها ابراهيم نحاس ، ومحررها ابراهيم اللقانى .

قسطاكى الياس : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ ، جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، جـ ٢ . القاهرة — مطبعة الهلال ١٩٢٢ ، ص ٧٠

(المحروســة[١٩]) و (العصر الجديد[٢٠] ثم (التنكيت والتبكيت[٢١])٠

وقد كانت هذه الصحف تصور عواطف المصريين السياسية وتنادى باصلاح الادارة الحكومية وقد وقف الأفغانى وراءها يغذيها بالثورة فتأثر الصحفيون بتعاليمه وكتبوا فى صحفهم على هدى من آرائه[٢٢] فكان من أوائل العاملين على تطور الروح الوطنية فى البلاد ، ونسب اليه بحق الدور التاريخى « لأبى القومية[٢٣] » ، وقد أرتبطت هـــذه الصحف بالحركة الوطنية ارتباطا تاما بحيث يصعب التأريخ للحيـــاة السياسية فى ذلك الوقت دون الرجوع للصحافة ٠

لقد اقترنت العواطف السياسية المتأججة فى نفوس المصريين فى تلك الفترة بعاطفة دينية تهدف الى الاصـــلاح الدينى وتنقية الدين مما ألم به من خرافات ، وعلى هـــذا النحو تطـــرق الكتاب فى عصر اسماعيل الى موضـــوعات سياسية ودينيـــة واجتماعية استمدوها من عواطف الشعب بحيث يمكن القول بأن القومية المصرية ظهرت فى أول أمرها على أسس دينية ٠

---

(١٩) جريدة سياسية تجارية كانت تصدر يوميا ما عدا يومى الخميس والأحد بالاسكندرية لصاحبها سليم نقاش ٠

قسطاكى الياس : نفسه ، ص ٢٥٩

(٢٠) جريدة سياسية اسبوعية صدرت بالاسكندرية ٠

انظر : قسطاكى الياس ، ص ٢٥٩

(٢١) « صحيفة وطنية أسبوعية ادبية هزلية » صدر العدد الأول منها فى يوم الأحد ٦ يونيو سنة ١٨٨١ — طبعت « فى مطبعة جريدتى المحروسة والعصر الجديد فى الاسكندرية » — صاحبها ومحررها عبد الله نديم ٠

التنكيت والتبكيت : العدد الأول — السنة الأولى فى ٦ يونيو ١٨٨١

(٢٢) عبد المنعم تليمه : الشعر السياسى فى مصر من ثورة عرابى الى الحرب الأولى ٠ رسالة دكتوراه غير منشورة ٠ نوقشت بقسم اللغـــة العربية بجامعة القاهرة ، ص ٣٣٢

(٢٣) عثمان امين : رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده ٠ القاهرة النهضة المصرية ٥٥ ، ص ٢٢

لقد كانت أحوال مصر في تلك الفترة من عصر الخديو اسماعيل أبعد ما تكون عن الاستقرار لتعقد مركزها الدولي(٢٤) من ناحية ، ولاختلال وارتباك أمورها من ناحية أخرى(٢٥) حيث تفاقمت الأزمة المالية(٢٦) واتخذت شكلا سياسيا بسبب اسراف الخديو اسماعيل المتزايد وانفاقه مبالغ طائلة سواء في مشروعاته وبذخه أو لارضاء الدول الأوربية والسلطان كما تحملت الخزائن المصرية نفقات باهظة في سبيل تسوية النزاع الخاص بمشروع القناة(٢٧) ومحاولات الخديو اسماعيل ارضاء السلطان ورشوة رجاله(٢٨) مقابل فرمان تصدره تركيا

---

(٢٤) لمزيد من التفاصيل انظر د. محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه . القاهرة — دار الفكر العربى ١٩٥٢ ؛ ص ٨ ، ويذكر ديسى انه حتى اذا لم يتواجد اسماعيل وعرابى فان مصر ما كانت تستطيع الاحتفاظ باستقلالها الى وقت غير محدود .

Dicey : op. cit., p. 515.

(٢٥) احمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار ، ص ٣٤ مخطوط دار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٤٢ ، ملكية عريان: مركز مصر الاقتصادى. القاهرة — مطبعة رعمسيس ١٩٢٣ ، ص ٥ ، ٦

ويتضح من محاضر جلسات مجلس العموم البريطانى أن الخديو كان يتوق الى مساعدة حكومة جلالة الملكة بأن ترسل الحكومة البريطانية وكيلا لها لفحص المالية المصرية .

Hansard's Parliamentary Debates, 3 RD Series vol. 231, 28 July 1876 p. 635.

(٢٦) العدد ١٤ فى ٣ أكتوبر ١٨٧٨ تحت عنوان « المالية المصرية » والعدد ١٨ فى ٣١ اكتوبر ١٨٧٨ تحت عنوان « فرنسا وانجلترا فى مصر » .

(٢٧) للتفاصيل انظر : انجلو سامارکو : الحقيقة فى مسألة قناة السويس ترجمة طه فوزى . القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٨٤ — ٨٦ ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد السادس ١٩٥٧ ، ص ١٤٩ مقال للدكتور عبد العزيز الشناوى .

تحت عنوان : » ما تكلفته مصر فى انشاء قناة السويس « .

(٢٨) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : الخديو اسماعيل وعلاقته بالباب العالى . القاهرة . دار المعارف ١٩٦٧ ، ص ١٣٠

بتعديل فرمان الوراثة [٢٩] ومنحه لقب خديو [٣٠] ليكون متميزا عن ولاة الدولة العثمانية الكثيرين[٣١] ، كما أنفق على « حفلات افتتاح القناة مليونا وأربعمائة ألف جنيه[٣٢] » .

زد على ذلك فشل مشروعاته الاقتصادية بعد توقف الحرب

---

(٢٩) يذكر قليني فهمى ان اسماعيل تودد الى تركيا « لاتقاء شر اخيه من ابيه مصطفى فاضل وعمه عبد الحليم » ، انظر : مذكرات قليني فهمى باشا . الجزء الثانى ، ص ٨ وعن تعديل فرمان الوراثة : انظر : الجزء الخامس من كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ، ص ٧٩ تحت عنوان « حصر حكومة مصر الجليلة فى ذرية الخديو اسماعيل بعد أن كانت تقلد للأكبر من ذرية جده المرحوم محمد على » .

وعن المؤامرة التى دبرها البرنس حليم باشا لمعارضة مبدأ الوراثة للابن الأكبر :

Douin : Histoire Du Régne Du Khedive Ismail Société Royale De Geographie D'Egypte, Le Caire. 1933. Tome, 2. p. 89.

(٣٠) كلمة فارسية تعنى السيد أو الولى أو الحاكم وهو اللقب الذى حمله نائبو السلطان فى مصر من أسلافه وخلفائه ، وقد منحه الباب العالى ذلك اللقب لا لنفسه فحسب بل لمن يورثه من ورثته المباشرين جريدة المصرى : العدد ٤٧٩٣ فى أول أبريل ١٩٥١

(٣١) يتضح من مذكرة أرسلها الخديو اسماعيل الى نوبار باشا مدى اعتزازه بلقب الخديوية وانتخاره به حيث يقول : « ان لقب خديو مصر .. سوف لا يستعمل ، ولا يطلق على أحد من وزراء الدولة العلية وموظفيها الآخرين ويبقى لفظا خاصا بمصر ومنحصرا فيها .. كما انى لا اريد ايضا لقب الباشوية واكتفى بلقب اسماعيل خديو مصر » دار لاوثائق القومية — محافظ أبحاث . محفظة ١٠٦ تراجم نوبار باشا . نمرة ٣٢ عابدين .

(٣٢) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد السادس ١٩٥٧ مقال الدكتور عبد العزيز الشناوى السابق الذكر ، ص ١٥٣

ولمزيد من التفاصيل انظر :

Le Progrés Egyptien : 19 Novembre 1869.

الأهلية الأمريكية(٣٣) ، وانخفاض أسعار القطن وما واكب ذلك من انتشار حالات الافلاس فاضطر الى أن يستدين بشروط باهظة (٣٤)، ففتح الباب على مصراعيه للأجانب وعقد قروضا فاحشة مع البيوت المالية الأجنبية(٣٥) مما أدى الى زيادة : التدخل الأوربى فى شئون البلاد الداخلية ، وخصوصا بعد أن وافق على تأسيس صندوق الدين والمراقبة الثنائية (٣٦) ، وعلى أن يشترك فى الوزارة التى ألغيا نوبار عام ١٨٧٨ (٣٧) وزيران أوربيان انجليزى للمالية ، وفرنسى للأشغال كما انتشرت عمليات التهريب التى يقوم بها الأجانب بصورة كبيرة (٣٨)

---

(٣٣) مليكة عريان : المرجع السابق الذكر ، ص ٦

(٣٤) احمد شفيق : حوليات مصر السياسية . القاهرة ـ مطبعة شفيق باشا ١٩٢٦ ، الجزء الأول ، ص ٩

وقد بلغت الديون فى أواخر عهده ٠٠٠ر٠٠٠ر٩١ جنيه تقريبا .

Dicey : op. cit., p. 71.

بينما كانت فى أواخر عهد سعيد ٠٠٠ر٢٩٣ر٣ جنيه .

للتفاصيل انظر :

Cromer : Modern Egypt vol. 1, p. 11.

(35) Farman, E. E. Egypt and its Betrayal. U. S. A. 1908.
Dicey : op. cit., p. 71.

وأيضا دانيد لاندز . بنوك وباشوات ـ ترجمة الدكتور عبد العظيم انيس . القاهرة ـ دار المعارف .

(٣٦) للتفاصيل انظر : محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية . القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٥٦ ، ص ٣٨

(٣٧) جريدة مصر : العدد العاشر فى ٥ سبتمبر ١٨٧٨

(٣٨) للتفاصيل يمكن الرجوع الى دار المحفوظات دفتر كوبيا عموم خفر السواحل ـ صفحات ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩١ ، ٩٥ وما بعدها .

مما ساعد على خراب البلاد وفساد أحوالها (٣٩) حيث ساءت أحوال الناس خصوصا الفلاحين واشتد الظلم فى جمع الضرائب (٤٠) نتيجة للتصرف المطلق للخديو وسياسته التى تعتمد على الحكم الشخصى وتصميمه على أن يكون « أفدينا » الآمر فى أرواح وممتلكات جميع الرعايا(٤١) ، وقد تحدث الأفغانى عن أسباب سوء أحوال مصر فقال : ان ذلك يرجع الى عدم التدبر فى العواقب وعدم وجود الناصحين المخلصين فى الادارة وعدم جرأتهم • ووقوع الحكومة فى الورطات واشرافها على الهلاك •• وفرض الضرائب الجديدة على الرعية •• وعدم وجود حد لتصرفات الحكومة • كما كانت الضرائب غير مقننة ولا مقيدة بالدفاتر •• وباع الناس محصولاتهم بأبخس الأثمان •• مما أدى الى خراب البلاد وفقر العباد •• وعجز الحكومة وسقوط

(٣٩) دار الوثائق القومية : اوراق خاصة بالسيد جمال الدين الأفغانى .

(٤٠) صور جيمس صنوعة الفلاح المصرى ببقرة سقيمة نضب لبنها، وصور الخديو اسماعيل بفرعون مصر ، ورسم وادى النيل على شكل اشجار افرعها ناشفة والفلاحين عرايا والجلد على العظم .

ابى نظارة زرقاء . العدد ٢٧ فى ١١ نوفمبر ١٨٧٩ ، محمد رشيد رضا المنار . الجزء الحادى عشر ـ المجلد الثامن فى ٢ اغسطس ١٩٠٥، ولمزيد من التفاصيل انظر : اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته مقال للأستاذ حسين كامل سليم بعنوان « الخديو اسماعيل وحالة مصر المالية ، ص ١٣١ ، وايضا الوقائع المصرية العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ مقال للشيخ « محمد عبده » تحت عنوان « حب الفقر او سفه الفلاح » وقد احصى « يوسف نحاس » الضرائب التى كان يدفعها الأهالى فى تلك الفترة بسبع عشرة ضريبة غير ما كانوا يودعونه للمشايخ .

انظر الفلاح : حالته الاقتصادية والاجتماعية . القاهرة ـ مطبعة المقتطف ١٩٢٦ ، ص ١٦

وايضا د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٦

(41) Dicey : op cit., p. 148.

أعتبارها لدى الدائنين [٤٢] وقد بلغ البؤس بالفلاحين أن كانوا ينزلون عن أطيانهم فرارا من الضرائب المتوالية الرسمية ، وغير الرسمية .

ونتيجة لافلاس خزائن الحكومة حرم الموظفون من قبض مرتباتهم ثمانية عشر شهرا [٤٣] .

كما أحيل ألفان وخمسون ضابطا الى الاستيداع توفيرا فى النفقات مما أدى الى قيام مظاهرة فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ سارت الى وزارة المالية يتقدمها البكباشى لطيف سليم تربصت بنوبار باشا وويلسون عند خروجهما من نظارة المالية حيث قابلهما المتظاهرون بالاهانة والاعتداء ثم القبض عليهما وسجنهما [٤٤] فى مبنى النظارة [٤٥] ، ولولا تدخل الخديو فى الوقت المناسب لتفاقمت الأزمة [٤٦] .

---

(٤٢) دار الوثائق القومية : أوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغانى .

(٤٣) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ — القاهرة — مطبعة مصر . الطبعة الأولى ١٩٣٤ ، ص ٢٩

ولمزيد من التفاصيل انظر : الجوائب . السنة التاسعة عشر . فى ٢٠ مارس ١٨٧٩ تحت عنوان « عرض من الضباط ومستخدمى الجهادية لمقام مجلس النظار » .

(٤٤) جورج يانج : تاريخ مصر فى عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل . ترجمة احمد على شكرى . القاهرة . المطبعة الرحمانية ١٩٣٤ ص ٥٦٩ ، الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا — المجلد الثانى ، ص ٤٦٨

(٤٥) وزارة المعارف العمومية : اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته . القاهرة — مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ ، ص ١٢٣

(٤٦) اسماعيل الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا ١٨٦٣ — ١٨٧٩ المجلد الثانى . القاهرة . دار الكتب المصرية ١٩٢٣ ، ص ٤٧٠

نتج عن هـــذه المظاهرة سقوط الوزارة الأوربية (٤٧) ، واحساس رجال الجيش بقوتهم فى تسيير الأحداث وقد وضح ذلك فى قيام الثورة العرابيـــة فيما بعد •

لقد اقترف اسماعيل من الأخطاء ما لا يجوز أن تغتفر سيئاته(٤٨) فقد سار وراء الاسراف حتى كان المثل الكامل للتبذير مع عدم الاكتراث بالعواقب (٤٩) وذلك رغبة فى تأمين مشاريعه الخاصة بعد أن أصـــبح أكبر تاجر فى مصر دون النظر الى اقتصاد البـــلاد ومصلحة أهلها (٥٠) ومع أنه اضطر الى بيع أسهم قنـــاة السويس الى الحكومة الانجليزية

=

ويذكر النديم أن للخديو اسماعيل يدا مباشرة فى تلك المظاهرة حتى يتخلص من الوزارة الأوربية ونوبار . د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، ص ٣٩ كما يؤكد ذلك جورج يانج . انظـــر : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦٧

وعن وجهات النظر المختلفة ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر سمير محمد طه : احمد عرابى ودوره فى الحياة السياسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٢٤

(٤٧) الياس الأيوبى : المرجع السابق ، ص ٤٧١

(٤٨) روجه لامبلان : فى سبيل الاستقلال (مصر وانجلترا) من عهد محمد على الى عهد الملك فؤاد . ترجمة ميخائيل بشارة . القـــاهرة ـــ مطبعة رعمسيس ١٩٢٣ ، ص ٢٣ وعن وجهة النظر النظر المخالفة لذلك الرأى انظر : بيير كرابيتس : اسماعيل المفترىعليه ترجمة فؤاد صروف ـــ القاهرة ـــ دار النشر الحديث ١٩٣٧ ، ص ٢٥٨ وايضا مقال لمحمود فهمى النقراشى تحت عنوان « مصر فى عهد اسماعيل » ضمن مجموعة مقالات بعنوان « اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته » ص ٦

(49) Milner : England in Egypt. London, 1899, p. 263.

(٥٠) ز. ى. هرشلاغ : مدخل الى التاريخ الاقتصادى الحـــديث للشرق الأوسط . ترجمة مصطفى الحسينى . بيروت . دار الحقيقة ١٩٧٣ ص ١٤٦

عام ١٨٧٥[٥١] مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ، وابتدع قانون المقابلة[٥٢] فقد ظلت الأزمة مستحكمة بل ازدادت شدة[٥٣] مما جعل المصريين يحسون بالخطر والتفكير فى ضرورة التخلص من الخديو الذى لا يحسن تصريف أمور البلاد ، ونتيجة للاتصال بين تنظيم الجيش[٥٤] وجمعية حلوان[٥٥] أعلن عن تأليف «حزب خفى من العظماء ، والكبراء،

---

(51) Dicey : op. cit. p. 100.

ويذكر فريسنيه أن شراء انجلترا لأسهم القناة كان عملا سياسيا بحتا لأنه سيؤدى الى ابراز سيطرتها على مصر .

De Freycined : La question d'Egypte. Paris, 1904, p. 154.

واكد ذلك مصطفى كامل بقوله « تغيرت امور مصر وتغيرت سياسة الدول نحوها من عام ١٨٧٥ بشراء انجلترا من اسماعيل باشا لأسهم قناة السويس حيث ازداد نفوذ هذه الدولة فى بلادنا العزيزة وصارت منافسة لفرنسا اشد المنافسة » مصطفى كامل — المسئلة الشرقية ص ٢١٥ — القاهرة — مكتبة الآداب — الطبعة الأولى ١٨٩٨

(٥٢) هو أن تنزل الحكومة لملاك الأراضى الزراعية عن نصف الضريبة المفروضة عليهم نزولا دائما على أن يدفعوا له فى اجل معلوم ستة امثال هذه الضريبة . أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية ، جـ ١ ، ص ٩

(٥٣) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ ، ص ٢٩

(٥٤) جمعية سرية تكونت بين ضباط الجيش فى عام ١٨٧٦ كونها « على الروبى » بعد هزيمة الجيش فى الحرب مع الحبشة ، وكانت هذه الجمعية المحرك للمظاهرة التى حدثت أمام نظارة المالية فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ للاحتجاج على احالة ٢٥٠٠ ضابط الى الاستيداع ، الياس الأيوبى : المرجع السابق الذكر . المجلد الثانى ، ص ٤٧٠

(٥٥) جمعية سرية تكونت فى ابريل عام ١٨٧٩ وضمت شريف باشا واسماعيل راغب ومحمد سلطان وغيرهم من الشخصيات السياسية الرافضة لسياسة رياض باشا .

والعلمــاء ، والنبهاء سموا أنفسهم بالحــزب الوطنى [٥٦] ، وجعلوا

---

(٥٦) قد يؤدى تسمية تلك الهيئة السياسية بالحزب الى لبس كبير لأنه لم يكن حزبا يقابل احزابا أخرى من ابناء البــلاد تتعارض فى المبادىء والبرامج على النحو الذى نعهده اليوم فى الأحزاب السياسية ، ولكنه فى حقيقته هيئة واحدة شاملة للحركة الوطنية فى جملتها وانما سمى بالحزب ليقابل جمــاعة الشراكسة والترك والألبانيين والأرمن الذين كانوا يتبعون الدولة العثمانيــة ، وينفردون بولاية الحكم فى الوظائف الكبيرة ، واكثر الوظائف الصغيرة ، فالحزب الوطنى على هــذا الاعتبــار كان هو حزب المصريين الفلاحين او حزب الأمة المصرية .

عباس محمود العقاد : محمد عبده . القــاهرة ــ وزارة التربيــة والتعليم ١٩٦٣ ، ص ١٧٨ ويتضح من مذكرة كتبهــا درويش باشــا ان الخديو اسماعيل لم يكن مسرورا من هــذا الحزب ولا من مؤسسه لأنه فهم من تصرفاتهم انهم يرمون الى طرده وذريته من مصر ، ولكن الشعور المعادى له من جانب الأوربيين جعله يغض النظر عن هذا الحزب .

F. O. 407/22 Inclosure in No. 589, Memorandum by Dervish Pasha.

ويذكر عرابى ان مصر مسكونة باجناس مختلفة ، وكل جنس منهم يعتبر حزب ، كما ان اهل البلاد حزب قائم بذاته يطلق عليه لفظ فلاحين . محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى وكان من ابرز زعماء هــذا الحزب شريف باشا ، واسماعيل راغب باشا ، وعمر لطفى باشا ، وسلطان باشا .

عبد الرحمن الرافعى : احمد عرابى الزعيم الثائر ، ص ٢٣

كما التف حوله حسن الشريعى مدير المنيــا ، وسليمان اباظه مدير الشرقيــة .

Landau : Parliaments and Parties in Egypt. New York. 1954 p. 87.

ويتحفظ الدكتور على الدين هلال فى اطلاق كلمة حزب بالمعنى العلمى على ذلك الحزب الذى يشار اليه عادة على انه أول حزب فى مصر حيث انه كان فى حقيقة الأمر اقرب ما يكون الى جبهة وطنية ذات اهداف عامة تعكس الآمال الشعبية فى الاصــلاح والتقــدم وافتقــدت التنظيم اللازم للاستمرار الحزبى .

مركزهم فى مدينة حلوان ، ونشروا عدة منشورات أشاروا فيهـا على الحكومة بمراعاة مصلحة البلاد ، وأعلنوا وجود الحزب الوطنى وبيان واجباته ، واظهـار حقوقه ، وأن الحكومة لم تقم برغائب الأمة ثم اعترضوا على الدين الممتاز واختصاصه(٥٧) » .

وفى هـذا الجـو المشوب بالقلق والتوتر ظهـر « عبد الله بن مصباح (٥٨) » والتقطت عيناه مآسى شعبه من تدخل أجنبى فى شئونه

السياسة والحكم فى مصر . القاهرة — نهضة الشرق ، ص ٦٦

مع العلم أن الحزب فى المفهوم الليبرالى يعنى جمعية يتم تكوينهـا على أسس معينة ، وعن طريقـه يتم الوصـول الى الحكم بالانتخابات والوسائل الدستورية .

Maciver, R. M. The Modern state. London 1968. p. 369.

(٥٧) أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار ص ٩٩ — ١٠٠ مخطوط . دار الكتب المصرية . رقم ١٥٤٢
وقد تأسس هـذا الحزب فى سنة ١٨٧٩

Landau : op cit., p. 87.

(٥٨) لا توجد كلمة النديم فى الاسم الحقيقى له بل « عبد اللـه بن مصباح بن ابراهيم الحسنى » .

الأستاذ : العدد الثالث والعشرون ، ص ٥٣٣ فى ٢٢ يناير ١٨٩٣ ، خير الدين الزركلى : الاعلام — قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ج ٤ ، ص ٢٨١ — الطبعة الثانيـة اما عن كلمة النديم التى التصقت باسمه فهى كناية عن منادمتـه للأمراء والكبراء فى ذلك الوقت .

أبى الفتح محمود بن الحسين : أدب النديم ، ص ٣ ، ٨

فىحين يذكر الأستاذ «أحمد عطية الله » أنه كما جرت عادة الناس فى ذلك الوقت باطلاق أسماء مزدوجـة على أبنائهم من الذكور فان اسـم « عبد الله نديم » هو اسم مزدوج لصاحبه .

أحمد عطية الله . سلسلة الاعلام . عبد الله نديم ، ص ١٠

الداخلية الى سوء ادارة الخديو ، وشعب مستضعف يتلقى الضربات أودت به الى الفقر والفاقه •

نشأة النديم ومصادر ثقافته :

ولد عبد الله النديم بالاسكندرية فى عام ١٨٤٣(٥٩) ونشأ فى أسرة كادحة حيث لعب الفقر دوره فى حياته الأولى (٦٠) ، وتآزرت العوامل التى جعلته يشعربآلام شعبه فقد كان والده خبازا يصنع الخبز ويبيعه ويحصل من ذلك على مقدار الحاجة من العيش البسيط هو وأسرته وتربى النديم فى مسكن متواضع فىحارة ضيقة من جوارى حى الجمرك

=

ولكننا نرى ان نشاة والد عبد الله الدنيية ورغبته فى أن يكون ابنه احد شيوخ الدين ربما تتعارض مع اطلاق كلمة النديم ضمن أسماء ابنـــه حيث كانت هـــذه الكلمة تطلق على من يجالس على الشراب انظر : ديوان البارودى ، ج ١ ، ص ٨٩

كما أن الأصل اللغوى لهذه الكلمة يعنى ذلك .

انظر : لويس معلوف : المنجد فى اللغة . بيروت . الطبعة التاسعة عشر ١٩٦٦ ، ص ٧٩٩

وعموما فانه نظرا لأن الاسم المتداول لهذه الشخصية سـواء فى الوثائق الرسمية او الكتب التاريخية او غيرها هو عبد الله النديم فاننـــا سنذكره بهذا الاسم .

(٥٩) عبد الفتاح نديم : سلافة النديم فى منتخبات السيد عبد اللـــه النديم . الجزء الأول . القاهرة ـــ مطبعة الجامعة ١٨٩٧ ، ص ٣

فى حين تذكر بعض المؤلفات انه ولد فى عام ١٨٤٥

انظر : نجيب توفيق : عبد الله النديم خطيب الثورة العرابيـــة . القاهرة ـــ مكتبة الكليات الازهرية ١٩٧٠ ، ص ٣٣ ، د. على الحديدى : عبد الله النديم خطيب الوطنية .

اعلام العرب (٩) المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ص ١٤

(60) Landau : op. cit., p. 97.

القريب من ميناء الاسكندرية ، وأرسله والده الى كتاب الحى لتعلم مبادىء القراءة والكتابة فبرز بين أقرانه ، وظهر نبوغه حيث أعانته موهبته على سرعة الفهم والحفظ « فحفظ القرآن الكريم وأتمه قبل أن يبلغ التاسعة (٦١) » ولما كانت أحوال والده المادية ضعيفة أحجم عن ارساله الى الأزهر ، واستبدل بذلك ارساله الى الجامع الأنور(٦٢) لقربه من منزله وذلك فى عام ١٨٥٥ حيث درس « الفقه والأصول والتوحيد والمنطق والعلوم اللسانية والنحو والصرف (٦٣) » وحضر دروس أكابر الشيوخ كالشيخ محمد جاد شيخ الشافعية بالاسكندرية اذ ذاك ، والشيخ ابراهيم الشافعى ، والشيخ محمد العشرى الذى به انتفع وعليه تخرج (٦٤) ولكنه لم يصبر طويلا على الدراسة فى هذا

---

(٦١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٣

(٦٢) انشأ هذا الجامع الشيخ ابراهيم باشا عام ١٨٢٤ ، ورتب له العلماء ، وكانت دروس العلم به لا تنقطع فهو فى الاسكندرية كما يذكر « على مبارك » مثل الأزهر بمصر .

الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة . جـ ٧ . القاهرة . المطبعة الأميرية ١٣٠٥ هـ ، ص ٧١

(٦٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٣ ، وايضا د. عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر . القاهرة — دار الفكر العربى ١٩٥٧ ، ص ٣٥

(٦٤) يتضح من رسالة بعث بها النديم للشيخ محمد العشرى مدى وفائه واخلاصه له حيث قال « ربيت فاحسنت ، وغذيت فاسمنت مؤدبا لينا ، ولنت فسودت وجدت فعودت ، مهذبا غينا وعلمت فأفهمت واشرت فالهمت ، غرض سهمك ، وقد نلت ما املت ، فيمن عليه عولت . غلامك الشهير بالنديم ، ومن صار فى البيان كالنسيم وكيف لا يكون لسانى قوس البديع ، وكلامى السهم السريع ، وانت باريه وراميه ، أم كيف لا يكون مقامى الحصن المنيع ، وقدرى العزيز الرفيع وانت معليه وبانيه فوجه جمال العلم انت عزته ، وانسان عين الحلم لنت قوته وكتاب الفضل انت صورته » .

الجامع حيث أحس بجفافها ، وعقم الطريقة التى تدرس (٦٥) بها فضلا عن رداءة الكتب كما وجد فى نفسه ميلا واستعدادا لشىء لا يستطيع منه خلاصا ولا عنه انصرافا ، وهو الأدب فخرج من الجامع الى الشارع أو الى الحياة الواقعية فكانت بمثابة الجامعة التى تعلم منها كثيرا وشاهد فيها كثيرا (٦٦) ، واغترف منها ما يشبع مزاجه وهوايته فى الأدب فأحاط بالحياة الشعبية ، وسمع الأمثال والحكايات من شعراء الربابة ونوادر الظرفاء (٦٧) ، كما ارتاد النديم المقاهى (٦٨)

=

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٣٤

ويذكر الدكتور على الحديدى أن الذى اكتشف استعدادات النديم فى قول الزجل وقدرته على نظم الشعر هو الشيخ محمد العشرى فشجعه واصطحبه معه الى ندوات الأدباء بالاسكندرية .

انظر : عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤

(٦٥) ان الأسباب التى دفعت النديم الى الانصراف عن الدراسة الأزهرية هى نفس الأسباب التى دفعت الشيخ محمد عبده الى كراهية التعليم الأزهرى فى بداية حياته ، فيذكر الأستاذ « عباس محمود العقاد » ان عقم الطريقة التى تدرس بها العلوم بالأزهر وعدم استطاعة الفتى محمد عبده مسايرتها كانا السبب فى كراهيته للتعليم والدروس .

انظر : محمد عبده ، ص ١٠٦

(٦٦) د. عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٥

(٦٧) ان شعراء العامة لم يتعذر عليهم أن ينظموا الملاحم أو يتخللوها بالقصائد الموزونة المقفاه فى القصص المطولة مثل قصص الزير سالم والغزوات الهلالية وأخبار النبى ايوب عليه السلام وحكايات البطولة والغرام فى اللهجات الدارجة ، وكلها تنظم فى بحور العروض وتلتزم فيها القافية ، ويقدر عليها شعراء أميون لم يدرسوا الأدب ، ولم يتعلموا وزن الشعر ، ولم يرجعوا فى منظوماتهم وموضوعاتهم الى غير السليقة والسماع .

عباس محمود العقاد : اشتات مجتمعات فى اللغة والأدب .
القاهرة — دار المعارف ١٩٦٣ ، ص ١٠٦

(٦٨) لم تكن المقاهى فى تلك الفترة اماكن للعبث بل كانت مجتمعا لأهل الفكر والأدب .

والمنتديات والمجالس الأدبية التى كانت تعقد فى بيوت الأثرياء ، وفى حوانت التجار المحبين للأدب ، يتطارحون الشعر ، وغير ذلك من فنون الأدب كالخطب والرسائل وكانت المحسنات البديعية من سمات الذوق الشائع لدى كتاب ذلك العصر فنزل النديم الى هـذه الحلبـة وفاق أقرانه وتفوق على أساتذته ، واشتهر أمره (٦٩) حيث برزت قدراته الخطابيـة والكتابية (٧٠) ، وذاع صيته بالاسكندرية منشدا للشعر ، ومدبجا للرسائل ، وخطيبا فى المجالس ، ولمـا علم والده بذلك وباهمال ابنه للدراسة وانقطاعه عنها خيره بين الانتظام فى طلب العلم أو تخليه عنه (٧١) مع رفض الانفاق عليـه فاختار النـديم الأمر الثانى ممـا اضطره الى البحث عما يسد به رمقه حيث أن مهنة الأدب آنذاك لم تكن تقيم الأود فترك الاسكندرية هائما فى قرى مصر ومدنها ، تارة يجوبها سيرا على الأقدام ، وأخرى يركب القطار .

تعلم النديم صناعة التلغراف ، ولم يكن سنه قد بلغ السـابعة عشرة من عمره كى يكتسب رزقه ، وليس كما يذكر أخوه بأنه « تعلم صناعة التلغراف ليقف بواسطتها على أسرار الأمم فى مخابراتها (٧٢) » .

---

(٦٩) أحمد عطية الله : المرجع السابق الذكر ، ص ١٤

(٧٠) الهلال : الجزء الحادى عشر — السنة الخامسة فى اول فبراير ١٨٩٧ تحت عنوان « باب اشهر الحوادث واعظم الرجال — عبـد اللـه النـديم » ص ٤٠١

(٧١) هـذا الموقف قريب الشبه بموقف والد الشيخ محمد عبـده من ابنـه ، فلما كره محمد عبده التعليم والدرس وأراد الاشتغال بالزراعة رفض والده ذلك وصمم على تعلمه مما جعل محمد عبده يهرب الى بلده بها بعض اقاربه ولولا التقائه بالشيخ درويش خضر خال ابيه الذى حـل له عقده النفسية من الأجرومية ما تغير حاله .

أحمد أمين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٣ — ٢٨٤

(٧٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٤

فالظروف كانت تتطلب البحث عن مصدر للرزق ، وليس الوقوف على أسرار الأمم •

التحق النديم بمركز التلغراف ببنها ولما ظهرت كفاءته نقل الى مكتب القصر العالى الذى كانت تقيم فيه الأميرة « خوشيار خانم » والدة الخديو اسماعيل (٧٣) فعرف النديم حياة القصور ، واستطاع أن يقف على أسرار الخاصة وما بهـا من بذخ ، وقارن بين ما شاهده من هـذه الحياة ، وحياة عامة الشعب وما بها من بؤس وشقاء وفقر مما كان له أكبر الأثر فيما بعد على كتاباته •

استقر النديم فى تلك الفترة بالقاهرة حيث تردد على المجالس التى كان يجتمع بها رجال الفكر وعشاق الأدب ، وهم مزيج منهم الثرى الوجيه والأزهرى المعمم والأفندى المطربش والموظف والتاجر (٧٤) وعن طريق هـذه المجالس تعرف على « أحمد وهبي الطرابيشى (٧٥) »

---

(٧٣) احمد امين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٣

(٧٤) احمد عطية الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠

(٧٥) كان يهوى الأدب والشعر ، وافتتح دكانا للطرابيش بشارع عابدين تجاه جامع الكخيا بالقاهرة جعل منه منتدى للأدباء والشعراء وكان من المترددين عليه عبد الله النديم •

دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابيـة ـ محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ • المجموعة الوثائقية . « قضايا المتهمين ـ عبد الله النـديم صاحب صحيفة الطائف ومحررها » •

كما عمل محررا ثانيا بالوقائع المصرية ، ولكنه فصـل ، واستخدم بنظارة المعارف ولكنه لم يوفق •

احمد تيمور : تراجم أعيـان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر القاهرة . عبد الحميد حنفى ١٩٤٠ ، ص ١٤٤

الذى قدمه الى ست من أشـــهر أدباء العصر كان لهم أكبر الأثر فى تكوينه الأدبى وهم محمود سامى البارودى (٧٦) ، وعبد الـــله باشا

---

(٧٦) ولد فى ٦ اكتوبر ١٨٣٩ ببلدة ايتاى البارود بحيرة ، وتخرج من المدرسة الحربية ايام عباس الأول ، وكان مجلسه بشارع غيط العدة بباب الخلق حافلا يؤمه اعيـــان المنشئين والشعراء والمتادبون من طلبـــة العلم ، وقد اتصل به النديم وجمع بينهما الشعر والادب كما جمعت بينهما الثورة العرابية فيما بعد ، ويعتبر البارودى صاحب الفضـــل الأول فى تجديد أسلوب الشعر ، وانقاذه من الصـــناعة والتكلف العقيم ورده الى صدق الفطرة وسلامة التمييز .

عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيـــل المـــاضى ص ١١ ، ١٥ وايضا د. شوقى ضيف : الأدب العربى المعاصر فى مصر ١٨٥٠ ــ ١٩٥٠ القـــاهرة ــ دار المعارف ١٩٥٧ ، ص ٣٤

وللأمثلة انظر : ديوان البارودى . القاهرة ــ مطبعـــة دار الكتب المصرية ١٩٤٠ ، وقد قال عنه النديم « انه الشـــاب الذى غرس غصن القريض فاثمر .. ان جلس للانشاء جثا سحبان على ركبه ، وان اعمل قلمه كف قس عن خطبه » .

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢ تحت عنوان من منتخبات الرسائل الادبية . « لواء النصر فى ادباء العصر » كما قال عنـــه الشيخ حسين المرصفى انه لم يقرا كتابا فى فن من فنون العربية غير انه لـــا بلغ سن التعقل وجـــد فى طبعه ميلا الى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع الى من له دراية فى ذلك .

انظر : الوسيلة الادبية الى العلوم العربية . الجزء الثانى . القاهرة مطبعة المدارس الملكية ١٨٧٨ ، ص ٤٧٤

فكرى (٧٧) ، والشيخ على أبو النصر (٧٨) ، والشيخ أحمد

---

(٧٧) ولد بمكة عام ١٨٣٣ وهو كاتب وشاعر . تعلم فى الأزهر ، واتقن اللغة التركية ، وعمل مترجما ، وتنقل فى الوظائف الى أن تولى نظارة المعارف قبل قيام الثورة العرابية واتهم بالاشتراك فيها ثم عفى عنه ، ومن أشهر مؤلفاته « ارشاد الألبا الى محاسن أوربا » وله مدرسة اصطلح على تسميتها بالمدرسة الديوانية نهض فيها بأسلوب الكتابة الرسمية . توفى عام ١٨٨٩

عباس محمود العقاد : المرجع السابق الذكر ، ص ٧٧ ، ٨٥ ، جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، وايضا . قلينى فهمى : مذكرات قلينى فهمى باشا — خلاصة الحوادث فى عهود الخديو اسماعيل والسلطان حسين والملك فؤاد . الجزء الثانى ، ص ١٩

وللأمثلة على كتاباته انظر الشيخ حسين المرصفى : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ، ص ٦٧٣.

(٧٨) شاعر من اهل منفلوط : تعلم بالأزهر ، وكان يحسن النظم الفصيح والزجل له ديوان مطبوع باسم « ديوان أبى النصر » خير الدين الزركلى : الأعلام — قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . الجـزء الثانى . القاهرة — المطبعة الأميرية ص ١٨١

وكان من المقربين الى الخديو اسماعيل فنال جوائزه .

جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨.

كما امر الخديو اسماعيل « بربط النين وخمسمائة قرش شهرى الى السيد على ابو النصر كمعاش شهرى لأنه من افاضل العلماء » دار المحفوظات العمومية . صورة امر كريم صادر للمالية من الحضرة الخديوية رقم (١٠٢) بتاريخ ٢٤ صفر ١٢٨٨

الزرقانى [٧٩] ، ومحمد بك سعيد [٨٠] ، ومحمود صفوت [٨١] وقد نعتهم النديم بأحسن النعوت فى رسالة بعنوان « لواء النصر فى أدباء العصر [٨٢] » .

وقد جالس النديم هؤلاء الأدباء وأخذ عنهم وشاركهم فيما هم فيه يتنافسون من صنوف الأدب [٨٣] ، كما تردد على حلقات العلم بالأزهر فحضر دروس الشيخ محمد الانبابى [٨٤] ، وكبار

---

(٧٩) كاتب واديب قال عنه النديم انه « بستان الكلام ، وعنوان الكرام .. الناضل الذى ألفته اللغة العربية ، وعرفته المعانى الأدبية .. الاديب الذى سمعه بلبل الذوق فأفصح » .

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢

(٨٠) شاعر ناثر قال عنه النديم انه « الأمير الذى دعا الأدب فلباه ، وساسه حتى رباه .. الشاعر الناثر ، المجيد الماهر ، من غاص بحر الأدب ، واستخرج الصدف من قاعه ، وحاصر جيش البديع حتى صار من حزبه واتباعه » نفسه ، ص ٢٣

(٨١) شاعر مصرى اشتهر باسم الساعاتى لبراعته وولعه بتصليحها وان لم يحترفها ولد عام ١٨٢٥ وتوفى فى عام ١٨٨١

خير الدين الزركلى : القاموس السابق الذكر ، ص ٥١

ومن الأدباء من يعتبره طليعة النهضة الحديثة ، وخاتمة الأدباء الناشئين على الطريقة التقليدية حيث يعتبر حلقة الاتصال بين الشعراء العروضيين والشعراء المحدثين وقد نظم قصيدة مطولة فى مدح النبى عليه السلام اتى فيها على مائة وخمسين نوعا من انواع البديع .

عباس محمود العقاد : المرجع السابق الذكر ، ص ٨

(٨٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١ — ٢٣

(٨٣) عبد الله النديم : كان ويكون ، ج ١ مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩٢ ، ص ١٠

(٨٤) الأستاذ : ص ٨٩٤ ، الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠١

والجدير بالذكر أن الشيخ محمد الانبابى أصبح شيخا للجامع الأزهر بعد ذلك .

انظر : دار المحفوظات . ملف معاش الشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الأزهر دولاب رقم ١٣ عين ١٤ محفظة ٢٩١ دوسيه ٧٦٦٨

لماء .

ـ لقد كانت اللغــة العربية هى لغة الثقافة الوحيدة التى أتقنها
ديم كما كان العنصر الأول فى تكوين ثقافته هو الثقافة الاسلامية
ع أن الكثير من الكتاب والمصلحين فى تلك الفترة أمثال جمال الدين
فغانى والشيخ محمد عبده قد درســوا الفرنســية فى سن متأخرة
للاستفادة من الفكر الأوربى ومناهجه العلمية ابتغــاء الدفاع عن
سلام (٨٥) والرد على اتهامات المتعصبين من علماء أوربا ومفكريها
، العالم المسلم كما ذكر الشيخ محمد عبــده لا يمكنه أن يخــدم
سلام من وجه يقتضيه حال العصر الا اذا كان متقنا للغة من لغات
لوم الأوربيــة تمكنه من الاطلاع على ما كتبه أهلها عن الاسلام
هله من مدح أو ذم وغير ذلك (٨٦) فان ظــروف النــديم وأحواله
ضطربة لم تمكناه من ذلك ، وليس بسبب ما يذكره البعض (٨٧) عن
عصبه ضد اللغات الأوربيــة لأنه هو الذى ذكر بأن الجمع بين اللغات
ربية والافرنجية من أسس العمران المدنى (٨٨) .

لقد استعاض النديم عن تعلم اللغات وتنوع الثقافات بما استمده

---

(٨٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ـ الاسلام فى
رن التاسع عشر ترجمة د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ـ بيروت
العلم للملايين الطبعة الأولى ، ص ١٠٣

(٨٦) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمــد عبده
١ ـ القاهرة ـ مطبعة المنار ١٩٣١ ، ص ٩٢٧ تحت عنوان رأيه فى
ـــة العربية واللغات الأوربية .

(٨٧) للتفاصيل انظر : الفصل العاشر من الكتاب . بخصوص دفاع
ديم عن اللغة العربية .

(٨٨) الأستاذ : العــدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ١٤
حت عنوان » فصل فى الأخلاق والعادات « .

من الحياة الواقعية التى خاض فيها تجربة كبيرة ذكرها فى مقدمة كتابه « كان ويكون » فقال : انى رجل عربى الجنس حسنى النسب [٨٩] اسكندرى المولد اسلامى الدين ، أشعرى العقيدة شافعى المذهب خلوتى الطريقة .. أخذت عن العلماء الأفاضل كثيرا مما به يشتغلون من السمعيات والعقليات وجالست الأدباء وشاركتهم فيما فيه يتنافسون وخالطت الأمراء وداخلت الحكام ، وعاشرت أعيان البلاد ، وامتزجت برجال الصناعة والفلاحة والمهن الصغيرة ، وأدركت ما هم فيه من الجهالة ومم يتألمون وماذا يرجون ، وحابيت كثيرا من متفرنجة الشرقيين وألمت بما انطبع فى مرآة صدورهم من أشعة الغربيين وصاحبت جما من أفاضل الشرقيين المتعلمين فى الغرب ممن ثبتت أقدامهم فى وطنيتهم [٩٠] ، وفطروا على حب الجنس والوطن والدين وعرفت كثيرا من الغربيين [٩١] ورأيت أفكارهم عالية أو سافلة فيما يختص بالشرقيين .. واختلطت بأكابر التجار [٩٢] .. وامتزجت

---

(٨٩) جاهر النديم بأنه من الاشراف الذى ينتسبون الى أسرة الرسول عليه السلام انظر مجلة الأستاذ ، ص ٨٧ ولكن البعض أنكر عليه ذلك فيذكر « ولى الدين يكن » أن « النديم انتحل لنفسه السيادة وجاراه الى تسميته باسمها جماعة من مريديه ولكن لم يكن فى طباعه ما يشبه طباع السادة » ولى الدين يكن : المعلوم والمجهول . القاهرة — مطبعة الشعب ١٩٠٩ ، ص ٢٧ ، ٢٨

(٩٠) من هؤلاء أديب اسحق الذى نقل أفكار الثورة الفرنسية الى القارىء المصرى كما وصف له الحريات التى تتمتع بها أوربا بعد جهادها فى الحصول على ذلك .

انظر : أديب اسحق : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٤ ، ٩٨

(٩١) من ضمن هؤلاء تعرف النديم بالاسكندرية سنة ١٢٩٢ هـ على أحد الفرنسيين الذى كان يتردد على الديار المصرية واستقر بمصر بعد مظاهرة عابدين ليتتبع حوادثها عن مشاهدة ويقين ، وقد اتصل به النديم أثناء اختفائه وكان مخلصا وفيا له ، كما اشترك معه فى تأليف كتاب كان ويكون ولم يذكر النديم اسمه حفاظ على ما اتفقا عليه . انظر : عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٢

(٩٢) اتصل النديم بأحد أحباء الأدب من أعيان التجار بالمنصورة .

بلفيف من الأجناس المتباينة جنسا ووطنا ودينا [٩٣] ، واشتغلت بقراءة كتب الأديان على اختلافها ، والحكمة والتاريخ والأدب [٩٤] وتطلعت بمطالعة الجرائد مدة ، واستخدمت فى الحكومة المصرية زمنا [٩٥] ، وأتجرت برهة [٩٦] ، وفلحت حينا [٩٧] وخدمت الأفكار بالتدريس وقتا [٩٨] وبالخطابة والجرائد آونة [٩٩] ، واتخذت هذه المتاعب لهذا القصد بعناء كسانى نحول الشيخوخة [١٠٠] .

ومما سبق يتضح أن النديم ثقف نفسه ثقافة حرة واسعة النطاق وغير مقيدة بمنهج دراسى أو غيره الا أن هذه الدراسة لم توضح له الرؤية السياسية ، والخط السياسى الذى يجب السير فيه ، ولم يتيسر له ذلك الا بعد اتصاله بجمال الدين الأفغانى .

أثر الأفغانى فى التكوين الثورى للنديم :

لما سمع النديم بجمال الدين الأفغانى حضر مجلسه فاستهوته أفكاره الجريئة لذلك تردد على حلقته [١٠١] ، وانخرط فى سلك تلامذته،

---

(٩٣) ذلك اثناء تواجده بالاسكندرية .

(٩٤) يتضح ذلك من كتابه المسمى « كان ويكون » .

(٩٥) عمل النديم موظفا بمكتب التلغراف ببنها وبالقصر العالى بجاردن سيتى .

(٩٦) افتتح النديم محلا لتجارة الخردوات بالمنصورة .

(٩٧) اشتغل النديم بالفلاحة أثناء تواجده بقرية « بدواى » دقهلية عندما كان يعلم أبناء عمدتها الشيخ « ابو سعدة » .

(٩٨) انظر الفصل العاشر من الكتاب تحت عنوان « النديم وثقافة عصره » .

(٩٩) انظر الفصل الحادى عشر الخاص بأساليب النديم فى العمل الوطنى » .

(١٠٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٠

(١٠١) الف الأفغانى حلقة فى منزله بحارة اليهود بالقاهرة ، وكان يؤمها طلبته امثال محمد عبده وعبد السلام المويلحى والبارودى وسعد زغلول واديب اسحق وسليم النقاش وغيرهم .

وتعلم منه أصول الدين[١٠٢] ، وحرية البحث والنقد والجرأة فى الدفاع عن الحق فتشبع بمبادىء الوطنية وتشرب منه مبادىء الحرية [١٠٣] واستطاع نشر تعاليمه والقول بقوله [١٠٤] حيث نادى بتطهير البــلاد من ذل العبودية ، واستبداد الخديو وسيطرة الأجنبى على مقــدرات البــلاد .

لاحظ الأفغانى نبوغ النديم ، وقوة حجته فى المناظرة والجــدل وسرعة بديهته ووضــوح دليله أن خطب أو كتب [١٠٥] فأخــذ يدربه وأعطاه من وقته واهتمامه الكثير لثقته فى أنه سيكون الخطيب المؤثر فى عواطف الجماهير ، وليس معنى ذلك أن النديم كان الفتى الأول فى نظر الأفغانى الذى كان شديد الاعجاب بشخصية الشيخ محمد عبــده لذكائه وعلمه [١٠٦] ويذكر الأستاذ « عثمان أمين » أن ذلك أثار بعض الغيرة فى قلب النديم فقال لأستاذه ذات مرة « أيها السيد ما غفلت مرة عن اضافة لقب الصديق الى الشيخ كأنه لم يكن لك بين النــاس صديق غيره » فتبسم جمال الدين وقال « وأنت يا عبد الله صديقى ،

---

(١٠٢) يذكر ابراهيم الهلباوى أنه قد اشيع عن الأفغانى انه ملحد ، وأن هنــاك خوفا من تأثر الطلاب بآرائه ، ولكن اتضح انه من اكبر زعماء المسلمين فى ذلك العهد .

مذكرات تاريخ حيــاة ابراهيم الهلباوى . القاهرة — دار الوثائق القومية ، ص ٤

(١٠٣) يوسف نعمان معلوف : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠٧

(١٠٤) اديب اسحق : المرجــع السابق الذكر ، ص ١٨ ، لوثروب ستودارد حاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجاج نويهض . القــاهرة — المطبعــة السلفية ١٣٤٣ هـ ، الجــزء الأول ، ص ٢٠٠ ، تلينى فهمى : المرجة السابق الذكر ، جـ ٢ ، ص ٢٢

(١٠٥) احمد امين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤٧

(١٠٦) احمد لطفى السيد : قصة حياتى. كتاب الهلال . العدد ١٣١ فى فبراير ١٩٦٢ ، ص ٣٤

ولكن الفرق بينك وبين الشيخ محمد أنه كان صديقى على الضراء وأنت صديقى على السراء » فسكت النديم (١٠٧) .

لقد تلاءمت أفكار الأفغانى الدينية السياسية مع تكوين النديم كما أنها أوضحت له الرؤية السياسية والوطنية لذلككان يهرع الىمجلس أستاذه (١٠٨) كلما فرغ من عمله بالقصر العالى واستمر على ذلك حتى فصل من عمله (١٠٩) فانتقل الى ميادين الحياة الفسيحة يضرب فى مناكبها مبتغيا الوسيلة لكسب عيشه (١١٠) فجاب القرى والمدن وفى أثناء تواجده بمدينة المنصورة تعرف على الشيخ أبو سعدة عمدة بدواى (١١١) فدعاه الى الاقامة فى قريته كى يعلم أولاده القراءة

---

(١٠٧) عثمان امين : محمد عبده ، ص ٢٦ ، ٢٧

(١٠٨) كان منزل الافغانى منتدى للعلماء والأدباء ، ومحط رحال الطلبة الأذكياء نهارا ، واذا جاء الليل خرج الى قهوة البوسطة بالأزبكية حيث يجلس فى صدر فئة تلتف حوله على هيئة نصف دائرة يناقشون أدق المسائل . سليم عنحورى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧٩

(١٠٩) عن اسباب فصل النديم من عمله بالقصر العالى . انظر : احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث . القاهرة — النهضة المصرية — الطبعة الثالثة ١٩٧١ ، ص ٢٢٤

(١١٠) مجلة الكتاب : المجلد السابع فى يناير ١٩٤٩ ، ص ٨٠ مقال للدكتور جمال الدين الشيال بعنوان . اعلام النهضة الحديثة — عبد الله نديم .

(١١١) قرية قديمة من قرى الدقهلية اسمها الأصلى بدوية .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى . الجزء الأول — القسم الثانى ، ص ٢١٧ وكانت تابعة لمركز فارسكور ، وبها مسجد بمنارة ويتكسب اهلها من زراعة الأرز والقطن وبعض الحبوب .
انظر : الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ج ٩ ، ص ١٤ ، ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى دار المحفوظات .
اوراق انشاء العزب بناحية بدواى — مديرية الدقهلية — محفظة رقم ١٠ مين ٩٧ مخزن ٥ ملف ٦٢

والكتابة والدين [١١٢] ، وقد استطاع النديم خلال تواجده بهذه القرية معرفة أحوال الفلاحين والظلم الواقـــع على كواهلهم ثم ما لبث أن اختلف مع مضيفه وتشاحنا [١١٣] فترك القرية واتصـــل بأحد محبى الأدب من أعيـــان التجار بالمنصورة [١١٤] الذى افتتح له حانوتا لبيع الخردوات [١١٥] ، ولكن نفس النديم الثائرة لم تجد استعدادا للعمل بالتجارة فأهملها [١١٦] وأخـــذ يرحل من بلد الى آخر حتى تعرف على شاهين باشا كنج مفتش الوجه البحرى فقربه اليه ، وفى صحبته تعرف النديم على أحـــد رجال الحاشية الخديوية ، وهو تتونجى بك فعينه وكيلا لدائرته مما أتاح له فرصـــة التردد على القـــاهرة ليقابل موكله هناك [١١٧] وخلال ذلك زار مجالس أستاذه فوجد أن لهجته فى الحديث قد تغيرت [١١٨] ، فبعد أن كان يتحدث عن الاصلاح الدينى واتخاذه طريقا للاصلاح السياسى والاجتماعى أصبح يتحدث عن ضرورة التخلص من الظـــلم الاجتماعى والحـــكم الفـــردى [١١٩] والتـــدخل الأجنبى

---

(١١٢) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٤

(١١٣) المصدر نفسه .

(١١٤) انشاها الملك الكامل ايوب سنة ١٢١٩ م عندما احتل الأفرنج مدينة دميـــاط وسماها المنصورة تفاؤلا بانتصـــاره على الصليبيين ، وفى عام ١٨٨١ انشىء قسم المنصورة وجعلت المنصورة قاعدة له .

وتقع على الشاطىء الشرقى لفرع النيل الشرقى وهو فرع دمياط .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية القسم الثانى من الجزء الأول ، ص ٢١٥ ، ٢١٦

(١١٥) كان مكان هـــذا الدكان سوق الخواجات بالمنصورة ، ويزال المكان بهذا الاسم .

(١١٦) تذكر مجلة الهلال فى عددها الصادر فى فبراير ١٨٩٧ أن تجارة النديم قد راجت بالمنصورة ، ولكن هـــذا غير صحيح .

انظر : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠١

(١١٧) دكتور على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٤

(١١٨) سليم عنحورى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨١

(١١٩) جريدة مصر العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ : خطاب جمال الدين الأفغانى بالاسكندرية .

والاستبداد الواقع على أعناق المصريين ، كما وجد النديم أن أحاديث أستاذه لم تعد تقتصر على الخاصـــة بل اقترب من العامة [١٢٠] الذين ارتادوا مجالسه يتفهمون منه ســوء أحوال أمتهم ، والظــلم الواقع على كواهلهم وضرورة التخلص منه وكان جمال الدين يخاطب المصريين فى لهجة فيها الكثير من المرارة التى تنطلق من محبته لمصر وحرصه على شعبها [١٢١] فهاجت خواطرهم وشغفت قلوبهم بالحرية [١٢٢] وبدأت تنتشر روح التململ من الحكومة [١٢٣] فساعد ذلك على أن يكثر حديث الناس عن الأزمة المــالية وصندوق الدين والتدخل الأوربى ، والظلم والعــدل ، والاستقلال والحرية والجهل والعوز مظهرين الخوف على البــلاد [١٢٤] .

لقد رأى الأفغانى أن الحرية والاستقلال لا يوهبــان عن طيب خاطر بل ان الأمم تحصل عليهما قوة واقتدارا [١٢٥] ، وقد مست هذه الكلمات كما مس غيرها قلب النديم ووجد فى نفسه كما وجد زملاؤه فى أنفسهم بعد تتلمذهم على أستاذهم أن الواحد منهم جدير باصـــلاح

---

(١٢٠) سليم عنحورى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨١

(١٢١) من اقواله للمصريين« هبوا من غفلتكم . اصحوا من سكرتكم، انفضوا عنكم غبــار الغباوة والخمول ، عيشـــوا كبــاقى الأمم ســـعداء او موتوا ماجورين شهداء .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٤٧

(١٢٢) مصطفى عبد الرازق : محمــد عبده ، ص ١١٩

(١٢٣) سليم عنحورى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨٢

(١٢٤) يصف كرومر ذلك بقوله ان حالة الرضا والطاعة التى يتميز بهـــا المصريون تاثرت الى حد كبير نتيجة لـــا دار من مناقشـــات حول ضرورة تغيير اوضاع البلاد .

Cromer : Modern Egypt. V. 1 pp. 150, 151.

(١٢٥) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر الســياسى فى مصر الحديثة . القاهرة جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية العاليـــة ١٩٧٣ ، ص ٣١

مديرية أو مملكة [١٢٦] وأنهم رغم قـلة عددهم [١٢٧] اذا وزعوا على مديريات القطـر ومحافظـاته فسوف يصلحونها فى أقرب وقت[١٢٨] ومن هنا بدأت حياة النديم السياسية .

النديم والعمل السياسى قبل قيام الثورة العرابية :

نظرا للبطش والاستبداد وأساليب القهر التى أتبعت فى مصرخلال حكم الخديو اسماعيل خشى رجال الحركة الوطنية من بطش الخديو بهم خصوصا أن حركتهم كانت ما تزال وليـدة ومن السهل القضـاء عليها لذلك نجـد أن جمـال الدين الأفغـانى لجأ فى عام ١٨٧٨ الى المحافل المـاسونية [١٢٩] . ذات النشاط السرى والمتمتعـة بالرعاية

---

(١٢٦) مجلة المنار . الجزء الثامن ، ص ٧١٠

(١٢٧) جورج انطونيوس : يقظة العـرب — تعريب علي حيـدر الركابى ، دمشق — مطبعة الترقى ١٩٤٦ ، ص ٦٦

(١٢٨) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٣٦

(١٢٩) المـاسون Macon كلمة فرنساوية معناها بنـاء ، فالمـاسونية بمعنى البناية وجماعة البنائين هم الأعضاء ، وكانوا لا يتركون علما من العلوم الا واتقنوه وكانت لهم كلمات واشارات يتعارفون بها . جرجى زيدان : تاريخ المـاسونية العـام . القاهرة — مطبعة المحروسة ١٨٨٩ ، ص ٣١ ، أحمد عطية الله : القاموس الاسـلامى ، ص ١١٠٠ والمـاسونية من مهمتها « أن تدخل فى روع الناس أنهم متساوون ، وأن الميزات القومية والمعتقدات كلها اصطناعية لا قيمة لها » .

ر. فورستيه : هـذه هى المـاسونية — ترجمة بهيج شـعبان ، دار بيروت ١٩٥٥ ، ص ٩ ، ١٢

وقد كان بمصر ثلاث محافل كبرى احـدهما تابع لانجلترا والآخـر لفرنسا والثالث لتركيا .

للتفاصيل انظر : عبد الرحمن سامى عصمت : الصهيونية والماسونية ص ٨٤ ، ويذكر الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى أن هنـاك اختلافا حول المحفل الأول الذى انتسب اليـه الأفغانى .

انظر : مصر والمسألة المصرية ، ص ٨٥

والحماية الأجنبيتين (١٣٠) فاتصل بالماسونيين الايطاليين ، وتفاهم معهم على تأليف مجمع الشرق الكبير بالاسكندرية ، وقد تم له ذلك ، وبدأ المحفل نشاطه فى عام ١٨٧٨ ، ودخله تلاميذ الأفغانى بتشجيع منه فانضم اليه أديب اسحق وسليم النقاش وعبد السلام المويلحى وعبد الله النديم ولطيف باشا سليم وآخرون ولما أحس « روفائيل بورج » نائب القنصل الانجليزى بذلك حث الأفغانى وتلاميذه على الانضمام الى المحفل الماسونى الانجليزى « كوكب الشرق » التابع للمحفل الكبير بانجلترا فانضموا اليه على أمل أن يجدوا فيه مايتوقون اليه من حرية القول واتاحة تبادل الأفكار بين المثقفين (١٣١) .

وكان هذا المحفل يضم حوالى ثلاثمائة عضو من صفوة الرجال بينهم ولى العهد الأمير محمد توفيق ، وشريف باشا وبعض النواب والعلماء وضباط الجيش .

خاب ظن الأفغانى وتلاميذه فى هذا المحفل اذ أدركوا أن

=

ويؤكد ابراهيم الهلباوى ان المحفل الذى انضم اليه الافغانى هو كوكب الشرق الانجليزى . أنظر مذكرات الهلباوى ، ص ٨

فى حين يذكر « يوسف نعمان معلوف » أن الافغانى انضم للمحفل التابع للشرق الفرنساوى .

انظر : خزانة الأيام فى تراجم العظام ، ص ٢٠٥

ولكننا نرى أن النديم انضم الى الماسونية الايطالية ثم الانجليزية وتركها الى الشرق الفرنسى .

(١٣٠) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق الذكر ص ٨٥

(131) Dr. M. Sabry : Le génése de L'esprit Nationl Egyptien, pp. 142 - 143.

ويذكر « لويس شيخو » أن الماسون الانجليز قصدوا من ضم جمال الدين الأفغانى الى جماعتهم « أن يكون كطعم لسنارتهم » .

انظر : السر المصون . بيروت — المطبعة الكاثوليكية ، ج ٢ ، ص ٤١

المبادىء الماسونية (١٣٢) لا تطبق فيه بالفعل حيث نادى بعض أعضائه بألا تزج الماسونية نفسها فى السياسة والقضايا الهامة ب يجب الانصراف عن ذلك تماما مما دفعه الىتوجيه تهمة الجبن والخمو لأعضائه والانفصال عنه وانشاء محفلوطنى تابعا للشرق الفرنساوى (١٣٣) جمع فيه طلابه ومريديه الذين بلغوا ثلاثمائة عضو من بينهم النديم وكان الهدف الأكبر منه هو رفع الظلم عن المصريين (١٣٤) .

وقد كان مكان النديم من هذا التنظيم أن يتخذ من الاسكندر التى كانت تبز القاهرة فى تلك الفترة لكثرة ما كان بها من جمعيا وطنية وصحف عربية — مكانا لنشاطه فكتب فى صحيفتى المحف (مصر) و (التجارة (١٣٥)) المقالات التى يبصر الناس عن طريق بمبادىء وآراء الأفغانى (١٣٦) ، وقد بلغ هذا المحفل درجة كبيرة ه الأهمية والخطورة على مركز بريطانيا أن القنصل الانجليزى طلب ه

---

(١٣٢) مبادىء الماسونية : حرية . مساواة . اخاء .
د. محمد قاسم : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٠

(١٣٣) محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى بيروت — المطبعة العلمية ١٩٣١ ، ص ٤١ — ٤٥

(١٣٤) حرص الأفغانى على تقسيم محفله الى عدة شعب تهدف ال اغراض محددة فهناك شعبة لرفع شأن الضباط المصريين بتحقيق المساو بينهم وبين الضباط الشراكسة ، وهناك شعبة خاصة بالحقانية وأخر للمالية وهكذا د. محمد قاسم : المرجع السابق الذكر ، ص ٤١ — ٢
منتخبات اديب اسحق ، ج ٢ ، ص ١١٩

(١٣٥) راس تحريرهما اديب اسحق وسليم النقاش ، وكانت الأول اسبوعية والثانية يومية ، وعن اسباب قيامهما انظر مقدمة الدرر م منتخبات اديب اسحق .
وعن هاتين الشخصيتين انظر : يوسف نعمان : المرجع السابق ص ١٥٩

(١٣٦) من هذه المقالات انظر جريدة مصر العدد ٤٢ فى ١٨ أبريل ١٨٧٩ العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩
وجريدة « التجارة » فى ٢٣ اغسطس ١٨٧٩

الخديو التخلص من صاحبه « فأصدر أمره باخراج السيد من القطر المصرى سنة ١٨٧٩ »[١٣٧] .

أخذ النديم يتكشف التيارات الموجودة بالاسكندرية ، ولما علم بوجود جمعية سرية تهدف الى قلب حكم الخديو اسماعيل وهى : « جمعية مصر الفتاة[١٣٨] » اتصل باثنين من مؤسسيها[١٣٩] أحدهما نائب رئيس الجمعية والآخر كاتم أسرارها[١٤٠] وأثناء اجتماعه بهما تعرف على الكثيرين من أعضاء الجمعية[١٤١] .

---

(١٣٧) محمد المخزومى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(١٣٨) يذكر لانداو ان هذا الاسم منقول عن الجمعية الوطنية الايطالية المعروفة باسم « ايطاليا الفتاة » .

Landau : op. cit., p. 101.

ومن تقرير قدمه مفتش عموم البوليس بالاسكندرية فى ١٨٧٩/١٢/٢٣ الى نظارة الداخلية يتضح تتبع البوليس لنشاط الجمعية واجراءاته لايقاف نشاطها الضار بالأمن العام .

انظر : عبد الوهاب بكر : البوليس المصرى « الشرطة » ج ٢ ، ص ٤٨٥ رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٧٨

(١٣٩) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٥

(١٤٠) كان محمد امين رئيس محكمة اسيوط نائبا لرئيس الجمعية ومحمود واصف المحرر بالعدل كاتما لأسرارها اما رئيس الجمعية فلم يكن معروف الهوية .

انظر سلافة النديم ، ص ٥

Landau : op. cit., p. 102.

Delanoue : Abd Allah Nadim p. 83.

(١٤١) يذكر محمد رشيد رضا ان اغلب اعضاء هذه الجمعية كانوا من شبان اليهود ويتفق معه لانداو فى هذا ويضيف أن قادتها كانوا من المسلمين .

انظر : تاريخ الأستاذ الامام ، ج ١ ، ص ٧٥

Landau : op. cit., p. 101.

ومن اللائحة التى أصدرتها هذه الجمعية تتضح أهدافها وأغراضها حيث بسطت فيها « المصائب الحائقة بالبلاد » و « الوسائل الموجبة لاصلاح أحوال الرعية » وشكت من تحمل الفلاحين للضرائب الباهظة ، وسوء العدالة ، وفساد أسلوب تحصيل الأموال ، وقصور التعليم كما طالبت بايجاد قانون ينظم الحقوق والواجبات لكل من الحاكم والمحكوم ، وايجاد قانون للانتخاب واستقلال السلطة النيابية وتوزيع السلطات ، وصيانة الحريات ، واعطاء الحرية التامة للمطبوعات والاجتماعات (١٤٢) .

كما كان من أهداف هذه الجمعية قيام حكم الشورى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١٤٣) ، وقد غزت المنشورات السرية لهذه الجمعية البلاد تصور سوء الحال ، وضرورة وضع حد للمظالم التى يئن منها الناس وكان أول هذه المنشورات بيانا سياسيا فى ٤ فبراير ١٨٧٩ طبع منه عشرون ألف نسخة ، وقد حاول جواسيس الخديو ورياض (١٤٤) معرفة ناشريه ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك (١٤٥)

---

(١٤٢) جمعية اتحاد مصر الفتاة : لائحة اصلاح مرفوعة الى جلالة الأمير توفيق الأول الاسكندرية — مطبعة موريس المعروفة بالمطبعة الفرنسية ١٨٧٩ ، ص ١ — ٦٨ وعن مدى تطابق هذه الأهداف والأغراض مع اهداف وفكر النديم .

انظر : الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب .

(١٤٣) أديب اسحق : المرجع السابق الذكر ، ص ١٠٦

وقد استقى النديم من أهداف هذه الجمعية الكثير من افكاره فى كفاحه الوطنى العلنى بعد ذلك فتحدث عن الشورى والحياة النيابية وشروطها .

انظر جريدتى مصر : العدد ٤٢ فى ١٨ ابريل ١٨٧٩ ، والتنكيت والتبكيت فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١

(١٤٤) وصف النديم رياض باشا بأنه كان احد الرجال المدربين على الأعمال السياسية والادارية .

انظر : كان ويكون ، ج ١ ، ص ٧٠

(١٤٥) الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٧٠

أحس النديم بأن العمل السرى لا يتفق مع طبيعته الشعبية [١٤٦] فأخذ يناقش أعضاء هـذه الجمعية لتحويلها من سرية الى علنيـة ، ولكنه ــ كما يذكر شقيقه ــ لم ينجح فى مقصده فانفصل عنها وتبعه الكثيرون من أعضائها [١٤٧] ، واستطاع النديم بمساعدة بعض أصدقائه انشـاء جمعية علنيـة تحت اسم « الجمعية الخيرية الاسلامية [١٤٨] » حيث زاول فيها نشاطه .

لقد كانت الجمعيات السرية التى دخلها النديم ذات قدرة وطنية محدودة وضيقة القـاعدة ومع ذلك فقد كانت هامة ولازمة للزعامات فى بداية تكوينها حيث كانت البداية لنقطة الانطلاق الى عمـل وطنى أوسع ومركزا لاثراء خبرات هـذه الزعامات ، وهـذا هو ما حدث بالنسبة للنديم اذ التجأ الى النشاط السياسى العلنى وعمل على توسيع قاعدة النضـال الوطنى بتحـويل المجتمـع كلـه الى قـوة وطنيـة ضـاربة .

كما يتضح أنه رغم دخول النديم فى العمـل السـياسى السرى خشية بطش الخديو والحكومة به ، فانه لم يكن مرتاحا لهـذا العمل كثيرا لأن طبيعته الشعبية ، وطبيعة مفهومه للحركة الوطنيـة المصرية

---

(146) Délanoue : op. cit., p. 83.

(١٤٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٥
فى حين يذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة والدكتورة نفوسة زكريا ان النديم نجح فى تحويل هـذه الجمعية الى جمعية علنية فتغير اسمها الى الجمعية الخيرية الاسلامية .

انظر : قصـة الصحافة فى مصر منذ نشأتها الى منتصف القـرن العشرين ، بغداد ــ مطبعة المعارف ١٩٦٧ ، ص ٨٢ ، عبد الله النـديم بين الفصحى والعامية الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ ، ص ٨
ولكننا نتفق مع ما ذكره شقيق النديم اذ يتضح لنـا ان هذه الجمعية بقيت لفترة قصيرة بعـد انفصال النديم عنها .

(١٤٨) عن هـذه الجمعية واهدافها انظر الفصل التاسع .

فرضت عليــه ضرورة الاحتكاك بالناس ، وافهامهم ظروف وأحــوال البــلاد السياسية وما تمر به من محن ومخاطر الا أن احتكاكه بالعمل السرى قد أثرى تجاربه فى العمــل الوطنى فاستقى الكثير من أفكار جمعية مصر الفتاة فى نضــاله العلني فيما بعد وخصــوصا فى أفكار هذه الجمعية عن الديمقراطية والدستور (١٤٩) .

وبينما كان النديم ينبه الأذهان فاذا بالأخبار تعلن عن اجبــار الخديو اسماعيل علي التنازل عن العرش وتولية ابنه توفيق مكانه(١٥٠) فاستقبلت البــلاد هــذا النبأ بالابتهاج وشمل الناس السرور لحدوث مثل هــذا الأمر الخطير دون وقوع اختلال أو حدوث ما يكدر صــفو الأمن ولمــا كان الخديو توفيق قبيل اعتلائه أريكة الخديوية يتودد الى الأفغانى ويتقرب من أنصاره (١٥١) مؤكدا له كلما قابله اعتماده عليــه فى تحقيق الاصلاح المنشود بقوله « انك أنت موضع أملي فى مصر أيها السيد (١٥٢) » مما دفع الأفغانى الى المناداة بتوليته (١٥٣) ولكن

---

(١٤٩) انظر : الفصل الثامن .

(١٥٠) لمزيد من التفاصيل عن هــذا الموضوع انظر :

Parliamentary Papers. Egypt. No. 20 (1879).

برقيــة من المســتر لاســيل الى المــاركيز ســاليســبورى بتاريخ ٢٦ يونيه ١٨٧٩

جورج يارنج : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦٨ ، وايضــا صحيفة أبو نظارة زرقاء العدد ١٦ بتاريخ ٨ يوليو ١٨٧٩

والجدير بالذكر أن الخديو توفيق هو ابن الخديو اسماعيل ابن ابراهيم باشا ابن محمــد على باشا وهو الســادس ممن تولى الحكم وقــد ولد عام ١٨٥٢

انظر : زكى مجاهد : الاعلام الشرقية فى المــائة الرابعة عشر بعد الهجرة ، جـ ١ ، ص ٢٩

(١٥١) عبد المتعال الصعيدى : تاريخ الاصلاح فى الأزهر وصفحات من الجهاد فى الاصلاح القاهرة ــ مطبعة الاعتماد الطبعة الأولى ١٩٤٣ ، ص ٣٨

(١٥٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٧٧

(١٥٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٢٠١

ما أن استقرت له الأمور [١٥٤] حتى نسى وعوده وغـدر بأصـدقائه وضاق ذرعا بالأفغانى ، حين طلب منه أن يكون حاكم عدل [١٥٥] فتخلص منـه كما سجن ونفى كل من اعترضه أو حاول نقده ، ومع أن معظم الوطنيين قد تركوا ميدان الكفاح العلنى وتفرقوا خوفا من بطش رياض فقد ظلوا أوفياء مخلصين لأستاذهم معترفين بفضله وغزير علمه [١٥٦] كما أن روح الثورة التى أيقظها الأفغانى لم تنطفىء بنفيه من البـلاد بل امتد أثرها وكانت الثورة العرابية احدى ثمراتها .

---

(١٥٤) يقارن الأستاذ محمود الخفيف بين تولية توفيق العرش وتولية لويس السادس عشر فيقول : « ما اشبه توفيقا بملك فرنسا لويس السادس عشر ذلك الملك المسكين الذى ورث عن اسلافه الثورة والعرش معـا .. فتوفيق ايضا ورث عن سلفه العرش والثورة فلقد تجمعت عوامل الثورة العرابية فى عهد ذلك الخديو المخلوع ثم راحت تحدوها وتمهد لها اتلام جمال الدين وتلاميذه حتى جاء عهد توفيق فرجفت الراجفة » .

احمد عرابى الزعيم المفترى عليـه ـ الطبعـة الأولى ـ مطبعـة الرسالة ١٩٤٧ ، ص ٣١

(١٥٥) يتضح من هـذا القول جراة الأفغانى وقوته فى الدفاع عن العدل . دار الوثائق : « اوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغانى » .

خطاب بتوقيع « احمد فهمى » احد اعضاء الجمعية المـاسونية الى الافغـانى .

(١٥٦) يتضح من الخطابات المرسلة من تلاميذ الأفغانى الى أستاذهم مدى الاخلاص والوفاء له بعد خروجه من مصر .

دار الوثائق القومية : « اوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغانى » .

الفصل الثاني

دور النديم فى تصعيد الحركة الشعبية
عند نشوب الثورة العرابيــة

- ظروف انضمام النديم للعسكريين .
- حادث قصر النيل ودور النديم فى تحويله الى حركة شعبية .
- مظاهرة عابدين ودور النديم فيها .
- النديم وجمعية الشبان بالاسكندرية .
- مواقف النديم تجاه العرابيين بعد عابدين .

لقد كان للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى مرت بهـا البـلاد والاحتكاك المباشر بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب [1] أكبر الأثر فى ظهور طبقـة من المصريين الأفذاذ فى كافة مجالات الأدب والفكر والسياسة والزعامة فعرفت مصر الكثير من الأسماء التى أضاءت الطـريق للأجيال المتلاحقة أمثال عبد الله النـديم ومحمـد عبـده والبـارودى وعـرابى ومصطفى كامل وحافظ ابراهيم وقاسم أمين وغيرهم .

لقد ظهر هؤلاء فى وقت كانت أمتهم فى أشد الحاجة اليهم فبذروا بذور النهضة والتحضير لهـا واعداد خمائرها ، وقامت على أكتافهم الحركات الوطنية والاصلاحية فكانوا الطلائع Pioneers [2] الذين أزالوا العوائق ومهدوا الطريق للآخرين ، كما أنهم اتجهوا الى معالجة شئون بلادهم بمـا يجيش فى صدورهم من آلام وآمال وكانوا وهم

---

(١) يذكر الأستاذ احمد أمين بأنه اذا اردنا ان نجمع اسباب النهضة قلنا انهـا « اتصال الشرق بالغرب » فكما انبعثت شرارة من الشرق الى الغرب فى القرون الوسطى سببت نهضة الغرب ، رد الغرب ما اقترضه فبعث شرارة الشرق فبـدأ يقلد الغرب فى مناحى نشاطه ويتبعـه فى اتجاهاته .

انظر : فيض الخاطر . الجزء العاشر . القاهرة ــ النهضة المصرية ١٩٥٦ ، ص ٢٦٧

(٢) اصل هـذه الكلمة فرنسى ولهـا معنيـان معنى حربى يعنى جندى مشـاه عمله السير مع الجيش او امامه لكى يمهد الطريق وينظفه من المعوقات او يزرع الالغام لتدمير أعمال العدو .

ومعنى آخـر يعنى الرواد الذين يسـيرون فى المقدمة لكى يزيلوا العوائق ويمهدوا الطريق للآخرين .

Webster's Dictionary. Springfield. Mass 1878. p. 990.

ينظرون لأنفسهم ولوطنهم وتاريخــه وينظرون فى نفس الوقت الى العالم الخارجى المحيط بهم والذى سبقهم فى مدارج الحضـــارة (٣) فجمعوا بين ثقافتهم الشرقيـــة والثقافة الغربيـــة وأصبح لديهم ثروة واسعة من الثقافة الغربيـــة وثروة واسعة من الثقافة العربية ، وفى أعقاب ذلك ظهر فى مصر تياران مختلفان تلاقيا أحيانا وتعاكسا أحيانا أخرى وهما دعاة القديم ودعاة الجديد (٤) .

وهكذا بدأت ثورة الأفكار فى مصر ، وتطلع النـــاس الى الحرية والنظم الدستورية وقد ظهر أثر ذلك فى أواخر عصر اسماعيل ثم اتسع مداه فى أوائل عهد توفيق (٥) وخصوصا أثناء الثورة العرابية .

---

(٣) د. جمال الدين الشيال : التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ١٩٥٨ ، ص ٢٠١

(٤) من عهد محمد على الى الآن والحرب مستمرة بين الاتجـــاهين وهى حرب تكون هادئة احيانا وعنيفة احيانا اخرى تظهـــر فى الآداب ، وتظهر فى الدين فيقوم لهـــا الرأى العـــام ويقعد كالثورات التى قامت على الأفغانى ومحمد عبـــده ، وعلى عبد الرازق وطه حسين ، كما اخذ هذان التياران يتنازعان الشعراء والكتاب والمؤلفين ، ويتنازعان منـــاهج التعليم ، وطرق التفكير وكل مظهر من مظاهر الحركة العلمية فمن الشعراء من يتخذ مثله الأعلى امرأ القيس ومنهم من يتخذ شكسبير ومن الكتاب من يتخذ ابن المقفع ومنهم من يتخذ فولتير وحتى مناهج التعليم فى مصر ظلت مضطربة بين التيارين فهى تعلم البـــلاغة والنحو على نمط سيبويه وتعلم الطبيعـــة والكمياء على النمط الأوربى ، ويمثل هذين التيارين الآن الجامعة الأزهرية ومثلها الأعلى الآداب والعلوم الاسلامية وان بذلت بعض المحاولات فى ادخال عناصر التجـــديد ، والجامعـــات المصرية ومثلها الأعلى التعليم الأوربى .

ان اهم واجب على قادة الرأى هو تنقية القديم لنعرف خيره وشره وتنقيـــة الجديد لنعرف خيره وشره .. وان فعلنـــا ذلك نلنا الحسنيين ، واخذنا ما فى الذخيرتين ووصلنا الى الغرض .

احمد امين : المرجع السابق الذكر ، ج ١٠ ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢

(٥) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٩

ظروف انضمام النديم الى العسكريين :

بينما كان النديم يقوم بدوره فى تعبئة الشعور الوطنى كان رسل الحركة الوطنية من رجال الجيش يجوبون القرى والمدن تمهيدا لنشر دعوتهم وجذب شعور الأهالى تجاههم [٦] فتقابلوا معه ودارت بينهم وبينــه مشاورات سرية من أجل أن ينضم اليهم ، ويكون لسان حالهم ويذكر « عبد الفتاح نديم » أن العرابيين ضموا اليهم شــقيقه رغم ارادته [٧] وانه كان يتأفف سرا من وقوعه فى تلك الورطة فاذا خــلا بأحد من أخصائه أظهر له حقيقة ما يضمره [٨] « وانه قال فى غرفة نومه حيث لا ثالث بينهما ما معناه « ان البــلاد ضاعت بتهور رؤساء الجند الذين خدعونا فى مبــدأ الحادثة ، وأوهمونا أن لا خوف من العاقبــة ولا فزع [٩] » .

كما لمح عبد الله النــديم نفسه بذلك حيث قال « تظاهرت بحب العسكر [١٠] وقوله » اتسع نطاق هذه العصابة، وتعددت محافل الخطابة وهشى العقلاء بين الظلمــة بالموافقة وأظهروا لهم الصحبة والمرافقــة واذا خلوا باخوانهم زجروا ووعظوا ونبهوا وأيقظوا [١١] .

---

(٦) دار المحفوظات . محافظ الداخلية — محفظة رقم ٣٧ ملف ٨٦ عين ١٥٠ مخزن ٥٠ عرضحال من مصطفى رياض ناظر الداخلية الى ناظر الجهادية بخصــوص وجود بعض ضباط الجهــادية بقــرية « تلوانه » بالمنوفيــة ، ودخولهم بين الأهالى ونشرهم بعض الأفكار .

(٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٨

(٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٨

(٩) نفسه ، جـ ١ ، ص ٨ ، ٩

(١٠) د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٥٦

(١١) نفسه ، ص ٥٧

ان ما ذكره شقيق النديم وما لمح به عبد الله النديم فى حاجة الى تفسير ، وخصوصا ان ما كتبه شقيقه كان فى عام ١٨٩٧ أى فى فترة كان قد توقف فيهـا اضطهاد الوطنيين بل وأفرج فيها الخديو عباس الثانى عن الكثير من العرابيين وعين بعضهم فى وظائف مدنية وتغيرت كلمات (هوجة عرابى) والعصابة العسكرية (الى ثورة عرابى) •

فى تصور الباحث أن تردد النديم فى الانضمام الى العسكريين أول الأمر وخشيته من تهورهم من الممكن أن يطرأ فى ذهن أى وطنى فى ذلك الوقت(١٢) وخصوصا أن النديم من تلاميذ جمال الدين الأفغانى الذين لم يحسبوا للعسكريين حسابا أثناء مناداتهم بالاصلاح ، ولكن بعد أن قابل النـديم « عرابى » واندمج مع رجاله وعرف خططهم وأفـكارهم تغيرت فكرته عنهم وأصـبح من أشـد المخلصـين لهم ولحركتهم •

لقد انضم النديم الى العـرابيين سرا بعـد أن لاقى من معاملة الحكومة له ولغيره ما يدل على تفضيلها للأجنبى (١٣) ، وبعد أن غزا التغلغل الأجنبى كل مصالح الدولة (١٤) ، ولم ينج من ذلك سـوى الجيش الذى كانت غالبيته من المصريين الذين خرجوا من الحقول من

---

(١٢) لقد كان موقف الشيخ محمد عبده فى أول أمر الثورة العرابية التنديد بزعمائها حتى وصل الأمر بعرابى ان ارسل اليـه يقول : انك اهنت الشرف العسكرى بمـا كتبت عن الجيش ورؤسائه .

محمد رشيد رضا : المنـار . الجزء الحادى عشر — المجلد الثامن فى ٢ اغسطس ١٩٠٥

وايضا : مصطفى عبد الرازق : محمد عبده . القاهرة — دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٤٥ ، ص ١٢٢

(١٣) جرجى زيدان : بنـاة النهضة العربية . القـاهرة — دار الهـلال ١٩٥٩ ، ص ١٥٦

(١٤) د. محمد انيس : تطور المجتمع المصرى من الاقطاع الى ثورة ٢٣ يوليو — القـاهرة — نهضة الشرق ، ص ١٠٠

وراء المحراث والساقية ، ومن مزارع القطن ومصانع السكر وأصبح يلعب دورا فى الحركة الوطنية [١٥] .

عرف النديم ما يدور بخلد العرابيين ، وسمع منهم رجالا ينادون بالاصلاح ويعملون من أجل حرية الوطن [١٦] فوقف بجانبهم وعبرت خطبه ومقالاته عما يدور بخلدهم فكانت توحى بحدوث تغييرات فى الأوضاع ومن ذلك قوله « ان لى سنوات ثلاثا أبارز الجهالة بسلاح الحث على افتتاح المدارس ، وعما قريب سننتصر على أعداء الوطن[١٧] وحينما علم رياض باشا رئيس النظار [١٨] بخبر اتصال النديم بالعرابيين ودعوته لهم كتب قرار بنفيه الى خارج الديار المصرية [١٩]، ولكن محمود سامى البارودى مندوب العسكريين السرى فى مجلس النظار [٢٠] كان يتخذ من الاجراءات الخفية ما فيه مصلحة الحزب

---

(١٥) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ الى ١٨٨٢ القاهرة — دار المعارف ١٩٦٥ ، ص ١٤٠

(16) Delanoue : op. cit., p. 87.

(١٧) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢٦ اغسطس ١٨٨١ ، ص ١٧٠

(١٨) لم تتغير تسمية النظارة الى الوزارة الا بعد اعلان الحماية، وكان عدم اللجوء الى تسمية الوزارة فى مصر راجعا الى شيوع تسمية الوزارة العثمانية ولم يكن من المقبول أن يستخدم التابع والمتبوع نفس الاسم .

د. على الدين هلال : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(١٩) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(٢٠) تقلد محمود سامى البارودى قبيل توليه وزارة الحربية عدة مناصب هامة مثل مدير الشرقية ثم مامور ضبطية مصر .

انظر : المعية السنية عربى — قيد صادر الأوامر رقم ٢٠ ، ٣٢ بتاريخ ٨ يوليه ١٨٧٨

العسكرى المتحد معه [٢١] ، وينبئهم بكل ما يحاك ضدهم فى المجلس فأبلغهم بالأمر ولما عرض رياض باشا قرار نفى النديم على الخديو للتصديق عليه اعترضه على فهمى قائد حرس الخديو بقوله :« ان نديما منا معشر الجهادية وان لم يحمل سلاح العسكرية ، ولئن أخذتموه بغتة من البلاد حافظنا عليه بالأرواح والأجناد [٢٢] » فألغى الخديو القرار وفشل رياض فى نفيه ، مما شجع العسكريين على التمسك بالنديم فأسرع على فهمى الى ميت غمر حيث كان النديم ينشر أفكاره فأعلنه بالأمر ، وعن ذلك يذكر النديم « أعلننى على باشا بهذا الأمر وأنا أخطب فى ميت غمر فتظاهرت بحب العسكر والتعويل عليهم وناديت بانضمام الجموع اليهم [٢٣] » .

طلب على فهمى من النديم الدعوة للجيش علانية فاستجاب لذلك وأصبح من أخطر دعاة العسكريين حيث وضع خبرته الكبيرة فى العمل الجماهيرى لخدمتهم [٢٤] وانتقل من الاشتغال بالتربية والاصلاح الاجتماعى الى دور الصحفى والخطيب السياسى الناطق بلسان الثوار .

---

(٢١) سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ٩٠ ، ص ١٥ ، ١٦ تحت عنوان مكاتبات المعية السنية .

(٢٢) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(٢٣) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(٢٤) صلاح عيسى : الثورة العرابية . بيروت — المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الأولى ١٩٧٢ ، ص ٢٦٩

قابل النديم « عرابى » فأحله منزلة قريبة من نفسه [٢٥] واتخذه مستشارا له للاستفادة بآرائه وخبراته فبذل النديم كل جهوده لمساندة الثورة وربط نفســه برباط وثيق مع العــرابيين [٢٦] فانتعشت حركة الضباط وقوى عضدها بانضمامه اليها [٢٧] حيث كان قلمــه الصحفى المؤثر [٢٨] ولسانه الفصيح المقلق أكبر عضد لهم [٢٩] فملأ صحيفته بمحامدهم ودعا الى القيام بناصرهم ، وخطب الخطب المهيجة ، ونظم القصائد الحماسية، وندب الوطن ورثاه وحض على الاجتماع والتكاتف ونبذ أضاليل الافرنج [٣٠] « فى أسلوب قوى ولســان فصيح مقلق فأثرت خطبه ومقالاته فى النفوس [٣١] وكان لذلك أكبر الأثر فى جذب الأهالى الى حركة العسكريين » •

حادث قصر النيل ودور النديم فى تحويله الى حركة شعبية :

لمــا كانت الفروق الطبقية والميل الى التعصب الجنسى واضحين فى صفوف الجيش ، فالوظائف الهــامة والرتب والنياشين والمكافآت

---

(٢٥) بلغت منزلة النديم لدى عرابى ان البعض كانوا يتصلون به لكى يقوم بدور الوســاطة لهم عنــده .

انظر : محــافظ الثورة العرابيــة : محفظة رقم ١٠ دوسيه ١١٥ ملف ١٧٩ — تلغراف من محطة الجيش بتاريخ ١٩ اغسطس ١٨٨٢ من الشيخ العدوى الى عبد الله النديم .

(26) Gamal Mohamed Ahmed : The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism. Oxford University Press, 1960 p. 19.

(٢٧) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧

(28) Landau : op. cit., p. 86.

(٢٩) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابيــة والاحتلال الانجليزى ص ٥١٥

(٣٠) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧

(٣١) احمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣١

تعطى للشراكسة والأتراك وغيرهم [٣٢] بينما كان المصريون محرومين من هـــذه المزايا [٣٣] بل وعاملهم عثمان رفقى ناظر الجهادية ــ كما يذكر عرابى وصحبه بالذل والاحتقار ، وسعى فيما يوجب لهم الحرمان والاضرار [٣٤] فحرم أغلبهم من خدمة الوطن رغم استعدادهم وأهليتهم مما أورثهم عدم الأمن والطمأنينة على أنفسهم ومستقبلهم [٣٥] كمـــا كلف المصريين بأعمـــال بعيدة عن مهنة الجندية [٣٦] وسن قانون للقرعة العسكرية يمنع بمقتضاه الوطنيين من الترقى الى رتبة الضباط مما دفع

---

(٣٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار . القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق . الطبعة الأولى ١٨٩٤ ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥

مجلة كلية الآداب جامعة القـــاهرة ــ المجلد الثامن عشر ، جـ ١ ، فى مايو ١٩٥٦ مقـــال للدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان « العقـــدة الشركســـية » .

(٣٣) الهلال : الجزء الثانى من السنة الخامسة فى سبتمبر ١٨٩٦ ص ٤٣ ، تحت عنوان « احمد عرابى المصرى » .

(٣٤) سن عثمان رفقى قانونا بخـــروج المصريين من الجيش قبـــل السن القانونى للمعاش (الروزنامة) مع كونهم شـــبان وذوى مقـــدرة عسكرية ، محفوظات مجلس الوزراء ــ حربية ــ محفظـــة رقم ١٧ ــ مجموعة ٧٦

(٣٥) دار الوثائق القومية . اوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابيـــة ، صورة تقرير للمحاكم والمجالس والدواوين بتاريخ ١٧ يناير ١٨٨١ مقدم من احمد بك عرابى وعلى فهمى وعبد العال بك حشيش .

وايضا انظر :

A. M. Broadley : The Trail-Exile And Pardon of Arabi Pacha. Vol. 11.

وثيقة رقم (٤٠٤) صورة التقرير المقدم من عرابى وزميليه لرياســـة مجلس النظار .

(٣٦) محفوظات مجلس الوزراء ــ حربية ــ محفظة رقم ١٠ وثيقة تحت عنوان « جواب بشأن مشروعات القوانين العسكرية » .

الضباط [٣٧] الوطنيين الى التذمر [٣٨] فكتبوا عريضة الى رياض باشا رئيس النظار فى يناير ١٨٨١ للمطالبة بوقف الظلم والمحسوبيــة وأن يكون ناظر الجهادية مصريا [٣٩] ، ولمــا أحســوا باهمــال مطالبهم واعتبارها من قبيل العصيان [٤٠] وقعت حادثة ٤ فبراير [٤١] ، ونجح الضباط الوطنيون فى فرض ارادتهم فعزل عثمان رفقى وتولى محمود

---

(٣٧) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٣

(38) Public Record office : F. O. 407/18 No. 38 Memorandum of Events in Egypt since the Deposition of the late Khedive leading to the recent Military Insurrection, by P. Currie, Sep. 17, 1881.

(٣٩) يذكر اسماعيل سرهنك انه هــو الذى اقترح على الضبــاط تعيين احد المصريين ناظرا للجهادية .

انظر : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥

(٤٠) دفتر قيد الاوامر الصادر بديوان الجهادية سنة ١٨٨١ مسلسل ٢٩٦٠٨ نمرة ١/١٧٧ بقلم عربى جهادية ، ص ٢

(٤١) عن تفاصيل هــذا الحادث انظر :

F. O. 407/18 No. 38 Memorandum of Events in Egypt since the Deposition of the late Khedive, leading to the recent Military Insurrection by Currie Sep. 17, 1881.

ا ــ محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٢٠ دوســيه ١٦٤ ــ استجواب محمد بك حمــدى بكباشى المستحفظين عن حادث ٤ فبراير .

ب ــ اوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيــات التى ضــبطت لدى المتهمين فيهــا ــ مخطــوط بدار الوثائق القوميــة .

جـ ــ اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦

د ــ Cromer, op. cit., vol. 1. p. 178.

سامى البارودى مكانه [٤٢] فازداد اتحاده مع العـرابيين [٤٣] وأعلن قوانين جديدة وعادلة للجيش تعد بالمساواة للجميع[٤٤] .

لقد بارك الشعب حركة الضباط وأيدها حيث وجد فيها تنفيسا عن آلامه فى التخلص من ربقـة الأجنبى واسـتبداده [٤٥] ، وأصبح عرابى وزملاؤه فى نظرهم محل تقدير واعتزاز [٤٦] ، فوفدوا عليـه يبثون اليه شكواهم كما هطلت عليه عرائض الفلاحين من أنحـاء البلاد حيث وجدوا فيـه قائدا يستطيع أن يرفع عنهم الضرائب التى أثقلت كواهلهم وينقذ البـلاد من ظلم الأجانب [٤٧] وتطلعت اليه الطبقـة المثقفة التى تنشد الحيـاة الدستورية ففتح عرابى قلبه للجميع بقدر

---

(٤٢) الوقائع المصرية فى ٢٨ فبراير ١٨٨١ صورة أمر عال صادر لرياسة مجلس النظار بتاريخ ٦ فبراير ١٨٨١ بخصوص تعيين محمـود سامى البارودى ناظرا للحربية بجـانب بقائه بنظـارة الأوقاف . ويذكر رياض باشا أن اختيار البارودى فى هـذا المنصب كان على امل أن يحسم الموقف بحسن ادارته ويقلل من نفوذ عرابى وزملائه . دار الوثائق تقريرات عن الثورة العرابية ، ج ١ تقرير رقم ١٤ اقوال رياض باشا .

(٤٣) دار الوثائق : تقريرات عن الثورة العرابية ، ج ١ ، تقرير رقم ١٤ « أقوال رياض باشا » .

(٤٤) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة فى عام ١٨٨١ الأوامر العاليـة ومنشورات مجلس النظار بخصـوص تنظيم القوانين العسكرية وقانون معاشات الجهادية ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩

(٤٥) دكتور جمال الدين الشيال : قصة الاحتلال ، ص ١٣

(٤٦) يوحنا ابكاريوس : قطف الزهور فى تاريخ الدهور . بيروت — المطبعة الأدبية ١٩٢٢ ، ص ٢١٧ البرت فارمان مصر وكيف غدر بها — ترجمة عبد الفتاح عنايت . القاهرة — المؤسسة المصرية العامة للتاليف ، ص ٢٨٧

(47) Tignor : Modernization and British colonial Rule in Egypt, 1882 - 1914. U. S. A. 1966 p. 17.

ما يستطيع [٤٨] ، وأصبح زعيما ترنو اليه الأنظار حيث التقت أهدافه بأهداف أبناء وطنه •

ومع أن حادث ٤ فبراير وقع من أجل هدف محدد هو معاملة أبناء الفلاحين فى الجيش من حيث قصر الترقيات على غيرهم وشـعورهم بالظلم ازاء رؤسائهم من الجراكسة فقد تحول الى حركة شعبية وكان النديم وراء ذلك اذا استغل مباركة الشعب لموقف الضباط فأشار على عرابى بطبع منشوريطلب فيه من الشعب أنيفوضه فى المطالبة بحقوقه، والتحدث باسمه فيما يتعلق بشئون البـلاد [٤٩] وكان نصه كالتالى : « ان الوزارة الرياضية قـد ركبت متن الشـطط وعدلت عن الصراط المستقيم ، ولم يكن مقصدها مؤديا الا الى اضمحلال البلاد وتلاشيها، بما هو جار من بيع أرض كثيرة للأجانب ووجود كثير منهم فى ادارات الحكومة ومصالحها بالرواتب الفادحـة والسعى فى رفـع الأحجـار الطبيعية الموجودة فى بوغاز الاسكندرية • وان سكوتنا واضرابنا عن ذلك يعد من العجز والجبن والتفريط فى وطننـا ومقر نشأتنا • فاعلموا يا معاشر الوطنيين أن أولادكم المنتظمين فى سلك الجهادية قد اتكلوا على البـارى سبحانه وتعالى ، وعزموا على منـع كل ما من شـأنه الاجحاف بحقوقكم وذلك لا يتم الا بسقوط وزارة رياض باشا وتشكيل مجلس النواب ليحصل الوطن على الحرية المبتغاة • فالمطلوب منـكم أن توقعوا على الكتابة المرسلة اليكم فى ضمن هـذه النشرة • والكتابة المقصـودة بهـا أن أكون نائبـا عنـكم فى كل ما يتعلق بأحـوال البـلاد [٥٠] » •

توقيع « أحمد عرابى »

---

(٤٨) رفعت السعيد : الأسـاس الاجتماعى للثورة العرابيـة • القاهرة ــ مكتبة مدبولى ١٩٦٦ ، ص ١٤٩

(٤٩) أحمد عرابى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٩

(٥٠) سليم خليل النقاش : مصر للمصريين • الاسكندرية ــ مطبعة المحروسة ١٨٨٤ ، الجزء الرابع ، ص ٩٠

وافق عرابى على صيغة المنشور ، وكلف النـديم بتوزيعه على الأهالى ومن تحليل المنشور يتضح أن « عرابى » طلب من الشعب أن يكون نائبا عنه فى مطلبين هما :

١ — المناداة باسقاط نظـارة رياض المستبدة •

٢ — المطالبـة بتشكيل مجلس للنـواب ليحصـل الوطن على حريتـه •

بمعنى أن ما حدث بعد ذلك فى مظـاهرة عابدين وما طالب به « عرابى » الخديو لم يكن الا من نبت الأفكار الواردة فى هذا المنشور، كما أن « عرابى » لم يقم بهذه المظـاهرة الا بعد الحصول على توكيل من الشعب فى المطالبـة بحقوقه وانه كان متمكنا من تأييد الشعب له حين قال للخديو أنا نائب هـذه الأمة (٥١) حيث وكلته الأمة بعد توقيع أبنائها على هـذا المنشور الذى وزعه النديم فى كافة أنحاء البلاد •

لقـد وزع النديم المنشور ، كما أخـذ يبث الأفكار الثورية بين مشايخ العربان وعمد البـلاد وأعيانها وعلمائها وتجارها وكافة الأهالى استجلابا لمساعدتهم (٥٢) ثم أخذ فى جمع التوقيعات منهم ، ودعاهم الى نصرة عرابى وأخـذ يعلمهم فوائد الحرية ومعانى الدستور وقيمته فى أسلوب سهل يفهمه الناس ولسان فصيح مقلق ، كما كان يصعد الى منابر المساجد ويخطب فى الناس علانية ويعلن على رءوس الأشـهاد فى البـلاد التى يطوف بهـا انضمامه الى منظمة الجيش وينادى فى

---

(٥١) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٩

(٥٢) محمد مهرى كركوكى : رحلة مصر والسودان . القـاهرة — مطبعة الهلال ١٩١٤ ، ص ٤٦٠ ويذكر احمـد شفيق أن الخـديو جاءته الأخبـار بأن العرابيين يوزعون المنشورات السرية فى انحاء البلاد كمـا انهم يجمعون التوكيلات من الأهالى بأن يكون عرابى نائبا عنهم . انظر : مذكراتى فى نصف قرن . الجزء الأول ، ص ١١٩

الناس بالاجتماع حولها حتى يتخلصوا من حياة الذل والعبودية والاستبداد •

عاد النديم الى القاهرة ومعه العرائض الكثيرة الموقع عليها من الأهالى بتوكيل عرابى فى الدفاع عن حقوقهم وتخليصهم من ربق الاستغلال الذى أثقلهم ففرح بها عرابى ، وكان لها أكبر الأثر فى تقوية العزائم مما دفع البعض الى أن يطلقوا على هذه العرائض « المحضر الوطنى [٥٣] » •

كما جاءت فى أثر النديم الوفود لمبايعة عرابى على تخليصهم من الظلم الذى ضيق عليهم حياتهم وأفسدها ، وفوضوا اليه العمل لما فيه سعادة البلاد وخلاصها من براثن الاستبداد[٥٤] حيث اعتبروه القائد المرتقب الذى سينجى البلاد من المظالم الداخلية والأخطار الخارجية فاستقبلهم عرابى فى منزله الذى كان يمتلىء بالناس كل يوم وفى مقدمتهم أنصار الحركة الوطنية ، وقد استغل النديم ذلك فى ابراز

---

(٥٣) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، القاهرة — المطبعة الأميرية ١٩٠٠ ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ ، والجدير بالذكر ان هذه التسمية ترجع الى عام ١٨٧٩ عندما رفض اعضاء مجلس شورى النواب الانفضاض بعد صدور الأوامر بحل المجلس واجتمع العلماء والأعيان والمواطنين والتجار واصدروا فى ١٢ ابريل ١٨٧٩ « المحضر الوطنى » يطلبون فيه من الخديو اسماعيل منح مجلس شورى النواب الحرية التامة فى تسيير كافة الأمور وتعديل طريقة الانتخاب ومطابقتها مع ما هو سائد فى البرلمانات الأوربية ، واقرار مبدأ مسئولية الوزراء امام المجلس. انظر :

محمد خليل صبحى . تاريخ الحياة النيابية فى مصر — القاهرة — مطبعة دار الكتب ١٩٣٩ ، جـ ٥ ، ص ٩٩ — ١٠٦

(٥٤) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٩٠ ، الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ١٢٠

قدراته الخطابية وهكذا تحولت الحركة العرابية من حركة عسكرية الى ثورة شعبية •

مظاهرة عابدين ودور النديم فيها :

لما عظم شأن العرابيين وخشى الخديو من خطرهم حاول تشتيت شملهم (٥٥) بابعادهم عن القاهرة فصدرت الأوامر بنقل الفرقة الثالثة المشاة التي يقودها عرابى (٥٦) والآلاى السودانى الذى يقوده عبدالعال حلمى بالسفر حالا من القاهرة الأول الى الاسكندرية (٥٧) والثانى الى دمياط فتوقف عرابى عن اطاعة الأمر (٥٨) ، واضطربت الأحوال ونتيجة لشدة الضغط من الحكومة وكثرة الدسائس واطمئنان عرابى (٥٩) الى استيقاظ مشاعر الأهالى وانابته عنهم زحف فى مظاهرة الى ميدان عابدين (٦٠) فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ متحدثا بلسان الأهالى الذين أنابوه (٦١)

---

(55) Parliamentary Papers. Inclosure in No. 21.

من الكولونيل عرابى لوزير الحربية بتاريخ ٩ سبتمبر ١٨٨١

(56) Parliamentary Papers. Correspondence respecting the Affairs of Egypt No. 2 .

تلغراف من مستر كوكسن الى جرانفيل فى ١٠ سبتمبر ١٨٨١

(57) F. O. 407/18. Inclosure 1 No. 47, Memorandum by A. Colvin, Sep. 10, 1881.

(58) F. O. 407/18 Inclosure in No. 49. Colonel Araby Bey to the Minister war of Sep. 9, 1881.

(٥٩) احمد عرابى : مخطوط كشف الستار ، ص ١٤٤

(٦٠) للتفاصيل انظر :

١ — Parliamentary Papers, Correspondence respecting Affairs of Egypt.

تلغراف من كوكسن الى جرانفيل فى ١٠ سبتمبر ١٨٨١

ب — F. O. 407/18 No. 47, Mr. Cookson to Earl Granville, Sep. 19, 1881 No. 233.

استنادا على التوقيعات التى جمعها له عبد الله النديم (٦٢) فوقف فى ساحة عابدين أمام الخديو (٦٣) ممثلا للأمة المصرية كلها ينطق باسمها ويعبر عن ارادتها عن طريق الجيش الذى اجتمع ليعطى بالسلاح الحرية للشعب المصرى (٦٤) فطالب بسقوط « الوزارة جالبة الغمة وفتح مجلس شورى للأمة ، ووضع حدود للحاكم والرعية وسن قانونا لمعاش الجهادية (٦٥) » ولما سأله الخديو بأن هذا ليس من اختصاص رجال العسكرية أجابه عرابى « لست أطلبه وأنا عسكرى الصفة بل أنا نائب هذه الأمة الواقفة (٦٦) » .

=

ج ــ احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٤٦

د ــ اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٧

هـ ــ ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ، ص ٢٢٩

و ــ محمود فهمى المهندس : البحر الزاخر ، ج ١ ، ص ٢١٠

= (٦١) الياس زاخورة : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم اكابر الرجال بمصر . القاهرة ــ المطبعة العمومية ١٨٩٧ ، ج ١ ، ص ١٠٩

(٦٢) انظر : المنشور الذى وزعه النديم على الأهالى وحصل على توقيعاتهم بان يكون عرابى نائبا فى المطالبة بحقوقهم .

(63) F. O. 407/22, Inclosure in No. 589. Memorandum by Dervish Pasha.

(64) F. O. 407/18 Mr. Cookson to Earl Granville Sep. 19, 1881 No. 233.

(٦٥) دكتور محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٩ ــ ٦٠

ويذكر احمد لطفى السيد أن من حسنات عرابى الدستور ، فالدستور المصرى من عمله ومن صنع يده ومن آثار جرأته . قصة حياتى ، ص ١٠٣

(٦٦) د . محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، والجدير بالذكر ان عرابى قال ذلك استنادا على المنشور الذى قام النديم بتوزيعه على افراد الأمة لانابته عنهم .

لقد كان دور النديم أثناء هـذه المظاهرة خطرا حيث وكل اليـه عرابى حماية المؤخرة من أن يصيبها الضعف أو يتسرب اليها الخزلان، وقد أشار عرابى الى ذلك صراحة فى مذكراته فقال : « تحركت فينـا الحمية العربيـة ، والغيرة الوطنية فتعاهدنا على حفظ البلاد .. » وسرت بهذا الجيش ، ووقفت بساحة عابدين ، وقد اشتدت شـوكة جيش البغى وقويت معارضته هنـالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجال صديقى الأعز الهمام صاحب الغيرة والعزم القوى السيد عبد الله النديم بين الصفوف ينادى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » فكان معى ثانى اثنين فى حفظ قلوب الرجال من الزيغ والارتجاف وأخذ الكل يردد هـذه الآية الكريمة ، وكأنهم لم يسمعوها الا من فمه فى تلك الساعة(٦٧)، نجح الجيش(٦٨) فى المطالبة بحقوق الأمة حيث قبل الخديو مطـالب العرابيين (٦٩) فعـزل وزارة رياض (٧٠) وعرض على عرابى حيدر باشـا أو اسماعيل أيوب ليكون أحدهما رئيسا للوزارة ، ولكن عرابى رفض كليهما (٧١) وطلب تعيين

---

(٦٧) احمد عرابى : مخطوط كشف الستار عن الأسرار ، ص ١٦٦

(٦٨) كان تعداد الجيش اثناء المظاهرة ١٣٫٤٩٢ رجلا والقوة الفعالة منهم لا تزيد عن ١١ الف رجل .

F. O. 407/18 No. 38. Memorandum of Events in Egypt since the Deposition of the late Khadive, leading to the recent Military Insurrection by P. Currie, Sep. 17, 1881.

(69) Dicey : The Egypt of the Future. p. 17.

(70) F. O. 407/18 No. 47, Mr. Cookson to Earl Granville, Cairo, September 10, 1881. Despatch No. 233.

وانظر ايضا :

Cromer : Modern Egypt vol. 1 p. 194.

(71) F. O. 407/18. Mr. Cookson to Earl Granville September 19, 1881 No. 233.

شريف باشا[٧٢] فوافق الخديو ودعا الى تأليف وزارة وطنية جديدة[٧٣] واعلان الحياة الدستورية [٧٤] .

لقد شعر النديم بعد استجابة الخديو لمطالب العرابيين بانتصار الثورة فتدفق قلمـــه بالكتابة عن الحرية التى نالها الشعب بفضل أبنائه الفرسان وعن قوة الجند واشـــتداد حميتهم وسعيهم لمصلحة الوطن وحفظ البلاد وزيادة قوة الأمة [٧٥] وكتب عن الاتحاد وحقوق الشعب على الحكام فقال : « أوصيكم بكلمة الاتحاد والتمسك بحبل الائتلاف وأحذركم من التخاذل وسماع أقوال أهل الأهواء الذين شربوا دماءنا ولم يرتووا وأكلوا لحومنا ولم يشبعوا [٧٦] » .

ولمــا كانت الثورة فى حاجة الى ركائز شعبية للاستناد عليها فى مراحل نضالها الوطنى والمخاطر التى تعترضها فقد شجع النديم على تأسيس جمعية ذات صبغة سياسية بالاسكندرية لتوعية الشبان وتعبئتهم وطنيا وهى جمعية الشبان بالاسكندرية .

---

(٧٢) لقد كان لدى العرابيين ثقة كبيرة فى شريف باشا . للتفاصيل انظـــر :

F. O. 407/18 No. 49 Mr. Cookson to Earl Granville Cairo, September, 11, 1881.

(٧٣) الوقائع المصرية : العدد ١٢١١ فى ١٧ سبتمبر ١٨٨١

(74) F. O. 407/18 Mr. Cookson to Earl Granville, Sep. 19, No. 233.

(٧٥) التنكيت والتبكيت : العدد ١٨ فى ١٦ أكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٩١ تحت عنوان « سيف النصر نحو عدو مصر » .

(٧٦) التنكيت والتبكيت : العدد الثامن عشر فى ١٦ أكتوبر ١٨٨١ ص ٢٩٤ ، تحت عنوان « وصية وطنية » .

النديم وجمعية الشبان بالاسكندرية :

لما كان للنديم تأثير على نفوس الأهالى بالاسكندرية فق شجع على تأسيس جمعية ذات صبغة سياسية [٧٧] لتوعية الشبا وتعبئتهم وطنيا حتى يكونوا سندا للثورة وركيزة لها فتأسس جمعية الشبان بالاسكندرية [٧٨] وانتظم فى سلكها كثير من الشبان ه أبناء الاسكندرية أمثال ابن البيطاش وأولاد أبوهيف وأولاد جميعى [٧٩] وأولاد الغريانى [٨٠] وغيرهم، وكان رئيس هذه الجمعية « عبد القاد الغريانى [٨١] » وكانوا يعملون محافل عمومية يدعون اليها الخاص والعام ويحضر بها عبد الله النديم ويلقى عليهم الخطب المهيجة [٨٢] وقد بلغ من أهمية هذه الجمعية أن كان محافظ الاسكندرية عمر باشـ لطفى يحضر اجتماعاتها [٨٣] وكان من ضمن مشروعاتها انشاء بنـا

---

(٧٧) يتضح من مخطوط احمد عرابى ان هذه الجمعية تأسست عقب مظاهرة عابدين .

انظر : مخطوط كشف الستار عن الأسرار ، ص ٢٢٦ وعن الجمعيات الخيرية التى كونها النديم او شارك فى تكوينها .

انظر : الفصل التاسع .

(٧٨) دار المحفوظات العمومية : محافظ الداخلية — محفظة رقم ٣٧ ملف ٨٦ عين ١٥٠ مخزن ٥٠

(٧٩) دار الوثائق القومية : محاضر جلسات تومسيون التحقيق ، ص ٢٠٢

(٨٠) دار المحفوظات : المحفظة السابقة الذكر ، ويذكر جرجى زيدان ان عبد القادر الغريانى كان تابعا لدولة فرنسا .

انظر : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٩٢

(٨١) دار المحفوظات : محافظ الداخلية — محفوظات العرضحالات محفظة رقم ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥٠

(٨٢) دار المحفوظات : المحفظة السابقة الذكر .

(٨٣) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . الجزء الرابع ، ص ٩١

وطنى (٨٤) فرارا من استئثار الأجانب بمرافق البلاد (٨٥) .

وكان من أهم أعمال هـذه الجمعية مسـاندة الثورة وتأييـدها فيما يحدث من مواقف (٨٦) وقد استمر نشاط هـذه الجمعية فى حماية رجال الثورة العرابيـة وخصـوصا السـيد قنـديل مأمور ضـبطية الاسكندرية (٨٧) ولم يتوقف نشاطها الا بعد هزيمة الثورة حيث قبض على رئيسها وأعضائها ووضعوا فى السجون بتهمة اثارة الناس وبلبلة أفكارهم وتختيم المحاضر والتداخل مع العصاة (٨٨) .

---

(٨٤) للتفاصيل انظر : الفصل التاسع .

(٨٥) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٠

(٨٦) عندما استقالت نظارة شريف باشا وانتقلت مقاليد الحكم الى العسكريين بتولى محمود سامى البارودى رياسة النظار ذهب النديم الى الاسكندرية ثم عاد الى القـاهرة ومعه وفد من هـذه الجمعية للتهنئـة والتعبير عنفرحتهم وتاييدهم، وقد خطب النديم بهذه المناسبة خطبة شملت الأمل فى الحياة الدستورية وما يامله الوطن فى ظل الدستور . انظر : الوقائع المصرية فى ٧ فبراير ١٨٨٢

وقد اهدى اعضـاء وفد جمعية الشبان للنديم ساعة وسلسلة ذهبية تقديرا لجهوده الوطنية .

انظر : سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٢٣٢

كما كان لهذه الجمعية دور هام فى التختيم على المحاضر الخاصـة بعزل الخديو حيث قام اعضاء هـذه الجمعية كما تذكر محافظ الداخليـة « بتهييج الأفكار والتجاهر بالعصيان وايهـام العـامة بلزوم الختم على المحاضر التى كان جارى تحريرها على رغبة عرابى » .

دار المحفوظات : محافظ الداخلية . المحفظة السابقة الذكر .

ولـا استقالت نظارة البارودى « تالف من هذه الجمعية وفد سموه بالوفد الاسكندرانى .. وتوجهوا الى المحروسة ومعهم جملة محـاضر » موقع عليها من اهالى الاسكندرية بتاييد نظارة البارودى .

دار المحفوظات : محافظ الداخلية . المحفظة السابقة الذكر .

(٨٧) دار الوثائق القومية : جلسـات قومسيون التحقيق بمصر ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣

(٨٨) دار المحفوظات العمومية : محافظ الداخلية — رقم ٣٧ ملف ٨٦ عين ١٥٠ مخزن ٥٠

مواقف النديم تجاه العرابيين بعد عابدين :

استقرت فى الفترة الأولى من نظارة شريف الدستورية التى أكدت أن تشكيل مجلس النواب هو الوسيلة الوحيدة للاصلاح (٨٩) ، وابتعد رجال الجيش عن مسرح السياسة قليلا ، وعادوا الى ثكناتهم كطلب شريف باشا وتصميمه على ذلك (٩٠) ، كما استجابوا الى طلبه بالابتعاد عن العاصمة (٩١) فخرج عبد العال حلمى بالآلاى السودانى الى دمياط فى موكب شعبى كبير (٩٢) ، وكان فى وداعه عرابى والبارودى والنديم وجمع كبير من الأهالى الذين أخذ بعضهم ينثر الورود والرياحين على رءوس العساكر ، وسقى آخرون الناس شرابا سكريا (٩٣) ، وفى وسط

---

(٨٩) الوقائع المصرية فى ١٧ ، ١٩ سبتمبر ١٨٨١

(٩٠) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابيـة ـ محفظـة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٨ شهادة محمد شريف باشا رئيس مجلس النظار امام لجنـة التحقيق فى الحوادث العرابية .

(٩١) يذكر كرومر ان شريف باشـا اراد تشتيت شمل الجيش فى جهات متعددة حتى يزيل الصفة التى اكتسبها عرابى فى مظاهرة عابدين بأنه نائب عن الأمة .

Cromer : Modern Egypt vol. 1 p. 207.

بينما يذكر محمد صبرى : أن ترحيل عرابى الى راس الوادى كان بسبب ارسال بعثة نظامى باشا الى مصر ، وحتى يتضح لهـا ان الطاعة شاملة فى الجيش . ادب وتاريخ واجتماع . القاهرة ـ مطبعة مصر ١٩٥٠ ص ٤٣٩

(٩٢) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٧٥ ، تحت عنوان « المحاسن التوفيقية او تاريخ مصر الفتاة او زفاف الحرية فى مصر » .

Parliamentary Papers No. 23.

تلغراف من مالت الى جرانفيل فى ٢٦ سبتمبر ١٨٨١

وأيضا : الوقائع المصرية العدد ١٢٢٣ فى أول اكتوبر ١٨٨١

(٩٣) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٦٢

هـذا الجو المشـبع بالوطنيـة وقف النديم يلقى خطابا الى حمـاة البـلاد وفرسانها حيى فيه رجال الجيش وأشاد بشجاعتهم (٩٤) وهنأ الحزب الوطنى على فوزه (٩٥) ودعا الأمة كلها الى الاتحاد والتعاهد على حفظ الوطن واختتم خطـابه بقوله « وأحسن ما يؤرخ به اسم الجهادى عند النوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان) فنادى الجميع « رضينا بالموت فى حفظ الأوطان (٩٦) » ثم سافر النديم مع الآلاى الى دمياط وهناك ألقى خطابا حماسيا فى المحتشدين مدح فيه رجال الجيش الذين أنقذوا البلاد من جو الاستبداد كمـا لقب عرابى « بمحـرر البـلاد (٩٧) » .

ولمـا تأهب عرابى للسفر بآلايه الى رأس الوادى فى ١٨ أكتوبر ١٨٨١ خرجت البـلاد لتودع بطلها (٩٨) وازدحمت شوارع القـاهرة بالمشاهدين تستقبله بحماس (٩٩) وكان النديم بجانبه (١٠٠) بعـد أن

---

(٩٤) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٢٥٣

(٩٥) محمد مهدى كركوكى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٦٣

(٩٦) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٦٣ ، التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ أكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٧٥ ، تحت عنوان « المحاسن التوفيقيـة أو تاريخ مصر الفتـاة أو زفاف الحـرية فى مصر » .

(٩٧) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ، ص ٩٤ — ٩٥

(٩٨) العصر الجديد : العدد ٨٨ فى ١٩ أكتوبر ١٨٨١ ، تحت عنوان تلغرافات خصوصية ، ويذكر شريف باشا انه لمـا صمم على خروج عرابى بآلايه الى راس الوادى اظهر عرابى استحسان اقامته قطعيا بتلك الجهة، ولكن محمود سامى البارودى ابلغه بعـد ذلك بضرورة نقـل عرابى الى القناطر الخيرية . محافظ الثورة العرابية محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٨

(99) Cromer : op. cit., vol. 1 p. 208.

(١٠٠) التنكيت والتبكيت : العدد ١٧ فى ٩ أكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٧٥ تحت عنوان « المحاسن التوفيقية أو تاريخ مصر الفتـاة أو زفاف الحـرية في مصر » .

خطب عرابى فى المحتشدين قام النديم بناء على طلب الحاضرين وألقى خطبة قوية وضح فيهاأحوال البلاد قبل انتفاضة الجيش مبينا الارهاب والظلم واستعلاء الغرباء على أهل البــلاد حتى نهض الأحـــرار من أبنائها فخاصوها من المحنة[١٠١] وأشار الى الأطماع الخارجية المتربصة بالوطن وضرورة التمسك بالحكمة والصبر واجتماع الكلمة لمواجهتها ، كما تحدث عن الحرية فقال « وليست الحرية تتبع الشهوات البهيمية والأغراض الذاتية ، وانمــا هى معرفة الحقوق والواجبات [١٠٢] » وقد بالغ النديم أثناء خطبه « فى التنكيت والتبكيت حتى أخذ بالعقول وكاد يبكى الناس [١٠٣] » .

رافق النديم قائد الثورة فى سفره الى رأس الوادى ، وكان يخطب فى الأهالى الذين يجتمعون عند كل محطة [١٠٤] ، وعندما وصل القطار الى الزقازيق ازدحمت الجماهير الكثيرة ، وأقيم احتفال بهــا تكريما لعرابى حضره حوالى ألف شخص [١٠٥] خطب فيهم عرابى ، وحينئذ طالب النــاس النـديم بأن يخطب فيهم فاســتجاب لهم ، وما أن فرغ من خطبته حتى طلبوا منه الاستزادة فعاد وخطب مناديا بالوحدة والتمسك بالحرية [١٠٦] .

---

(١٠١) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ، ص ٢٨١

(١٠٢) التنكيت والتبكيت : العدد السابق الذكر ، ص ٢٨٢

(١٠٣) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٤

لقد كان لدى النديم مقدرة لا تبارى على استخدام الأساليب المختلفة فى أثناء الخطابة، فاستخدم النكتة المزوجة بالتهكم والسخرية من الأوضاع التى تردى فيها المجتمع ، فكانت كلماته كالسياط كما استخدم اســاليب متنوعة أخرى مثل الزجل والشعر والفاظ من القــرآن الكريم واستعمل العامية فى بعض الأحيان حتى يفهمه كافة أفراد الشعب .

(١٠٤) أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٦٥

(105) Cromer : op. cit., vol. 1 p. 208.

(١٠٦) التنكيت والتبكيت : العدد السابق الذكر .

ولم يكد شريف باشا يسمع بتردد الفلاحين والعربان على عرابى (١٠٧) وبأن الشرقية أصبحت مجالا لخطب النديم حتى استدعى عرابى الى القاهرة بحجة أن يكون قريبا منه فيتيسر له « اعطاؤه النصائح فى كل وقت (١٠٨) ثم وافق بعد ذلك على تعيينه وكيلا للجهادية نتيجة لاصرار البارودى (١٠٩) واستحسان باقى النظار لرأيه (١١٠) ولما أحس شريف باشا بخطورة النديم أراد الترصد له ولصحيفته وقد وضح النديم ذلك فى مقال له تحت عنوان « تقريع الأغبياء » ذكر فيه أنه قد جاء زمن القوانين التى تحمى المواطن من بطش الحاكم فقال « وقد مات زمن تحرير التذاكر السرية لابعاد زيد أو نفى عمر وجاء زمن القوانين والأحكام الحقة فقل لمن غاظه الحق وغلبه الصدق، وخاب سعيه فى اهلاك أخيه موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور (١١١) » وبعد أن اتضح للجميع أن النديم هو داعية الجيش

---

(١٠٧) ذكر شريف باشا ان البارودى قال له ان وجود عرابى فى رأس الوادى مضر لان الأهالى والعربان مترددون عليه لكونه من الشرقية وربما تحصل مفاسد من ذلك .

انظر : دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ ملف ١٧٨

وفى رأى الباحث ان البارودى كان يساوم شريف باشا على حضور عرابى الى القاهرة حتى يكون قريبا من الأحداث .

(١٠٨) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ ملف ١٧٨ شهادة محمد شريف باشا رئيس مجلس النظار أمام لجنة تحقيق الحوادث العرابية .

(١٠٩) حينما سئل البارودى عن انه أصر على تعيين عرابى لوكالة الجهادية لم يتردد فى القول بنعم .

انظر : محاضر جلسات قومسيون التحقيق بمصر ، ص ٩٤ محضر بتاريخ ٦ اكتوبر ١٨٨٢ مخطوط بدار الوثائق .

(١١٠) ذكر كرومر ان شريف باشا كان رئيسا اسميا للوزارة بينما كان عرابى رمزا للأقوياء فى البلاد .

(١١١) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ أكتوبر ١٨٨١، ص ٢٨٧

الأول وجهاز اعلامه المتنقل [١١٢] طلب منه عرابى تغيير اسم جريدته بمـا يلاءم مع الظـروف التي يمر بهـا الوطن فأصـدر النـديم الطائف [١١٣] .

سارت الأمور بطريقة طبيعية وكادت تتمكن الحياة الدستورية من السير فى طريقها السليم لولا أن ذلك لم يوافق هوى كل من انجلترا وفرنسا فافتعلا سلسلة من الأزمات لعرقلة الأمور وبدأ تدخلهما يظهر بصورة سافرة [١١٤] ، ولمـا حاول شريف باشا مهادنة النفوذ الأجنبى بحد سلطة النواب من الاطلاع على الميزانية ثارت ثائرة معظم أعضاء المجلس [١١٥] ممـا دفع شريف الى الاستقالة وانتقال مقاليـد الأمور الى الحـزب العسكرى وأنصـاره فتألفت نظـارة محمـود سـامى

---

(١١٢) رفعت السعيد : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧٢

(١١٣) للتفاصيل فى هذا الموضوع : أنظر الفصل الحادى عشر .

(١١٤) حينما اجتمـع مجلس النواب فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ طلب المراقبان المـاليان الحـد من سلطة البرلمان فى تقرير الميزانية . الوقائع المصرية فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ كما ارسلت كل من انجلترا وفرنسا مذكرة مشتركة فى ٧ يناير ١٨٨٢ تأيدان فيها الخديو فى التغلب على الصعوبات التى تواجهه ثم ارسلتا مذكرة فى ٢٦ يناير من نفس السنة تؤيدآن ما طلبه المراقبان المـاليان فى عدم اقتراع المجلس على الميزانية .

John Marlowe : Anglo Egyptian Relations 1800 - 1953, London 1954 p. 126.

وايضا المحروسة ٤ فبراير ١٨٨٢

(١١٥) كان هناك اتجاهان داخل البرلمـان دستورى معتدل وعلى رأسه شريف باشا ودستورى ثورى يستند الى رجال الجيش ، ومع زيادة التدخل الأوربى فى شئون مصر ازدادت اهمية العناصر الثورية .

د. جلال يحى : مصر الافريقية والأطماع الاستعمارية فى القـرن التاسع عشر ، ص ٣١٧

البارودى (١١٦) وعين فيها عرابى ناظرا للجهادية (١١٧) ، وبذلك نجح العرابيون فى السيطرة على الموقف ، وتحقيق آمال الأمة ، واضعاف مركز الخديو (١١٨) استهلت نظارة البارودى عهدها بأن جعلت من حق المجلس النظر فى الميزانية والاشراف على أحوال البلاد المالية مع تعهدها باحترام الارتباطات الدولية والالتزامات المرتبطة بالديون (١١٩) كما كونت مجلسا لرفع الاستبداد الادارى عن الشعب والمساعدة فى تجهيز القوانين واللوائح الادارية سمته مجلس شورى (١٢٠) الحكومة

---

(١١٦) تذكر سجلات الثورة العرابية ان البارودى جمع « الضباط والنواب فى قشلاق عابدين ، وطلب منهم المطالبة بتعيينه فى مجلس النظار خلفا لشريف باشا ، فذهب النواب الى الخديو ، وطلبوا تعيينه » سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ٩٠ ص ١٧ تحت عنوان « مكاتبات المعية السنية » .

فى حين يذكر اسماعيل سرهنك أن الخديو هو الذى وقع اختياره على البارودى حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٢٨١

انظر ايضا : الوقائع المصرية العدد ١٣٢٥ بتاريخ ٤ فبراير ١٨٨٢ بخصوص كتاب الخديو الى البارودى بتشكيل الوزارة فى ٤ فبراير ١٨٨٢

(١١٧) يذكر شريف باشا ان البارودى اغرى الجهادية بتعيين عرابى ناظرا لها . انظر : محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية — محفظة رقم (٦) تحت عنوان افادة من رئيس النظار الى قومسيون التحقيق بمصر . كما يذكر النديم بانه لم يكن يجب ان تحال على عرابى نظارة الجهادية .

د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق ، ص ٦٣

(١١٨) يتضح ذلك من رسالة ارسلها مالت الى جرانفيل .

F. O. 407/19 No. 259 Sir E. Malet to Earl Granville, Feb. 17, 1882. Telegraphic No. 52.

(119) Blue Books. Egypt (1882) No. 22.

تلغراف من مالت الى جرانفيل بتاريخ ٦ فبراير ١٨٨٢

وايضا البرت فارمان : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٦

(١٢٠) محفوظات مجلس الوزراء — الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين محفظة رقم ٢

وازاء هـذه المواقف برز دور عبد الله النـديم فى الدفاع عن حكومة الثورة وفى اشعال القلوب بجذوة الحماس ونور الوطنية [١٢١] والدفاع عن مجلس النواب وحقه فى الاشراف على الميزانية كما هاجم مساوىء الأوربيين فى جعل الشرق ضعيفا [١٢٢]، وندد بالتدخل الأجنبى والصحف الأجنبية التى اعتبرت الدفاع عن الحقوق عدوانا على الأجانب ، والتى صورت الأزمة بتعصب دينى من المصرين ، كما شارك النديم بخطبـه البـلاد فى بهجتها بانتصار مجلس النواب حيث قدم على العـاصمة المهنئون من أقاصى البـلاد ودانيها على اختلاف المذاهب للتهنئة [١٢٣]، ونجح فى تعبئة الرأى العـام وتنمية الوعى القـومى لدى الشعب ، واثارة مشاعر أبنائه وابراز ما يحيط بهم من ظلم داخلى وخطر خارجى بدرجة مؤثرة كما أصبحت جريدة الطائف أولى الصحف الوطنية حتى أن معظم الصحف اعتبرتها الجـريدة الرسـمية [١٢٤] ، وازاء هـذا الابتهاج الوطنى أحس الكثير من الأوربيين المقيمين فى مصر بالفـزع والخوف على أنفسهم فأخذ بعضهم فى الهجرة [١٢٥] .

سارت الحركة الوطنية يحدوها الرغبـة فى التقدم ، ولمـا كان النديم يمثل الجانب المتطرف فى فكر قادة الثورة فقد اقترح أن ترسل كل المكاتبات الرسمية الى الحكومة لا الى الخديو ، وألا يكون من حق الخديو الموافقة على شىء بدون موافقة الحكومة ، ولمـا عرض الأمر على الخديو رفض قبوله وتجنبا للصـدام معه اضـطر الوزراء الى التخفيف من لهجة هذا الاجراء تحاشيا لأية متاعب ممـا أثار شعور النديم فتمرد ضدهم وطالب بخلع الخديو [١٢٦] .

---

(١٢١) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ، ص ٣٣٤

(122) Tignor : op. cit., p. 153.

(١٢٣) اسكندرية : العدد ١٤٨ فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨١

(124) The Times. London. 10/3/1882.

(١٢٥) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٤

(126) Blunt : Secret History of the English occupation of Egypt. London p. 545.

والواضح أن العرابيين كانوا يشكلون عدة اتجاهات اتجاه متطرف ويتمثل فى عبد الله النديم ومحمد عبيد وطلبه عصمت ويعقوب سامى ومحمود فهمى وعلى الروبى (١٢٧) ، واتجاه وسط يتمثل فى عرابى واتجاه معتدل يتمثل فى عبد السلام المويلحى والبارودى ، ولما كان المتطرفون يزجون بالثورة الى مواقف خطيرة (١٢٨) كان المعتدلون يحاولون تهدئة الموقف •

وفى غمرة هذا الابتهاج الوطنى تآمر بعض الجراكسة على اغتيال الزعماء الوطنيين (١٢٩) وقتل كل وطنى له منصب كبير (١٣٠) ،

---

(١٢٧) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٧ ، ص ١٦٧

(128) F. O. 407/18 Mr. Cookson to Earl Granville September 19/1881 (No. 233).

(١٢٩) عندما قام عرابى بتمصير الجيش واصدار قوانين فى صالح الوطنيين وترقية بعضهم حدث ضجر بين الجراكسة •

Parliamentary Papers. Egypt. No. 7 (1882).

تلغراف من مالت الى جرانفيل بتاريخ ١٢ ابريل ١٨٨٢

وايضا :

Marlowe , op. cit., p. 120.

كما ان عرابى شكل لجنة لفرز الضباط المستودعين ففرزت نحو الستمائة اكثرهم من الاتراك والشراكسة فاصبحت الجهادية وطنية محضة •

محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٦٨

(١٣٠) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٢٥٦ ، محاضر جلسات قومسيون التحقيق ، ص ٩٦ مخطوط بدار الوثائق ، جريدة مصر العدد ١٦ فى ١٩ أبريل ١٨٨٢ تحت عنوان « مكرسيىء » .

انظر ايضا :

Cromer : op. cit., vol. 1 p. 191.

ولما كشفت المؤامرة (١٣١) أقيمت الاحتفالات والولائم بالاسكندرية تهنىء بسلامة رجال الثورة وتندد بالمتآمرين ، وقد ألقى عبد الله النديم فى هذه الاحتفالات خطبا تناولت ذم الشراكسة والتنبيه على سلامة عرابى (١٣٢) ، وبعد أن حوكم المتآمرون رفض الخديو التصديق على الأحكام الصادرة ضدهم ، مما أدى الى حدوث أزمة عنيفة بينه وبين العرابيين (١٣٣) ، هاجم النديم فيها الخديو هجوما عنيفا ولقبه بالخائن المخدوع (١٣٤) .

---

(١٣١) قدم المتآمرون ومنهم عثمان رفقى الى المحاكمة ، وصدر الحكم بنفى أربعين منهم مدى الحياة الى السودان وتجريدهم من الرتب العسكرية .

Parliamentary Papers. Egypt No. 7 (1882). p. 89 No. 112.

تلغراف من مالت الى جرانفيل فى ٢٢ أبريل ١٨٨٢

انظر ايضا : دار المحفوظات . ملف خدمة عثمان رفقى — محفظة رقم ٢٩٥ عين ١ دولاب ١٤

(١٣٢) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ — استجواب محمد شكرى وكيل عموم الاستحكامات .

(١٣٣) عن تفاصيل هذه الأزمة . انظر :

أ — دار الوثائق : وثائق الحكومة النمسوية عن المسألة المصرية ، ملخص تقرير رقم ٢٩ ب (مترجم الى العربية) .

ب — دار الوثائق : سجلات الثورة العرابية سجل رقم ٩٠ ، ص ١١ تحت عنوان مكاتبات المعية السنية .

جـ — دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٩ — دوسيه ١١٠

د — دار الوثائق : ملف ثابت باشا . محفظة ١٦٣ عابدين .

هـ — دار الوثائق : محفظة رقم ١١٦ أبحاث .

و — دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية محفظة رقم ٦ تحت عنوان من قومسيون التحقيق الى رئيس مجلس النظار .

ز — دار الوثائق : محافظ مجلس النواب — محفظة رقم (١) .

(١٣٤) الطائف فى ٦ مايو ١٨٨٢

ولما توسط النواب للتوفيق بين الطرفين اشترط الخديو تعطيل الطائف لشدة ما وجهته اليه من اهانات ، ولما كان الموقف خطيرا والرأى العام فى حاجة الى تهدئة ، والأنباء تتردد بوصول السفن الحربية الانجليزية والفرنسية الى مصر أصدرت الوزارة قرارا بتعطيل الطائف والمفيد (١٣٥) فى ١٧ مايو ١٨٨٢ لمدة شهر (١٣٦) مما يوضح لنا أن العقل المنظم للثورة لم يكن عقلا ارتجاليا أو معدوم الخبرة تماما بل كان عقلا تكتيكيا فقد رفع شعار المحافظة على السلام الداخلى فى الوقت المناسب (١٣٧) والتزم النديم به كما يتضح ثقة رجال الثورة فى تأثير الطائف على الشعب •

سارت الأمور بما لا يعطى مجالا لأى تدخل أجنبى (١٣٨) ، ولكن ما ان وصلت الأساطيل الحربية (١٣٩) الى الاسكندرية حتى تقدمت انجلترا وفرنسا بمذكرة مشتركة فى ١٨٨٢/٥/٢٥ يطلبان فيها

---

(١٣٥) صدرت فى اكتوبر ١٨٨١ وكان يحررها حسن الشمسى ، وقد تميزت هذه الجريدة بالمقالات المتخصصة عن الرابطة الاسلامية ، كما انها حملت على الخديو والانجليز حملة شعواء •

فيليب دى طرازى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠ — ٢١

وايضا :

Parliamentary Papers. Egypt No. 5 (1882).

(١٣٦) الوقائع المصرية فى ١٧ مايو ١٨٨٢

(١٣٧) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٨

(١٣٨) يتضح من محاضر جلسات مجلس العموم البريطانى أن الخديو لم يطلب المعونة الأوربية •

Parliamentary Debates, vol. 264 p. 371.

(١٣٩) عن اعداد وتسليح سفن هذه الأساطيل • أنظر :

Parliamentary Debates vol. 269 p. 1615.

أسقاط وزارة محمود سامى البارودى وابعاد عرابى عن مصر ، وتحديد اقامة على فهمى وعبد العال حلمى فى الريف [١٤٠] .

وافق الخديو على المذكرة بينما رفضتها الأمة كلها مما دفع البارودى الى تقديم استقالته فى ١٨٨٢/٥/٢٦ احتجاجا على هذا التدخل فوافق الخديو على الاستقالة ، وتولى أمور الجيش بنفسه[١٤١] مما دفع كبار الضباط الى التذمر كما عملت محاضر وقع عليها الناس لخلع الخديو [١٤٢] .

وهاجت نفوس الشعب وعقدت الاجتماعات تأييدا للعرابيين وأرسلت جمعية الشبان بالاسكندرية وفدا الى القاهرة ومعه محاضر موقع عليهابتأييد وزارة البارودى[١٤٣]كما ظلعرابى علىاتصال بالجيش

---

(١٤٠) يذكر الخديو بأن هذه المذكرة كانت بناء على ميل ورغبة سلطان باشا رئيس مجلس النواب فى بقاء وتأييد الأمن للقطر المصرى .

دار الوثائق : ملف ثابت باشا . محفظة ١٦٣ عابدين — تلغراف من خديو مصر الى ثابت باشا .

كما وضح مصطفى كامل ذلك فى كتابه وكان من رايه ، انه يجب على عرابى باشا ان يبتعد عن مصر ويعمل برأى سلطان باشا لتطمئن الخواطر وتزول أسباب التداخل الأجنبى .

انظر : مصطفى كامل : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠

(١٤١) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٩ دوسيه ٩٨ ، ١٠٤ سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ٩٠ ، ص ١٥ تحت عنوان المعية السنية .

(١٤٢) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ ، سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ٩٠ ، ص ١٤ تحت عنوان « المعية السنية » .

(١٤٣) دار المحفوظات : محافظ الداخلية — محفوظات العرضحالات محفظة ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥٠ .

والوطنيين (١٤٤) موضحا لهم أن النظـارة وان كانت قد استعفت لأمر سياسى فانه لم يستعف من رئاسة الحزب الوطنى (١٤٥) .

فى غمرة هـذه الأحداث برز دور النـديم فتوجه الى الأزهر ، وخطب فى رجاله فأشعلهم حماسة وزادهم وطنية وايمانا بالثورة حتى أفتى بعض المشايخ بتكفير الخـديو (١٤٦) ثم توجـه الى الاسكندرية يخطب فى الناس متهما الخديو بالرغبة فى بيع البلاد للانجليز ، وبأنه هو الذى طلب احضار البوارج الحربيـة الانجليزية الى الاسكندرية لاحتلال المدينة وقتل كل مسلم وضرب مساجدها (١٤٧) فأشعل الروح الوطنية والدينية وأيقظ النفوس فوردت التلغرافات من كافة طبقـات الشعب تؤيد العرابيين فى موقفهم الوطنى (١٤٨) .

---

(١٤٤) يتضح ذلك من رسالة أرسلها الخديو توفيق الى الباب العالى قال فيها ان عرابى وان كان قد استقال (لفظا) فانه لم يتخل عن القيادة بل ظل يتابع اصدار النشرات الى العساكر حيث يضمنها تعليماته ، كما ان الضباط والعساكر لا يأبون سواه ناظرا للجهادية .

ملف ثابت باشا — محفظة ١٦٣ عابدين .

(١٤٥) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ ملف ٢٢٢

(١٤٦) أثناء الثورة العرابية انقسم المشايخ فى الأزهر الى قسمين أكثرهم مع عرابى واقلهم مع الخديو ، وكانوا يسمحون للنديم ان يدخل الأزهر ، ويخطب فيهم الخطب السياسية .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٥١٠ .

(١٤٧) الطائف نقلا عن الترجمة الانجليزية . انظر :

Blue Books. Egypt No. 17 (1882) p. 274.

وعن وجهة النظر المخالفة لذلك انظر :

F. O. 407/22 Inclosure in No. 589, Memorandum by Dervish Pasha.

(١٤٨) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية محفظة رقم ٦ داخلية .

والتحمت طبقات الشعب فخرج العلماء والمشايخ والنواب والأعيان ومجموعة من التجار وأرباب الحرف الى الخديو مطالبين بابقاء عرابى فى نظارة الجهادية حفاظا على الأمن وتسكينا للاضطراب لأنه فى حالة عدم قبول ملتمسهم سيحصل قتل عام (١٤٩) . فاضطر الخديو تحت هذا الضغط الشعبى الى اعادة عرابى الى نظارة الجهادية والبحرية (١٥٠) .

ونتيجة لتطورات الأحداث حاول السلطان العثمانى استغلال الموقف بهدف عودة سلطانه المتدهور فى مصر (١٥١) فأرسل وفد برئاسة درويش باشا لتقصى الحقائق والتحقيق فى أمر الخلاف بين الخديو والوزارة (١٥٢) فوصلت الى الاسكندرية فى ٧ يونيه ١٨٨٢ (١٥٣) فأرسل كل من الخديو وعرابى مندوبين لاستقبالها (١٥٤) كما سافر النديم الى الاسكندرية كى يهيىء الناس لاستقبال البعثة والاحتجاج على المذكرة المشتركة وتواجد الأسطولين (١٥٥) فعلم الرجال والنساء والأطفال نشيدا يردده واحد منهم هاتفا اللايحة اللايحة فيرد عليه الباقون مرفوضة . ارموها ، ارموها (١٥٦) .

---

(١٤٩) ملف ثابت باشا : محفظة ١٦٣ ــ تلغراف من الخديو الى ثابت باشا .

(١٥٠) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٨ صورة الأمر العالى الصادر الى أحمد عرابى ، الوقائع المصرية العدد ١٤٢١ فى ٣١ مايو ١٨٨٢ .

(151) Cromer : op. cit., vol. 1 p. 194.

(١٥٢) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم أحمد عرابى ، ص ٧٨ ، محمود الخفيف : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٢

(١٥٣) الوقائع المصرية العدد ١٤٢٨ فى ٨ يونيه ١٨٨٢

(١٥٤) عن صورة استقبال الوفد العثمانى . انظر : محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٨ ملف ٢٢٠ دوسيه ٥٣/د/٦

(155) Blunt : op. cit., p. 306.

وايضا . محمود الخفيف : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٣٥

(156) Blunt : op. cit., p. 306.

ولما وصل درويش الى القاهرة استقبله الشعب فى الطريق بهتافات يمدحون فيها « عرابى (١٥٧) » ويقللون من شأن الخديو(١٥٨) ولما أحس النديم بميول درويش العدائية تجاه الحركة الوطنية عقد اجتماعا بالأزهر هاجم فيه البعثة التركية هجوما عنيفا مما هز مركز درويش باشا وجعل المجتمعين ينادون برحيله من البلاد ولو بالقوة (١٥٩) .

هكذا كان دور النديم فى تصعيد الحركة الشعبية وتطورها ، ولكن انجلترا كانت ترقب الأحداث ، وتحاول انتهاز أية فرصة للتدخل العسكرى فى مصر .

---

(١٥٧) سجلات الثورة العرابية ـ سجل ٩١ ، ص ١٩ تحت عنوان « ضبطية مصر » .

(١٥٨) يذكر ديلانو ان النديم كان مسئولا عن المظاهرات عند وصول المندوب السلطانى .

Delanoue : op. cit., p. 90.

(159) Blunt : op. cit., p. 332.

للتفاصيل انظر : الفصل السابع من الكتاب .

الفصل الثالث

النديم ومقاومة التدخل العسكرى الانجليزى

- النديم ومذبحة الاسكندرية .
- النديم وحريق الاسكندرية .
- دور النديم أثناء المعارك بين العرابيين والانجليز .
- كيف واجه النديم الهزيمة ؟

النديم ومذبحة الاسكندرية :

حاول الخديو احراج مركز العرابيين ، وخصوصا بعد أن تعهد عرابى بالمحافظة على الأمن والنظام فسعى الى احداث شغب فى القاهرة ولما تعذر ذلك (١) أرسل برقية الى عمر لطفى محافظ الاسكندرية آنذاك جاء فيها « ضمن عرابى الأمن العام ، ونشر ذلك فى الصحف ، وجعل نفسه مسئولا لدى القناصل فاذا نجح فى ضمانه هذا وثقت به الدول ، وصغر شأننا أما الآن وأساطيل الدول فى مياه الاسكندرية وعقول الناس متهيجة فوقوع الخلاف بين الأوربيين وغيرهم أمر محتمل فاختر لنفسك اما خدمة عرابى فى ضمانه أو خدمتنا (٢) » ويذكر « روزشتين » أنه استتبع هذه البرقية مفاوضات أخرى جرت بين ابن عم الخديو الأمير حيدر باشا الذى انتقل عدة مرات بين القاهرة والاسكندرية حاملا رسائل المتآمرين ، كما سافر عمر لطفى الى القاهرة فى ٩ يونيه ليقف بنفسه على خطة المؤامرة (٣) حيث اتفق

---

(١) استدعى الخديو ابراهيم بك توفيق مدير البحيرة وطلب اليه ان يجمع مشايخ قبائل البدو ويحضرهم اليه — ففعل — وبالغ الخديو فى حسن استقبالهم واكثر لهم من المواعيد ثم اوعز الى المدير ان يأمرهم بحشد ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف بدوى وباحضارهم الى العاصمة بطريق الجيزة ليحدثوا فتنة فى البلد لعدم وجود النظام بينهم ، ولكنه تعذر على المشايخ حشد العدد المطلوب من البدو .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٣٠

(٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٣٠
Blunt. op. cit., pp. 312 - 313.

(٣) تيودور روز شتين : تاريخ المسألة المصرية — ترجمة عبد الحميد العبادى ومحمد بدران . القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٣ ، ص ١٨٦

على احداث شغب فى الاسكندرية ليكون وسيلة الى خدش تعهد عرابى والقــاء اللوم عليه فوقعت مذبحة الاسكندرية (٤) وقد ساعد ذلك على القلق والاضطراب اللذان استوليا على سكانها (٥) نتيجــة لتواجـد الأساطيل الأجنبيــة فى ميــاه الاسكندرية ، ونتيجة لخطب النــديم الثورية المؤثرة (٦) وكثرة الشائعات (٧) مما دفع الأوربيين المقيمين بها الى توقع الشر والاستعداد للدفاع عن النفس اذا دعت الحــاجة الى ذلك (٨) .

ان أصــابع الاتهام تشــير الى أن مدبرى هــذه المذبحــة هم الخديو (٩) ، وعمر لطفى محافظ الاسكندرية (١٠) المسئول عن ملاحظة

---

(٤) الوقائع المصرية العدد ١٤٣١ فى ١٢ يونيه ١٨٨٢.

(٥) محافظ الثورة العرابية : محفظة ٢٠ محضر استجواب محمد طاهر معاون أول بوليس فى ٢١ اكتوبر ١٨٨٢ .

سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٨ ، ص ٤٧٣

(٦) انظر : خطبة الانفوشى : محــافظ الثورة العرابيــة — محفظة رقم ١٨ دوسيه (٢٠) محضر استجواب احمــد ســلامة معــاون ضــبطية الاسكندرية .

(٧) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامى الى الآن القاهرة — مطبعة الهلال ١٩١١ ، ص ٢٥٤

(٨) دار الوثائق القومية :

A. M. Broadley : The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha Vol. 2.

مذكرة من عرابى الى برودلى بخصوص حادث ١١ يونيه ١٨٨٢ تحت رقم (٢٥٢) .

(٩) انظر : محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٣٠ :

Broadley : op. cit.,

مذكرة من عرابى الى برودلى تحت رقم (٢٢٥) .

تيودور روز شتين : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨٦

أشغال الضبطية والدائرة البلدية بها (١١) والسيد قنديل مأمور الضبطية (١٢) والانجليز (١٣) والعرابيين بصفة خاصة النديم أما عن

---

(١٠) انظر : مذكرات محمد فريد — تاريخ مصر ابتداء من ١٨٩١ — القسم الأول — الجزء الرابع ، ص ٨٩ ، روز شتين : المرجع السابق الذكر ص ١٨٧

محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ، الامام محمد عبده آراء ومذكرات — مذكرات عن الثورة العرابية ، ص ٤٠

Marlowe : op. cit., p. 135.

Broadley : How we defended Arabi p. 236.

(١١) دار المحفوظات العمومية : ملف خدمة وربط معاش عمر باشا لطفى — محفظة ٣٥٣ عين ٤ دولاب ١٦ دوسيه ١٠٠٠٤

(١٢) انظر :

Blue Books. Egypt No. 11 (1882).

تقرير من المستر هوات الى المستر هارمان .

وايضا تلغراف التنصل كالفرت الى السير جرانفيل ، محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ ملف ١٥٧ — شهادة محمد الأسود الأنباشى ببوليس الاسكندرية ، سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ١٠٩ مسلسل عمومى ٤١٢٤

Marlowe : op. cit., p. 135.

سليم النقاش : المرجع السابق ، جـ ٨ ، ص ٦١٨ — ٦٢٦

جرجس ميخائيل : الأثر — تاريخ توفيق الأول — مطبعة المصرى ١٨٩٢ ص ٣٩

محمد البارودى : المرجع السابق ، ص٢٨ ، محاضر قومسيون التحقيق بمصر — استجواب مصطفى بك النجدى من السجن — حكيم باستبالية الاسكندرية ، ص ٦٠٧

(13) John Ninet : Arabi Pacha-Egypt (1880 - 1883) Paris, 1884 p. 119.

جوليت آدم : انجلترا فى مصر — تعريب على فهمى كامل — القاهرة مطبعة شركة العلم والدفاع الوطنى ، ص ١٢٣ ، مصطفى كامل : « المسئلة الشرقية » ٢٣٥ ، د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته

التهم الموجهة الى النديم فهى اتهامه بأنه شجع المشاغبين على المذبحة (١٤) بخطبه المؤثرة التى ألقاها واجتماعه بشبان الاسكندرية وتأثيره عليهم (١٥) بتحريضهم لهم على الفتك بالأجانب (١٦) مما دفع الأوربيين الى الاستعداد للدفاع عن أنفسهم •

ويذكر عمر لطفى فى تقريره أمام قومسيون التحقيق فى ٣ أكتوبر ١٨٨٢ أن النديم حرك أفكار « الأهالى بالخطب والدسائس التى أعقبت مقتله ١١ يونيه » مما كان له أبلغ الأثر فى أذهان العامة ، ولا سيما الشبان الذين ضمهم اليه ، وجعلهم آلة فى انجاز أغراضه فداوم على التردد عليهم حتى انقاد له الكثيرون (١٧) ورغم التنبيه عليه

=

السياسية ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، سلافة النديم ، جـ ٢ ، ص ٨٠ مقال النديم : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » ، د. سمير محمد طه : أحمد عرابى ودوره فى الحياة السياسية المصرية — رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٨٠ ، وعن الرأى المخالف لذلك انظر :

محاضر جلسات مجلس العموم البريطانى حيث يتضح منها ان هذه المذبحة كانت كارثة بالنسبة للانجليز .

Parliamentary Debates, vol 270 p. 1724.

سؤال من ايرل فيفر شام لوزير الخارجية .

Blue Books - Egypt. No. 11 (1882).

(14) Blue Books - Egypt. No. (1882).

برقية من جرانفيل الى مالت بتاريخ ١٧ اغسطس ١٨٨٢

(١٥) دار المحفوظات : محافظ الداخلية — محفوظات العرضحالات — محفظة ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥٠

(١٦) محمد البارودى : تاريخ العائلة الخديوية وتفاصيل الثورة العرابية . القاهرة — مطبعة الهلال — الطبعة الأولى ١٨٩٧ ، ص ٢٦.

(١٧) تقريرات وشهادات مقدمة الى لجنة التحقيق عن حوادث الثورة العرابية ، جـ ١ — مخطوط : دار الوثائق القومية بالقلعة تحت رقم ٣٣٧.

بمغادرة الاسكندرية وعدم العودة اليها [١٨] عاد وعمل ما عمله من الخطابة فى الجهة المعروفة باسم الأنفوشى ثم ذهب ولم نشعر به الا فى اليوم الثانى وقد أعقبت ذلك واقعة المقتلة ثم أنهى عمر لطفى تقريره باتهام النديم وغيره من العرابيين بأنهم كانوا سبب الحادثة [١٩] .

تتفق التقارير الانجليزية الخاصة بمذبحة الاسكندرية مع تقرير عمر لطفى فى أن هذا الحادث كان نتيجة لخطة مدبرة من قبل العرابيين [٢٠] كما ذكر الياس الشامى المعاون بضبطية الاسكندرية أن خطب النديم كانت تهيج الأفكار وتحرض المصريين ضد الأوربيين والأتراك ، وتحث الشبان على حمل السلاح وتعلم استعماله حتى استجاب بعضهم له ، وتوجهوا لتعلم ذلك طرف العساكر برأس التين [٢١] .

وذكر محمد تامى اليوزباشى ببوليس الاسكندرية أثناء استجوابه أن النديم كان يحضر الى الاسكندرية ، ويلقى فيها خطبا ضد الحضرة الخديوية وضد الأوربيين [٢٢] كما يذكر شاهد عيان أثناء

---

(١٨) اكد النديم ذلك بقوله ان عمر لطفى طلب منه مغادرة الاسكندرية ، ولكنه لم يهتم بكلامه .

د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، ص ٦٧

(١٩) تقرير عمر لطفى الى قومسيون التحقيق السابق الذكر .

(20) Blue Books. Egypt. 1882.

من جرانفيل الى مالت فى ١٧ اغسطس ١٨٨٢

(٢١) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٨ ملف ٤٦ شهادة الياس ملحمة الشامى المعاون بالضبطية عن حادث الاسكندرية .

(٢٢) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ٢٠٠ استجواب اليوزباشى محمد تامى ببوليس الاسكندرية عن حادثة ١١ يونيه واعمال عبد الله نديم بالاسكندرية .

استجوابه عن الحادث أن الخطب المهيجة التى كان يلقيهـا النـديم خصوصا الخطبة الأخيرة التى ألقاها على شاطىء البحر بجهة السيالة والتى كانت قبـل الحـادثة بيومين كان لهـا أكبر الأثر فى هـذه الحوادث [٢٣] ، ويتفق مع هـذا القول محمد طاهر المعاون بالضبطية ويزيد عليه أن موضوع هـذه الخطب كان مصر للمصريين [٢٤] .

وذكر أحمد سلامة المعاون بضبطية الاسكندرية أنه بلغـه قبـل الواقعة بيومين أن النديم ألقى خطبة فى جهة الأنفوشى هيـج فيهـا الأهالى وحرضهم على قتل النصارى (يقصد الأوربيين) وحثهم على الحرب وحفظ الوطن [٢٥] .

ومن محضر استجواب السيد قنديل يتضح أن محافظ الاسكندرية نبـه على النديم بمغادرة المدينة لخطورته حيث قال « عبد الله النديم كان موجودا بالمحافظة وأنا أيضا كنت حاضرا فسأل سعادة المحافظ عبد الله النديم قائلا له هل أتيت لتهيج البلد بخطبك فأجابه عبد اللـه النـديم لم يحضر لذلك وحتى بحنجرته مرض وأنه مسـافر يومهـا فالمحافظ أكد عليـه بالسفر [٢٦] » .

كما يتضح من محضر استجواب يعقوب سامى أنه قبل حصـول

---

(٢٣) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٨ دوسيه ١٣ — محضر اسـتجواب ابراهيم بك الناضـورى ومعـلوماته عن حـادثة ١١ يونيه بالاسكندرية .

(٢٤) محافظ الثورة العرابيـة — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٣ محضر استجواب محمد طاهر معاون بضبطية الاسكندرية عن حادثة ١١ يونيـه ١٨٨٢ واشتراك السيد قنديل وعبد الله نديم فيها .

(٢٥) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٨ دوسيه ٢٠ — محضر استجواب أحمـد سلامة معاون بضبطية الاسكندرية .

(٢٦) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦ تحت عنوان « قضية السيد قنديل » .

واقعة ١١ يونيو « توجه النديم وهيج الأفكار ضد الأوربيين وكذلك حسن موسى العقاد أحضر نبابيت وبعد ذلك حصلت الواقعة [٢٧] » وأكد أحد كبـــار الضباط فى محضر استجوابه أن عبد الله النديم أخبره قبل الحادث بيوم أنه سيحدث بالاسكندرية أمر خطير ، وهــذه هى نص رواية الضابط « أنى قبل حصول المذبحة بيوم واحد قابلت عبد الله النــديم فى وقت الصـــباح بمصر فســألته فى اى وقت حضرت من اسكندرية فقال حضرت منها ليلة أمس لأشغال مهمة وأنى متوجه اليها فى هــذا اليوم بعد الظهر لأن الاسكندرية سيحصل فيها بكرة حركة جسيمة جــدا ، وفى ثانى يوم حصلت تلك المذبحة فتحقق لى بذلك أن (عرابى) كان له دخل فى هــذه الحركة الفظيعة [٢٨] » .

وذكر قائمقام المستحفظــين فى محضر استجوابه أن النديم كان يحرض الشــبان ويتكلم فى الديانات ، ويلقى الخطب ، وأن ســعادة المحافظ نبــه عليه بالخروج من الاسكندرية [٢٩] ويتضح من رســالة أرسلها القس صابونجى الى بلنت أن شخصية النديم السريعة الاثارة كان يمكنها اشعال النـــار فى أى وقت لحرب دينية [٣٠] .

كما ذكر جون مارلو أن مذبحة الاسكندرية كانت النتيجة التلقائية للدعاية المضادة للأوربيين والمسيحيين التى روجها الوطنيون والعلماء[٣١]

---

(٢٧) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٣ ــ محضر استجواب يعقوب سامى .

(٢٨) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة ١٩ دوسيه ١٣٢ ــ محضر استجواب على حلمى بك (أركان حرب) .

(٢٩) دار الوثائق : محاضر جلسات قومسيون التحقيــق بمصر ــ استجواب على داود قائمقــام المستحفظين عن واقعــة ١١ يونيــه ، ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠

(30) Blunt : op. cit., p. 545.

(31) Marlowe : op. cit., p. 135.

وعندما سئل عرابى أثناء محاكمته عن صلته بالنديم ، وعن مدى معرفته بسفره الى الاسكندرية قبيل المذبحة وتنبيه المحافظ عليه بالخروج منها وعدم استطاعته ذلك لصلته بالعرابيين لم ينكر عرابى هذا بل قال بأنه ليس مسئولا عن النديم ولا عن تصرفاته (٣٢) ورغم أن هذه الشهادات والتقارير تؤكد أن للنديم يدا فى أحداث مقتلة ١١ يونيه فان هناك شهادات أخرى تذكر أن النديم ليس له يد فى هذه المذبحة فيذكر بلنت أن خطب النديم فى ذلك الوقت كانت تحض الناس على الهدوء ، وانه كان يشرح لهم عدم التورط فى أى اشتباك مع الأوربيين حتى لا تعطى الفرصة للأسطول الانجليزى بالتدخل وضرب المدينة (٣٣) ويذكر محمد حندق صاغقول مستحفظين الاسكندرية فى محضر استجوابه أن النديم لم يشجع الأهالى ضد الأوربيين بل كان يطلب منهم الاتحاد ، وألا يعتدوا على أحد(٣٤) كما يذكر أحمد رفعت « رئيس قلم المطبوعات فى محضر استجوابه أنه « لما ألقى شاب يسمى مصطفى ماهر مقالة فيها أقوال شنيعة ضد الأوربيين أشار له عبد الله النديم اشارة عدم استحسان (٣٥) » .

والجدير بالذكر أن النديم لم يكن موجودا بالاسكندرية وقت الحادث بل كان بالقاهرة (٣٦) ، علما بأن هذه المذبحة قد أحزنت « عرابى » ورفاقه (٣٧) لأن عدم استتباب الأمن قد أساء اليهم ، وقلل

---

(٣٢) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية ـــ محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ دوسيه ١/٥٣ محضر استجواب احمد عرابى .

(33) Blunt : op. cit., p. 505.

(٣٤) محافظ الثورة العرابية ـــ محفظة رقم ١٤ ملف ٣٠٦ ـــ محضر استجواب محمد حندق .

(٣٥) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٧ ، ص ١٦٦

(36) Blunt : op. cit., p. 505.

(٣٧) البرت فارمان : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٩٦

من عطف الدول الأوربية على حركتهم ومع أننا نضع فى الحسبان أن شهادات وتقارير الشهود كانت بعد هزيمة العرابيين وخروجهم من ساحة المعارك ، وأن المغلوب كثيرا ما تلصق به التهم جزافا [٣٨] فنحن نرى أن طبيعة النديم الثورية ولهجته الخطابية التى تستثير الشعور دون حيطة أو تبصر [٣٩] وكراهيته للأجانب كان لها أكبر الأثر فى اثارة الأهالى الذين تشبعوا بكراهية الأجنبى المستغل لأرزاقهم وأقواتهم فكتموا غيظهم فى أنفسهم حتى حدثت الفرقعة ، وكان دويها واضحا يوم ١١ يونيه ١٨٨٢ مما أتاح الفرصة للانجليز فاتخذوا من هذه الأحداث ذريعة للتدخل المباشر [٤٠] بحجة عجز العرابيين عن حماية أرواح الأجانب [٤١] فضرب الأسطول الانجليزى طوابى الاسكندرية فى ١١ يوليه ١٨٨٢ [٤٢] وبذلت القوات المصرية جهدها [٤٣] فى مواجهة قذائفه واشترك أهالى الاسكندرية فى نقل الذخائر الى المدافعين ، ولكن ضعف المدفعية المصرية وقدمها لم يحقق استمرار الصمود والمحافظة على الطوابى [٤٤] .

---

(٣٨) تحدث النديم عن ذلك فقال : أى شهادات مزورة مقدمة من اناس صورتهم صورة الأمراء والوجهاء ، وحقيقتهم حقيقة سفلة أغبياء ويعلم الله انهم ينسبون الى ما لم يخطر ببالى .

عبد اللـه النديم : كان ويكون ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٣٩) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ، ص ١٤٦

(40) Parliamentary Debates vol 270 p. 818.

سؤال من مستر بوكر لوكيل وزارة الخارجية .

(41) Dicey ; The Egypt of the Future p. 171.

(٤٢) الوقائع المصرية فى ١٣ يوليو ١٨٨٢ ، وعن عدد السفن التى اشتركت فى الضرب . انظر اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٩٧

(٤٣) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٦ ملف ٢٢٠ .

(٤٤) عن أماكن الطوابى وأسمائها . انظر : اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، ص ٣٩٧

النديم وحريق الاسكندرية :

نزلت القوات الانجليزية الى الاسكندرية فانحاز الخديو لها (٤٥) وسارع هو وشيعته الضئيلة بتهنئتها (٤٦) ، ولما علم النديم بهذه الأخبار وكان وقتئذ بالقاهرة أسرع الى الاسكندرية حيث وجد التخريب والتدمير والفزع منتشرا بين أهاليها ، وفى أثناء تجواله قابل محمود سامى البارودى فاخذا يتدبران الأمر (٤٧) ثم اتجها معا الى عرابى حيث استقر رأى الجميع على الانسحاب من الاسكندرية الى منطقة كفر الدوار (٤٨) حيث أن الاسكندرية لم تعد تصلح كمنطقة دفاعية بعد تحطيم حصونها ولكن هل يترك العرابيون الاسكندرية سليمة تستفيد منها القوات الانجليزية الغازيه أم يعرقلوا دخول هذه القوات فتحرق المدينة وتنهب حتى يجد الانجليز الصعوبات عند احتلالهم لها ، هذا هو السؤال الذى سنحاول الاجابة عليه استنادا على ما ذكره شهود العيان •

---

(٤٥) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٦ ملف ٢٢٠

(٤٦) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، ص ٢٦ مخطوط بدار الوثائق القومية .

(٤٧) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ دوسيه ٢٠١ — ملف استجواب « عبد الشافى الوردانى » معاون الأوقاف والذى كان مرافقا للبارودى فى الاسكندرية ، محاضر جلسات قومسيون التحقيق : محضر استجواب محمود صادق معاون الأوقاف ، ص ١٤٣

مخطوط بدار الوثائق : ويذكر البارودى انه فى اثناء مروره بعد الضرب تقابل مع عبد الله النديم وساله عن جهة قصده فاجابه انه يمر مثله ، فاستفهم منه عن محل لقضاء الليلة فيه فقال انه اذا وجد اباه بالمنزل يمكننا قضاء الليلة هناك .

سليم النقاش : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧١

(٤٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ٩

يذكر بلنت وسليم النقاش أن العرابيين حرقوا الاسكندرية وفقا لتكتيك عسكرى سليم بالا يستفيد العدو من البلد الذى يدخله كما فعل الروس فى موسكو أثناء الغزو النابليونى حتى لا يجد العدو مأوى ولا مئونة ولا ذخيرة لرجاله ، وحتى يستطيع عرابى التقهقر لاتخاذ أماكن استراتيجية للقتال (٤٩) ويؤكد ذلك ما ذكره « أحمد رفعت » فى محضر استجوابه بأن عرابى ذكر أنه « اذا تداخل أحد لازم نموت لآخرنا ، ونفنى كل شىء (٥٠) .

ويتهم حسين باشا الدرملى النديم بأنه كان من المشجعين على حرق الاسكندرية ونهبها حتى لا يجد الانجليز شيئا عند احتلالهم لها فقال : « حضر النديم الى الداخلية بعد الضرب ... وأخبرنى بكيفية الضرب على الطوابى والحرق والنهب وتفوه بالفاظ تهور كثيرة جدا لا أتذكرها وانما آتذكر قوله انه بالنظر لما أجراه الانجليز من تخريب الطوابى أحرقنا البلد ونهبتها العساكر كى لا يجدوا شيئا عند طلوعهم (٥١) » .

ويؤكد (أحمد سلامه) اتهام (حسين باشا الدرملى) للنديم فيذكر أنه رأى النديم بعد الحادث فى محطة سيدى جابر راكبا صهريج الوابور وفى يده طبنجة ، وسمعه يقول أنه قتل بها ثلاثة أشخاص وان حرق البلد تم بواسطة غاز أحضر بمعرفتهم وصب على الحوانيت والمنازل حتى يتم حرق البلد بسرعة (٥٢) .

---

(49) Blunt : op. cit., p. 372.

وسليم خليل النقاش : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٧٢ ــ ٧٦

(٥٠) محاضر جلسات قومسيون التحقيق ــ محضر استجواب احمد رفعت ، ص ١٣٨ ، مخطوط بدار الوثائق .

(٥١) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ١٠ دوسيه ١٢٥ ــ محضر استجواب حسين باشا الدرملى وكيل نظارة الداخلية .

(٥٢) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ١٨ دوسيه ٢٠ ــ محضر استجواب احمد سلامة معاون ضبطية الاسكندرية .

ويؤيد حسين واصف هـذا الكلام فيقول أنه كان راكبـا وابور السكة الحديد القادم من الاسكندرية للقـاهرة وكان به عبـد اللـه النديم وانه سأله عن حالة الاسكندرية فأجابه بقوله (اننا أوقدنا فيها النـار بعد السلب والنهب) ولمـا سأله عن حالة الطوابى قال له أنها هدمت ولكننا مستعدون للمقاومة فى البر لأن الانجليز لم يكن لديهم قدرة على المحاربة فى غير البحر ، فمع أنه ضعيف فقد قتل ثلاثة من الأوربيين بالطبنجة التى معه ، وأخرج من جيبه طبنجة (٥٣) .

ومما سبق تتضح وجهـة النظر التى ترى أن للعرابيين يدا فى حريق الاسكندرية وخصوصا وأن سليمان سامى كان قد شرع فعـلا فى ذلك وبدأه فى جهة المنشية (٥٤) ، وأحضر جمـلة غازات (٥٥) وقال للضباط لابد من حرق البلد (٥٦) ، وانه لم يتركها قبل حرقها ، وقـد وقع ذلك فعـلا (٥٧) .

---

(٥٣) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ١٨ دوسيه ٦٩ ـ محضر استجواب حسن واصف التاجر بالاسكندرية ومعلوماته عن الحـريق ، وما سمعه من عبد اللـه النديم .

(٥٤) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٠ ـ شهادة القائمقام محمد شكرى بك ، استجواب اليوزباشى محمد الزناتى ـ دوسيه ١٧٢ بنفس المحفظة ، وايضا محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٧٨

(٥٥) يذكر مصطفى بك صبحى وهو احد شهود العيان فى محضر استجوابه انه راى العساكر يحملون صفائح بها غاز بالقرب من قنصلاتو فرنسا وبشـارع المنشية ، وان آلاى سليمان سامى كان مشتركا فى الحريق بضباطه وعساكره .

محاضر جلسات قومسيون التحقيق استجواب مصطفى بك صبحى ، ص ١٨٢ ـ مخطوط بدار الوثائق .

(٥٦) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ٢٠ ملف ١٦٩ ـ محضر استجواب اليوزباشى محمد رضا .

(٥٧) الياس زاخورة : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٩

ويذكر القائمقام محمد شكرى أن ما فعله سليمان سامى كان بالاتفاق مع عرابى ، ويؤكد قوله بأن عرابى لم يصدر منه أى تأنيب لسليمان سامى بل أنه أشركه معه فى الاستعدادات بكفر الدوار ولم يحاكمه (٥٨) ويذكر شاهد عيان أن عساكر آلاى مصطفى عبد الرحيم وسليمان داود كسروا أبواب الحوانيت والمخازن، ونهبوا مافيها وأوقدوا النيران فى الأماكن والأبنية المفتخرة كما دخل أيضا عربان البحيرة والبرابرة والعبيد ، وسلبوا الحوانيت والمخازن وأشعلوا فيها النيران (٥٩) .

والجدير بالذكر أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى قد نبه الحكومة البريطانية الى النتيجة المترتبة على ضرب الأسطول الانجليزى للاسكندرية بقوله انه فى حالة يأس الجيش المصرى فقد تدمر كل الممتلكات من كل نوع وصنف (٦٠) .

أما عن وجهة النظر التى تحاول تبرئة العرابيين عن تهمة حرق الاسكندرية فتتضح من قول الشيخ محمد عبده أن الأجانب كان لهم دور كبير فيما حدث بقصد المبالغة فى التعويضات كما أن العربان الذين كانوا على اتصال بالخديو وخصوصا أولاد على قد اشتركوا فى الحريق (٦١) .

---

(٥٨) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٠ شهادة القائمقام محمد شكرى .

(٥٩) محمود فهمى : البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبار الأوائل والأواخر . القاهرة — المطبعة الأميرية ببولاق — الطبعة الأولى جـ ١ ، ص ٢٢٣

(60) Parliementary Debates vol 273 p. 1876.

(٦١) الامام محمد عبده : آراء ومذكرات — مذكرات عن الثورة العرابية ، ص ٤٣

ومع ذلك فانه يتضح لنـا أنه كان هناك أكثر من يد دبرت هذا الحريق فلم يكن العرابيون وحدهم أو الأجانب والعربان وحدهم بل انهم جميعا كانت لهم يد فى ذلك فطبيعة النديم الثورية كانت تأبى أن تترك الاسكندرية سليمة تستفيد منها القوات الانجليزية ، وتدخلها آمنة كما أن ظروف العرابيين العسكرية وخططهم الدفاعية ربما كانت تقتضى ذلك ، فاشتعلت الحرائق فى المدينة ونهبت المحـلات (٦٢) كما أطلق العرابيون سراح جميع المسجونين (٦٣) وفى وسط هـذا الجـو تدخل الأجانب والعربان للاشتراك فى الحـريق سـواء للمبالغـة فى التعويضات أو لمجرد النهب .

دور النديم أثناء المعارك بين العرابيين والانجليز :

لمـا أخذ عرابى فى اعداد خطوطه الدفاعية فى كفر الدوار طلب منه الخديو وقف كل التجهيزات الحربيـة والحضور اليه فى قصر رأس التين (٦٤) والغاء الادارة العسكرية واعادة الادارة المدنية(٦٥) فاستشار

---

(٦٢) يذكر احد شهود العيان انه راى عساكر كثيرين خارجين من البلد ومعهم منهوبات .

دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ١٩ دوسيه ٩٤ استجواب الأونباشى سلام احمـد ببوليس الاسكندرية ، ويؤكد محمـد شكرى باشا ذلك فى محضر استجوابه فيذكر ان العسـاكر كانوا يبيعون البضائع المنهوبة علنا بسوق كفر الدوار دون أن يتعرض لهم احد من أمراء العسكرية لضبطهم ، ولا لجمع البضاعة وتسليمها للمديرية .

محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩

(٦٣) روجه لامبلان : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٩

(٦٤) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة ٤١ وثيقة رقم ١٣٢١ بعنوان « صورة امر كريم الى عرابى باشا » .

(٦٥) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة ٤١ تلغراف تحت عنوان : « من هيئة النظار الى احمد عرابى » ، محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٦ ملف ٢٢٠ ــ تلغراف من عرابى الى السلطان عن طريق بسيم بك بخصوص انحياز الخديو للانجليز .

النديم فى الأمر فنصحه بعدم التوجه الى الخديو برأس التين [٦٦] فرفض عرابى طلب الخديو واستمر فى استعداداته [٦٧] وأخذ النديم فى تعبئة الشعور الوطنى فنظم أسلوب الدعاية للمعركة وضاعف جهده وتحمل المسئوليـــة كاملة فكان قـــديرا على اللعب بعواطف النـــاس واشباع تطلعاتهم •

ونتيجـــة لتطورات الأحـــداث واتضـــاح موقف الخـــديو المؤيد للانجليز [٦٨] دعا عرابى الى عقد جمعيـــة عموميـــة من كافة طوائف الشعب لعرض الموقف عليهم فاجتمع « عدد عظيم[٦٩] من سراة المدينة وعظمائها وعلمائها، وفيهم رؤساء الملل الاسلامية والمسيحية والاسرائيلية (يقصد اليهودية) للمشاورة فى أمر الحـــرب [٧٠] » وانعقدت أولى جلسات الجمعية فى مساء ٨٢/٧/١٧ واتخذت قراراتها بالاجماع وكان أهمهـــا الاستمرار فى قتال الانجليز ومطالبة الخـــديو ومن معـــه من الوزراء بالعودة الى القاهرة ولمـــا علم الخديو بذلك أصدر أمرا بعزل

---

(٦٦) محمود فهمى : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ .

(٦٧) اصدر العرابيون امرا الى المـــديرين بسرعة ارســـال كافة العساكر التى تطلبها الجهادية نظرا لكون الحكومة المصرية محاطة بمراكب الأعـــداء .
دار الوثائق : محافظ مجلس الوزراء — حربية — محفظة رقم ١٠ حربية — بتاريخ ٥ يوليو ١٨٨٢ .

(٦٨) اصدر الخديو امر بأن المراكب الحربيـــة الموجودة بالاسكندرية حضرت بوجه سلمى ، كما طلب من المديرين عدم ارسال العساكر الذين صار طلبهم بمعرفة الجهادية .
محفوظات مجلس الوزراء — حربية — محفظة رقم ٧

(٦٩) بلغ عدد الذين لبوا دعوة عرابى حوالى مائة .
F. O. 407/21, Inclosure in No. 762, Memorandum from Information supplied by Omar Pacha Loutfi by G. H. Portal, «Tanjore», at Alexandrea, July 1882.

(٧٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٩ .

عرابى من منصبه واعلان عصيانه (٧١) فعقدت الجمعية اجتماعها الثانى فى ١٨٨٢/٧/٢٢ وبرز دور النديم فى هـذا الاجتماع حيث « شـنع بالخديو وطالب بالوقوف مع رجال الجهادية (٧٢) » وفى هذا الاجتماع استطاع العرابيون تختيم الحاضرين (٧٣) على توقيف أوامر الخـديو وما يصـدر من نظـاره الموجودين معه بالاسكندرية وعدم تنفيـذها حيث أن الخـديو خرج على قواعد الشرع والقانون (٧٤) . وأرسـل العرابيون الى المديريات ودواوين الحكومة منشـور باعلان انضـمام الخديو الى الانجليز وخلع طاعته لأنه باع البـلاد لألد أعدائها (٧٥)، والاستعداد للقتـال و « عـدم تسـليم البـلاد لأحـد وفهـا ذو روح يتنفس (٧٦) » .

---

(٧١) عن صورة الأمر العالى باعلان عصيان عرابى .

انظر : محافظ الثورة العرابيـة ـــ محفظة رقم ٤١ تحت عنوان : « اوراق تتعلق بالجيش المصرى والثورة العرابيـة » وثيقة رقم ١٣٢٣ بعنوان « صورة اوامر علية الى سائر الميرالات بخصوص الأمر العـالى الى عرابى باشا » .

(٧٢) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٩ دوسيه ٨٣ تقرير مقدم من رستم بك وسيم وكيل الدائرة البلدية بمصر ، ومحفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٨٧ ـــ استجواب محمد افندى العباسى قاضى رشيد .

(٧٣) يذكر احد شهود العيان أن العرابيين استخدموا القوة والارادة القهرية فى عمليات التختيم .

انظر : محافظ الثورة العرابية ـــ محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٦١ ، تقرير محمد توفيق باشا .

(٧٤) محافظ الثورة العرابية ـــ محفظة رقم ٤١ وثيقة تحت عنوان صـورة القـرار المعطى من الأمـة المصرية بديوان الداخليـة فى ٢٩ يوليو ١٨٨٢

(٧٥) الوقائع المصرية فى ٢٥ يوليو ١٨٨٢

(٧٦) مذكرات مصطفى ياور ـــ سجل رقم ١٢ منشور باعلان انضمام الخديو للانجليز بتوقيع احمد عرابى ناظر الجهادية والبحرية .

كما أمر عرابى بسد ترعة المحمودية لقطع المياه عن الخديو وأعوانه بالاسكندرية (٧٧) .

وفى غمرة هذه الاستعدادات للحرب توجه النديم الى الأزهر مشعلا حماسة لمناصرة الثورة حتى أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو لانحيازه لأعداء الوطن ثم أخذ يجوب مدن البلاد وقراها احفز همم الناس على مواجهة أعداء الوطن والدين ، فكان لخطابته دوى شديد فى النفوس حيث تناقلها الناس فيما بينهم واشتعلت قلوبهم بالحماس للوطن والدين وتزاحموا على اعانة الجيش بما يلزمه (٧٨) وكان النديم ينشر أخبار التبرعات فى صحيفته (٧٩) ، كما تحمست الأمة المصرية على اختلاف مشاربها لقتال الانجليز الطامعين فى

---

(٧٧) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ — استجواب محمد شكرى باشا وكيل عموم الاستحكامات .

ويذكر دايسى انه بقيام عرابى بقطع امدادات المياه عن الاسكندرية قررت الحكومة البريطانية التدخل لاخماد هذا التمرد .

Dicey : The story of the Khedivate p. 293.

(٧٨) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/٨ ملف ٢٢٢ ، ومحفظة رقم ٩ دوسيه ٨٦ تحت عنوان الثورة العرابية وقضايا المتهمين .

ويذكر عرابى فى مخطوطه انه عندما قامت الحرب لم يكن فى خزائن الحكومة درهم ولا دينار لأن المراقب الانجليزى (كولفن) اخذ الأموال الموجودة فى خزينة المالية وانزالها فى الدونمة الانجليزية قبل اعلان الحرب بأيام .

كشف الستار ، ص ٣٣٤ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٤٢

(٧٩) الطائف : العدد ٤٧ فى ٢٨ يوليو ١٨٨٢

البــلاد [٨٠] فانضم الرجــال الى معســكرات التــدريب [٨١] تاركين عائلاتهم ومحلاتهم وأشــغال مزروعاتهم [٨٢] وهــرع الشــيوخ الى المساجد يدعون الله أن ينصر « عرابى » حامى البــلاد ، وتحت وطأة هــذا الحماس الشعبى رأى عرابى تشكيل حرس من الأهالى يجــرى تعليمهم على الســلاح لحماية العاصمة والأقاليم عنــد خروج الجيش الى مناطق القتــال [٨٣] ، ولكن لم يتم ذلك لاعتراض بعض أعضــاء المجلس العرفى [٨٤] .

وقد قامت « الطائف » بدورها فى الدعاية للعرابيين تعادى من

---

(٨٠) الوقائع المصرية : العدد ١٤٧٢ فى أغسطس ١٨٨٢
احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٣٣٥

(٨١) فى اماكن متعددة من محافظ الثورة العرابية يتضــح اقبــال الأهالى على التطوع فى الجندية وفيما يلى امثلة على ذلك :

محفظة رقم ٣ دوسيه ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣
محفظة رقم ٤ دوسيه ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١
محفظة رقم ٥ دوسيه ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠
محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣
محفظة رقم ٩ دوسيه ٥٩
محفظة رقم ١٢ دوسيه ٢٠٩ ، ٢٢٠
محفظة رقم ٢١ دوسيه ٥
محفظة رقم ٢٢ دوسيه ٢٧

وايضا : الحوادث اليومية والوقائع الحربية فى الثورة العرابية — مخطوط من ٦ اجزاء بدار الوثائق القومية .

(٨٢) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٨ دوسيه ٤٧ — محضر استجواب أحمد عبد الجواد .

(٨٣) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢١ دوسيه ٦ تحت عنوان « قرارات المجلس العرفى المكون من وكلاء النظارات وكبار الضباط » .

(٨٤) نفس الوثيقة .

يعاديهم وتشجع من يواليهم (٨٥) ، كما لقبت « عرابى » بحامى البلاد المصرية والمدافع عن الاسلام ، وتردد بين الناس هتاف « الله ينصرك يا عرابى (٨٦) » .

وقد حاول النـديم فى دعايته للحرب تجنب الشقاق بين عنصرى الأمة فذكـر أن الحـرب بين المصريين والغـزاة وليست بين المسلمين والمسيحيين حتى يقطع على الانجليز طريق اتخاذ الدين وسيلة للتفرقة بين أبناء الوطن ، وساعد على ذلك أن بطريرك الأقباط أعلن أن الانجليز خرجوا على تعاليم المسيحية السمحة التى تدعو الى السلام ، ومن ثم أصبح الانجليز فى نظـر المصريين كفرة خارجين عن دينهم فوق أنهم غزاة مغتصبون (٨٧) .

وبعد أن عبأ النديم الشعور الوطنى داخل البلاد لحق بعرابى فى مقر قيـادة الجيش بمعسكر « كنج عثمان (٨٨) » حيث كان الجيش يتأهب لقتال الانجليز فعمل مستشارا سياسيا له وتحمل عبء الدعاية كاملا .

ولمـا لم يتمكن الانجليز من اقتحام استحكامات العرابيين فى كفر الدوار وجهوا قواتهم الى قنال السويس (٨٩) مما اضطر العرابيين الى جعل منطقة التل الكبير مركزا عموميا لقواتهم العسكرية (٩٠) .

---

(٨٥) انظر : العدد ٤٧ فى ٢٨ يوليو ١٨٨٢

(٨٦) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، الجزء الخامس ص ١٣٥

(٨٧) دكتور على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١٤

(٨٨) قرية تابعة لمركز كفر الدوار وتنسب الى منشئها كنج عثمان بك ناظر المدرسة البحرية فى عهد محمد على .
القاموس الجغرافى — القسم الثانى — الجزء الثانى ، ص ٣٢٨

(٨٩) محافظ الثورة العرابية — محفظة ٤١ تلغراف من سلطان باشا الى الخديو بتاريخ ٨ سبتمبر ١٨٨٢

(٩٠) محافظ الثورة العرابية — محفظة ٢١ دوسيه ١٥

انتقل النـديم مع عرابى الى الجبهـة الشرقية فى التـل الكبير يكتب أخبار الحرب فى صحيفته ، ويهاجم الخـديو والاحتلال ، وينشر الدعايات المليئـة بالمبالغات ضـد الانجليز مستثيرا همم الجنود (٩١) ومحمسا لهم •

والجدير بالذكر أن النديم لم يكن وحده فى ميدان الدعاية للثورة وشحذ همم المقاتلين فمن تلغراف أرسله سلطان باشا يتضح أنه كان بجيش عرابى أحد مشايخ الطرق يدعى « أحمد عبد الجـواد » كانت مهمته الدعاء وحث العساكر على المحاربة (٩٢) كما يتضـح من محافظ الداخليـة أن عائلة أبو ستيت كانت تتجول فى البـلاد لجمع المتطوعين والدعاية للثورة (٩٣) ، ومع أن النديم لم يكن وحده فى ميدان الدعاية للعرابيين فانه كان أبرز هؤلاء الدعاة وأصلبهم جميعا •

وقد استطاعت انجلترا تغيير ميزان المعركة ليس حربيا فقط بل وسياسيا أيضـا اذ استطاعت نتيجة للمحادثات المكثفة بينها وبين تركيا ونتيجـة لجهود اللـورد دفـرين سفيرها فى الاسـتانة الضغط على السلطان (٩٤) حتى أصـدر منشورا بعصـيان عرابى مما قلب ميزان

---

(٩١) الطائف فى ١٨٨٢/٩/١

(٩٢) محافظ الثورة العرابية ـ محفظـة رقم ٤١ ـ تلغـراف من سلطان باشـا بالاسماعيلية الى الخديو توفيق بالاسكندرية بتـاريخ ١٢ ديسمبر ١٨٨٢

(٩٣) محافظ مجلس الوزراء ـ الداخلية ـ محفظة رقم ٦ وثيقـة تحت عنوان افادة واردة من الداخلية الى قومسيون التحقيق تحت رقم ١٥٩

(٩٤) محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٨٢

الحماس الشعبى وأضاع التأييد الاسلامى والعربى للثورة (٩٥) ، وكان له أسوأ الأثر فى النفوس .

وعندما علم عرابى بالمنشور استشار عبد الله النديم فيما يجب أن يفعله فأشار عليه — كما يذكر سليم النقاش — نشره فى الطائف مع الرد عليه والاستمرار فى الدفاع عن البلاد حتى لو اشتركت عساكر عثمانية ضدهم (٩٦) لأن توزيع المنشور سرا سيكون رد فعله أسوأ مما لو نشر فى الصحف ورد عليه ؛ ولكن عرابى لم يستحسن ذلك خشية تحول القلوب عنه (٩٧) بينما يذكر اسماعيل سرهنك « أنه لما قرأ عرابى نشرة الباب العالى فى جريدة الجوائب (٩٨) نمرة ١١٠٥

---

(٩٥) شن جمال الدين الأفغانى اول هجوما له على الدولة العثمانية بعد اصدار فرمانها الخاص باتهام عرابى بالعصيان فقال : « على الدولة العثمانية أن تتذكر انه لولا فرمانها بعصيان عرابى لما سهل للانجليز أن يدخلوا ارض مصر » .

جمال الدين الأفغانى : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى ، ص ٣٦٥

ويتضح من مذكرة كتبها درويش باشا أن انتصار عرابى معناه الحاق الضرر الشديد بسلطة الدولة العثمانية لأنه فى مثل هذه الظروف يمكن أن تنفصل بلاد العراق والحجاز والشام عن الدولة .

F. O. 407/22, Inclosure in No. 589 Memorandum by Dervish Pasha.

(٩٦) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٥ ، ص ٢٤٨

(٩٧) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٣٩٦

(٩٨) كانت تصدر فى الاستانة باللغة العربية ، وقد اهتمت بالدفاع عن القضايا الاسلامية ، والوقوف ضد المطامع الاستعمارية ، وصاحبها هو احمد فارس الشدياق وهو لبنانى الأصل ولد عام ١٨٠٤ وتوفى عام ١٨٨٧ بالاستانة .

وقد اختار ابنه بعض مقالاته بالجوائب ووضعها فى سبع مجلدات تحت عنوان « كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب » .

انظر : خير الدين الزركلى — الاعلام ، ج ١ — الطبعة الثانية ، ص ١٨٤

الصادرة في يوم الثلاثاء ٢٩ شوال ١٢٩٩ (١٥ سبتمبر ١٨٨١) بعصيانه وقع اليأس فى قلبه لأن حجته الكبرى كانت بدعوى أنه قائم بالمدافعة عن حقوق الدولة العلية فى مصر فتشاور مع صديقه الحميم عبد الله النديم وأقرا على اخفاء ذلك عن الجند (٩٩) » •

وفى رواية أخرى « أنه جمع مجلسا وتلا عليهم تلك النشرة فارتأى أكثرهم وجوب الاستمرار فى الدفاع ، وذهب آخرون الى أن التسليم أسلم ورجح رأى الأولين (١٠٠) » •

واذا أخذنا بما قاله سليم النقاش فان ما توقعه النديم قد تحقق اذ تمكن جواسيس الخديو وأتباعه وعلى رأسهم محمد سلطان باشا من توزيع المنشور (١٠١) اذ تمكن بعض العربان من التسلل الى معسكرات العرابيين وتوزيع المنشور على الضباط والجنود الذين أصيبوا بصدمة عنيفة بعد الاطلاع عليه فخارت قواهم ويئسوا من النصر (١٠٢) وضعفت حميتهم الدينية •

وما أن بلغ عرابى وصول المنشور الى أيدى قواته حتى رأى الأخذ برأى النديم الخاص بضرورة طبع المنشور والتعليق عليه (١٠٣) ولكن الوقت كان قد فات ، وتحولت معظم القلب عنه •

---

(٩٩) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٤٠٦

ويتفق معه فى هذه الرواية جرجى زيدان :

أنظر : تاريخ مصر الحديث ، ص ٣١٢

(١٠٠) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٤٠٦

(١٠١) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٣٠٩

(١٠٢) محمد مهرى : المرجع السابق ، ص ٤٨٤

سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٥ ، ص ٢٤٨

(١٠٣) المصدر نفسه :

كيف واجه النديم الهزيمة ؟

فى التل الكبير كانت المعركة الفاصلة التى فوجىء بهـا المصريون حيث لم يكن متوقعا فى حسـاباتهم الهجـوم الانجليزى (١٠٤) الذى استمر حوالى عشرين دقيقـة (١٠٥) تحطمت خلالها متاريس العرابيين وتشتت شملهم (١٠٦) فركب عرابى فرسا تاركا ميـدان القتال وتبعـه عبد الله النديم ، وقـد حاول فرسـان الانجـليز تتبعهما والقبض عليهما (١٠٧) فما استطاعوا (١٠٨) .

وعن هـذا يذكر النديم « ولم أطرد جوادى مع عرابى باشـا جبانة ولا فرارا من الأعداء الخانة ، وانما أردنا جمـع العسـاكر فى بلبيس وخواصيها واحضار عساكر العباسية لتعسكر فيها ونقطع سكة حديد الزقازيق ونكسر قناطر الشرقاوية ليعظم على العـدو الضـيق فأدركنا على الروبى فى الطريق وقال لا ينبغى أن نقاتل بهـذا الفريق نتوجـه الى مصر ونشـاور أهـل البـلاد لننظـر ما عنـدهم من الاستعداد (١٠٩) » .

ولـما وصلوا الى أبو حماد (١١٠) ركبوا قطارا كان فى طريقه الى القاهرة ، وأمر « عرابى » السائق بالاسراع فى المسير فلما توقف فزع

---

(104) Ninet : op. cit., pp. 258 - 259.

(١٠٥) عن تفاصيل المعارك . انظر : الرافعى : المرجع السـابق الذكر ، ص ٤٣٢ — ٤٤٠

(106) Milner : op. cit., p. 12.

(١٠٧) محمد البارودى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٠

(١٠٨) محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٨٤

(١٠٩) دكتور محمد احمد خلف الله : المرجـع السـابق الذكر ، ص ٧٩

(١١٠) من القرى القديمة بمركز ابو حماد شرقيـة وترجع هـذه التسمية نسبة الى الشيخ احمد ابو حماد صاحب المقام القائم بها .
احمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ١ ، ص ٦٥

عليــه بالسيف فخاف [١١١] ، وأسرع حتى وصــل الى القــاهرة[١١٢]
فى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ فذهب عرابى والنديم الى قصر النيل حيث مقر
وزارة الحربية[١١٣] وكان المجلس العرفى مجتمعا فأنبأهم عرابى بخبر
الهزيمة ، وبعد أن استعرضوا الأمور استقر الأمر على المقاومة[١١٤] ،
وترتيب نقط عسكرية أمام العباسية لمنع الانجليز من دخول المدينــة ،
وخطب النديم يستنهض الهمم [١١٥] للدفاع عن العاصمة ثم توجــه
عرابى والنديم وبعض الحاضرين من كبار الضباط وغيرهم الى العباسية
لاجراء ترتيب النقط العسكرية[١١٦] فوجدوا أن الاستعدادات والذخيرة
لا تكفى للمقاومة [١١٧] ، وأن شبح الهزيمة كان باديا على الضــباط
والجنود[١١٨] فعادوا الى المجلس العرفى ، وعرضوا عليه الموقف فتقرر
الكف عن القتــال والتسليم ، وتحرير عريضة الى الخــديو يلتمسون
فيها العفو والاعتــذار عمــا حدث منهم ، وطلب أعضاء المجلس من
النديم ، صياغة هــذه العريضة فكتبها بأسلوب ملىء بالطعن والتنديد
بفعال الانجليز وقص فيهــا ما وقع من البداية الى النهاية [١١٩] فذكر

---

(١١١) محمد البارودى : المرجع السابق ، ص ٤٠

(١١٢) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ، ص ٣١٢

(١١٣) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٦

(١١٤) أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٤٠٢ — ٤٠٣

(١١٥) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣١

(١١٦) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٨ دوسيه (٨) ملف ابراهيم باشا خليل ، تقريرات وشهادات مقدمة من كبار الموظفين ، ج ٢ تقرير رقم ٥٩ خاص بأقوال ابراهيم خليل باشا . مخطوط بدار الوثائق .

(١١٧) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٤٠٣

(١١٨) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٤١٠

(١١٩) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ، ص ٣٣٢

أن ما قام به عرابى كان دفاعا عن الوطن والعرض والدين وأنه كان « ملزوما من طرف الأمة بأكملها على الدفاع (١٢٠) » وطالب الخديو بالرجوع الى العاصمة و « مخابرة القومندان الانجليزى بالكف عن القتال وعدم مهاجمة مدينة القاهرة (١٢١) » ولم يلق النديم الذنب على عرابى أو أحد من زملائه (١٢٢) .

ولما تلا النديم هذه العريضة على الحاضرين لم تعجبهم(١٢٣) للهجتها الشديدة فأملى بطرس غالى عضو المجلس صيغة أخرى قدم فيها الاعتراف بالذنب ووصف حركة عرابى بالعصيان والتمس العفو لعرابى ولزملائه قائلا على لسان عرابى « أنى مقر بالخطأ (١٢٤) » ومتوسم فى أعتابكم العفو عنى وعن اخوانى فان عفوتم فالفضل لكم وهذه شيمتكم وكرمكم .. وان عاملتمونا بعملنا فالعذر لجلالتكم والذنب علينا (١٢٥)

---

(١٢٠) دار الوثائق القومية : اوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين « علما بأن نص صيغة الالتماس نشرناه فى ملاحق الكتاب . ملحق رقم (١) .

(١٢١) المصدر نفسه .

(١٢٢) المصدر نفسه .

(١٢٣) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٣٢

(١٢٤) دار الوثائق : أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين — صورة عريضة وقع عليها احمد عرابى وارسلت الى الخديو فى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢

علما بأن نص العريضة نشرناه فى ملاحق الكتاب . ملحق رقم (٢) .

(١٢٥) المصدر نفسه .

وقد وقع عرابى وأعضاء المجلس العرفى على هـذه الصيغة رغم اعتراض النديم (١٢٦) وسلمت الى رءوف باشا مع من تعين معه من الذوات والأعيان (١٢٧) ، وتوجهوا بقطار الى الاسكندرية فى ١٤/٩/٨٢ ثارت نفس النديم لصيغة هـذا الالتماس وخشى مغبة وصم الثورة بالعصيان ، ورأى أن الخطر الأكبر على روح المقاومة هو أن يعترف القائد بالخطأ ووضح ذلك لعرابى بقوله « كيف تكون عاصيا ، وقد قدت الأمة تطلب الحرية ، ولم تكن وسيلتك فى ذلك حتى النهاية الا ما يقره القانون الانسانى والشرف العسكرى » فاستحسن عرابى ما قاله النديم وعادت الثقة الى نفسه وأرسل تلغرافا الى الوفد المسافر لتوصيل التماس العفو بالخطأ الى الخديو يأمره بالتوقف فى كفر الدوار وانتظار النديم (١٢٨) .

أعاد النديم صياغة العريضة ، ومحا منها عبارات الاعتراف بالعصيان وذكر أن « المحاربات التى وقعت ما كانت الا باتفاقات وأوامر سعادة أفندينا الخديو والنظار والمجلس المنعقد برأس التين (١٢٩) » ، وسافر بقطار خاص الى كفر الدوار وسلم العريضة

---

(١٢٦) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

(١٢٧) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٩٦ — محضر استجواب محمد مرعشلى باشا : باشمهندس الاستحكامات .

(١٢٨) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ ، ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣٣

(١٢٩) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٨ دوسية (٨) — محضر استجواب ابراهيم باشا خليل .

للجنة (١٣٠) قبل توجهها الى الاسكندرية (١٣١) ثم عاد الى القاهرة فوصلها فى فجر ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ حيث وجد أن عرابى وبعض زملائه قد سلموا أنفسهم للانجليز ، وأن الانجليز وأتباع الخديو استطاعوا السيطرة على زمام الأمور فأعد عدته للاختفاء عن أعين السلطة (١٣٢).

---

(١٣٠) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم (٥) تلغراف من يعقوب سامى بكفر الدوار الى الجنرال وود بالاسكندرية تحت رقم ٤٠٣٢/٦٩ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢.

(١٣١) ذكر عبد الرحمن الرافعى انه لما وصل النديم الى كفر الدوار علم ان الخديو رفض قبول العريضة الأولى وأمر بالقبض على كل من على الروبى ويعقوب سامى وايداعهما السجن فعاد ادراجه واختفى عن الأنظار .

الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٤٤٢

كما ذكر الدكتور على الحديدى أن النديم ذهب الى كفر الدوار ، ولكنه لم يجد الوفد حيث وصل التلغراف بعد أن اتجه بهم القطار الى الاسكندرية .

عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤١

(١٣٢) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٨

الفصل الرابع

عبد الله النديم فى أعقاب الثورة

ـ أحوال البلاد بعد هزيمة العرابيين .

ـ هدف النديم من الاختفاء .

ـ دور الجهاز المشرف على اختفاء النديم فى نجاح الاختفاء .

ـ النديم وتأليف كتاب « كان ويكون » فى المخبأ .

ـ تخبط أجهزة الحكومة فى تحرياتها عن النديم .

ـ تنقل النديم بين القرى والكفور .

ـ الوشاية بالنديم والقبض عليه .

ـ العوامل التى ساعدت على نجاح النديم فى الاختفاء .

أحوال البلاد بعد هزيمة العرابيين :

دخلت القوات الانجليزية القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ بدون مقاومة تذكر يصحبها سلطان باشا الذى ركبته روح التشفى فى العرابيين فأمر بالقاء القبض عليهم ووضعهم فى أضيق السجون وأصعبها (١) كما امتلأت السجون (٢) بمن ناصر الثورة من العلماء والمديرين وعمد البلاد والأعيان والتجار وغيرهم حتى بلغ عدد المقبوض عليهم ثلاثون ألفا من المصريين (٣) ، وكثرت شكاوى المسجونين من

---

(١) اسماعيل سرهنك : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

(٢) ادى ازدحام السجون بالأشخاص المقبوض عليهم أن نظارة الداخلية ارسلت تشكو الى مجلس النظار من هذا الازدحام وتحذر من المساوىء التى يمكن أن تترتب على ذلك .

محفوظات مجلس الوزراء ـ نظارة الداخلية ـ محفظة رقم ٢٢ ، « مذكرة الداخلية بشأن تخصيص محل لسجن الأشخاص المحكوم عليهم نهائيا بالليمان وغير ممكن ارسالهم الى ليمان الاسكندرية » .

كما يتضح من دواوين المعية السنية انه تم الحاق « بعض ارباب الجنايات فى الثورة العرابية بسجون السودان » .

معية سنية عربى ـ مجموعة ٤٢ صادر الافادات للأقاليم ـ سجل رقم ٤٥٣٦٧ بتاريخ ٢٠ اغسطس ١٨٨٣

(٣) احمد عرابى : مخطوط كشف الستار عن سر الأسرار ، ص ٤٠٣ عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٤٤٥ فى حين يذكر محمود باشا فهمى ان عدد المسجونين كان ٢٩ الفا .

انظر : البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبار الأوائل والأواخر ج ١ ، ص ٢٢٢ بينما يذكر اسماعيل سرهنك ان العدد ٢٩٫٠٠٠

انظر : حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤١١

طول مدة سجنهم دون محاكمة (٤) كما كثرت الوشـايات ، وسنحت الظروف لأصحاب الأغراض والغـايات أن يشوا بخصومهم (٥) فمن كانت له خصومة مالية أو عائلية كان يسعى للايقـاع بخصمه ويتهمه بمناصرة الثـورة (٦) فيقبض عليـه ويرسـل تحت الحفـظ مقيـدا بالحديد (٧) ، كما تنكر لقواد الحركة الوطنية أكثر من كان يناصرهم(٨) و « انقلبت الناس بانقلاب الأحوال (٩) » وانتشرت فى البـلاد روح الاستكانة والنفاق ، وأنكر البعض دورهم فى الثورة وقذف كل منهم بالمسئولية على من سواه (١٠) .

---

(٤) سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ١٠٧ مسلسـل عمومى ٤١٢٢ صفحة ٢٣ بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٨٨٢

انظر ايضا : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبـده : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى ، ص ١٩٠

(٥) لضرب الأمثلة على ذلك يمكن الرجوع الى دار المحفوظات . محافظ الداخلية أرقام ٤٤ ، ٤٥ ملف ١٠١ عين ٧٩ وملف ١٠٣ عين ١٦٠

(٦) أحمد أمين : زعماء الأصلاح فى العصر الحديث ، ص ٢٢٧

(٧) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة رقم ٦٢ خطاب بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٨٨٢ مرسل من رئيس قومسيون التحقيق بطنطا الى رئيس مجلس النظار .

(٨) ذكر النديم فى خطاب له الى عرابى بالمنفى أن النفاق كثر بين الناس بعد دخول الانجليز مصر .

دكتور محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السـياسية ص ٨٥ الرسالة الأولى من النديم الى عرابى بالمنفى .

بل وصل الأمر بالبعض الى اعتبار أن ما حدث للبلاد من هزيمة كان باتفاق بين انجلترا وعرابى حتى يمكنها احتلال البلاد .

La Bourse Egyptienne : 12 Juin 1900.

(٩) عبد الله النديم : كان ويكون ، جـ ١ ، ص ١٣

(١٠) محمد عمارة : الأعمال الكاملة للامام محمد عبده . بيروت — المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢ ، ص ٦٥

وبعد أن وضعت الحكومة يدها على معظم زعماء الثورة أصدر الخديو أمرا عاليا فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢ [١١] بتشكيل قومسيون « لتحقيق اقامة الدعوى على كل من ارتكب جريمة العصيان والتعدى على السلطة الخديوية سواء أكان مرتكبو هذه الجرائم مدنيين أم من زمرة العسكريين [١٢] » وصدرت الأوامر بتقديم عرابى وزملائه الى المحاكمة [١٣] وأحيطوا برقابة البوليس [١٤] وكثفت الحكومة جهودها للقبض على الذين فروا الى الخارج أو الذين لم يتيسر لها القبض عليهم فى الداخل وتم لها ذلك [١٥] ، ولم يخرج عن هذه القاعدة

---

(١١) الوقائع المصرية : العدد ١٤٩٠ فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢

(١٢) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٦ دوسيه رقم ١ ملف ٨٢ « الأمر العالى بتشكيل قومسيون التحقيق » ، سليم خليل النقاش : مصر للمصريين ، ج ٦ ، ص ٩ ، فليب جلاد : قاموس الادارة والقضا — الاسكندرية — المطبعة التجارية — المجلد الثالث ، ص ٢٦٧

(١٣) عن محاكمة عرابى وزملائه انظر :

Broodly : How we defended Arabi and his friends.

وعن المعاملة التى عومل بها فى السجن . انظر : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ ملف رقم ٢١٢ . خطاب من عرابى الى برودلى .

(١٤) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٢٢ ملف (١) خطاب من رياض باشا الى اسماعيل أيوب رئيس لجنة التحقيق .

(١٥) قبض على سليمان سامى داود ، وحسن موسى العقاد بعد فرارهما الى كريت على ظهر احدى السفن بعد ان طلبت الحكومة المصرية تسليمها وتم لها ذلك حيث ارسلت اربعة من رجال البوليس للقبض عليهما واحضارهما الى مصر .

ديوان المعية السنية عربى — صادر بالتلغرافات .

المجموعة (٣٩) ص ٤١ ، عبد الله النديم : كان ويكون ، ج ١ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩

بيوى عبد الله النديم (١٦) الذى حاولت الحكومة الترصد به والقبض عليه بكافة الوسائل (١٧) بل وأعلنت عن مكافأة كبيرة قدرها ألف جنيه (١٨) لمن يقبض عليه حيا أو ميتا ، وهددت باعدام من يؤويه هو وشيخ الحارة (١٩) أو « التمن (٢٠) » الذى يتبع له (٢١) . وأصدر

---

(١٦) يذكر اسماعيل سرهنك : أن محمد عبيد كان ضمن الفارين من المحاكمة ولكن يتضح انه استشهد فى معركة التل الكبير .
حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤١١

(١٧) احكم رجال السلطة الرقابة على والد النديم ووالدته واخيه وتتبع رجالها تحركاتهم حتى يصلوا اليه عن طريقهم ، كما كانت الخطابات الواردة الى البوستة تفرز بمعرفة اعوان الحكومة فى محاولة للوصول الى مكانه ولكن دون جدوى .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ تحت عنوان قضايا المتهمين — عبد الله النديم صاحب صحيفة الطائف ومحررها .

Delanoue (Gilbert) op. cit., p. 94.

(١٩) شيخ الحارة فى التنظيم الادارى المصرى كان يطلق على شخص يعاون السلطات فى اتصالاتها بأهل الحى نظرا لانه وثيق الصلة بهم ، وكان اختيار هذا الشخص يتم بواسطة لجنة من الأعيان مع ممثلين للشرطة ، وقد الغى هذا النظام بعد عام ١٩٦٠ على أثر استحداث البطاقات الشخصية والعائلية ويقابل شيخ الحارة فى البنادر والقرى شيخ البلد أو شيخ الناحية .
أحمد عطية الله : القاموس الاسلامى . المجلد الرابع — مايو ١٩٧٦ . النهضة المصرية ، ص ٢٠٠

(٢٠) قسمت القاهرة فى عهد محمد على الى ثمانية اقسام ، واطلق على كل قسم « التمن » اى القسم .
دكتور احمد عزت عبد الكريم : اثناء مناقشة رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة عين شمس تحت عنوان « البوليس المصرى » فى ١٩٧٨/٢/٢٢

(٢١) ارسل مصطفى رياض ناظر الداخلية بلاغا الى مأمور ضبطية مصر يطلب فيه ابلاغ « كافة الأهالى ومشايخ الحوارى والأثمان والعمد والتجار والأعيان بالمحروسة بانه اذا ظهر فيما بعد أن (النديم) كان

سلطان باشا أمرا عاليا باتخـاذ كافة الاجراءات اللازمة للقبض عليه وحبسه [٢٢] كما أصـدر الجنرال Wood القائد الانجليزى أوامره بالبحث عن النديم بكل دقة وضبطه وتسليمه [٢٣] .

ويرجع هذا الاهتمام الكبير بالقبض على النديم الى مدى خطورة كتاباته وخطبه الملتهبة [٢٤] فهو الذى أقلق الأفكار [٢٥] ونعت الخديو بأقذع النعوت ، وشن عليه أقسى الحملات وتشهد على ذلك كتاباته فى « الطائف [٢٦] » كما أنه الثورى الخطير الذى كان يخشاه الانجليز ، ومع ذلك فقد انفرد النديم بمصـير لم يشترك فيـه أحد غيره وهو الاختفـاء عن أعين السـلطة ، لأن الذى تعود التنقـل والحـركة

= مختفيا عنـد احد باى محل او سبق مروره منه او اقام عنـده ، ولم يخبر عنه الحكومة فلا يكون جزاء هـذا الشخص وشيخ حارته او شيخ الثمن الذى هو به الا الاعدام » .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٠ دوسيه ١٢٣ ملف ٢٨٥ رقم ١٩٥٩ بخصوص البحث عن عبد الله النديم وحسن موسى العقـاد وسليمان سامى .

(٢٢) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم (٤١) بعنوان « اوراق تتعلق بالجيش المصرى والثورة العرابية » وثيقة بعنوان « امر عال لسعادة سلطان باشا » .

(٢٣) دار الوثائق القومية : معية سنية عربى — صادر تلغرافات عابدين مجموعة ٢٧ دفتر ٤٣ تلغراف ٥٥٧ بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٨٨٢ ، ص ٢٥ ، محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٥ تلغرافات .
تلغراف بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢ تحت رقم ٤٠٣٧/٦٩

(24) Tignor (Robert) op. cit., p. 153.

(٢٥) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص عبد النديم .

(٢٦) انظر : الأعداد ٤١ ، ٤٢ ، ٤٢ فى ٤/٢٩ ، ١٨٨٢/٥/٦

الخاطفة [٢٧] لا يمكنه أن يطيق السجن الطويل والمصير المحفوف بالموت فأعد عدته للاختفاء [٢٨] .

هدف النديم من الاختفاء :

اختفى النديم على أمل التوجه الى الحامية المصرية فى دمياط[٢٩] وهى التى رفض قائدها عبد العال حلمى التسليم للانجليز فى أول الأمر أو السفر الى بلاد الشام ومنها الى أوربا لمواصلة الجهاد [٣٠] ، وكان نجاحه فى الاختفاء دليلا على مهارته وذكائه فبعد أن عاد من كفر الدوار الى القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ [٣١] ذهب الى داره بجهة العشماوى ليلا [٣٢] وفى الصباح أخذ ما خف حمله وخرج مع والده وخادمه وركبوا عجلة [٣٣] متجهين الى بولاق ، وهناك ودعه أبوه حيث

---

(٢٧) أحمد بهاء الدين : ايام لها تاريخ . القاهرة — روز اليوسف العدد الثالث لعام ١٩٥٤ ، ص ٢٧

(٢٨) يذكر احمد امين أن النديم عندما اعد نفسه للاختفاء فاذا به « غص ملح وذاب » انظر : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤٥

(٢٩) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ مذكرة لمجلس النظار بخصوص القبض على النديم .

(٣٠) عبد الله النديم : كان ويكون ، ج ١ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩

(٣١) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم (٥) تلغرافات .
تلغراف رقم ٤٠٣٢/٦٩ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢ من « يعقوب سامى بكفر الدوار الى جناب الجنرال وود بالاسكندرية » .

(٣٢) احمد تيمور : أعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٢

(٣٣) أحمد تيمور : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، ص ١٨ ، أعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٢
والجدير بالذكر أن الدراجة الحديثة لم يبدأ انتاجها الا فى عام ١٨٨٥ انظـر :
Encyclopaedia Britannica 1947 Volume, 3 p. 544.
لذلك فنحن نستبعد أن يكون النديم ركب عجلة بمعنى دراجة :
أولا : لأنها لم تكن قـد اخترعت حتى ذلك الوقت .

ركب النديم وخادمه الى القناطر الخيرية [٣٤] قاصدا دار أحد أصدقائه فأقام بها عشرة أيام تمكن خلالها من تغيير زيه الأفرنجى [٣٥] بثوب من الصوف الأحمر الخشن[٣٦] الذى يلبسه مشايخ الطرق الصوفية[٣٧] ويعرف باسم « الزعبوط » وتعمم بعمامة حمــراء [٣٨] وغطى عينيــه

=

وثانيا : لأن المصدر الذى اخذنا عنه هــذه المعلومة وهو « احمــد تيمور » حجة فى اللغة العربية وكان من الأولى به ان يقول دراجة بدلا من عجلة اذا كان قصده ذلك .

وثالثا : لأن النديم ووالده وخادمه ركبوا معا ، وهذا مالا تتحمــله الدراجة لذلك فنحن نستبعد ان يكون النديم ركب دراجة كما نستبعد ان يكون قصد الأستاذ تيمور بكلمة عجلة الدراجة .

ويذكر الدكتور على الحــديدى أن النــديم ووالده وخادمه ركبــوا « عربية حنطور » انظر : عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤٥

(٣٤) المقطم : العــدد ٧٨٨ فى ٩ اكتوبر ١٨٩١ مقــال بعنوان : « عبد الله النديم واسفاره فى القطر المصرى » فى حين يذكر الدكتــور على الحديدى ان النديم كر راجعا هو وخادمه الى دار صديق له يسمى مصطفى ببولاق . عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤٥

(٣٥) المقطم : العــدد ٧٨٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنــوان : « عبد الله النديم وتفصيل القبض عليه » .

(٣٦) أحمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٢

(٣٧) قد يطرأ على الذهن سؤال وهو لماذا اختار النديم زى الطرق الصوفيــة ؟

ان اختيار النديم لهذا الزى يرجع الى أن لرجال الطرق الصــوفية فى نفوس الناس منزلة رفيعة فيبالغون فى احترامهم والتمــاس البركة برؤيتهم أو التقرب منهم واكرام وفادتهم مما يجعله فى مأمن من شر الجوع، ويســهل عليــه التنقل فى سهولة من مكان لآخر كعادة رجال الصوفية دون ان يشك أحد فى أمره .

(٣٨) العمامة فى مصر شال خفيف يلف على الطربوش بعد تكويره وهى انواع منها البيضـــاء والسوداء والخضراء والحمراء ، فالبيضاء هى اللبس العادى للمصريين فى ذلك الوقت والخضراء للأشراف من نســل على ، والسوداء لباس الأقباط والصوفية السعديين ، والحمراء لبــاس بعض الصوفية من الطرق البيومية .

=

بغطاء وأمسك بيده عكازا طويلا [٣٩] وأطال لحيته وأخفى شاربه [٤٠] فصار لا يعرفه حتى أقرب الناس اليه ثم سار بخادمه ليلا الى الساحل فوجدا سفينة شراعية مقلعة الى بنها فركباها ، وتظاهر النديم بأنه من مشايخ الطرق الصوفية [٤١] فلم يلحظه أحـد بل استضافه ملاحـو السفينة تبركا به ، ولما اقتربت السفينة من بنها أغلق الكوبرى [٤٢] فأحس النديم بأن رجال البوليس سيفتشون السفينة فأخذ فى ذكر الله والتمتمة على حبات المسبحة وزاد فى تنكره فلم يشك أحـد فى أمره ، وبعد انصراف رجال البوليس انتقل النديم الى سفينة أخرى كانت فى طريقها الى دمياط لكى ينضم الى عبد العال حلمى ولكنه علم أن حاميتها سلمت للانجليز [٤٣] بعد أن أرسل الخديو انذارا لقائدها [٤٤] يطلب منه التسليم فاضطر الى تغيير خطته وألهمه وعيه الى أن يمضى الى وسط جموع الفلاحين لحمايته من عيون الخديو والانجليز [٤٥] فقصد ميت

= أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية . القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر . الطبعة الأولى ١٩٥٣ ، ص ٢٨٨

(٣٩) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

(٤٠) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٢

(٤١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠

(٤٢) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ٩ اكتوبر ١٨٩١ مقـال بعنـوان : « عبد الله النديم وأسفاره فى القطر المصرى » .

(٤٣) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من نظارة الداخلية الى مجلس النظار بشـأن عبد اللـه النـديم والمسئولين معه ، المقطم : العدد ٧٨٦ فى ٧ أكتوبر ١٨٩١

(٤٤) أرسل الخديو الى عبد العال حلمى تلغرافا بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢ يبلغه فيه بهزيمة عرابى ، ويطلب منه سرعة التسليم .
محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٢ دوسيه ٢٠٢
« أمر عال من الخديو الى أمير اللواء عبد العال باشا بدمياط » .

(٤٥) يتضح أن الانجليز فى سبيل تأمين انفسهم كقوة محتلة اهملوا جانب حفـظ الأمن العـام فى الريف المصرى واكتفوا بقـوة شـكلية هـزيلة .
عبد الوهاب بكر : البوليس المصرى ، جـ ٢ — رسالة ماجستير غير منشورة . نوقشت بآداب عين شمس عام ١٩٧٨ ، ص ٣٨٧

غمر [٤٦] ثم استأنف المسير منها بحرا الى ميت النصارى [٤٧] ، وفى الصباح ركب مركبا الى المنصورة ومكث مع خادمه فى مسجد الموافى بها ثلاثة أيام [٤٨] استضافه فيها الأهالى تبركا به ثم سافر وخادمه الى (منية الغرقى) [٤٩] اسمها الحالى « ميت الغرقا » قاصدا صديقا أزهريا له اسمه الشيخ سعيد [٥٠] فكتم سره وأكرم وفادته ، وله

---

(٤٦) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ٩ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنوان « عبد الله النديم واسفاره فى القطر المصرى » .

(٤٧) قرية قديمة اسمها الأصلى منية النصارى وكانت تابعة لمركز المحلة الكبرى ولما انشىء مركز سمنود عام ١٩٣٥ ألحقت به لقربه منه .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ ، جـ ٢ ، ص ٧٤ ولمزيد من التفاصيل انظر : أوراق انشاء وهدم العزب بمديرية الدقهلية ـ محفظة رقم ١٠ عين ٩٧ مخزن ٥ ملف ٩ وايضا دفتر قيد أسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية جـ ٢ ، رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٦ ، ص ٨٢

(٤٨) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ٩/١٠/١٨٩١ تحت عنوان « عبد الله النديم واسفاره فى القطر المصرى » .

(٤٩) قرية قديمة تقع فى منعطف ذى انحناء من الشاطىء الواقع على فرع النيل الشرقى وسميت بهذا الاسم لأن بها دوامه من تيار الماء الذى يمر بها فكل جثة تمر مع التيار من جثث الناس والحيوانات الغرقى تبقى دائرة مع التيار الى أن يخرجها الناس ، ولهذا السبب اشتهرت البلدة باسم منية الغرقى واصبح هذا الاسم علما عليها من العهد العثمانى .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٢ ، ص ٩٢

وكانت فى فترة اختفاء النديم تابعة لمأمورية بشبيش بمركز المحلة غربية . انظر : دفتر قيد اسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية جـ ٢ ، رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٧

علما بأنها تابعة الآن لمركز طلخا بمديرية الدقهلية .

(٥٠) أوضحت الكتب التى تحدثت عن النديم انه لم يذكر اسماء من آووه فى الاختفاء حتى لا تضطهدهم الحكومة وتتهمهم بالعصيان .

انظر على سبيل المثال دكتور على الحديدى : عبد الله النديم خطيب الوطنية ، ص ٢٤٧

يضع النديم فى حسبانه البقاء عنده طويلا حيث كان عازما على السفر الى بلاد الشام ومنها الى أوربا .

وكان بالقرية وقتئذ أحد مشايخ الطرق الصوفية المشهورين وهو الشيخ « شحاته القصبى [٥١] » وكان النديم من مريديه فأرسل اليه يخبره بمكانه — وكان لهذا الشيخ أتباع كثيرون يأمرهم فيطيعون ويدعوهم فيستجيبون [٥٢] — ولما علم الشيخ بعزم النديم على اللجوء الى بلاد الشام طلب منه التستر وعدم الخروج من البلاد « حتى يقضى الله تعالى بالفرج [٥٣] » . وقد كان الشيخ محقا فيما قاله فقد قبض على كل من فر من زعماء الثورة الى الخارج [٥٤] .

دور الجهاز المشرف على اختفاء النديم فى نجاح الاختفاء :

أشرف الشيخ شحاته القصبى والشيخ سعيد الأزهرى على تدبير أماكن لابعاد النديم عن عيون الحكومة كما اختارا بعض الأشخاص

=

فى حين تثبت وثائق الداخلية ان النديم ذكر اسماء كثيرين ممن آووه أنظر : محافظ مجلس الوزراء . نظارة الداخلية . محفظة ٢٢ — محضر استجواب عبد الله النديم ومذكرة مجلس النظار بخصوص القبض عليه . علما بأن النديم وان كان قد ذكر اسماء من آووه فانه ذكر ايضا أن هؤلاء لم يكونوا يعرفون انه النديم المختفى عن اعين الحكومة .

(٥١) وصف النديم هذا الشيخ بقوله « هو استاذنا الكامل المولى الفاضل الورع التقى السيد شحاته القصبى ، وهو شيخ من الصالحين المنقطعين الى الله تعالى ، ولكنه يأكل من كسبه ويقيم فى بيته ولا يطلب من الناس شيئا ولا يأخذ عوائد من مريديه كما يفعل اشياخ الطرق بل بيته مفتوح للصادر والوارد وكرمه زائد وفضله مشهور » .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٤٦

(٥٢) د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومكراته السياسية ص ١٥

(٥٣) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩

(٥٤) المصدر نفسه .

موضع الثقة لمساعدة النديم فى محنته وابلاغه بتحركات رجال السلطة ضــده أولا بأول ، كما اتفق الشيخ سعيد الأزهرى مع النديم على وضع رموز للمراسلة بينهما حتى لا يعرف مكانه أحد لو عثر على شىء من المكاتبات بينهما (٥٥) .

ظل النديم مختفيا فى بيت صديقه الأزهرى حوالى شــهر (٥٦) اضطربت خلالها أعصاب خادمه الذى ضاق ذرعا بالاختفاء ، وأخــذ يبكى طالبا العودة الى أهله ، ولمــا خشى النديم من افتضاح أمره دبر له حيلة تدل على سعة الأفق فاشترى الجريدة الرسمية وأخذ يتفحص فيها باهتمام وكان الخادم أميا — ثم أظهر الجزع والتأسف وضرب كفا بكف (٥٧) وقال « لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ولما استفسر منه الخادم عما قرأ قال : « ان الحكومة قد جعلت لمن يرشــد الى ألف جنيه ولمن أتاها برأسك خمسة آلاف فخاف الخادم وأخذ يبــالغ فى التنكر زيادة عن سيده (٥٨) ، كما غير النديم اسم الخادم من حسين الى صالح حتى يكتمل تنكره (٥٩) .

شعر النديم بقسوة الاختفاء وزاد من وحشــته المــكان المظلم الرطب الذى اختفى فيه فلم يعرف الليل من النهار ، ولم يتمكن من الكتابة أو القراءة الا على ضوء مصباح صغير من الغاز الكثير الدخان (٦٠)

---

(٥٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٧
وظلت هــذه المكاتبات ترسل اسبوعيا للنديم يكتب فيهــا خلاصــة الأخبار وما يحدث فى البلاد ،
المرجع نفسه ، ص ٢٢٧
(٥٦) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ٩ أكتوبر ١٨٩١ ، احمد تيمور : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، ص ١٩
(٥٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٠
(٥٨) المرجع نفسه .
(٥٩) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢٠
(٦٠) المرجع نفسه .

ومع ذلك فكر فى التأليف حتى يشغل وقته ، ولكن صديقه المتستر عليه نصحه بتأجيل ذلك حتى تتحسن الأحوال بقوله : « يمنعك من الكتابة الآن ظلمة القاعة واشتغال فكرك بهذه المزعجات الحاصلة •• ولو صفت الأوقات وانصرفت عنك المكدرات للزمك أن تكتب تاريخا عاما بصورة فذلكة تاريخية [٦١] » فانصرف النديم عن الكتابة وأخذ فى تعليم خادمه « القراءة والكتابة وحفظه جملة سور من القرآن الكريم [٦٢] » وقد نجح فى ذلك [٦٣] •

ولما تطاير خبر مكان اختفاء النديم الى الحكومة أرسل له الشيخ شحاته القصبى خطابا مع الشيخ محمد الهمشرى عمدة « العتوة القبلية [٦٤] » وكان أحد مريديه يقول له فيه : « قم معه ولا تبرح من عنده حتى يأتيك اذنى ولى ثقة عظيمة لتقواه وحسن صلاحه وقوة يقينه ولطف سيرته [٦٥] »

فخرج النديم مع الهمشرى الى بلدته [٦٦] ، ولم تمض بضع ساعات على مغادرته للمخبأ حتى اقتحمت الشرطة الدار وفتشته ولكن النديم كان قد سبقهم [٦٧] •

نزل النديم ضيفا على الشيخ الهمشرى • وأقام فى داره ثلاث

---

(٦١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٦

(٦٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

(٦٣) الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٥٦

(٦٤) كانت قرية تابعة لمركز كفر الشيخ غربيـة ، واستمر منصب العمودية بها فى أسرة الهمشرى مدة طويلة .

دار المحفوظات : دفتر اسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية جـ ١ ، رقم ٢٧٠٨ عين ٥٥ مخزن ٧ ، ص ٣٣٥ ، جـ ٢ رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن٧

(٦٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٤٧

(٦٦) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم .

(٦٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

سنوات ونيفا [٦٨] فأكرمه وآواه ولم يبلغ أحداً من أفراد أسرته به سوى زوجته وعن ذلك قال النديم « وكان معى فى البيت نحو أربعين نفسا لا يعلم واحد منهم من أنا بل غاية علمهم أنى رجل شريف من « جروان [٦٩] » اسمى الشيخ يوسف المدنى وقد حضرت عند صاحب البيت لأعلمه بعض العلوم الشرعية ولا أخرج من القاعة لكونى صوفيا وأكره الاجتماع بالناس [٧٠] .

النديم وتأليف كتاب « كان ويكون » فى المخبأ :

وفى منزل الهمشرى أحس النديم بالفراغ والوحدة وانتابته الوساوس والأوهام ، ولما بلغ الشيخ القصبى ذلك أرسل له رسالة يقول فيها « دع عنك هذه الوساوس والأوهام » وأشغل وقتك بما ينفعك ولا ينفعك الآن الا الالتجاء الى الله تعالى فانك فى حالة لا ينفعك فيها صديق ولا صاحب ولا يقرب منك أخ ولا خليل ، وليس بعد هذه الشدة شدة [٧١] فاستبشر النديم برسالة الشيخ وفكر فى شغل وقته بالتأليف والكتابة ووجد فى صديقه الشيخ سعيد الأزهرى معينا على امداده بالكتب والمراجع وما يحتاج اليه [٧٢] ، كما أخذ يصنع الحبر من هباب الفرن ، وبدأ يفكر فى خطة للكتابة واستقر رأيه

---

(٦٨) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠

وبالرجوع الى مختار الصحاح اتضح ان النيف يقال على ما زاد على العقد (العقد يساوى عشر سنوات) فيقال عشر ونيف ، وسبعون ونيف وثمانون ونيف حتى يبلغ العقد الذى يليه . انظر : مختار الصحاح القاهرة المطبعة الأميرية الطبعة العاشرة ١٩٦٤ ، ص ٦٨٧

(٦٩) قرية بمركز منوف كان اسمها قديما ججروان وهى من أعمال المنوفية .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٢ ، ص ٢١٦

(٧٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٨

(٧١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٤٦

(٧٢) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢١٩

على كتابة مؤلف بعنوان « كان ويكون » وبعد أن كتب المقدمة تذكر صديقا فرنسيا [٧٣] كان قد عرفه من قبل بالاسكندرية ويمتلك ضيعة قريبة من مخبأه ففكر فى الكتابة اليه لعله يجد عنده ما يساعد على ما شرع فيه [٧٤] ولما علم بذلك الشيخ الهمشرى فزع وحاول أن يثنى النديم عن عزمه ولكن النديم طمأنه بقوله « لا تخشى شيئا فانى واثق بذمته وعلو همته [٧٥] » وبعد تردد الشيخ الهمشرى نحو ساعتين حمل رسالة النديم[٧٦] الى الفرنسى فقرأها ثم أعطاها لزوجته فقرأتها ثم أعادتها اليه فمزقها زيادة فى الحذر ثم حضر متخفيا الى مكان النديم الذى أخبره بنيته على الكتابة والتأليف وطلب منه المساعدة واحضار بعض الكتب التاريخية للاستعانة بها ، ثم تناقشا فى خطة الكتابة وانتهيا بأن توضع على هيئة أسئلة وأجوبة فى المشكلات الدينية والخلافات السياسية بين الشرق والغرب على أن يقدم الفرنسى الأسئلة ويجيب النديم عليها وبعد ذلك يقوم النديم « بسرد تاريخ مصر سردا مرسلا [٧٧] » .

---

(٧٣) يذكر النديم انه تعرف عليه بالاسكندرية عام ١٨٧٥ حيث كان يتردد على الديار المصرية والأقطار العربيـة فى كل سـنة ثم يعود الى فرنسا ، وبعد مظاهرة عابدين اقام بمصر حيث تتبع الحوادث بها لاشتغاله بمسائل الشرق ، والجدير بالذكر ان النديم لم يذكر اسمه بل رمز اليه بالحرف (غ) بمعنى انه من الغربيين ، وذكر انه يجيد اللغتين العربية والتركية .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٢ ، ١٦

كما ذكر النديم ان صديقه الفرنسى طلب منه الا يبوح باسمه الا فى آخر الكتاب .

الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٥٦

ولما كان الكتاب لم يكتمل طبعه فان اسم الفرنسى لا يزال مجهولا لدينا .

(٧٤) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٢

(٧٥) المرجع نفسه .

(٧٦) عن نص الرسالة : أنظر كان ويكون ، جـ ١ ، ص ١٣ علما بأنها منشورة فى ملاحق الرسالة لأهميتها .

(٧٧) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٦

أخذ الفرنسى يزور النـــديم على فترات متقاربة ، وكان يحضر زوجته أحيانا معه لتشترك فى المناقشة وتسهم بآرائها فيها كما كان يحضر هذه المناقشة أحيانا « سعيد الأزهرى [٧٨] » صديق النـــديم وكانت تطول المناقشة أحيانا ويسهم كل منهم بآرائه فيها ، وعنـــدما تنتهى المقابلة يخلو النديم الى نفســـه ويسجل ما دار من حديث ثم يعرضه بعد ذلك عليهم قبل الخوض فى غيره [٧٩] .

تخبط أجهزة الحكومة فى تحرياتها عن النديم :

وبينما كان النديم مشغولا فى كتابه كانت الحـــكومة ترصـــد له « الجواسيس والعيـــون فى عامة البـــلاد المصرية من أســـوان الى الاسكندرية الى السويس الى دمياط الى العريش [٨٠] للبحث عنـــه وبدأت السلطات تتخبط فى تحرياتها فى حين أكدت بعض أجهزتها أنه مختف داخل المحروسة وأنهم سيستمرون فى تحرياتهم عنه حتى يتمكنوا من الوقوف على الجهة المختفى فيها والقبض عليه ، وطالبوا شـــيوخ الحارات بالقاهرة ببذل الهمة فى البحث عنه [٨١] . كان النديم يتنقل خارج القـــاهرة بين القرى والعزب ، وكلما شددت الحكومة فى البحث عنه والقبض عليه كان ينتشر الشائعات عن هروبه خارج البلاد واعتمد على صديقه الفرنسى لنشر اشاعة هروبه على احدى البواخر الايطالية

---

(٧٨) اشار النديم اليه بحرفى « سع » وهما كما يذكر نصف اسمه كما اشار الى زوجة الفرنسى بالرمز « سر » اى الست .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢١١ ، ٢١٩

وقد ذكر النديم فى محضر استجوابه بالداخلية فيما بعد إن اسم صديقـــه الأزهرى هو سعيد .

محافظ مجلس الوزراء ــ نظارة الداخلية ــ محفظة ٢٢ ــ محضر استجواب النديم .

(٧٩) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٥

(٨٠) المرجع نفسه ، ص ١٧

(٨١) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ١٠ ملف ٢٨٥

الى « ليفورنو » من أعمال ايطاليا حيث نزل ضيفا على أحد الباشوات هناك ثم انتقل منها الى فرنسا ونشرت صحيفة « روضة الاسكندرية » هـذا الخبر [٨٢] وصدقه الناس وخف بحث الحكومة عنه فى الداخـل وانتقل الى ايطاليا وفرنسـا بل بلغ الحنق ببعض كبـار الحكام أن بعث مندوبا خاصا الى « ليفورنو » ليقتله فذهب وعاد بخفى حنين ولم يقطع الا رأس مال مرسليه [٨٣] . كما أرسلت الحكومة بعض عيونها الى بلاد الشـام للبحث عنه خشية أن يكون قد فر الى هنـاك ، وعن الشائعات التى انتشرت عن اختفاء النديم يذكر « سليم النقاش » : « تعددت الأقوال فى مقره والجهة التى لجأ اليها فمن قائل أنه لجأ الى البلاد الايتاليانية ، ومن قائل أنه فر الى طرابلس الغرب وتوغل فيها ، ومن زاعم أنه أتى الى السودان وتعلق بأذيال المهدى وصار له خـلا ونديما .. وقال آخـرون غير ذلك ، ويرجـح بعض الرواة أن قدمه مستقرة فى طرابلس الغرب ، وقال قوم أنه ساع فى السفر الى جزيرة سيلان للاجتماع بعرابى ورفاقه ، والحقيقة فيما نعلم أنه أتى باريس فى الأيام الأخيرة ، ونشر فيها مقـالة أتى فيهـا على ذكر الحـرب العرابية [٨٤] » .

ثم انتقل البحث عن النديم داخل البلاد مرة أخرى حيث انتشر خبر تواجده بدمياط [٨٥] ثم أشيع بعد ذلك أنه فى داخل القاهرة ولم

---

(٨٢) روضة الاسكندرية : العـدد ٣٤ فى اول فبراير ١٨٨٣ تحت عنوان « حوادث محلية » .

(٨٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

(٨٤) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٦ ، ص ١٩

(٨٥) محافظ الثورة العرابية ــ محفظة رقم ٥ تلغرافات ــ تلغراف بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٨٢ من مدير الدقهلية الى رياض باشا يؤكد فيـه وجود النديم بدمياط .

بيرحها (٨٦) وبعد أن عجزت الحكومة فى القبض على النديم أصــدرت عليه حكما غيابيا بالنفى المؤبد وابعاده عن الأقطار المصرية (٨٧) ، ولكى تبرر فشلها فى القبض عليه نسجت حوله الشـــائعات بأنه مات حتى ينساه الناس فخرجت شائعة بأن النديم قبض عليه وقتــل خنقا فى دمنهور (٨٨) ، وأخرى بأنه انتحر يائسا (٨٩) .

أما الوطنيون فقد نسجوا حوله القصص البطولية فمنهم من قال أنه أستشهد فى معركة التل الكبير ، ومنهم من ذكر أنه ركب مع العرب وخرج الى الصحراء ، ومنها سافر الى المغرب الأقصى ومنهم من قال أنه تحت حماية أحد القناصل الأجانب (٩٠) ، وأغرب من ذلك ما ذكره النديم نفسه حول هــذه الشائعات فقال « ان رجلا دخل المضــيفة (يقصد مضيفة الهمشرى) وقعد مع صديقنا وكانت مزدحمة بالضيوف ثم قال ان عبد الله نديم عند السلطان الآن فقيل له من أين أتاك فقال انه توجه من دمياط الى الشام بمراكب البرتقال ثم سافر من يافا الى

---

(٨٦) اكد جميع مشايخ الحارات بالقاهرة ووقعوا بأختامهم أن النديم داخل القاهرة ولن يبرحها .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٠ ملف ٢٨٥

(٨٧) محافظ الثورة العرابية : محفظة ٤١ وثيقــة رقم ١٣٣٨ تحت عنوان « بيــان الأشخاص الصادر فى حقهم دكريتات بتجريدهم ونفيهم لدد معلومة » وايضا مجموعة الأوامر والانعامات العاليــة الصادرة فى سنة ١٨٨٢ ، ص ١١ تحت عنوان « امر عال بالحكم على كل من : محمد عبيد وعبد الله النديم وعبد القادر الغرياني بالابعاد من الاقطــار المصرية وملحقاتهــا » .

(٨٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٩

(٨٩) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ١٨

(٩٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٥٦

اسلامبول [٩١] فلما صار فيها صـعد على مأذنة بالقـرب من سراى السلطان بين العصر والمغرب ونادى بالآذان فلما سـمعه السلطان استحضره وسأله عن هـذا الآذان فقال له انما أذنت ليسمع مولانا السلطان ويدعونى اليه أنا عبدكم عبد الله النديم المصرى فقام السلطان واحتضنه وقال له الحمد لله على سلامتك يا ابنى ما أصل حكايتكم ، وكيف انكسرت العساكر المصرية فقص عليـه الخبر من طقطق لسلامه عليكم ففرح السلطان به وأكرمه وأمر أن يخدموه فى خدمة عظيمة فلم يقبل الخدمة ، وقال أحب أن يبعث السلطان معى عساكر لمصر ومراكب ليخلص لنـا البلاد من أيدى الانكليز [٩٢] ، كما ذكر شائعة أخـرى فقال « جاءنا رجل آخر فقـال انهم ضبطوا عبـد الله نديم فى بيت رياض باشـا [٩٣] » .

ولمـا اشتد ضغط الحكومة للقبض على النديم طلب منه الفرنسى الخروج من البلاد الى فرنسا ، ولكن النديم أعتذر له بقوله « أولى لى أن أقيم فى بلادى منتظرا تفريج كربى ولا يخفاك أن كل شىء له غاية ينتهى اليها وأمرى لا بد أن ينتهى باحـدى الغايتين السـلامة وهى المرجوة أو العطب [٩٤] » .

---

(٩١) كان لعاصمة الدولة العثمانيـة ثمانيـة أسماء هى : بيزانتين والقسطنطينية وقروق واستنبول واسلامبول ودار السعادة ودار الخلافة والاسـتانة .

وكلمة اسلامبول لفظة تركية مركبة من لفظين (اسلام) و (بول) ومعناها مكان الاسلام .

الهلال : الجزء الرابع من السنة ٤٤ فى فبراير ١٩٣٦ ، ص ٤٨٣ تحت عنوان « اسماء الاستانة » .

(٩٢) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٥٦ — ٥٧

(٩٣) المرجع نفسه ، ص ٥٧

(٩٤) المرجع نفسه ، ص ٢٤٩

ظل الفرنسى على وفائه للنديم دائم العناية به يتفقد شئونه ويسأله فى نهاية كل اجتماع بينهما هل له حاجة يقضيها ؟ فاذا أدلى اليه برغباته أسرع فى تنفيذها فكان رسوله الى طنطا والقاهرة يحضر له ما يطلبه من كتب وملابس وتبغ ويأتيه بأخبار أسرته من حين الى حين [٩٥] .

استقر النديم فى مخبئه بالعتوة القبلية حوالى عام مات بعده الشيخ محمد الهمشرى ففقد النديم بموته الأمان على نفسه ، كما أحس الجهاز المشرف على اختفاء النديم بالخطر فأخذوا يرقبون الأمور بنفوس قلقة [٩٦] ، ووكلوا الى الشيخ سعيد الأزهرى مهمة الذهاب الى النديم وتحرى الموقف منه قبل أن تكتشف الحكومة أمره [٩٧]، ولما لم يكن يعلم بأمر النديم فى « العتوة القبلية » سوى زوجة الشيخ الهمشرى فقد استدعت أكبر أبنائها الذى لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره وأخبرته « أن ضيفهم المختفى عندهم هو عبد الله النديم طريد الحكومة [٩٨] » الذى جعلت لمن يرشدها عليه ألف جنيه وسألته : « هل يطمع فى الجعل ويسلمه أم يكون كأبيه فى حفظ الجار وحماية الذمار [٩٩] » ؟ فوعدها بأن يكون كأبيه فى حفظه بقوله : « سأحافظ عليه محافظتى على عرضى ، ولن يصل اليه أحد بسوء ما دمت حيا فقالت له والدته الكريمة بارك الله فيك من شهم حازم [١٠٠] » .

هكذا حسمت زوجة الهمشرى موقف النديم تجاه ابنها الأكبر وكانت مثالا لشهامة ونبل المرأة المصرية فى المحنة وشد أزر المظلوم كما

---

(٩٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر جـ ١ ص ٢٠٨ — ٢١٠

(٩٦) دكتور على الحديدى : المرجع السابق ، ص ٢٧٤

(٩٧) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٢٢٤

(٩٨) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠

(٩٩) المرجع نفسه .

(١٠٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٠

كانت مثالا طيبا فى المروءة والشهامة والاقدام استمر النديم فى ضيافة أسرة الهمشرى نحوا من أربع سنوات ضيفا كريما (١٠١) وسره فى أمان وكتمان حيث يتضح ذلك من قول النديم لصـديقه الأزهرى « الأمر على ما تعهد من الكتمان والتحرز من افشـائه اذ لا يعلم الحقيقـة الا صاحب البيت ووالدته وقد أخبروا الشيخ خليلا لثقتهم به (١٠٢)».

تنقل النديم بين القرى والكفور :

ولمـا تسرب خبر النديم الى بعض أقارب أسرة الهمشرى وشوا به مما اضطر النديم الى الفرار ليلا من القرية ، ولم يكد يبتعد عنها حتى وصل البوليس اليها واقتحم المخبأ الذى كان به النديم فلم يجد له أثرا .

تردد النديم على كثير من القرى والكفور يصحبه السيد المغازى أحد الوطنيين من أفراد الجهـاز المشرف على اختفـائه (١٠٣) ، وكان لا يذهب الى مكان الا ويظهر باسم جديد وبشكل جديد فهو مرة شيخ من مشايخ الطرق الصوفية ، ومرة عالم يمنى اسـمه يوسف اليمنى ومرة ثالثة اسمه الشيخ محمد الفيومى ورابعـة عالم مغربى اسمه : « سى الحاج على المغربى » وخامسة بفلان اليمنى وسادسة بفـلان النجدى وسابعة بأنه حكيم ماهر حاضر من جهة الهند ومعه شـهادات

---

(١٠١) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ٩ اكتوبر ١٨٩١ — محضر التحقيق مع النديم ، وايضا : سلافة النديم ، ج ١ ، ص ١١

(١٠٢) كان الشيخ خليل ماذونا لقرية العتوة القبلية وقـد عرفته اسرة الهمشرى بالنديم حتى يسرى عنه بعد وفاة عائلها ، وقـد كتم سر النديم وازال عنه بعض الوحشة .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٢٤

(١٠٣) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من الداخلية الى مجلس النظار بشأن اختفاء عبد الله النديم .

بقدرته على الطب النظرى [١٠٤] (طب العيون) حتى بلغ عدد الأسماء التى انتحلها تسعة[١٠٥] ثم هو فى كل مرة يغير شكله ، مرة يبخر لحيته بالكبريت حتى تبيض وتظهر عليه الشيخوخة فاذا جاء الليل غسلها [١٠٦] ، ومرة يصبغها بالحناء فيصبح لونها أحمر ، ومرة يتركها كما هى ثم يقصرها ويطولها حسب الظروف مستغلا فى ذلك خبرته القديمة بالتمثيل وعن ذلك يذكر « درت فى البلاد متنكرا أدخل كل بلد بلباس مخصوص ، وأتكلم فى كل قرية بلسان يوافق دعواى التى أدعيها من قولى أنا مغربى أو يمنى أو مدنى أو فيومى أو شرقاوى أو نجدى وأصلح لحيتى اصلاحا يوافق الدعوى أيضا فأطيلها فى مكان عند دعوى المشيخة ، وأقصرها فى آخر عند دعوى السياحة مثلا وأبيضها فى بلد وأحمرها فى قرية وأسودها فى عزبة [١٠٧] .

ويذكر ولى الدين يكن أن النديم كان « يحترف الحرف ويتنقل فى الأزياء والأشكال فيوما هو واعظ ويوما هو ماجن ويوما هو عالم ويوما هو خليع [١٠٨] » .

مضى النديم يتنقل بين قرى الغربية حوالى ثلاثة شهور حتى

---

(١٠٤) ديوان خديو : وثائق عربية الى جهات — محفظة رقم ١٢ — ملف نظارة الداخلية نمرة ١ وثيقة رقم ٣٥

(١٠٥) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ مقال بعنوان مقدمه مدح ومعرفة جميل ، ص ٩

(١٠٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص١١

(١٠٧) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ مقال بعنوان مقدمه مدح ومعرفة جميل ، ص ٧

(١٠٨) المعلوم والمجهول ، جـ ١ ، ص ٢٨

استقر بقرية الكوم الطويل [١٠٩] حوالى سنتين [١١٠] على أنه عالم من الحجاز يدعى الشيخ يوسف المدنى ، وقام بتدريس الفقه والتوحيد والنحو بمسجد القرية [١١١] كما كان يخطب الجمعة فى أهاليها .

ويذكر أحمد سمير [١١٢] أن النديم أخبر بعد ذلك أن مصطفى باشا صبحى مدير الغربية عندما زار الكوم الطويل قابله « وتكلما طويلا فقال له لولا علمى بأن النديم قد مات وانقضت أيامه لقلت أنك هذا الرجل بعينه ، ولكن جل من لا شبيه له ! [١١٣] » .

---

(١٠٩) تابعة للغربية ، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت واقعة خلف كوم طويل الشكل ناتج عن خراب قرية تسمى دمقش .

وكانت تابعة لمركز كفر الشيخ ، ولما انشىء مركز بيلا فى سنة ١٩٣٨ الحقت به لقربها منه .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٢ ، ص ٣٦

(١١٠) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم .

(١١١) المقطم : العدد ٧٨٨ فى ١٨٩١/١٠/٩ مقال بعنوان : « عبد الله النديم وأسفاره فى القطر المصرى » .

ويذكر على مبارك : أنه كان بهذه القرية زاوية للصلاة .

« الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة » جـ ١٥ ، ص ١٤

(١١٢) كان صديقا للنديم وملازما له وعمل معه مدرسا للغة العربية بالجمعية الخيرية الاسلامية ، كما عمل معه صحفيا بجريدة الطائف وهو من عداد المهتمين بجمع آثار النديم بعد وفاته كما كتب مقدمة لمنتخباته المعروفة بسلافة النديم .

(١١٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ١١

لقد كان لانتشار الجواسيس فى كل مكان(١١٤) لمعرفة مكان النديم سببا فى عدم استقراره فجاءه خبر من الجهاز المشرف على اختفـائه بضرورة الخروج من « الكوم الطويل » فقابل النديم عمـدة القـرية وكشف له عن نفسه بأنه النديم طريد الحكومة ثم طلب منه حمارين يتنقل بهما هو وخادمه (١١٥) ففعل وذهب النـديم الى المحلة الكبرى وتستر هنـاك عشرين يوما متخفيا داخل وكالة (١١٦) ، ثم سـار الى

---

(١١٤) حاولت الحكومة تتبع اخبار النديم والرصد لأقاربه فى كل مكان لاخبارهم عن مكانه فتقبض على شخص من الاسكندرية يدعى محمد بركات قال انه صهر النديم فى محاوله منها لمعرفة مكان اختفائه ولكنه رفض الادلاء لهم بشىء وتجاهل معرفة مكانه .

محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ مكاتبات خاصة بالبحث عن عبد الله النديم صاحب جريدة الطائف ومحررها .

كما عثرت الحكومة على جواب فى البوستة مرسل من شخص يسمى حسن سليمان الى احمد عوام لتوصيله الى عبد اللـه نديم ، فاستدعت الحكومة الأشخاص المحرر الخطاب باسمهم وقبضت عليهم للاسترشـاد منهم عن مكان النديم .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٤١ تلغراف لناظر الداخلية ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢

(١١٥) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص عبـد اللـه النـديم بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

(١١٦) المقطم : العـدد ٧٨٨ فى ٩ أكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد الله النديم واسفاره فى القطر المصرى » وايضا محفوظات مجلس الوزراء .

نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

قرية « كفر الدبوس (١١٧) » حيث مكث بها ثلاثة شهور (١١٨) ثم قصد سنهور (١١٩) حيث أقام بطرف سيد أحمد أفندى عبد الخالق وأقام عنـــده مدة (١٢٠) ثم ذهب الى العجـــوزين (١٢١) وبعـــدها نزل الى

---

(١١٧) قرية قديمة بمديرية الغربية اسمها الأصلى منيـــة دبوس . وكانت تابعه لمركز شربين . (تابعـــة حاليـــا لمديرية الدقهليـــة — مركز شربين) .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى . القسم الثانى . الجزء الثانى ، ص ٧٩

(١١٨) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم بتـــاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

(١١٩) تابعة لمديرية الغربية — مركز دسوق وهى من القرى القديمة ولا زالت تعرف الى اليوم باسم سنهور المدينة لشهرتها القديمة بين المدن المصرية .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى . القسم الثانى . الجزء الثانى ص ٤٧

(١٢٠) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصـــوص اختفاء النديم وضبطه بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

(١٢١) كانت تابعة لمديرية الغربية مركز دسوق ،

محمد رمزى : القاموس الجغرافى . القسم الثانى ، الجزء الثانى ص ٤٥ ، بينما يتضح من دفتر اسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية جـ ٢ انها تابعة لمركز المندرة غربية وان عمدتها فى تلك الفترة كان يسمى على عبـــده داود .

دار المحفوظات : دفتر رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٧ ، ص ٢٤٥

القرشية (١٢٢) حيث أقام ضيفا لدى أحمد بك المنشاوى (١٢٣) بمنزله فى عزبة ملكه ومكث بها بين خمسة وستة شهور (١٢٤) متنكرا فى زى يمنى ومطلقا على نفسه اسم الشيخ على اليمنى .

وقد وصف النديم تنكره فى القرشية بقوله : « أدعيت أنى عالم يمنى متمكن من العلوم ، وكنت منكرا هيئتى وصوتى ولهجـه كلامى بحيث يعز على والدى معرفتى بتلك الحالة ، وكنت أجتمع بالناس فى المجالس وعلى الطعام من غير مبـالاة لعلمى أنهم لا يهتدون لمعرفتى بهـذه الصورة (١٢٥) » .

ولمـا كان مجلس المنشاوى مجلس أدب وعلم فقد تصدر النديم مكانة كبيرة فيـه ، وأخذت شـهرته فى الانتشـار حتى وصلت الى

---

(١٢٢) كانت قرية تابعة لمديرية الغربية . ويذكر على مبارك : انها قريبة من محطة السكة الحديد الواصلة الى زفتى ، وانها تابعـة لمركز الجعفرية .

الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمـة والشهيرة ، جـ ١٤ ، ص ٩٧

(١٢٣) كان احمد المنشاوى من أعيان الغربية ، ومن مؤيدى الثورة العرابية ، وقد حوكم بتهمة الانتماء الى العرابيين ولكن الأوربيين لجـأوا الى حمايته لأنه كان قد آواهم فى قرية القرشية اثناء الفتنة التى دبرها ابراهيم باشا ادهم خلال الحرب ، وقد برىء المنشاوى من التهم الموجهة اليـه غير انه ظـل يؤيد انصار الحركة الوطنية سرا . المنار : الجـزء السابع ، ص ٨٣٣ — ٨٣٥

(١٢٤) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضبطـه بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨٩١

(١٢٥) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ، ص ٩ — تحت عنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

القاهرة ولما كان رياض باشا قد قرأ مثلا يمنيا (١٢٦) من قبل وصعب عليه تفسيره أرسل سعد زغلول ـ وكان يعمل فى ذلك الوقت محررا بالوقائع المصرية ـ الى القرشية ليفسر له الشيخ اليمنى المثل فكتب له النديم الجواب (١٢٧) .

استمر النديم ضيفا على أسرة المنشاوى حوالى خمسة شهور رحل بعدها بحجه السفر الى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج (١٢٨) ثم رجع متخفيا فى زى مغربى وأطلق على نفسه « سى الحاج على المغربى » ونزل ضيفا على صديقه الأديب (محمد التميمى) وظل عنده شهرا انتقل بعده الى قرية «الدلجمون(١٢٩)» وظل بها أسبوعا ولما أحس بانكشاف أمره وعزم الحكومة القبض عليه (١٣٠) خرج الى قرية

---

(١٢٦) المثل هو : « بعلة الورشان يأكل رطب المشان » .
الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٩ ـ تحت عنوان : « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(١٢٧) جواب النديم ان الورشان بفتح الواو والراء والشين طائر والمشان بضم الميم وفتح الشين بمعنى أطيب الرطب ، والمثل يضرب لمن يظهر شيئا والمراد منه شيء آخر .

اما سبب المثل ان قوما استحفظوا عبدا لهم رطب نخلهم فكان ياكله فاذا عوتب يقول اكله الورشان .

الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٧٠ ـ ٧١

(١٢٨) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٩ ـ تحت عنوان : « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(١٢٩) قرية تابعة للغربية مركز كفر الزيات واسمها الأصلى دلجمون .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٢ ، ص ١٢١

(١٣٠) محافظ الثورة العرابية ـ محفظة رقم ٤١ ـ تلغراف من سلطان باشا تحت رقم ١١٣٣ نصه الآتى : « اما عبد الله نديم فقد قيل اخيرا انه بناحية الدلجمون طرف احد المشايخ فحررنا لوكيل المديرية بقيامه بنفسه وضبطه وارساله لضبطية مصر » .

« ابكنوش [١٣١] » حيث أقام عنــد عمدتهــا (ابراهيم حرفوش) أحينا وأحيانا أخرى (ينتقل الى دار جاره أحمد جودة وكان رجلا قوى البنان لا يبالى بظلام الليل .. فصار يصحب النديم اذا أراد الانتقال من بلد الى بلد فى الليــل الحــالك ويتجشم معــه أضــيق المسالك [١٣٢]) كما كان ينتقل أيضا الى دار الحاج اسماعيل الكردى حيث مكث عنده شهر تقريبا [١٣٣] انتقل بعده الى شباس الشهداء [١٣٤] وأقام بمنزل محمد معبد الحلاق الذى لقى عنده المروءة والكرم [١٣٥] ولمــا زاره صديقه الشاعر والأديب « محمد شكرى » بشباس الشهداء

---

(١٣١) قرية قديمة اسمها الأصلى البقتوش من أعمال الغربية .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٢ ، ص ٤٤

وهى تابعة لقسم بسيون واستمرت العموديه فيهــا لأسره حرفوش مدة طويلة .

سجل لسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية ، جـ ١ ، رقم ٢٧٠٨ عين ٥٥ مخزن ٧ ، ص ٢٨٩

(١٣٢) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢١

(١٣٣) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية ـ محفظة ٢٢ ـ مذكرة من وكيل الداخليــة الى مجلس النظار بخصوص اختفــاء النــديم وضبطــه .

(١٣٤) قريه من اعمال الغربية مركز دسوق .

القاموس الجغرافى ، جـ ٢ ، ص ٤٨ ، ويقول عنها على مبارك : انها بقسم سمنود غربى المحلة الكبرى واغلب ابنيتها بالطوب الأحمــر ، وبها مسجدان قديمان احدهما بمئذنة وأربع زوايا للصلاة .

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنهــا وبلادها القديمــة والشهيرة ، جـ ١٢ ، ص ١١٥

وكان تعداد هــذه القرية ٢٦٠٧ نفرا وزمامها ٤٠٧١ فدانا .

دفتر قيد أسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربية ، جـ ٢ رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٧ ، ص ٤١٤

(١٣٥) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١

أخذه معـه الى دسوق مدعيا أنه ابن عمه أتاه زائرا من الحجاز ومكث عنـده حوالى سته شهور عاش خلالها فى حيرة وقلق (١٣٦) ولما أحس بانكشاف أمره ومعرفة الحكومة بمكانه (١٣٧) انتقـل الى « شـباس الشهداء » ولكنه لم يمكث بها طويلا حيث عاد الى دسوق ومكث بهـا ستة أشهر أخرى (١٣٨) خرج بعدها الى البكاتوش ولحقت به زوجته بينما أقام خادمه وزوجته بالجميزة (١٣٩) .

لقد قاسى النديم الويلات فى فترة الاختفاء حيث مرت به لحظات تعاسة وشقاء كانت تثور لها نفسه وتتوتر منها أعصابه أحيانا . فمثلا كان يجـد نفسه حبيسا فى حجرة مظلمة قذرة يفصل فى منازعات بين زوجته وزوجة خادمه على زاد بسيط أو تقسو عليـه زوجته وتسىء معاملته (١٤٠) الى حد أن تلطمه على فمه ، ومع ذلك كان يترضاها كارها ويصالحها حتى لا يتركها ترشد عنه ، ويزيد من همه ما يقرأه فى الصحف

---

(١٣٦) عبـد الرحمن شـكرى : ديوان عبـد الرحمن شـكرى ، الاسكندريه ـ منشاة المعارف ١٩٦٠ ، ص ٢

(١٣٧) لما علمت الحكومة بـواجد النديم بدسوق احاطها رجالهـا بالخفر وهاجمـوها وفتشوها تفتيشـا دقيقـا ، ولكن كان النديم قـد خرج منهـا .
محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ خطاب من مدير الغربية الى معاون اول البوليس .

(١٣٨) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٣

(١٣٩) قريه من قرى الغربية تابعه لمركز السنطة وقريبة من قرية القرشـية .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، جـ ٢ ، ص ٤
ولمزيد من التفاصيل عن هـذه القرية وعمدتها الشيخ ابو العـزم الدسيونى . انظر : دفتر قيد أسماء المشايخ والعمد بمديرية الغربيـة ، حـ ٢ ، رقم ٢٧٠٩ عين ٥٥ مخزن ٧

(١٤٠) احمد تيمور : أعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٦

أن سلطان باشا وبعض الأعيان يقدمون الهدايا والنياشين لقواد جيش الاحتلال فتثور نفسه ويبكى وأحيانا كان يشعر بالخطر يهدده فيشتد فى الاستخفاء حتى أنه ظل بقاعه مظلمة يرشح المـاء من أرضها لقربها من ترعة لمـدة تسعة أشهر لأن الشرطة كانت فى مكان قريب منه تجد فى البحث عنه أو أن تجيئه الأنباء أن والده ووالدته وشقيقه فى حالة من الضنك الشديد لتضييق الحكومة عليهم (١٤١) أو لأنهم مشردون فى البلاد تتعقبهم السلطات (١٤٢) ويلازمهم البوليس السرى فى كل مكان للاستدلال على مكانه . ويقبض عليهم أكثر من مرة ، وتعمـل معهم التحقيقات لمعرفة مسـتقره (١٤٣) فلا يسعفهم أحـد بل ينفر كل من يلوذون اليه أو أن كتبه ومؤلفاته التى أنفق فيها تسعة عشر عاما سقطت فى النيل أثناء هجرة أهالى الاسكندرية بعد ضربها (١٤٤) ولكن انهماك

---

(١٤١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢١٠

(١٤٢) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ — اوراق بخصوص عمل تحريات عن تنقلات اسرة النديم .

(١٤٣) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ خطاب من وكيل ضبطية مصر الى مدير الغربية بخصوص تعقب والد ووالدة النديم والقبض عليهما للتحقيق .

(١٤٤) عندما ضربت الاسكندرية ، وهاجر منها اهلهـا وضـع والد النديم كتب ابنـه فى ثلاثة صناديق كبار ، وشحن بهـا عربة من عربات السكة الحديد فلما وصلت الى كفر الزيات ازدحم المسافرون من المهاجرين وغيرهم ازدحاما هائلا فاضطر عمال السكة الحـديد الى القـاء هـذه الصناديق مع باقى أمتعة الركاب فى النيل حتى يركب الناس مكانها .

انظر عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٩

والجدير بالذكر ان معظم مؤلفات النديم فقدت اما غرقت فى النيـل كما ذكرنا أو سرقت كما حدث عندما غافله خادمه اثناء مقامه بالمنصـورة وسرق بعض متاع البيت ومنها الكتب وهرب أو اغتصبت حيث كان النديم اذا سود شيئا جاء اليـه من يستعيره منه ثم لا يرده اليه وقد فعل معه ذلك جماعة من القـاهرة والاسكندرية والمنصورة .

النديم فى الكتابة وقراءته للكتب التى كان يحضرها له صديقه الشيخ سعيد الأزهرى (١٤٥) واحساسه بحب الناس له والوقوف بجانبه كان كل ذلك يخفف من آلامه ، ويبعث فى نفسه القدرة على تحمل محنة الاختفاء .

لقد أتاحت فترة الاختفاء للنديم من الفراغ ما مكنه من الاشتغال بالقراءة والدراسة والتأليف وقد عبر عن ذلك فى خطاب له أرسله لصديقه الأزهرى قال فيه « التزمت صرف أوقاتى فى كتابة ما عساه أن يكون نافعا لاخوانى ولم يصرفنى سوء الأخبار عما تعهده فى من حب الخدمة العامة (١٤٦) » .

لقد أتم النديم فى فترة الاختفاء عشرين مؤلفا ويتضح ذلك من قوله : « وقد تم لى الآن عشرون مؤلفابين صغير وكبير فانظر الى آثار رحمة الله اللطيف الخبير ، كيف جعل أيام المحنة وسيلة للمنحة والمنة (١٤٧) » طلبت زوجة النديم زيارة زوجة خادمه بالجميزة فسمح لها ، وهناك تشاحنت الزوجتان فهرول الخادم مسرعا الى البكاتوش لابلاغ النديم (١٤٨) الذى خشى انكشاف أمره فأسرع الى الجميزة

انظر : عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ١٥

كما ان بعض مؤلفات النديم قد حرقت كما حدث فى بلدة بدواى (دقهلية) عندما حرق بعض المتآمرين من انصار عمدة البلدة بيت النديم بما فيه من كتب بعد فراره منه ، ومع ذلك فان ما تبقى من مؤلفاته يكفى للحكم عليه .

(١٤٥) كانت هذه الكتب عبارة عن « تفسير ابى السعود للقرآن العظيم وقاموس الفيروزابادى والوافى وجغرافية المرحوم رفاعة » .

عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٢٠٧

(١٤٦) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٥

(١٤٧) الأستاذ : العدد الرابع عشر فى ٢٢ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٣٢٠ — ٣٢٣

(١٤٨) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٦

متنكرا تحت اسم الشيخ ابراهيم الشهاوى ليصلح بينهما (١٤٩) فعرفه السيد أبو العزم البسيونى عمدة ناحيـة الجمـيزة كما عرمـه على أبو سليمان شيخ خفرائها (١٥٠) ولكنهما لم يخـبرا أحـدا بحقيقـة أمره (١٥١) ، وبقى النـديم هناك شهرين طاب له خلالهما المقام والتف حوله العمدة والشيخ عبد الغنى العالم بالبلدة (١٥٢) وبعض الأهـالى لتلقى العلم منه ليـلا والاستماع الى وعظه ومسامراته (١٥٣) .

الوشاية بالنديم والقبض عليـه :

وفى أثناء تواجد النديم بالجميزة اشتبه فيـه رجلان أحـدهما يسمى حسن الفرارجى الجهادى وكان قبـل أن يحال الى المعاش من عساكر البوليس السرى الذين اشتركوا فى البحث عن النديم والآخر يسمى سيد أحمد الهيتمى (١٥٤) .

وقـد ذكر حسن الفرارجى لجريدة المقطم كيفية اشـتباهه فى النـديم فقال : « انه كان ذات يوم فى بستان له بضواحى الجميزة فلقى رجـلا يقرأ بعض الكتب ، وقد جلس مأذون القرية الى جانبه وجلس رجل آخـر بعيدا عنهما وكان هـذا الرجل خادم نديم ، فلما رأى عبد الله نديم حسنا المشار اليه مقبلا غطى وجهـه بطرف ثوبه ،

---

(١٤٩) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢٣

(١٥٠) ديوان المعية السنية عربى — المجموعة ٣٦ سجل رقم ٥٣٨٠٤ ص ١ وثيقة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

(١٥١) محفوظات مجلس الوزراء . نظارة الداخلية . محفظة ٢٢ — مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضبطه .

(١٥٢) ديوان المعية السنية عربى — المجموعة ٣٦ سجل رقم ٥٣٨٠٤

(١٥٣) أحمد تيمور : المرجع السابق ، ص ٢٣ — ٢٤

(١٥٤) ديوان المعيـة عربى . المجموعة ٣٦ سجل رقم ٥٣٨٠٤ ، ص ١ ، وثيقة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

فاشتبه فيــه (١٥٥) » وأخذ يراقبه ويتردد عليه ووطد صلته به حتى أن النديم أرسله مرة الى الكوم الطويل لقضاء بعض حاجياته (١٥٦) ولمــا تأكد الرجلان أن الموجود بالجميزة ما هو الا شخصية هامة هاربة من الحكومة (١٥٧) تقدما الى المعية السنية بعرضــحال ذكــرا فيــه شكوكهما (١٥٨)» ولدى الاستفهام منهما شفاها عنه وصفاه بأنه متوسط القامة بعيون واسعة قمحى اللون بشنب أصفر ودقن كوسه (*) مقيم بناحية الجميرة بمركز السنطة بطرف رمضان الجحش وأن الشائخ على أبو سليمان وسيد على البسيونى هما المتستران عليــه ، وقيــل أن أحمد المنشاوى جارى الصرف عليه (١٥٩) » فأفهمتهما الداخليــة أن هنــاك رجلين تود الاهتداء اليهما وهما محمد عبد وعبد الله النــديم فذكر حسن الفرارجى لرجال الداخلية أنه يعرف محمد عبيد حق المعرفة وأكد بأن الرجل المختفى هو عبد الله النــديم (١٦٠) ، فزودته الداخلية

---

(١٥٥) المقطم : العــدد ٧٨٥ فى ٦ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنوان : « عبد الله النديم » .

(١٥٦) ديوان خديو : وثائق عربية الى جهــات . محفظة رقم ١٢ ملف نظارة الداخلية ــ وثيقة رقم ٣٥ بتاريخ ١٩ اكتوبر ١٨٩١

(١٥٧) بعد حوادث الثورة العرابية اصدر الخديو توفيق امرا بأنه يجوز لأى شخص القبض على اى شخص آخر هارب من المحاكمة .

دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء ــ محافظ الداخلية . محفظة رقم ٥

(١٥٨) دار الوثائق : ديوان المعية السنية عربى ــ المجموعة رقم ٣٦ سجل رقم ٤٥٣٨٠ ، ص ١ مكاتبة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

(*) تعنى ذقن مخروطية او ظاهرة .

(١٥٩) دار الوثائق : ديوان المعية السنية عربى . المجموعة ٣٦ ــ رقم ٤٥٣٨٠ ، ص ١ مكاتبة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

(١٦٠) المقطم : العــدد ٧٨٥ فى ٦ أكتوبر ١٨٩١ تحت عنوان : « عبد الله النديم » .

هو وزميله بصورة النـــديم (١٦١) وصفاته وأوصافه (١٦٢) فعادا الى الجميزة وأخذا يدققان النظر فيـــه فوجدا أن أوصافه مطابقة للصورة التى معوما (١٦٣) وليس كما ذكرا لامعية السنية من قبل (١٦٤) فهــرعا الى القاهرة وقدما طلبــا الى المسئولين بالقصر ذكرا فيـــه أن أوصاف الرجل الموجود بالجميزة مشابهة لمواصفات الداخلية فبعد تحققهما منه وجداه رجلا قصير القامة أسمر اللون رفيع الوجه قائمـــا بمنزل على العاملى بجوار مقام الشيخ عيسى (١٦٥)، وأكدا معلوماتهما واكتشافهما، كما ورد للداخلية أيضا خطاب وتلغراف من رجل يدعى محمد عشماوى يذكر أنه يعرف مكان النديم ويحتفظ بحقه فى المكافأة (١٦٦)، ولمـــا وصل

---

(١٦١) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤

(١٦٢) كان يوجد بقلم السوابق الذى صدر به امر عال فى نوفمبر ١٨٩٠ صحيفة للهاربين من المحكوم عليهم مشتملة على :

١ — اسم المحكوم عليه ولقبه وشهرته ويكتب ذلك بالثلث .
٢ — اسم والده ولقبــه .
٣ — عمره ومحل ولادته واقامته .
٤ — صــنعته .
٥ — حالته الشخصية (كونه عانسا او متزوجا أو عزبا) .
٦ — أوصافه الجسمية والعلامات المميزة له .
٧ — بيان المحكمة التى حكمت عليه وتاريخ الحــكم ونوع العقوبة ومقدارها ونوع الجناية او الجنحة وتاريخ ارتكابها ومحل وقوعها .
٨ — بيان كون الحكم حضوريا أو غيابيا .

دار الوثائق — محفوظات مجلس الوزراء — محفظة رقم ٧ حقانية — الأمر العالى الخاص بانشاء قلم السوابق .

(١٦٣) المقطم : العـــدد ٧٨٥ فى ٦ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنـــوان : « عبد الله النديم » .

(١٦٤) نعتقد ان هـــذا قد حدث لكون النديم دائم التغيير والتبديل فى شكله وملابسه حتى لا يعرفه احد .

(١٦٥) ديوان المعية السنية عربى — المجموعة ٣٦ رقم ٤٥٣٨٠ ، ص ١ مكاتبة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٩١

(١٦٦) ديوان خديو . وثائق عربية الى جهات . محفظة رقم ١٢ ملف نظارة الداخلية . قلم عرضحالات مسلسل ٢٥٩

الخبر الى الخديو اهتم بالأمر وأمر بتكليف مدير الغربية بالتحرى عن هـذا الموضوع ومعرفة الحقيقه [١٦٧] وعلى أثر ذاك صدرت الأوامر الى محمـد أفندى فريد وكيل حكمدار البوليس بالقبض على النديم فتنكر بملابس ملكية ، وتظاهر أنه من تجار الأقطان ، ودفعا للشبهات لم يجتمع بأحد من رجال الحكومة فى المركز بل أرسـل تعليماته الى معاون بوليس السنطة أن يعد قوة عسكرية من المشاة والفرسان فامتثل المعاون للأمر دون أن يعلم القصد من ذلك[١٦٨] ثم طوق القرية بالجنود وأمر الخيالة أن ينتشروا فى الناحية خوفا من فرار النديم ولـ « أزف وقت صلاة العشاء .. دعا اليه عمدة الناحية سرا ثم بث العساكر وأمرهم أنيحاصروا المساجدويمنعوامن بها من الخروج.. و.نا وكيل الحكمدار حتىوقف بالقرب منباب المنزل الذى قيل أن الرجل مختبىء فيـه ومعه عمدة الناحية ثم أمر العمدة أن ينادى باسم الشيخ ابراهيم حيث كان النديم مختفيا تحت هـذا الاسم فامتثل العمدة وكرر النداء فأجابته امرأته من الداخل أن الشيخ فى الجامع [١٦٩] » وكان النـديم فى البيت فأراد أن يأخذ حيطته حيث صعد الى سطح المنزل للاختباء ، ولكن اثنين من رجال الضبطية كانا يقفان على رابية عاليـة لمراقبـة ما يجرى على سطح المنزل فلما لمحا به حركة غير عادية أبلغا رئيسهما الذى أمر بحشو البنادق وحمل السلاح [١٧٠] ثم أحاط رجال البوليس بالدار وأخذوا يطرقون الباب طرقا عنيفـا ، ولـما أيقن النـديم أنه مأخوذ لا محالة فتح لهم الباب وواجههم بكل جلد [١٧١] فلم يعرفه قائد

---

(١٦٧) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ص ٨٧٤

(١٦٨) المقطم : العـدد ٧٨٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد النديم وتفصيل القبض عليه » .

(١٦٩) المقطم : العـدد ٧٨٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنـوان : « عبد النديم وتفصيل القبض عليه » .

(١٧٠) المقطم : العدد ٨٧٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١

(١٧١) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤

القوة حيث كان مرتديا زى الدراويش وعلى رأسه عمامة خضراء مكورة ومطلقا لحيته (١٧٢) فسأله عن اسمه فقال له « سبحان الله أتجهل اسمى وأنت مأمور بالقبض على ، أنا عبد الله النديم (١٧٣) فقبض عليه ثم قبض على خادمه وكان ذلك فى ليلة السبت ٣ أكتوبر ١٨٩١ (١٧٤) ، ومن حسن حظ النديم أن رجال البوليس لم يلحظوا كتبه وأوراقه (١٧٥) .

أرسل النديم وتابعه الى « السنطة (١٧٦) » فى حالة من التكتم الشديد حتى لا يعرف الناس خبر ظهوره خشية الفتنة (١٧٧) ، وعومل معاملة طيبة ويتضح ذلك من قوله : « وعندما دلت الحكومة على لم تبعث رجلا فظا للقبض على بل بعثت رجلا مهذبا هو محمد أفندى فريد وكيل حكمدارية الغربية اذ ذاك فاشتد فى أول الأمر وأراد أن يكتفنى

---

(١٧٢) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ٤٨٧

(١٧٣) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤

(١٧٤) دار الوثائق : معية سنية عربى . صادر تلغرافات عابدين مجموعة ٢٧ دفتر ٦١ تلغراف رقم ١٠٩٠ من ريس ديوان خديو الى سعادة وكيل الداخلية بمصر فى ٤ اكتوبر ١٨٩١ وأيضا محفوظات مجلس الوزراء نظارة الداخلية — محفظة رقم ٢٢ — مذكرة من الداخلية الى مجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضبطه .

علما بأن عبد الفتاح نديم ذكر ان القبض على شقيقه كان فى نوفمبر ١٨٩٥

انظر : سلافة النديم ، ص ١٢

(١٧٥) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥

والجدير بالذكر انه صدر أمر عالى فى ١٧ فبراير ١٨٩٠ بشأن مصادرة الأشياء التى يصير ضبطها فى وقائع الجنايات والجنح والمخالفات بمعرفة الهيئة القضائية .

انظر محفوظات مجلس الوزراء . الحقانية محفظة ٨ / د / ١ مجموعة ١٣٦ حقانية .

(١٧٦) احدى مراكز الغربية وبها محطة للسكة الحديد ، واسمها المصرى القديم سدمنت .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى . الجزء الثانى . القسم الثانى ص ٩

(١٧٧) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ٤٨٧

فلما ذكرته بأنى مذنب سياسى لا مجرم جنائى انصاع لأفكارى وتلطف بى وتساهل معى [١٧٨] » .

بدأ التحقيق مع النديم وخادمه كل منهما على انفــراد وابتــدأ بالخادم الذى أقر بكل شىء خشية الضرب والتهــديد فشرح باسهاب أسماء الجهات التى اختبأ فيهــا وأسماء من تستروا على سيده [١٧٩] وكيفية حصولهما على المئونة والمــال [١٨٠] ثم استجوب النديم فذكر أنه لم يكن له محل اقامة مخصوص وأدلى بأسماء من آووه [١٨١] مع أنه أنكر أنهم يعرفون حقيقته [١٨٢] فقد قبض عليهم البوليس وأودعوا

---

(١٧٨) الأستاذ : العــدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٧ تحت عنوان : « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(١٧٩) الأستاذ : العــدد السابق الذكر ، ص ٨
أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥

(١٨٠) المقطم : العــدد ٧٨٤ فى ٥ اكتوبر ١٨٩١ تحت عنــوان : « عبد الله النديم وتفصيل القبض عليه » .

(١٨١) يثبت ذلك المذكرة المقدمة من نظارة الداخلية الى مجلس النظار بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١

انظر : محفوظات مجلس الوزراء . نظارة الداخلية . محفظة ٢٢ كما يؤكد ذلك كل من عبد الفتاح نديم فى سلافة النديم ، ص ١٢ ، المقطم : فى العدد ٧٨٤ بتاريخ ٥ اكتوبر ١٨٩١ بينما يذكر أحمد تيمور : ان النديم أنكر الادلاء بأسماء من آووه بقوله « وسألوه عمن اختفى عنــدهم فلم يقــر بأحــد » .

انظر : تراجم اعيان ، ص ٢٥

(١٨٢) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص ٨ تحت عنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

لقد انكر النــديم فى محضر التحقيق ان المنشــاوى كان على علم بشخصيته حين نزل ضيفا عليه .

انظر : محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة ٢٢ مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بخصوص اختفاء النديم وضــبطه فى ١٢ اكتوبر ١٨٩١ كما اكد ذلك على صفحات مجلة « الأستاذ » بقوله :

السجن (١٨٣)

نقل النديم الى طنطا للتحقيق معه فى النيابة وكان قاسم أمين رئيس النيابة طنطا فأحسن معاملته (١٨٤) واعتنى بأمره، فأمر بأن ينظف مكانه بالسجن (١٨٥). ولا يمنعه أحد من شرب القهوة والدخان كما أرسل له أحد

=

« اذا كان منشاوى باشا يعلم شانى وانى نديم لأخفانى عن أعين الناس خوفا على مظهره وشرفه ان يمس اذا قبض على عنده » .

الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٩

ولكننا نعتقد ان النديم قد فعل ذلك حفاظا على سمعة من أكرموه فى محنته وان المنشاوى كان يعرف حقيقته ، ودليلنا على ذلك ان البكباشى « محمد فوده » وهو من الوطنيين كان يزور النديم بعلم المنشاوى كما حضر هو والمنشاوى عقد زواج النديم بالعزبه التى كان مختبئا فيها بل احضرا له ملابس .

محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية — محفظة رقم ٢٢ — مذكرة لمجلس النظار بخصوص عبد الله النديم بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨٩٣

أما عن قول النديم بأن المنشاوى لو كان يعلم شانه لأخفاه عن اعين الناس فكلنا نعلم مدى اتقان النديم لفن الاختفاء .

(١٨٣) دار الوثائق : ديوان المعية السنية عربى . مجموعة ٣٦ سجل ٤٥٣٨٠ ، ص ٢ بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٨٩١ ، المقطم : العدد السابق الذكر .

(١٨٤) احمد خاكى : قاسم امين . القاهرة — لجنة دائرة المعارف الاسلامية — اعلام الاسلام ، ص ٩ وايضا :

قاسم أمين ١٨٦٣ — ١٩٠٨ . القاهرة . دار المعارف ١٩٦٥ ، ص ٣٤

(١٨٥) عن السجن الذى احتجز فيه النديم بطنطا .

انظر : دار المحفوظات . محافظ الداخلية . القسم الافرنكى عين ٨٤ مخزن ٢٧ تحت عنوان : تقرير عن حالة سجون الغربية بتوقيع قاسم امين رئيس نيابة طنطا .

الأشخاص للتأكد من حسن معاملته [١٨٦] وعندما استدعاه للاستجواب قال له « أنت حر فى كلامك فقل ما شئت [١٨٧] » . احتجزت نيابة طنطا النديم حتى تم الاتصال بالمسئولين فأخطرت المعية السنية ونظارة الداخلية بالقبض عليه [١٨٨] كما اتصل قاسم أمين بالنائب العمومى بخصوص النديم فجاءه الرد بأن المسألة ادارية لا تخص المحاكم [١٨٩] .

والجدير بالذكر أن الواشيين بالنديم كتبا الى المعية السنية يطلبان المكافأة ، ولكنها كانت موقوتة بعام واحد ، ولما كان قد مضى على اختفاء النديم أكثر من تسعة أعوام فانه لم يتيسر لهما صرفها مما دفع المعية السنية الى صرف مكافأة لهما من مصاريف البوليس السرية [١٩٠] .

لقد أحدث خبر القبض على النديم دويا شديدا فى الأوساط الحكومية والشعبية فتحدث الناس عنه ، وذكروا ماضيه الوطنى وكثرت الظنون واختلفت الآراء فى شأنه [١٩١] وأخذ الغضب يشتد فى النفوس من الرجلين اللذين بلغا عنه حتى أنهما أرسلا الى المعية السنية يقولان أنه بالنسبة لكونهما أخبرا عن النديم أصبحا غير آمنين على مالهما

---

(١٨٦) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٩ ، ١٠

(١٨٧) نفسه .

(١٨٨) المقطم : العدد ٧٨٤ فى ٥ أكتوبر ١٨٩١ تحت عنوان : « عبد الله النديم وتفصيل القبض عليه » .

(١٨٩) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ١٠

(١٩٠) دار الوثائق . ديوان المعية السنية عربى . مجموعة رقم ٣٦ سجل رقم ٥٣٨٠، ٤ صفحة ٢ بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٨٩١

(١٩١) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٤ ، تحت عنوان « شكر النعم » .

وحياتهما ويلتمسان التأمين عليهما (١٩٢) .

اجتمع مجلس النظار ووالى اجتماعاته للنظر فى أمر النديم بعد مدة اختفائه الطويلة ، وفى الخطة الواجب اتخاذها (١٩٣) وتداولوا فيما ينبغي تقريره فرأت نظارة الداخليه ابعاده الى جهة « بيزا » أو ما يماثلها (١٩٤) كما عرض كتشنر باشا على المجلس ابعاد النديم الى جهة « سواكن » فاستصوب الخديو رأيه (١٩٥) ، ولكن تغير هذا الرأى فى الجلسة المنعقدة بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨٩١ حيث قرر المجلس « عملاً بالأمر العالى الرقيم أول يناير ١٨٨٣ القاضى بتبعيد عبد الله النديم من الأقطار المصرية تقوم نظارة الداخلية بتبعيد المذكور لاحدى مدن بر الشام ، وعند نزوله فى الوابور يعطى له خمسون جنيها على سبيل المساعدة (١٩٦) » واطلاق سراح الذين ساعدوه فى

---

(١٩٢) دار الوثائق : ديوان خديو — وثائق عربيه الى جهات . محفظة رقم ١٢ ملف نظارة الداخليه رقم (١) وثيقة رقم ٢٥ بتاريخ ١٨٩١/١٠/١٩

وايضا ديوان المعية السنية عربى المجموعة ٣٦ سجل رقم ٤٥٣٨٠ ص ٣ بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٨٩١

(١٩٣) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ٤٨٧

(١٩٤) دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخليه محفظه رقم ٢٢ مذكرة من وكيل الداخلية لمجلس النظار بتاريخ ١٢ اكتوبر سنة ١٨٩١

(١٩٥) دار الوثائق : معية سنيه عربى . صادر تلغرافات عابدين — مجموعة رقم ٢٧ دفتر ٦١ تلغراف رقم ١٠٩٣ بتاريخ ٦ أكتوبر ١٨٩١ . تلغراف من رئيس ديوان خديو الى سعادة وكيل الداخليه بمصر . وايضا المنار : العدد ٧٨٦ فى ٧ اكتوبر ١٨٩١

(١٩٦) دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية محفظة رقم ٢٢ — « مذكرة الداخلية بشأن عبد الله النديم والمسؤلين معه » بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١ ، الوقائع المصرية : العدد ١١٨ فى ١٩ اكتوبر ١٨٩١ ، وايضا عبد الفتاح نديم : سلافة النديم ج ١ ص ١٢ فى حين يذكر الدكتور على الحديدى أن النديم منح مائة وخمسون جنيها . انظر : عبد الله النديم خطيب الوطنية ص ٣٠٠

الاختفاء (١٩٧) ، وجاءت الأوامر الى مدير الغربية بارسال النديم الى الاسكندرية حتى ينقل منها الى بر الشام .

نزل النديم فى قطار السكة الحديد يخفره جماعة من الجند ومعاونو المديرية ومنع رجال السلطه الناس من رؤيته(١٩٨) ولما وصل الى الاسكندرية وضع فى سجن الضبطية (١٩٩) حتى وصلت السفينة « وابور الرحمانية (٢٠٠) » احدى بواخر الشركة الخديوية المسافرة الى يافا (٢٠١) حيث نقلته الى محل نفيه ، وقد ودعه أقرباؤه ومحبوه كما ودعه عثمان باشا عرفى محافظ الاسكندرية (٢٠٢) .

أبحر النديم الى يافا فوصلها فى ١٥/١٠/١٨٩١ (٢٠٣) حيث استقباه أهلها كما استضافه « السيد على أفندى أبو المواهب

---

(١٩٧) محفوظات مجلس الوزراء : نظارة الداخلية . محفظة رقم ٢٢ « مذكرة الداخلية بشان عبد الله النديم والمسئولين معه » بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٩١ ، وايضا : المقطم : العدد ٧٩١ فى ١٣ اكتوبر ١٨٩١

(١٩٨) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص ٤٨٧

(١٩٩) المقطم : العدد ٧٩٢ فى ١٥ أكتوبر ١٨٩١

(٢٠٠) الوقائع المصرية : العدد ١١٨ فى ١٩ أكتوبر ١٨٩١

(٢٠١) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، ج ٤ ص٤٨٧

(٢٠٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٢ .

وقد ذكر النديم فى مجلة « الأستاذ » بعد ذلك أن عثمان عرفى حاول استدراجه لمعرفة أن الذين آووه كانوا يعرفون حقيقته ، ولكنه احس بغرضه وفوت عليه مطلبه .

انظر : الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ : ص ٨ ، تحت عنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(٢٠٣) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول من تاريخ مصر من ابتداء سنة ١٨٩١ كراسة رقم ١٤

مفتيها [٢٠٤] » لمدة شهر ثم اتخذ النديم لنفسه دارا أصبحت مقرا للأدباء والعلماء وشغل نفسه هناك بالتأليف فكتب عن طائفة السامرة [٢٠٥] كتابا سماه « التذكره العامرة بأحوال السامرة » تحدث فيه عن دينهم وتاريخهم [٢٠٦] كما ألف كتابا بعنوان « النحلة فى الرحلة [٢٠٧] » رثى فيه الخديو توفيق لموافقته على الاكتفاء بنفيه كما ذكر فيه فضلاء الشام وأمراءها [٢٠٨] .

العوامل التى ساعدت النديم على الاختفاء :

انه لمن النادر أن يتحمل انسان ما تحمله النديم من محن ومناعب ومصاعب أثناء فترة الاختفاء دون أن تضعف نفسه أو ينستسلم ولكن نفسه القوية وعزمه المتين وثقته بالله تعالى كانت تفوق كل الصعاب .

وفيما يلى نذكر العوامل التى ساعدته على تحمل محنة الاختفاء :

١ ـ الايمان بالله والثقة فى قدرته :

عندما شددت الحكومة فى البحث عن النديم وملأت صحفها

---

(٢٠٤) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٥

(٢٠٥) الأستاذ : العدد الحادى عشر فى اول نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٥٩

(٢٠٦) شعب من شعوب الفرس يقال لهم السامرية استوطنوا مدينة نابلس ولهم كتبهم الدينية ومعتقداتهم الخاصة بهم الخطط التوفيقية ، ﺣ ١ ص ٩٣

(٢٠٧) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ٤ ، ٥ تحت عنوان « شكر النعم » .

(٢٠٨) نفسه ، ص ٥

بالمفتريات عليه وعلى زملائه من الثوار [٢٠٩] قال « أما ثقتى بالله تعالى فانها أكبر وأعظم من خطوبى وكروبى .. وانه لا يقع الا ما يريده الله تعالى وأن العبيد لا يمكنهم أن يحدثوا فى الكون ذرة أو يغيروا شيئا من مراد الله تعالى [٢١٠] » .

مما يوضح ايمانه بالله والثقة فى أنه لن يصيبه الا ما أراد الله له .

٢ ـ قدرته الفائقة على التنكر :

كان لدى النديم مقدرة فائقة على اجادة فن التنكر اذ كان يجوب البلاد منكرا هيئته ولهجة كلامه منتحلا شخصيات مختلفة [٢١١] وأعمال متنوعة بحيث كان يصعب على أحد حتى أقرب الناس اليه معرفته [٢١٢] ويعلل البعض معرفة النديم للهجات العربية المختلفة أنها ترجع الى أنه نشأ وهو صغير فى منزل يجاور سوق المنشية بالاسكندرية ، وفى هذا السوق كانت حوانيت الشوام والمغاربة والحجازيين [٢١٣] .

---

(٢٠٩) يذكر برودلى أن محتويات الجرائد العربية كانت ملئية بالمفتريات على العرابيين .

Broadley : How we defended Arabi p. 113.

كما ذكر الخواجة الفرنسى للنديم انه قرأ فى الجرائد العربية اخبار غريبة ورسائل هجو ضده .

كان ويكون ، جـ ١ ص ٢١٠

ولا يخفى علينا أن اهم الجرائد الموالية للاحتلال والتى هاجمت الثوار بأسلوب عنيف هى جريدة المقطم حال الاحتلال .

(٢١٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٥

(211) Afaf Lutfi-al Sayyid : Egypt and Cromer p. 156.

(٢١٢) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ص ٩ تحت العنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(٢١٣) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٠

٣ ـ الذكاء والحذر الشديد :

ذكاء النديم وحذره الشديد وتوقعاته للمخاطر فكانت اتصالاته مع أصدقائه يتبع فيها السرية والحذر الكاملين (٢١٤) ، وكانت مراسلاته لهم تكتب برموز سرية (٢١٥) كما أكد النديم على أصدقائه وأهله بعدم زيارته فى مخبئه حتى لا تقتفى الحكومة أثرهم وتعرف مكانه ويتضح ذلك من رسالة له الى صديقه الأزهري حيث قال فيها « اذا حدثتك نفسك بالحضور عندى فراجعها وقر مكانك فانك ربما أتبعت بمن يقف على منتهى سفرك فقد علمت من كتاب بعض اخوانى أن الحكومة هاجمت بيتك وفتشته فلا ينبغى أن تخاطر بنفسك فتضرها وتضرنى معك (٢١٦) كما كان النديم يضغط على عواطفه فرغم لشتياقه لرؤية والديه فقد رفض حضورهما بالقرب منه فعندهما سأله الخواجة الفرنسى أن يحضرهما الى أبعاديته ليريحهما من المتاعب التى يتعرضان لها طلب منه النديم العدول عن ذلك حتى لا يتتبع جواسيس الحكومه أثرهما ويعرفون مكانه (٢١٧) وقد كان النديم على حق فى هذا فقد كانت السلطات تتبع والده ووالدته وأخاه فى تنقلاتهم وهجموا أكثر من مرة على الأماكن التى ترددوا عليها للوصول اليه (٢١٨) .

---

(٢١٤) يتضح ذلك من قول النديم انه عندما كلف الخواجة الفرنسى بالذهاب الى صديقه الأزهرى فعل وعاد يقول له « قابلته فى خلوة مخصوصة واعطيته الجواب » .

انظر : كان ويكون ، جـ ١ ص ٢٠٨

(٢١٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٧

(٢١٦) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٦

(٢١٧) نفسه ، جـ ١ ص ٥٥ ، ٢١٠

(٢١٨) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦ بخصوص تتبع السلطات لأسرة النديم .

ومن الأمثلة على حذر النديم أيضـا أنه عندما طلب الخواجـة الفرنسى منه أن يحضر زوجته معه للاشتراك فى مناقشاتهما وافق النديم على ذلك بشرط أن تتخفى فى ثياب بلدية بقوله « ان كان عندها ثوب وبرقع فبها والا أعطيناك من هذا ثيابا وطنية وبرقعا لتتستر بها فان مجيئها بثيابها الأفرنجية مع عدم سابقة لذلك يوجب توجه الأنظـار اليها وأعمال الأفكار فى الباعث على التردد (٢١٩) » .

كما يتضح حذره أيضا عندما طلب منه الخواجـة الفرنسى أن يشترى له قفطانين رجاه النديم أن تكون أكمامهما طويلة كأكمام الفقراء فربما يضطر « للمشى أو للتعود مع الناس فيرون لبس فقيه أو عالم » كما طلب منه شراء لباسين لأن ألبسته فى صورة البنطلون ولها أربطة فى الرجلين والفقهاء لا يلبسون مثلها فيكون ذلك محل الانتقاد والفكر فى حقيقتى (٢٢٠) .

٤ — شغل وقت الفراغ فى التأليف :

شغل النديم أوقات فراغه فى التأليف مما أبعـده عن التفكير فى الهموم فألف عشرين كتابا ، كما كتب الرسائل المطولة لأصدقائه (٢٢١).

٥ — وفاء الشعب المصرى ومروءته :

لقد مكن أبناء الشعب النديم من الاختفاء وأشرفوا على تنقلاته

---

(٢١٩) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ؛ ج ١ ص ٢٠٤

(٢٢٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ؛ ج ١ ص ٢٠٦

(٢٢١) عن هـذه الرسائل أنظر : رسائله الى عرابى التى نشرها الدكتور محمد أحمد خلف الله ضمن كتاب عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٨٥ — ٩٥

ومســاعدته وهؤلاء كثيرون (٢٢٢) وان كان أبرزهم الشيخ « شحاته القصبى » والشيخ « محمد الهمشرى وزوجته » والشيخ « ســعيد الأزهــرى » والشــاعر والأديب « محمد شــكرى » و « ابراهيم حرفوش » عمدة البكاتوش و « أحمد المنشــاوى باشا » و « محمد معبــد الحلاق » والشيخ « خليل » مأذون العتوة القبلية وقد ثبت من دراسة هــذا الفصل دور كل منهم فى الوقوف بجانب النديم ومساعدته فى محنته .

٦ — وفاء الخواجة الفرنسى وزوجته للنديم :

كتم الخواجة الفرنسى وزوجته سر النديم ، وكانا يحضران اليه بالمخبأ فى سرية تامة حتى لا يكتشف أحد أمرهما كما كان الخــواجة الفرنسى يحضر للنديم ما يحتــاج اليــه من لوازم ويخبره بمجريات الأمور فى البــلاد وما تكتبه الجرائد عن العرابيين كما أطلق الشائعات عن فرار النديم الى الخارج حتى تتوقف الســلطات فى البحث عنــه بالداخــل .

٧ — ايمان الفلاحين بعدالة الثورة :

لقد آمن أبناء الريف أن ما قام به عرابى كان اجابة لمطــالبهم العادلة وأنه لم يهزم الا نتيجة الخيانة وقد عبروا عن ذلك بقولهم :

---

(٢٢٢) يتضح من المذكرة التى قدمها وكيــل الداخليــه الى مجلس النظار أن هناك الكثيرين من ابناء الشعب ساعدوا النديم اثناء الاختفــاء بقوله : « وكان احمد أبو سعيد والشــيخ على المغــازى يمدونه بالمئونة والبك الشاذلى من شبرانتى والسيد بك النجار من ناحية سلاموں وأحمد بك المنشاوى كانوا يرسلون له المئونة والمصاريف والسيد على شيخ ناحية الجميزة كان يكرمه » .

محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة رقم ٣٢

« الولس هزم عرابى (٢٢٣) » وقد صور « سليم النقاش » أثر الهزيمة فى نفوس أهل الريف بقوله : « وكانت تلوح فى الواقع ملامح الأسف على وجوه كثيرين من أهل الريف (٢٢٤) » هذا الى جانب ما هو معروف عن مروءة أهل الريف عند الشدة وشهامتهم فى مساعدة المظلوم وايواء الضعيف فمع أن كل من تستروا على النديم لم يكن بينهم وبينه نسب ولا قرابة ولم يدخل بلادهم قبل الاختفاء لأى غرض من الأغراض (٢٢٥) فقد ساعدوه على الاختفاء رغم تهديدات الحكومة باعدام من يؤويه أو يخفيه أو ينقله من جهة الى أخرى (٢٢٦) ، ولم تغرهم المكافأة الكبيرة التى رصدتها الحكومة وهى ألف جنيه (٢٢٧) مع أن معظمهم فقراء .

وقد وصف النديم شهامة هؤلاء بقوله : « وجدت من رجال الهمم من يحفظون العهود والذمم ويقابلون الشدائد بالعزائم ، ولا ترجف قلوبهم للعظائم (٢٢٨) » وقد ذكر لهؤلاء جميلهم على صفحات مجلة الأستاذ (٢٢٩) .

---

(٢٢٣) الولس بمعنى الخيانة ، ولا يزال يستعمل هذا التعبير بين ابناء القرى حتى اليوم . ويذكر الأستاذ محمود الخفيف أن هذه الكلمة حلت فى أفواه المصريين وأسفاه محل الكلمة السالفة « الله ينصرك يا عرابى » ولا يزال الناس فى القرى حتى يومنا هذا كلما استفظع أحدهم الغش أو الخيانة وأراد أن يعبر عن سوء عواقبهما قال فى الم « الولس كسر عرابى » .

انظر : أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه ، ص ٤٤١

(٢٢٤) مصر للمصريين ، ج ٦ ص ٥

(٢٢٥) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ص ٧ تحت عنوان « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

(٢٢٦) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٨

(٢٢٧) أحمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٩

(٢٢٨) الأستاذ : العدد ١٤ فى ٢٢ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٣١٨ — ٣١٩

(٢٢٩) العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ، ص ٧ تحت عنوان : « مقدمة مدح ومعرفة جميل » .

٨ — الأمل فى الثورة ضد الاحتلال :

أمل النديم أن تنتفض البلاد مرة أخرى ضد الاحتلال وبقود زمامها رجالها ، ويقفوا فى مواجهة الظلم والطغيان ويتضح ذلك من خطاباته الى عرابى بسيلان [٢٣٠] حيث كان يخبره فيها بما حدث للبلاد فى ظل الاحتلال ويبث فيهـا آماله الكبيرة فى انتفاضـة الشعب مرة أخـرى •

تنقل النديم بين القرى والكفور والابتعاد عن المدن :

استطاع النديم التنقل بين القرى والكفور بذكاء والابتعاد عن اللجوء الى المـدن [٢٣١] وذلك لدرايتـه أن قوات البوليس فى الريف محدودة وأن السلطة مركزة فى المدن حيث يوجد فى الريف الاستقرار كما أن المشاكل الداخلية بين أهل الريف تحل على « المصطبة » دون اللجوء الى البوليس •

هكذا قضى النديم أيامه ولياليه أثناء فترة الاختفاء التى زادت عن تسع سنوات ، وهكذا كان الشعب المصرى أصيلا مع رجاله فى أثناء الشـدائد •

---

(٢٣٠) هـذه الرسائل عددها خمسة مرفقة ضمن كتاب عبـد الله النديم ومذكراته السياسية للدكتور محمد احمـد خلف اللـه صفحات ٨٥ — ٩٥

(٢٣١) يستثنى من ذلك مدينة المحلة الكبرى — التى سنر النـديم مختبأ داخل وكالة لمدة عشرين يوما — فقد كانت مدينة قائمة بذاتها فى ذلك الوقت .

انظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى السـابق الذكر القسم الثانى — الجزء الثانى . مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة ص ١٦ — ١٨

الباب الثانى

النديم وبعث الحركة الوطنية

الفصل الخامس

عبد الله النـــديم بين الخديو عباس الثانى وسلطات الاحتلال

- الخديو عباس الثانى والعفو عن النديم .
- استئناف النـــديم للجهـــاد .
- موقف النديم من أزمات الخديو مع الاحتلال .
- احساس سلطات الاحتلال بخطورة النديم .
- مطالبة الاحتلال بنفى النديم وتخلى الخديو عنه .

الخديو عباس الثانى والعفو عن النديم :

خرج الشعب بعد هزيمة العرابيين فاترا مستسلما قلما ، واستغل البعض ذلك القلق العام لارضاء مصالحهم ، واختفت فكرة الواجب[1] وكادت هزيمة التل الكبير تقضى على الروح الوطنية ، بل وخيل للبعض أن الحركة ماتت بسجن زعمائها [2] حيث أحس الشعب المصرى بنوع من الذهول عقب الثورة وأخذ يلتمس زعماءه فوجدهم بين أسير يعانى آلام السجن أو النفى وبين هائم على وجه الأرض [3] ، ومع أنه قد ظهرت فى أواخر عصر توفيق بشائر بعث وطنى [4] فان مصر لم تكن بعد قد استردت أنفاسها وباعتلاء عباس الثانى أريكة الخديوية [5] بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية فى مصر ، فقد فرح المصريون بالخديو الجديد لأنهم كانوا يبغضون والده [6] فأقبلوا عليه

---

(١) جريدة المصرى : العدد ٤٨٢٧ فى ١٩٥١/٥/٦ تحت عنوان : « مذكرات الخديو عباس الثانى » .

(2) Jacob Landau : op. cit , p. 104

(٣) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . المجلد العشرون — الجزء الأول فى مايو ١٩٥٨ مقال للدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان « الطور الصحافى من أطوار الحركة الوطنية أو العصر الذهبى لصحافة المقال فى مصر ، ص ٤

(٤) فى أعقاب الثورة العرابية وجدت فى مصر جمعية سرية باسم جمعية الانتقام كان هدفها اخراج الانجليز من مصر والانتقام من أذنابهم . دفتر عربى خديو رقم (١٧) بعنوان الافادة الواردة من ٢ يناير الى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ . دفتر جزء (١) ص ٨٤

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر :

الوقائع المصرية : فى ٨ ، ٩ ، ١٠ يناير ١٨٩٢

Blue Books. Egypt 1892 - 1893, No. 1.

من سير بارنج الى ماركيز سالبورى .

(٦) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، ص ٩ ، مخطوط دار الوثائق القومية بالقلعة .

وأبدوا استعدادهم لوضع يدهم فى يده [٧] ، وتوسموا فيه خيرا بعد أن وجدوه مستاء من سيطرة الانجليز على كل مرافق البلاد الحيويه دونه [٨] واعتزامه وضع حد لهــذه الحالة حتى لا يكون دمية فى يد الانجليز ، ورسم لنفسه طريق مقاومة السيطرة البريطانية فى أوائل حكمه [٩] بقصد أن تكون له يد فى ادارة الحكومة [١٠] مما سبب متاعب مزعجة للحكومة البريطانية [١١] فتقرب من الشعب حيث كان يستقبل طوائفه كل شهر [١٢] واتصل بالعلماء والأعيان وطاف بالأقاليم وانتقد سياســة والده فى الاستســلام للانجليز وعاب على رجال المعيــة ضعفهم [١٣] ولم يدع فرصة للتقرب من الشعب الا واقتنصها فأصدر عفوه عن عدد كبير من مسجونى الثورة العرابيــة [١٤] وأمر بالحاقهم بوظائف مدنية فى نظارتى الداخلية والمــالية [١٥] وبفروع النظــارات

---

(٧) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة : المقال السابق الذكر ، ص ٤

(٨) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . القاهرة ــ النهضة المصرية الطبعة الرابعة ١٩٦٢ ، ص ٣٢١ ، جوليت آدم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٤١

(٩) لمزيد من التفاصيل عن مقاومة الخديو عباس الثانى للســيطرة البريطانية يمكن الرجوع الى رسالة الباحث للماجستير بعنوان « الخديو عباس الثــانى والحزب الوطنى » رسالة غير منشــورة بمكتبة جامعــة القــاهرة .

(١٠) روجه لابللان : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٢

(11) Traill : Lord Cromer. London 1897 p. 281.

(١٢) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القســم الأول ، ص ٢٦

(١٣) نفسه ، ص ١٦ — ١٨

(١٤) ديوان خديو : وثائق عربية الى جهات ــ محفظة رقم ١٦ عن عام ١٨٩٢ ــ مذكرات محمد فريد القسم الأول ــ الجزء الثالث ــ كراسة رقم ١٦ ص ٣ علما بانه لم يكن بين هؤلاء احــد من المنفيين بسيلان .

Parliamentary Debates vol. 5, 1892 p. 441.

(١٥) ديوان خديو : المكاتبات الرسمية الواردة بقلم العرضحالات دفتر رقم ١٨ ص ٤٠ ، ٤٦ بتاريخ ١٧ اغسطس ١٨٩٣ ، ديوان المعيــة السنية عربى . مجموعة ٣٦ سجل ٥٣٨٥ ٤ ص ١ بتاريخ ٧ مارس ١٨٩٣ « بند السردارية » .

والمـأموريات (١٦) وأعاد اليهم نياشينهم (١٧) كما أصـدر عفوه عن عبد الله النـديم (١٨) وأباح له العودة الى مصر فوصـلها فى ٩ مايو ١٨٩٢ (١٩) ، أخذ النديم يتردد بين القاهرة والاسكندرية أكثر من شهر ثم استقر بالقاهرة (٢٠) ، فوجد أن تغييرا كبيرا قد حل بالبـلاد (٢١) حيث وطـد الانجلير أركان حكمهم ، وتغلغلوا فى جميع مرافق البلاد الحيوية وكأن الأمر قـد استتب لهم تماما ، كما وجد أن الشعب الذى تركه وهو يتأجج وطنية قد خيمت عليه روح الهزيمه والاستسلام (٢٢) وانتشرت بين أفراده موجة الانحلال الخلقى .

---

(١٦) ديوان المعية السنية عربى — نفس المجموعة السابقة والسجل ص ٣٢ مكاتبة الى الداخلية بتاريخ ١١ سبتمبر ١٨٩٣ ، ديوان خديو عربى دفتر رقم ١٨ ص ٤٠ ، ٥٩ بتاريخ ١٦ مارس ، ١٨ مايو ١٨٩٣ وايضـا محفوظات مجلس الوزراء — نظـارة الحربيـة — قلم سردارية الجيش المصرى بتاريخ ١٥ يناير ١٨٩٣

(١٧) ديوان معية سـنية عربى — صـادر افادات وتحريرات — مجموعه ٤٢ مسلسل ١٣٤ بتاريخ أول ديسمبر ١٨٩٢ ، مذكرات محمـد فريد — القسم الأول — الجزء الثالث ، كراسة رقم ١٦ ، ص ٣

وايضـا مجلة الأستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٨٨ تحت عنوان « ثناء وتهنئة » .

(١٨) صدر العفو عن النديم فى ٣ فبراير ١٨٩٢ . انظر : الوقائع المصرية فى ٣ فبراير ١٨٩٢ تحت عنوان « عفو كريم صادر للداخلية » .

(١٩) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابيه والاحتلال الانجليزى ص ٥١٧

Robert L. Tignor : op. cit. p. 153

(٢٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ١٢ — الهلال المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٦

(٢١) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ١٧ محاورة تحت عنوان « تحية بلدى » .

(٢٢) خير ما عبر عن هذه الحالة حافظ ابراهيم :
فى كتابه ليالى سطيح . القاهرة . دار الهلال العدد ١٠٠
وديوان حافظ ابراهيم . القاهرة . دار الكتب المصرية ١٩٣٧

ويذكر الخديو عباس الثانى فى مذكراته انه حين تولى الحكم لم يجد فى مصر هيئات منظمة كافية لعمل وطنى حقيقى .
جريدة المصرى : العدد ٤٨٢٨ فى مايو ١٩٥١

استئناف النـديم للجهـاد :

ومع أن أحوال النـديم الصحية قـد تضعضعت حيث ضعفت صحته من آثار الجهود التى بذلها والارهاق النفسى والجسمى الذى تعرض له أثناء الاختفاء والنفى ، ومع أنه كان باستطاعته أن يكتفى بمـا قدم من تضحيـات فى سـبيل مصر وأن يجنـح الى مصانعة الاحتلال (٢٣) فينال بهـذا احدى الوظائف الكبرى فى نظارة المعارف أو غيرها ويخلد الى الراحة والرخاء فانه لم يحد عن مبادئه . ولم يتنكر لهـا بل ظل مخلصا وفيا وأبت عليـه وطنيته الا أن يستأنف الجهاد وقـد عبر عن ذلك بقوله : « ودينى الذى فطرت عليه ، ومذهبى الذى أميل اليه هو تحرير العباد واصلاح البلاد (٢٤) » .

أخذ النديم يدرس أحوال البـلاد ليعرف ما طـرأ عليها أثنـاء غيابه (٢٥) وحاول اعاده الثقة الى الشعب الذى اجتمعت عليه الأحداث لتغير من نفسيته حيث انتشرت روح الجبن والنفـاق والنفعيه وكان سبيله الى ذلك الخديو عباس الثانى اذ وجـد فيه أميرا شابا طموحا وثاب العزيمة فعقد عليه الأمل فى تنشيط حركة المقاومة ضد الاحتلال ،

---

(٢٣) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٥١٧

(٢٤) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السـابق الذكر ، ص ٩٤ من رساله للنديم الى عرابى بسيلان .

(٢٥) أحمد امين : زعماء الاصلاح ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥

ويوضح النديم ذلك فى محاورة بينه وبين شخص من اولاد البـلد بالعاميه حيث يقول : « يا حبيبى انا كنت دسخبى عشر سـنين وطلعت رايت الدنيا تغيرت والأحوال بقت جنس دانى فسيبنى شوية ايام لمـا اشوف الخبر ايه والدنيا جرى فيها ايه » .

الأستاذ : العـدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ١٧ تحت عنوان « محبـة بلدى » .

وطالب كافة المصريين بمؤازرته [٣٦] ووصفه « بالهمام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع أجناس رعينه على اختلاف أديانهم الساعى فى منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الادارية [٣٧] » ولما كانت الظروف قاسية بالنسبة للنديم والشرط الذى صحب العفوعنه هو ألا يعمل فى السياسة لذلك فهو لا يستطيع الطواف بالبلاد أو أن يعتلى المنابر ويخطب فى المساجد والمجالس كما كان يفعل من قبل ولم يكن أمامه من سبيل للوصول الى الشعب الا عن طريق الصحافة ، ولكن كيف ذلك وتاريخه حافل بالتوتر مع الانجليز الجاثمين على صدر البلاد ؟

استطاع شقيقه عبد الفتاح نديم الحصول على تصريح من نظارة الداخلية باصدار مجلة تحت اسم « الأستاذ » تم وكل عبد الله النديم فى تحريرها وترتيب وسائلها [٣٨] ، وقد نالت هذه المجلة من الشهرة والانتشار ما لم تنله سواها من الجرائد الوطنية منذ أعوام حيث لقيت اقبالا عظيما من الجمهور دل على عظيم مكانة صاحبها فى النفوس [٣٩] كما كانت شديدة التأثير فى أفكار أبناء الأمة على اختلاف نحلهم حتى بلغ عدد ما يطبع منها ثلاثة آلاف نسخة [٣٠] فقد « أقبل

---

(٣٦) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٥ تحت عنوان « نصيحة مخلص فى خدمة وطنه واخوانه » .

(٣٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ، ص ٧٤

(٣٨) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ . مقدمة العدد ص ٢ ، ٣ علما بأنها مجلة اسبوعية كانت تصدر فى الثلاثاء من كل أسبوع .

(٣٩) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٥١٧ — ٥١٨

(٣٠) يذكر ديلانو أن الأهرام كانت الجريدة الأولى من ناحية التوزيع ثم تليها الأستاذ فالمؤيد فالمقطم .

Delanoue : op. cit., p. 96.

عليها المشتركون من كافة البلدان حتى الأميون ، وكل يستعذب عباراتها ويتلذذ بسماعها [٣١] » حتى بلغ عددهم فى القاهرة وحدها ٨٦٠ (ثمانمائة وستون) مشتركا وفى خارجها ١٧٨٠ (ألف وسبعمائة وثمانون) مشتركا [٣٢] .

موقف النديم من أزمات الخديو مع الاحتلال :

وفى تلك الفترة أخذ الجفاء يزداد بين كل من الخديو عباس الثانى واللورد كرومر وأخذت الحكومة البريطانية تلوح للخديو بضرورة اتباع سياسة والده اذا أراد الاحتفاظ بعرشه [٣٣] ، ولكنه لم يستمع الى ذلك بل زاد من تقربه الى الشعب وأيد الحركات المناوئة للاحتلال مما دفع عبد الله النديم الى الذود عنه وجمع الناس حوله[٣٤] ومطالبتهم بالخضوع له والاعتراف بسيادته وسلطته عليهم ولما أقال الخديو رئيس النظار مصطفى فهمى صنيعة الانجليز وموضع ثقتهم [٣٥] حدثت أزمة بين الخديو والانجليز يمكن أن نسميها بأزمة الانقلاب الوزارى[٣٦]

=

وذكرت التايمز ان الأستاذ كانت اوسع الجرائد الوطنية انتشارا فقالت :

The paper is stated to have the largest Egyptian circulation amongst the native newspapers. The Times. London. 19 Mars 1893.

(٣١) محمد حسنى العامرى : نزهة الالباب فى تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب . القاهرة — مطبعة الهلال بالفجالة ١٣١٤ هـ. ص ١٧٩

(٣٢) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٥١٨

(33) The Parliamentary Debates. for session 1893 vol. XIII p. 115.

(٣٤) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٣٩ — ٤٠

(35) Traill. Lord Cromer. p. 282.
Parliamentary Debates. for session 1893 p. 78.

(٣٦) عن تفاصيل هذه الأزمة انظر : رسالة الباحث للماجستير تحت عنوان « الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى » ص ٢٢

وكشف النديم النقاب عن كراهيته للاحتلال (٣٧) فقام يستنهض الهمم وعلت لهجته فى اثارة العواطف القومية ضد الاحتلال (٣٨) والتفى على مؤازره الخديو (٣٩) وبدا ذلك واضحا فى مقاله الطويل شديد اللهجة الصادر فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » حيث دعا فيه الى الالتفاف حول الخديو فقال « صرنا بين يدى خديو يريد أن نجارى الانجليز فى الأعمال الاصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية ويجب أن .. نقبض على أزمه أمورنا ونحفظ عرشه المصرى للمصريين » كما رد على افتراءات الأوربيين فى التقليل من شأن الشرقيين لتبرير أسباب احتلالهم لمصر كذلك حث النديم من خلال هذا المقال الشرقيين الى العمل من أجل مقاومة الاستغلال الأوربى مبينا لهم أسباب تقدم الغرب وتأخر الشرق كما كتب مقالا تحت عنوان : « الحقوق المقدسة » بين فيه حق الخديو فى تعيين الوزراء وانتقد التهديدات الانجليزية للخديو بالعزل (٤٠) كما نازل الجرائد المعارضة للخديو فى قوة ووضوح (٤١) وكانت له مواقف عنيفة مع أصحاب المقطم الذين مكنوا للانجليز من مصر فكان فى خصومته لهم لينا فى قسوة وهينا فى عنف (٤٢) واستمر على هذه النغمة فى الأعداد التالية من الأستاذ فكتب مقالا بعنوان « هذه يدى فى يد من أضعها » طالب فيه أبناء وطنه بالوقوف بجانب الخديو ووضع أيديهم فى يده ، وذكر أن الذى

---

(37) Landau : op. cit., p. 104.

(38) Tignor : op. cit , p. 153.

(٣٩) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ،
Delanoue : op. cit , p. 95

(٤٠) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ — ٥٤٥

(٤١) احمد امين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٣٨

(٤٢) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٠

يضع يده فى يد الأجنبى خير له أن يقطعها من وضعها على هذا المنوال[٤٣] كما طالب بتجنب تقليد الأوربيين والمحافظة على حقـوق الوطن دون التعرض لحقـوق الأجانب المقيمين فى مصر أو النزلاء منهم فقـال : « اننا فى حاجة لهجر باب الأجنبى وملازمة أبواب حكامنا الوطنيين مع المحافظة على حقوق المستوطنين والمجنازين [٤٤] » .

ثم اتهم أصحاب المقطم بأنهم الأجراء الذين يسيئون الى أمتهم باستحسانهم الاعتراف بسلطة الانجليز فقال « والأجراء التزموا فى جريدتهم اليومية تنفير الأمة وتحسين الاعتراف بسلطة الغير والتلويح بما يشف عن سوء مقاصدهم فى الجانب الخديو ثم خرجـوا خروج البغاة .. فهم أعداء المسند الخديو الجليل وان كانوا لا يضرونه بشىء فلن نباح الكلاب لا يؤذى القمر فى مداره [٤٥] » .

وهكذا كانت مقالات النديم صدى لمـا يحـدث من أزمات بين الخديو والمعتمد البريطانى وصدى أيضا لمـا يعانيه الشعب فأثبت أنه يحمل بين جنبيه نفسا أقوى من الكوارث وعزيمة لا يوهنها الفشـل ، وهكذا استطاع عن طريق صحيفته الأستاذ أن يشـعل نار الوطنيـة

---

(٤٣) الأستاد : العـدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ، ص ٦٩٥ — ٦٩٨

(٤٤) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

والجدير بالذكر ان المستوطن هو الأجنبى الذى جاء الى مصر ثم اقام فيها وجعلها وطنا له .

اما المجتاز فهو الذى يحضر للعمل أو للتجارة ثم يعود من حيث اتى بعد ان يحقق المهمة التى جاء من اجلها .

وقد كتب « سليم حمـوى » مقالا عن هؤلاء موضحا ان المستوطن والمجتاز من الاجانب ولا يجوز اعتبار اى منهما وطنيا .

جريدة اسكندريه : فى ١٨ مارس ١٨٨٢ تحت عنوان « مصر » .

(٤٥) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٦ بتاريخ ٢٣ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان « أعداء الحضرة الخديوية » .

المصرية من جديد (٤٦) فخرجت المظاهرات لأول مرة بعد الاحتلال تؤيد موقف الخديو ، وتهتف ضد الاحتلال (٤٧) فيخرج الشباب وفى مقدمتهم طلاب مدرسة الحقوق وعلى رأسهم مصطفى كامل يقتحمون ادارة جريدة المقطم ويحرقونها لانحيازها ضد الوطن والخديو واظهارها روح العداء ضد « الوطنية المصرية وروح النهضة الأهلية التى انتشرت بين طبقات الأمة (٤٨) » مما دفع السلطات الانجليزية الى التهديد بالتدخل بحجة المحافظة على الأمن العام (٤٩). كما هرع الناس الى سراى عابدين يهنئون الخديو على ثباته فى موقفه من الأزمة (٥٠) .

ومع أن النديم أشعل نار الوطنية المصرية خلال الأزمة ودفع أبناء وطنه الى الوقوف بجانب الخديو ومساندة موقفه فى المحافظة على حقوقه فقد نادى بأهمية اتباع الهدوء حتى لا تتخذ انجلترا من ذلك فرصة لاتهام المصريين بالتعصب الدينى فقال : « أقدم خالص النصيحة لاخوانى المصريين على اختلاف أديانهم أن يفكروا فى العواقب وأن يبعدوا عن كل ما يكدر صفو الراحة وأن يعاملوا الأوربيين المعاملة الحسنة ، وبهذه المعاملة يظهر لنا الفرق بين التمسك بالدين والتعصب (٥١) » .

---

(٤٦) د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، ص ١٠٤

(٤٧) احمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ، ص ٥٧ — ٧٦

(٤٨) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ، ج ٢ ، ص ١٤٥ — ١٤٦

(٤٩) الأستاذ : العدد الرابع والعشرون فى ٣١ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٥٥ تحت عنوان « لا دليل على دعوى تهديد الأمن العام » .

(٥٠) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٢ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٥١) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

توطدت أواصر الصلة بين الخـديو والنديم فى أعقـاب الأزمة الوزارية (٥٢) ولمـا أحس أتباع كرومر بصلة النـديم بالقصر بدأت المغريات تلتف حوله فسعوا اليـه يمنونه بالمنصب والجاه والراحـة نظير مسالمته للاحتلال ولكن النديم اعتبر طريق الكفاح أمانة فى عنقه ؛ ونتيجة لتطـورات الأحـداث قامت انجلترا بزيادة أعداد قواتهـا مصر (٥٣) كما قام كرومر بمحـاولات للتقرب من الشعب وذلك باقامة الاحتفالات والتبسط معهم فى الحديث وايهامهم بأن الخـديه سيعود الى دكتاتورية آبائه لو انفرد بالأمر ، وأن الانجليز لا يبغون سـوى مصلحة الشعب (٥٤) .

احساس سلطات الاحتلال بخطورة النديم :

أحست سلطات الاحتلال باهتزاز موقفها بعـد الأزمة الوزارية التى ثبت منها أن الشعب يشد أزر الخديو ، ويشـاركه شعوره فى أن يثبت أن لمصر خديويا جديرا بلقبه (٥٥) كما أثبت التناقض الواضح بين أقوال وأفعال الاحتلال ازاء الخديو اذ أن انجلترا كانت تسوغ احتلال مصر بدعوى المحافظـة على حقوقه ، ثم هاهى تحرمه من سـلطته فى اختيار وزرائه ، ووقفت الصحف الوطنية (٥٦) بقيادة النديم تساند

---

(٥٢) لم يكن اكثر اعضاء الاسرة الخديوية راضين عن تقريب الخديو من النديم لأنهم يعتبرونه عدوا لأسرتهم وجنسهم ، وهـذا ما دفع الخديو الى اختيار احد تلاميذ النديم وهو مصطفى كامل .

ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ، ص ٣٠

مجلة آخر ساعة : العدد ١١٩١ فى ٢١ اغسطس ١٩٥٧ . مقـال للأستاذ عباس العقاد تحت عنوان « حياة قلم » .

(53) The Parliamentary Debates. for session 1893 vol. XIII p. 2 - 3.

(٥٤) الاسـتاذ : العـدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ، ص ٦٩٥ — ٦٩٩ تحت عنوان « هـذه يدى .. من اضعها » .

(55) Le Bosphore Egptian 21 Janvier 1893.

(٥٦) الوطن والمؤيد والاستاذ والأهرام .

موقف الخديو وتهاجم الصحف المأجورة وعلى رأسها المقطم [٥٧]، وترد المقطم مطالبة باغلاق « الأستاذ » وتتهم صاحبها بأنه يهيىء لثورة مثل الثورة العرابية [٥٨] ، وتخرج الشائعات عن نفي النديم وهروبه من مصر ؛ ويكذبها النديم على صفحات جريدته [٥٩] ويواجه التحدى وتستمر المعركة الصحفية بينهما فيكتب النديم مقالا تحت عنوان « انما يقبل النصيحة من وفق » اتهم فيه المقطم ببذر بذور الشقاق والفتنة وأنهم سبب مصائب الشرق بقوله : « ما ضر الشرق وفرق جمعه الا أمثال هؤلاء [٦٠] » ثم تبع ذلك بمقالة أخرى عنوانها « لم اختلفت كلمتنا اذا اتحدت وجهتنا » ؟ حمل فيه على الصحف التى تديرها أقلام شرقية ومع ذلك لا تخدم سوى الاحتلال فقال « العجب من شرقى يخدم غربيا يسلب حقوق اخوانه ولضاعة شرف اوطانه والحط من ملوكه وأمرائه [٦١] » ثم طالب بتوحيد وجهات الشرقيين لأنه ما أضر الشرقيين الا اختلاف الوجهة فقال « أنا أخوك فلم أنكرتنى؟ ما الشام ومصر الا توأمان أبوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء أحدهما فلم تتنافر أبناؤهما ، وانحاز السوريون الى جانب بعيد عن المصريين ، وان ساكنوهم فى مصر ؟ ألم يكن من الأجدر بنا أن نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية فى صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها ؟ أبراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه

---

(٥٧) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون فى ٢٣ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٢١ — ٩٢٥ مقالات تحت عنوان « أعداء السلطان » و « أعداء الحضرة الخديوية » و « اعداء المصريين » .

(٥٨) المقطم : العدد ١٢٧٤ فى ٢٤ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان : « مهيج الفتن » .

(٥٩) الأستاذ : العدد التاسع فى ١٨ اكتوبر ١٨٩٢ ؛ ص ٢١٤ ، تحت عنوان « تكذيب فرية » .

(٦٠) الأستاذ : العدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢

(٦١) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٣٩٠

ووطنـــه بل وجنسه ودينـــه أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خـــدمة الأجنبي لنعينه على اخواننا لينتقم منهم بغير ذنب [٦٢] » •

كما كشف عن أصحاب المقطم وتاريخ حياتهم فقال « كيف يرجى الصدق والاخلاص ممن خانوا وطنهم وسلطانهم وأهلهم، وكانت بلادهم أولى بالخـــدمة ، وأقرب الحوادث منـــا وجود أحـــد الأجراء خطيبا في محفل من محافل بيروت •• يحرض فيه الناس على نبذ الطـــاعه السلطانية والانحياز للغير [٦٣] » •

وترد المقطم على النـــديم بشن حملات عنيفة عليـــه لايهـــام السلطات بخطورته كما طالبت باغلاق مجلته وابعـــاده عن مصر [٦٤] وأيدتها في ذلك التايمز واتهمت النـــديم باثارة النعرة الدينيه ضـــد أوربا [٦٥] واستمرت الحمـــلات بين الأســـتاذ والمقطم حتى خشيت سلطات الاحتلال من أثرها [٦٦] •

ويمكن القول أن مقالات النـــديم على صفحات الأستاذ فيما بين أغسطس ١٨٩٢ ويونيو ١٨٩٣ كانت تحدد المعارضة الصحفية القـــوية

---

(٦٢) الأستاذ : العـــدد الثاني والعشرون في ١٧ ينـــاير ١٨٩٣ ، ص ٥٣٠ مقال تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .
وايضا : سلافة النديم ، جـ ٢ ، ص ٨١

(٦٣) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون في ٢٣ مايو ١٨٩٣

(٦٤) المقطم : العـــدد ١٢٧٤ في ٢٤ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان : « مهيج الفتن » .

(٦٥) دار الوثائق القومية : محفظة ١٥٣ مقالات عن مصر في المجلات والجرائد الأجنبية .
The Times 31/3/1893.

(٦٦) خطب أحد الناس الجمعة بالزقازيق وبيـــده مجلة الأســـتاذ للاستشهاد بها فتقدم للتحقيق .
انظر : الأستاذ : العـــدد الرابع والثلاثون في ١٤ أبريل ١٨٩٣ ، تحت عنوان « الاتجاه الى الأستاذ » .

ضد الاحتلال (٦٧) حيث هزت الشعب بلهجتها القوية الشبيهة بلهجة العروة الوثقى (٦٨) ، والجدير بالذكر أن سلطات الاحتلال كانت قد تغاضت عن تنفيذ قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ (٦٩) حيث اقتضت سياسة انجلترا فى ذلك اطلاق حرية المطبوعات(٧٠) طالما أن هذا لا يؤثر على تواجدها بمصر وان كانت قد ذكرت محررى الصحف بأنها لم تتعرض للمناقشات العامة عن طريق الصحافة بشرط الابتعاد عن الانتقادات العنيفة واستخدام اللهجات المعتدلة(٧١)

---

(67) Landau : op. cit., p. 104.

(٦٨) صحيفة اسبوعية اصدرها الافغانى ومحمد عبده فى باريس ظهر العدد الأول منها فى ١٣ مارس ١٨٨٤ ، ونظرا لخطورة تداول هذه الجريدة بين الأهالى بالنسبة للسلطات فقد منعت دخولها القطر المصرى بمقتضى المادة السابعة عشر من قانون المطبوعات .

انظر : دار الوثائق القومية . محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية محفظة رقم ١٢ داخلية — مذكرة رقم ١٣٢٦

والجدير بالذكر ان هذه الجريدة احتجبت عن الظهور بعد صدور العدد الثامن عشر فى ١٦ أكتوبر ١٨٨٤

انظر : العروة الوثقى : والثورة التحريرية الكبرى . القاهرة — دار العرب للبستانى — الطبعة الأولى ١٩٥٧ ، ص ٤

(٦٩) عن نص هذا القانون وتعديلاته والمناقشات التى دارت اثناء اصداره . انظر : دار الوثائق القومية — محافظ مجلس النظار — محضر جلسة الخميس ٢٧ اكتوبر ١٨٨١ بخصوص قانون المطبوعات ، والجدير بالذكر أن هذا القانون تعرض لكثير من النقد والهجوم فقد وصفه اديب اسحق فى جريدة التجارة بقوله : « ان قانون المطبوعات الحالى يشبه أن يكون جلادا واقفا على رؤوس الجرائد بسيف الالغاء او التعطيل » كما هاجمه يعقوب صنوع بقوله « ان الذين وضعوه جعلوا من مقتضاه التجسس على الجرائد الحرة وعاملوها كالمطابع السرية فصاروا يتوجسون منها الشر » . انظر : أبو نظارة زرقاء فى ٢٦ فبراير ١٨٨٢

(٧٠) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر الجزء الأول ، ص ٢٩٣

(٧١) دار المحفوظات العمومية — مجموعة بالفرنسية تضم الوثائق الرسمية الصادرة من الحكومة المصرية عام ١٨٨٢ تحت عنوان :

Recueil De Tous Documents officiels Du Gouvernment Egyptian. Année 1881 - 1882.

ولكن عندما أفلت زمام الموقف منهـا اضطرت الى الرجوع اليه [٧٢] فكان سيفا مسلطا على رقاب الكتاب وحرية الفكـر لأنه منى « أصبحت حيـاة الصحافة المصرية فى أيدى من تنتقد أعمالهم وتشهر بعيوبهم فقدت وظيفتها أو معظمها [٧٣] » .

مطالبة سلطات الاحتلال بنفى النديم وتخلى الخديو عنه :

لقد أحس كرومر بخطورة النـديم لمكانته بين الناس [٧٤]، وقوة تأثير مقالاته بالأستاذ فرأى أهمية اسكات هـذا القلم لأنه اذا استمر حدثت ثورة فى البـلاد [٧٥] فطلب من رياض باشـا رئيس النظـار ارسال انذار الى جريدة الأستاذ بالغلق اذا لم تكف عن التحدث فى السـياسة [٧٦] فصدر الانذار التالى عن نظارة الداخلية : « قد اطلعت النظـارة على المقالة المندرجة فى جريدة الأستاذ الصادرة بتاريخ ٧ مارس ١٨٩٣ [٧٧] وقد وجدتها فى غاية الشدة ومن شأنها أن تجرح

---

(٧١) دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — الداخلية — محفظة رقم ٢ بخصوص تنفيذ قانون المطبوعات الصادرة فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١
والجدير بالذكر انه عندما رأت انجلترا أن الصحافة تلعب دورا خطيرا فى التأثير على أذهان الناس وضعت قانونا بعد ذلك بإحالة تهم الصحافة الى محكمة الجنايات بعد ان كانت من اختصاص محكمة الجنح .

(٧٢) المؤيد : فى ٢٤ مارس ١٩٠٩ تحت عنـوان « تقييـد حرية المطبوعات المصرية » . . .

(٧٤) أحمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢٦

(٧٥) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٨ — ٣٠

(٧٦) اشارت جريدة التايمز الانجليزية الى ذلك بقولها :

Riaz Pasha at the request of her Majesty agent, hed administered a warning to the Native journal on account of its contiنuad abuse of English Meacures. This newspapar is conducted by Abdallah Nadem, one of the most violent and seditious of the orators. Who exites the Arabs in 1882.

The Times. London. 19 Mers 1893.

(٧٧) مقصد مقاله « هذه يدى فى يد من اضعها » المنشورة بالعدد التاسع والعشرين من الأستاذ : ص ٦٩٥ — ٦٩٩

الاحساسات الملية لدولة بريطانيا العظمى وحيث أن حكومة الحضرة الخديوية لا تسمح بنشر مقـالات من شأنها جرح احساسات أحـدى الدول المتحابة ، فلزم اصدار هذا الانذار الى جريدة الأستاذ [٧٨] »

ولمـا كان النديم متيقنا من مساندة الخديو له لم يهتم بالانذار بل اشتدت المعركة بينه وبين المقطم فكتب مقالا تحت عنوان : « بمن أقتدى اذا اختلفت الآراء ؟ » طالب فيــه مواطنيه بضرورة الاقتـداء بالمخلصين للبلاد العاملين على رفعتها والانصات الى ما يقولون وهاجم أصحاب المقطم مما جعلهم يشددون حملتهم ويتهمونه بأنه يحض على الثورة واثارة روح التعصـب الدينى ، وبث الشـقاق بين عنصرى الأمة [٧٩] كما وصفوه « بالخـائن المنافق الذى جعـل دأبه التعرض للسياسة والدين وابقاء الشقاق بين المتحابين من المسلمين والمسيحيين[٨٠] وحذروا ولاة الأمور من كتاباته التى تدعو الى « مجزرة ثانية مثـل مجزرة الاسكندرية التى كان هو أول المحرضين عليها [٨١] كما اتهموه بأنه يعـد « لثورة أخرى كالثورة العرابية [٨٢] » ونصحوا الحكومة الانجليزية باسكاته ، وقد أيدت جريدة التايمز أقوالهم وشددت على اتهام النديم باثارة التعصب الدينى [٨٣] .

---

(٧٨) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار والنظارات ص ١١٩ — نظارة الداخلية فى مارس ١٨٩٣

(٧٩) المقطم : العـدد ١٢٧١ فى ٢٠ مايو ١٨٩٣ تحت عنـوان : « المراسلات » .

(٨٠) المقطم : العـدد ١٢٧٢ فى ٢٢ مايو ١٨٩٣ تحت عنـوان : « المراسلات » .

(٨١) المقطم : العـدد ١٢٧١ فى ٢٠ مايو ١٨٩٣ تحت عنـوان : « المراسلات » .

(٨٢) المقطم : العـدد ١٢٧٤ فى ٢٤ مايو ١٨٩٣ تحت عنـوان : « مهيج الفتن » .

83) The Times. London. 19 Mars 1893.
Delanoue : op. cit., p. 95.

لقد كان السلاح الذى توجهه انجلترا وعملاؤها الى صدور الوطنيين هو اتهامهم بالتعصب الدينى (٨٤) وعن ذلك يذكر « مصطفى كامل » كانت انجلترا تهول دائما على أوربا بأن المسلمين متعصبون فى الدين كلما اقتضت ذلك حاجتها فانها أذاعت فى كل أوربا بأن المصريين متحفزون للقيام بالثورة ضد المسيحيين وأن سلامة الأوربيين فى مصر متعلقة بدوام الاحتلال الانجليزى، وهى وشاية سافلة ينفيها تاريخ مصر ويدحضها ما اشتهر عن المصريين من التساهل والاعتدال واكرام الغرباء والنزلاء (٨٥) . كما يذكر محمد رشيد رضا أنه قرأ أعدادا من الأستاذ فوجد أن النديم كان يحترس كل الاحتراس من الوقوع فى هذه التهمة (٨٦) .

وقد رد النديم على الذين يتهمونه بالتعصب الدينى بمقال عنوانه « هذا عندكم فما مقابله عندنا » فند فيه هذه الافتراءات بقوله : « كثيرا ما ترمينا جرائد انجلترا بالتعصب الدينى تشويشا لأذهان أهلها ، وترويجا لأفكار سياسييها التى تبعث المطامع ، ولو تأملنا حال المسلمين ، وقابلنا بين سكوتهم وعدم تعرضهم لدين غيرهم لرأينا أمرا يذهل العاقل ، ويحير الأفكار بهذه الدعوى الباطلة (٨٧) ، كما

---

(٨٤) عن ذلك ذكر جمال الدين الأفغانى : « لقد خدعنا الاستعمار فسمى توثيقنا تعصبا وحقنا عدوانا وتحررنا بغضا للأجنبى وبفضل فوسم ديننا بالجمود والتأخر »

انظر : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده . العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى ، ص ٩

(٨٥) مصطفى كامل : « المسئلة الشرقيه » ص ٢٦٦ — ٢٦٧

(٨٦) المنار : السنة الثانية . العدد ٢٢ فى ١٢ اغسطس ١٨٩٩ ، ص ٣٤٠ ، وعن هذه الأعداد انظر على سبيل المثال العدد الثالث والعشرين فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ص ٥٤٠ — ٥٤٥ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٨٧) الأستاذ : العدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ ابريل ١٨٩٣ ، ص ٨١٢

=

وضح بأن هــذه الادعاءات قائمة على غير أساس لأن « كل مســلم ممنوع من التعصب بقوله تعالى : « لا اكراه فى الدين » .

واذا قابل المخالفين له هش وبش وقال « لكم دينكم ولى دين » ومع ذلك فقد أرسل رياض باشا الانذار الثانى الى « الأستاذ » يطلب فيــه عدم التعرض للأمور السياسية (٨٨) والالتزام بالأغراض الأدبية والعلمية وهــذا نصه : « ان جريدة الأستاذ مع كونها علمية تهذيبية فكاهية قــد اعتادت منذ زمن أن تنشر بعض فصول ومقالات سياسية خارجة عن موضوعها فلذلك وجب انذارها هــذه المرة حتى لا تعــود ثانيا الى نشر شىء فيما يتعلق بالأمور السياسية (٨٩) » .

ونتيجة لمــا أحدثته مقالات النــديم بدأت رياح الغضب تهب على الاحتلال فى أحاديث الناس وقد استغل أصحاب المقطم مخــاوف سلطات الاحتلال من أن يكون وراء النديم تجمع فأوعزوا الى كرومر بأن للنديم « أشياعا يأتمرون بأمره ، ويسيرون تحت علمه كما ذكروه بأنه خطيب الثورة العرابية الذى أثار خواطر النــاس وهيج أفكارهم وأنه لو ترك ستحدث ثورة أخرى » ولمــا كان كرومر يعتقد أن الحركة الوطنية فى مصر لم تخمد تماما وأنهــا ما زالت باقية وان كان صوتها

= والجدير بالذكر أنه تزايد نشــاط المبشرين فى مصر فى تلك الفترة فوزعت نشرات ضد الدين الإسلامى فى القاهرة والمدن الكبرى منها نشرة بعنوان « أيهما المسيح أم محمد » ارسلوها الى شيخ الأزهر وعلماء البلاد كما وصــل الأمر ببعضهم الى التبشير فى أحد المساجد بطنطا .

للتفاصيل انظر : اللواء : فى ٢٣ ، ٢٤ ابريل ١٩٠٠ ، المؤيد : فى ٣٠ ابريل ١٩٠٠ .

(٨٨) المقطم العــدد ١٢٧٩ فى ٣٠ مايو ١٨٩٣ تحت عنــوان : « فصل الخطاب » .

(٨٩) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصــادرة من مجلس النظار ومن النظارات (مايو ١٨٩٣) نظارة الداخلية — تحت عنوان انذار لجريدة الأستاذ ، ص ٢٣٢

خافتا لدرجة كبيرة (٩٠) فقد طلب من الخديو نفى النديم خارج البلاد خشية اثارته لروح التعصب الدينى (٩١) ، ولما علم أصحاب المقطم بالخبر نشروه فى صحيفتهم (٩٢) فرد النديم عليهم بأن قولهم مجرد شائعة كاذبة وافتراء (٩٣) .

ولما ماطل الخديو فى اجابة طلب كرومر تشجع النديم وكتب مقالا تحت عنوان « صبر جميل » ذكر فيه بأنه من رجال الهيئة الوطنية المشمولين برعاية الحضرة الخديوية فقال « أننا من رجال الهيئة الوطنية المشمولين برعاية الحضرة الخديوية وحياطة الحكومة المصرية لا ننطق بكلمة ، ولا نتحرك حركة الا وهو أعلم بها (٩٤) كما كذب ما تردد عن ابعاده من الوطن واغلاق الأستاذ وهاجم أصحاب المقطم وسماهم بالأجراء كما هاجم الانجليز الذين يعتمدون عليهم (٩٥) مما أثار نائرة أصحاب المقطم وازدياد تشديد حملتهم على النديم فاتهموه باثارة الأفكار مما أدى الى مذبحة الاسكندرية وبأنه يدعو الى ثورة عرابية ثانية كما أثاروا كرومر عليه حتى أوعز للداخلية باصدار آخر انذار لمجلة الأستاذ بالغلق اذا تعرضت للحديث عن السياسة ، كما نشرت المقطم أن المعتمد البريطانى يصر علي اغلاق مجلة « الاستاذ » ونفى صاحبها اذا خالف الانذار (٩٦) ومع أن النديم فوت عليهم الفرصة فخرجت جريدته فى عدديها الصادرين فى ٣٠/٥ ، ٦/٠/١٨٩٣

---

(90) Cromer : Abbas II Preface p. XV.

(٩١) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٧

(٩٢) المقطم : فى ٢٢ مايو ١٨٩٣

(٩٣) الأستاذ : العدد الأربعون فى ٣٠ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٧٥ .

(٩٤) الأستاذ : العدد السابع والثلاثون فى ٩ مايو ١٨٩٣ ص ٨٨٩

(٩٥) الأستاذ : العدد الثامن والثلاثون فى ٢٦ مايو ١٨٩٣ ص ٩٠٦ — ٩١٧ تحت عنوان « الحمد لله وحده » .

(٩٦) المقطم : فى ٣١ مايو ١٨٩٣

خالية من الأحاديث السياسية فان الأمور لم تستقر حيث استمرت جريدة التايمز اللندنية تطالب باسكات قلم النديم لخطورته [٩٧] مما عجل بطلب كرومر بضرورة الاصرار على نفيه متخذا من دلعنه فى مساوىء الاحتلال وانتقاداته المستمرة للاجراءات الانجليزية أساسا لذلك [٩٨] فأذعن الخديو للأمر ولم يستطع أن يحمى النديم فكتب أمرا بنفيه [٩٩] خشية أن يقبض عليه « بواسطة عساكر الاحتلال وخوفا من حصول ما يكدر الراحة العمومية [١٠٠] » .

ودع النديم قراءه بمقال تحت عنوان « تحية وسلام » قال فيه أن هدفه من انشاء مجلة الأستاذ كان تقديم النصح والارشاد الشرقيين عموما والمصريين خصوصا ثم تحدث عن المؤامرات التى حيكت ضده ، وضد الوطن بعد أن صارت « الأستاذ » فى مقدمة الجرائد المرشدة الى طرق الاصلاح والنجاح ، ولم يوضح أنه سينفى خارج مصر بل زعم أنه أصيب بضعف فى صحته [١٠١] ، وأن الأطباء أشاروا عليه بتغيير الهواء خارج القطر المصرى [١٠٢] ، وشكر الصحف الوطنية التى ساندته فى مواقفه كما شكر الشعب الذى استيقظت وطنيته رغم كل المعوقات ، وتحدث عن عزائم الرجال وأهمية تحديها للمصاعب والمحن فقال : « وما خلقت الرجال الا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب ، والعاقل يتلذذ بما يراه فى فصول تاريخه من

---

(97) The Times. London. 29/5/1893.

(98) Tignor : op. cit., p. 153.

(99) The Times. London. 19 Mars 1893.

(١٠٠) دار الوثائق مذكرات محمد فريد : القسم الأول — الجزء الثالث — كراسة رقم ١٦ ، ص ١٧

(١٠١) الأستاذ : العدد الثانى والأربعون فى ١٣ يونيه ١٨٩٣ ، ص ١٠٢٨ — ١٠٣٠

(١٠٢) مذكرات محمد فريد : تاريخ مصر من ابتداء ١٨٩١ — كراسة ١٦ ، ص ١٦ ، الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٥٢٥

العظم والجلالة (١٠٣) » وقد اتخذ النديم من « يافا » مقرا لمنفيه للمرة الثانية ، ورتبت له الحكومة المصرية معاشا شهريا قدره خمس وعشرون جنيها (١٠٤) ابتداء من ١٥ يونيو ١٨٩٣ (١٠٥) تصرف له طالما يبقى مقيما خارج عن البلاد المصرية ، وما دام لا يشتغل بشيء ولا يحرر شيئا لا سياسيا ولا أدبيا عنها ، وأن يصرف اليه أيضا مبلغ أربعمائة جنيه مصرى لمساعدته على تسديد ديونه وعلى مصاريف السفر (١٠٦).

---

(١٠٣) الأستاذ : العدد الثانى والأربعون فى ١٣ يونيه ١٨٩٣ ، ص ١٠٣٠ تحت عنوان « تحية وسلام » .

(١٠٤) الجنيه المصرى : هو وحدة العملة فى مصر بمقتضى ديكريتو صادر فى ١٨٣٩ وآخر فى ١٨٨٥ فقسم الجنيه مائة قرش على ان يكون الجنيه ونصف الجنيه من الذهب والعشرون قرشا والعشرة والخمسة من الفضة وبعد أن انشىء البنك الأهلى فى ٢٥ يونيه ١٨٩٨ منحته الحكومة امتياز اصدار البنكنوت الورق ، الموسوعة الميسرة ، ص ٦٥٢

وقد دخل الجنيه مصر على يد الانجليز ، واصله من غينيا الأفريقية المشهورة بالذهب وكان قيمته ٢١ شلن استرلينى .

Webster's Dictionary. p. 596.

(١٠٥) دار المحفوظات العموميه : ملف معاش عبد الله النديم دولاب ٢٩ عين (١) محفظة ٥٩٩ دوسيه ١٧٩٣٠.

قرار مجلس النظار بتاريخ ١٥ يونيه ١٨٩٣ والمكاتبات مع نظارة المالية بهذا الخصوص .

(١٠٦) دار الوثائق القومية — محافظ مجلس النظار جلسة الخميس ١٥ يونيه ١٨٩٣ بخصوص مسألة « عبد الله النديم » .

ويذكر محمد فريد : ان النديم اشترط أن تدفع له الحكومة الأربعمائة جنيه بصفة ترضية .

دار الوثائق القومية : مذكرات محمد فريد : القسم الاول — الجزء الثالث — الكراسة رقم ١٦ ، ص ١٧

الفصل السادس

النديم ومصطفى كامل

- دروس الوطنية التى أخذها مصطفى كامل من النديم .
- أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى .
- أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الخطابى .
- أثر النديم فى أنشطة مصطفى كامل الوطنية الأخرى .
- أوجه الاختلاف بين مصطفى كامل والنديم .

١ ــ دروس الوطنية التى أخذها مصطفى كامل من النديم :

اختلف النديم عن زعماء الثورة العرابية فى أنه ثابر على الكفاح[١] بعد الهزيمة حيث تحمل بعـد عودته من منفاه عام ١٨٩٢ مهمة ايقاظ الشعور الوطنى واستنهاض الهمم وبث روح المقاومة بين فئات الشعب ضـد الاحتلال ، ولما كان الجيل الذى عاصر الثورة العرابية قد أثرت فيـه روح الهزيمة ، وأضعف الاحتلال من معنوياته فقد وضع أمله فى الجيل الجديد من الشبان وخصوصا طلبة الحقوق فجذب اليه منهم من وجـد فيـه مثلا لجهارة الرأى وفصـاحة القول ومنهم مصطفى كامل[٢] الذى ما ان سمع بظهوره حتى خف للقائه وقدم نفسه اليـه وكان حينذاك طالبا فتتلمذ عليـه ونشأ فى مدرسته[٣] واقتبس بعض أساليبه « واطلع على دخائل الحوادث المـاضية[٤] » ، فعرف منـه أسباب حوادث الثورة العرابية على حقيقتها ومواقع الخطأ التى تورط فيها العرابيون كما أستطاع بفضل صحبة أستاذه الثائر التعرف على حقيقة التيار السياسى فى البلاد[٥] وكيف شوه رجال الاحتلال مبادىء

---

(١) عندما نقارن بين موقف كلا من النديم ومحمد عبده فى ذلك نجد أن محمد عبـده تخلف عن الكفاح السياسى بل ولعن كل ما هو متصـل بالسياسة .

(٢) محمد كامل الفقى : الأزهر واثره فى النهضة الأدبيه الحديثه . القاهرة . المطبعة المنيرية ١٩٥٦ ، جـ ٢ ص ٢٥ ومن هؤلاء الشبان أيضا احمد فتحى زغلول ، ومصطفى ماهر .

(٣) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد فى مصر ــ ترجمة عبـاس محمود . القاهرة ــ ١٩٣٥ ، ص ٢١٣ ، د. عبد اللطيف حمـزة : ادب المقالة الصحفية فى مصر ــ الجزء الخامس . مصطفى كامل صاحب اللواء ص ٤٥ .

(٤) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، جـ ١ ص ٢٩٥

(٥) مجلة آخر ساعة : العدد ١١٩١ فى ٢١ أغسطس ١٩٥٧ مقال للأستاذ عباس محمود العقاد تحت عنوان « حياة قلم » .

العرابيين وخططهم ، كما تعلم منه القواعد التى اذا اتبعها يكون وطنيا ناجحا وهى :

١ — ألا يستعمل الجيش مطلقا فى حركته بل يجعل جل اعتماده على الرأى العام الذى يمكن تنميته بالتربية الوطنية والأخلاقية للشعب حتى يتكون منه قوة تكون ركيزة للحركة الوطنية [٦] .

٢ — ألا يعادى الخديو حتى لا تنقسم الأمة كما حدث بين العرابيين والخديو توفيق ويضطر الخديو لكى ينقذ عرشه الانضمام للقوى الأجنبية ضد الوطنيين [٧] فتفسد حركة الدعوة الى الاستقلال ويستفيد الانجليز من ذلك ويحققوا أغراضهم الاستعمارية باستمرار احتلالهم للبلاد .

٣ — ألا ييئس مطلقا من طريق الكفاح الشاق والطويل مهما طالت المقاومة لأن اليأس طريق الهزيمة الأكيد [٨] .

٤ — ألا يطمئن الى الانجليز بل يحذر من خداعهم ودسائسهم التى كان لها دخل كبير فى اخفاق الثورة ووقوع الاحتلال [٩] .

ونحن نلاحظ من تتبع خط مصطفى كامل الوطنى أنه سار على هدى تعليمات أستاذه فبالنسبة للبند الأول الذى تعلمه منه وهو عدم الاعتماد على الجيش بل اللجوء الى قوة الرأى العام نرى أن

---

(٦) عبد الرحمن الرافعى مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٣٨

(٧) نفسه ، عبد اللطيف حمزه : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٥

(٨) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨
وايضا :
Afaf Lutfi al Sayyid : Egypt and Cromer p 156

(٩) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٣٨

مصطفى كامل رفض أن يكون للجيش أي دخل فى حركته السياسية بل كان يدعو الى الكفاح السلمي ويتضح ذلك عندما قدم عريضته المشهورة الى البرلمان الفرنسى [١٠] أن بلغ حماس رجال الجيش المصرى بسواكن ذروته فكتب واحد وثلاثون منهم رسالة الي مصطفى كامل فى ٢٤ يونيه ١٨٩٥ قالوا فيها : « ان الذين يخاطبونك يجدون أنفسهم أمام وطنيتك النادرة وتفانيك فى حب مصر المقدسة صغارا لأن قلمك الحق أمضى من سيوفنا وحججك القوية أفعل من رصاصنا .. فاقبل شكرنا وأعلم أن أرواحنا طوع اشارتك فى خدمة بلادنا العزيزة [١١] »

ومن رد مصطفى كامل على هذه الرسالة يتضح رفضه أن يكون للجيش أى دخل فى الحركة السياسية حتى لا يضر ذلك بدعوته فقد قال : « من الحكمة ألا نمكن العدو من رقابنا .. وانى لا أود أن يدخل الضباط فى حركتنا السياسية دخولا ظاهرا لأن هذا يضر بالمسألة المصرية ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لا يخفى عليكم [١٢] » .

لقد حاول مصطفى كامل تكوين رأى عام بين أبناء وطنه يكون ركيزة له فى مقاومة الاحتلال بدلا من الاعتماد على الجيش ، وكان سبيله الى ذلك :

١ — انشاء المدارس الأهلية [١٣] لتربية النشء التربية الوطنية الصحيحة لأن الجهل هو العدو الأول للتقدم واستقلال البلاد ، وأنه

---

(١٠) عن ذلك الموضوع انظر :
على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ، ج ٣ ص ٩٤

(١١) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٣ ص ٩٦

(١٢) نفسه ص ٩٧

(١٣) للتفاصيل انظر : الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ١٥٣ — ١٦٠

« لا سبيل لأمة من الأمم أن تنال المجد والعز والرفاهية بغير تربيه أبنائها وتهذيب نفوسهم وارشادهم الى واجباتهم نحو الأمة والوطن والدين (١٤) » .

٢ — النضال بالقلم تارة واللسان تارة أخرى حتى تستعيد الجماهير ثقتها فى نفسها .

٣ — ضرورة الاتحاد بين كافة القوى فى مصر للمناداة بالجلاء والاستقلال .

وبالنسبة للبند الثانى وهو التعاون مع الخديو فقد سار مصطفى كامل على نصائح أستاذه النديم بالبعد عن الشقاق وعبر عن ذلك بقوله « ان الشقاق سبب ضياع الأمم ، وسبب دمارها فلولا الشقاق بين الحزب العرابى والجراكسة ما وجدت الحوادث العرابية، ولولا الشقاق بين الحزب العرابى وتوفيق باشا ما كبرت الحوادث وتجسمت وتدخلت انجلترا فى الأمر .. وبالجملة لولا ذلك الشقاق المشئوم ما احتل الانجليز مصرنا العزيزة (١٥) » .

وكان من أولى ثمرات ارتباط مصطفى كامل بالخديو أن استنبط فكرة الاحتفال بعيد جلوس الخديو « وحرض رفاقه التلاميذ على ذلك فاحتفلوا به فى الأزبكية فى ٨ يناير ١٨٩٣ (١٦) » .

---

(١٤) اللواء : العدد الثالث فى ٤ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « التربية والتعليم » .

(١٥) مصطفى كامل : المسئلة الشرقيه ، ص ٢٥٨
وعن مطالبه مصطفى كامل بالبعد عن الشقاق انظر ايضا : اللواء . العدد السادس فى ٨ يناير ١٩٠٠

(١٦) حرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٢٩٥
تشارلز آدمز : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١٤ ، وللتفاصيل انظر . الأستاذ : العدد الحادى والعشرون فى ١٠ يناير ١٨٩٣ ، ص ٤٨٣ نحت

كما وقف مصطفى كامل بجانب الخـديو أثنـاء الأزمة الوزارية ودافع عن حقه فى تعيين وزرائه وتمسكه بحقوقه الشرعية فقال « لقد ادعت انجلترا قبل الاحتلال الانجليزى وبعده أن جـل أمانيها تقوية السلطة الخديوية ودك أركانها .. وقد ظهرت أعمال الانجليز فى مصر ونواياهم ظهور الشمس فى رابعة النهار فى عهـد سمو الخديو الحالى (عباس حلمى باشا الثانى) حيث جاء مطالبا بحقوقه الشرعية متمسكا بحقوق أمته فعارضـته أنجلترا [17] » ثم نادى كافة أبنـاء الوطن بالوقوف بجانب الخديو ضـد الأطماع الأجنبية فقال ان « مصـالح الأمة المصرية صارت اليوم متفقة مع مصالح الخديو ، وصارت آمال الأمة وأمانيها متفقة مع آمال سمو الخديو وأمانيه فيستحيل على بنى مصر أن يبتعدوا عن سمو العزيز (عبـاس حلمى باشـا) لحظـة واحـدة [18] .

ولمـا وقفت جريدة المقطم بجانب الاحتلال أثناء الأزمة الوزارية وهاجمت الخديو قام مصطفى كامل على رأس طلاب مدرسة الحقوق بمظاهرة وطنيـة فى العشرين من يناير ١٨٩٣ هاجموا أثنائهـا ادارة جريدة المقطم [19] وأظهروا فى هتافاتهم العدائية نحوها ما يكنون من

=

عنوان « عيد الجلوس الخديو » واللواء : العدد الثانى فى ٣ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « عيد الجلوس الخديو » فى حين يذكر تلينى فهمى باشـا انه صاحب هـذه الفكرة هو وعبد القادر حلمى وزير الداخلية فى ذلك الوقت حيث يقول « لقد قر الرأى بيننا على أن نقيم حفلة باهرة احتفـاء بعيـد جلوس الخديو ... واتممنا الاحتفال فى حديقة الأزبكية » .

مذكرات تلينى فهمى باشا — على هامش التاريخ المصرى الحديث . القاهرة — مطبعة حليم ، ص ٣٠

(١٧) مصطفى كامل : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٦٤

(١٨) مصطفى كامل : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٦٥

(١٩) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ١٤٥

بغض لهذه الصحيفة التى تعادى المصريين فى شعورهم ووطنيتهم (٢٠) ونتيجة لمساندة صحيفة لوبوسفور اجبسيان Le Bosphore Egyptien لموقف الخديو تألف وفد من الشبان الذين هاجموا المقطم ذهب الى مكاتب الجريدة الفرنسية ليعلنوا عن شكرهم لسلوكها الطيب أثناء الأزمة الوزارية (٢١) .

من هذا يتضح مدى الحماس الوطنى تجاه موقف الخديو من الأزمة وعاطفة الشبان الحماسية واندفاعها فى مهاجمة الصحيفة التى أظهرت العداء تجاه الحركة الوطنية المصرية ثم شكر الصحيفه التى كان سلوكها مرضيا أثناء الأزمة .

هكذا وقف مصطفى كامل بجانب الخديو وشجعه على ذلك مواقف الخديو تجاه الحركة الوطنية فى ذلك الوقت (٢٢) ، وبالنسبة للبند الثالث وهو عدم اليأس والاستمرار فى طريق الكفاح وضرورة اعادة الثقة الى الشعب الذى أثرت الهزيمة فى نفسه وتسرب على أثرها اليأس فى نفوس الكثيرين فقد دعا مصطفى كامل الى محاربة اليأس والثقة فى الأمة وسار على هدى حكمة أستاذه « اذا ألقيت السلاح تعبا فأنت المقتول (٢٣) » فقال مخاطبا مواطنيه « عجبا وألف مرة

---

(٢٠) د. محمود نجيب ابو الليل : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية من سنة ١٨٨٢ حتى ١٩٠٤ — القاهرة مطبعة التحرير — الطبعة الأولى ١٩٥٣ ، ص ١٢٥

(21) Le Bosphore Egyptien 22 Janvier 1893

(٢٢) ليس معنى ذلك ان مصطفى كامل كان ذيلا للخديوية ، فقد اختلف مع الخديو حينما احس أن المصلحة الوطنية تقتضى ذلك ، واعترى العلاقات بينهما الفتور بعد ذلك ثم المقاطعة بسبب عدم ثبات الخديو على خط وطنى واضح .

للتفاصيل انظر : رسالة الباحث للماجستير تحت عنوان « الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى » ص ٦٦

(٢٣) سلافة النديم : الجزء الثانى ، ص ١٠٣ تحت عنوان « بعض كلمات من كلامه أرسلها أمثالا » .

عجبــا ! كيف تسيء الظن بنفسها أمة تغلبت على الأيام والحوادث .. كيف يقول بعض أبناء هــذه الأمة عنهــا أنهــا ماتت وزالت آثارها وأصبحت نسيا منسيا (٢٤) » .

لقد دعا مصطفى كامل الى عدم اليأس والى ضرورة اعتماد الأمة على جهود أبنائها والثقة فى أنفسهم وكانت صرخته « لا معنى للحيــاة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة (٢٥) » خير مثال على دعوته ، وكانت حملته ضــد الاحتلال تستخدم عدة وسائل منها : « ألا يأس مطلقــا (٢٦) » .

لقد رسم مصطفى كامل لنفسه خطة المقاومة المستمرة للاحتلال وهى مقاومة لا ضعف فيهــا ولا هوادة ولا تراجع (٢٧) وظل ثابتا فى جهــاده حتى بعد أن جنح معظم رجالات مصر الى الولاء للاحتلال واكتساب رضاه وخصوصا بعــد حادثة فاشودة (٢٨) التى كانت بمثابة ضربة للحركة الوطنية وعاملا من عوامل بعث اليأس فى نفوس الوطنيين

---

(٢٤) من خطبة مصطفى كامل فى الاحتفال بمدرسة مصطفى كامل فى ٢٧ فبراير ١٩٠٢

انظر : عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق الذكر ، ص ١٥٧ تحت عنوان « محاربة اليأس والثقة فى الأمة » .

(٢٥) اللواء : العدد الثانى فى ٣ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « كيف يحيا الوطن العزيز » .

(٢٦) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية — بحث فى العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال الى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢ — ١٩٣٦ — القاهرة . النهضة المصرية ١٩٥٢ ؛ جـ ١ ص ٢٧ ، ولكن من مجموعة الرسائل التى نشرها الأستاذ عبد العزيز حافظ دنيــا : فى عام ١٩٦٩ تحت عنوان « رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى فؤاد سليم الحجازي » يتضح أن عوامل اليأس كانت تعترى احيــانا مصطفى كامل ، انظر : رسائل تاريخية ، ص ٥٨

(٢٧) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨ تحت عنوان « اتصاله بعبد الله النديم » .

(٢٨) نفسه : ص ١٢٥ — ١٢٦

ولكن مصطفى كامل كان رده على ذلك هو مضاعفة الجهاد والكفاح كلما زادت المصاعب والعقبات وعندما وقعت انجلترا مع فرنسا الاتفـاق الودى فى ٨ أبريل ١٩٠٤ لم يتزعزع يقين مصطفى كامل فى الجهـاد فبرهن على أن وطنيته ثابتة وأن الأحداث لا تزيدها الا صلابة (٢٩).

وأما عن البند الرابع وهو الحذر من ألاعيب الانجليز وخداعهم فلعل أدق وصف لذلك ما ذكره « الأستاذ محمد شفيق غربال » بقوله كانت حملة مصطفى كامل تستخدم ثلاث وسائل :

١ — لا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز أو كلام ماجوريهم بأن مركزهم فى مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع .

٢ — لا تثقوا مطلقا بوعودهم ولا تركنوا الى محاولاتهم تبسيط مركز البلاد الدولى ، بل تذرعوا بتلك العناصر الدولية والعثمانية التى يكرهها الانجليز ، ويكفى كرههم لها تمسككم بها .

٣ — لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطن خيرا لكم أو لبعضكم فهو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعـل من بعضـكم أعـداء للبعض الآخـر (٣٠) .

لقد تعلم مصطفى كامل من أستاذه دهاء السياسـة الانجليزية ومهارتها وأن الانجليز لا يهمهم غير مصالحهم وقد عبر عن ذلك بقوله « الانجليز يعملون لخـدمة انجـلترا بالذات ، فهم يريدون أن تكون سياسة بلادهم سياسة لين ومهارة بدلا من أن تكون سـياسه شـدة وصـلابة (٣١) » .

---

(٢٩) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧١ — ١٧٨

(٣٠) محمد شفيق غربال : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٧

(٣١) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٩٢

هكذا كانت أخطاء الثورة العرابية التى وعاها مصطفى كامل من النـديم درسا له جنبه مواضع الاخفاق فى جهاده لأن « الزعامة الحقة هى التى تستفيد من تجارب المـاضى وتعتبر بمصائب الوطن فتقيـه مواطن الزلل وتسلك بالأمة سبيل الحكمة والرشاد [٣٢] » وهكذا كان النديم أستاذا مباشرا لمصطفى كامل فى ميدان السياسة المصرية [٣٣] حيث كانت نصائحه وتوجيهاته خير هاد له حتى أصبح يقدر لكل خطوة موضعها وليس من شك فى أن النديم غرس فى مصطفى كامل آراءه[٣٤] وكأن همزة الوصل بين جيل الثورة العرابية والجيل الجديد الذى نسلم الراية بعد اخفاقها •

أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى :

لقد شرح النديم لمصطفى كامل وزملائه أهمية الصحافة ودورها فى تنوير الرأى العـام وشجعهم على الكتابة فيها ، ولمـا أنشأ مصطفى كامل مجلة المدرسة [٣٥] رحب بها ونوه عنها فى مجلة الأستاذ بقوله : « لا يمضى يوم الا ونرى ونسمع خبرا سارا ومشروعا نافعا نحـدثه الناشئة المصرية [٣٦] » كما لقب محررها « بالمهذب مصطفى أفنـدى كامل [٣٧] » •

---

(٣٢) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨

(٣٣) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٦

(٣٤) تشارلز آدمز : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١٣

(٣٥) صدر العدد الأول منها فى ١٨ فبراير ١٨٩٣ وهى مجلة شهرية تصدر فى الأول من كل شهر عربى الا شهرى محرم وصفر ، وكانت تطبع فى مطبعة المحروسة ، وساعده على ذلك عبد الله النديم •

(٣٦) الأستاذ : العدد الثامن والعشرون فى ٢٨ فبراير ١٨٩٣ ، ص ٦٦٦ تحت عنوان « تقريظ » •

(٣٧) نفســه •

لقد كانت جريدة « الأستاذ » التى كان يحررها النديم فى ذلك الوقت هى الأستاذ لمصطفى كامل حيث تعلم منها الاتجاه والنغمة وان اختلفا من حيث الثقافة والأسلوب بحكم الزمن والأحداث والظروف (٣٨) وفيما يلى يتضح ذلك :

كتب مصطفى كامل فى العدد الأول من مجلة المدرسة أنه أنشأ هذه الجريدة « لتكون مركزا لجمع دور فرائد الأستاذ (٣٩) » وقوله هذا يدل على مدى اعتماده على مجلة النديم « الأستاذ » من حيث الاتجاه والتقليد ويثبت ذلك كتاباته فى أعداد مجلته ففى العدد الأول والثانى والثالث اتبع مصطفى كامل أسلوب كتابه المحاورات للوصول الى هدفه وهو أسلوب كان يتبعه النديم فى مجلته فكتب فى العددين الأول والثانى « محاورة بين الأستاذ والتلميذ (٤٠) » وفى العدد الثالث « محاورة بين صديقين (٤١) » فى حين نرى للنديم محاورات عديدة فى « الأستاذ » بينه وبين واحد من أولاد البلد أو واحدة من بنات البلد أو بين مجموعتين مختلفتين بهدف التهذيب وترقية المدارك واظهار العيوب ووصف طرق الاصلاح منها محاورة تحت اسم « تحية بلدى (٤٢) » وأخرى بعنوان « حنفى ونديم (٤٣) » كما اتبع مصطفى

---

(٣٨) احمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، ص ٢٦٤
(٣٩) مجلة المدرسه : العدد الاول فى ١٨ فبراير ١٨٩٣
ويذكر الأستاذ « فتحى رضوان » انه لما اخرج عبد الله النديم جريدته « الأستاذ » وتداولتها الأيدى ، وقرأها مصطفى كامل سعى الى صاحب « الأستاذ » فاتخذه أستاذا .
فتحى رضوان : مصطفى كامل بدار المعارف بمصر ١٩٧٤ ، ص ١١٦
(٤٠) مجلة المدرسة : عددى ١٨ فبراير ، ١٩ مارس ١٨٩٣
(٤١) أنظر : عدد ١٨ ابريل ١٨٩٣
(٤٢) عبارة عن محاورة بين نديم وشخص يسمى حبيب عن فضل اللغة العربية وأهميتها .
أنظر الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ، ص ١٦ — ٢١
(٤٣) أصر النديم فى هذه المحاورة على تعليم حنفى وهو الرجل الأمى اللغة العربية الفصحى .
انظر الأستاذ : العدد الثامن والعشرون فى ٢٨ فبراير ١٨٩٣ ، ص ٦٦٢ — ٦٦٥

كامل منهج النديم الاجتماعى فكما كتب النديم عن أهمية تعليم أبنـاء الشـعب وضرورة تعميم التعليم (٤٤). كتب أيضـا مصطفى كامل عن أهميـة تعميم التعليم بقوله « ان تعميم التعليم من أهم الأسـباب الداعية لنمو العمران (٤٥) » .

كما ذكر أنه من أسـباب وسائل القوة والنجاح للأمم فقـال : « مهما بحثنا فى تواريخ الأمم ونظرنا فى آثار الانسـان لا نجد أمة عظيمة قامت على الأرض وتوافرت لديهـا وسـائل القوة والنجـاح الا بالعلم (٤٦) » وكما دافع النديم فى « الأستاذ » عن سياسة الحجاب وضرورة اتباعه لأنه من قواعد الشرع والأدب (٤٧) دافع عنه أيضـا مصطفى كامل بقـوله : « ان قواعـد الشرع والأدب تقضى بضرب الحجاب على النسـاء فليس لهن أن يستخدمن بالمصالح كالرجال وأنما يكفى أنهن يدبرن شئون المنزل ويهذبن أولادهن (٤٨) » كمـا عارض حركة تحرير المرأة التى قادها قاسم أمين وكان لكتاب « تحرير المرأة » الذى صدر عام ١٨٩٩ (٤٩) خصما لدودا ولصاحبه وكما دافع النديم

---

(٤٤) انظر : الفصل العاشر .

(٤٥) الأهرام : فى ٢٠ أبريل ١٨٩٣ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « المعلمون والتعليم فى مصر » .

(٤٦) الأهرام : فى ٢٤ فبراير ١٨٩٣ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « المدينة وتعميم التعليم » .
كما يتضح اهتمام مصطفى كامل بالتعليم مما كتبه على صفحات اللواء تحت عنوان « التربية والتعليم » انظر : على سبيل المثال الأعداد التاسع فى ١١ يناير ١٩٠٠ والحادى عشر فى ١٤ يناير ، والثالث عشر فى ١٦ يناير ١٩٠٠ .

(٤٧) انظر : الفصل التاسع .

(٤٨) مجلة المدرسة : العدد الأول فى ١٨ فبراير ١٨٩٣ تحت عنوان « محاورة بين الأستاذ والتلميذ » .

(٤٩) تناول قاسم أمين فى هـذا الكتاب فى الكتاب الذى تبعـه بعد ذلك بعامين تحت عنوان « المرأة الجديدة » الدفاع عن حرية المـرأة وسفورها وحقها فى المساواة بالرجل .

عن الفلاح ووصفه بالذكاء والنباهة حينما تتاح له الفرصة دافع عنه مصطفى كامل أيضا فقال : « كنت مجتمعا مع بعض اخوانى نتحدث، فى مسائل علمية وبيننا تلميذ يبلغ من العمر عشر سنوات يظهر عليه أنه من بلاد الصعيد تلوح عليه علامات النباهه وبينما نحن بالمجلس، وقد صعب علينا حل مسألة رياضية اذ قام ذلك الشاب وشرع فى حلها ولم يلبث أن نطق بجملته الأولى حتى أسكته أكبرنا بقوله : « أسكت أيها الفلاح أأنت مثلنا متمدن أما تحمد الله على وجودك معنا » فبهت الشاب وسكت (٥٠) » .

وقد حلل مصطفى كامل ذلك موضحا أنه لا فرق بين الفلاح وغيره من أبناء الوطن فالجميع مصريون فقال : « لا فرق بين الفلاح والاسكندرى والدمنهوري والمنياوى والأسيوطى فالجميع مصريون(٥١) كما ذكر أن « أعظم الأساتذة والنظار والرؤساء وأغلب الأمراء من بلاد الفلاحين (٥٢) » .

وكما طالب النديم بمساعدة الفلاح وشد أزره (٥٣) طالب بذلك أيضا مصطفى كامل حيث قال : « يجب على الحكومة المصرية ان كانت حكومة أهلية أن تبذل جهدها فى نجاح حال الفلاح ومساعدته (٥٤) » .

وكما انتقد النديم التهمة التى يلصقها الأوربيون بالمصريين كلما أحسوا بالخطر على مصالحهم وهى التعصب الدينى (٥٥) انتقد

---

(٥٠) المدرسة الجزء الأول فى ١٨ فبراير ١٨٩٣

(٥١) نفسه .

(٥٢) نفسه .

(٥٣) انظر الفصل التاسع .

(٥٤) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٦ ص ٢٠٨

(٥٥) انظر الفصل الخامس من الرسالة تحت عنوان « النديم بين الخديو عباس الثانى والاحتلال » .

مصطفى كامل ووصفه بالبهتان الكبير والاختلاق الممقوت فقـال :
، الفــلاح المصرى لم يكن متعصبا الا لثلاثة أشياء من اعتدى على
ها فكأنه اعتدى على نفسه وهى امرأته وزراعته وماشيته .. أما
قال عن الفلاح المصرى المسلم من أنه متعصب تعصبا دينيا فهـو
ن كبير واختــلاق ممقوت لأن الأقبــاط وهم المصريون المسيحيون
سون مع المسلمين فى قرية واحدة حتى تكاد تكون عيشتهم واحدة ،
سمعنا مرة أن مصريا مسلما اعتدى على مصرى مسيحى بسبب
لفته له فى الدين [٥٦] كما رد على ما يشاع فى بعض الكتابات عن
وبره كمجرد داعية للجامعة الاسلامية فقال مؤكدا أنه لا يوجـد
نض بين الجامعة الاسلامية والوحدة الوطنية « اننـا لا نبخس
امعة الجنسية حقها ، ولا نأبى الاتحاد الأكيد مع اخواننا الأقباط ،
نا نادينا بأعلى صوت أن المسلمين والأقباط فى مصر أمة واحدة بل
لة واحدة ، وقلنا أن الدم الذى يجرى فى عروق أغلب مسلمى مصر
نفسه الدم الذى يجرى فى عروق الأقباط وان أول واجب نحـو
طن هو الاتحاد التام بين أبنائه [٥٧] » .

وكما دافع النديم عن اللغة العربيـة ودعا الى ضرورة المحافظة
بها واتقانها لأنها اللغـة التى نزل بها القرآن الكريم[٥٨] دعا مصطفى
مل الى ذلك بقوله : « يجب عليك اتقانها أكثر من غيرها لأنها لغتك
سريفة التى أنزل بها القرآن [٥٩] » كما كتب عن أهمية اللغة بقوله :
اللغــة أكبر جوامع الأمة وأشـد روابطها وأحكمها شدا وعصبا ،

---

(٥٦) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، جـ ٦ ص ٢١٠

(٥٧) اللواء فى ٩ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « المنبر العام » .

(٥٨) انظر الفصل العاشر .

(٥٩) المدرسة : الجزء الثانى فى ١٩ مارس ١٨٩٣

بها تتولد فى النفس الغضبية الجنسية وتتوقد فى القلوب الحمية الدينية [٦٠] » ؛

وكما تحدث النديم فى شهر رمضان عن آداب الصوم وأحكامه[٦١] سار أيضا مصطفى كامل على منواله فتحدث عن أحكام الشريعة والصيام [٦٢] .

وكما تحدث النديم عن أهمية الصناعة ، وضرورة اهتمام أولى الأمر بها [٦٣] تحدث أيضا مصطفى كامل عن ذلك حيث قال « كل من له اطلاع على تواريخ الأمم وسيرهم ومجريات الأحوال فى البلاد يعلم أن الصناعة والزراعة والتجارة هى أهم عناصر التقدم وأول أبواب السعادة ، وأن كل أمة قطعت سبيل الحضاره لم تصل الى ما وصلت اليه الا بهذه العناصر [٦٤] .

وكما نادى النديم بعدم تقليد الأوربيين تقليدا أعمى [٦٥] فقد ذكر مصطفى كامل أيضا أننا لا نريد أن نكون قردة نقلد أوربا فى كل شىء وانما نريد أولا أن نبقى مصريين وأن نوجه قوانا لا لهدم مدنيتنا وانما لتقويتها وتحسينها ، كما نشرت اللواء مقالا تحت عنوان « التقليد » وضحت فيه أن لكل أمة أخلاقا وعادات يجب

---

(٦٠) اللواء العدد الثامن والعشرون فى ٣ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « اللغة والأمة » .

(٦١) عمل النديم ملحقا خاصا بمجلة الأستاذ فى شهر رمضان تحت عنوان « آداب رمضان » .

(٦٢) المدرسة : الجزء الثانى فى ١٩ مارس ١٨٩٣ تحت عنوان « أحكام الشريعة والصيام » ، وايضا اللواء العدد الأول فى ٢ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « شهر رمضان » .

(٦٣) انظر : الفصل التاسع .

(٦٤) المدرسة : الجزء السابع فى ربيع ثانى ١٣١١

(٦٥) انظر : الفصل التاسع .

التمسك بها حتى نحتفظ بتراثنا وحضارتنا [٦٦] وكما انتقد النديم الخرافات المسيطرة على أفكار أبناء وطنه والجهل المعشش على عقولهم وحاول تنبيههم الى خطورة ذلك [٦٧] فعل ذلك أيضا مصطفى كامل فكتب على صفحات اللواء عن أسباب تأخر المصريين مقال : « لا بأس اذا من أن نبحث على صفحات اللواء عن أسباب تأخر المصريين لنستدركها وهى كثيرة [٦٨] » كما أوضح ما يترتب على هذه الخرافات من سوء أحوال البلاد وعدم مسايرتها للنهضة الحديثة فقال : « ان النهضة المصرية الحديثة تجعلنا نرتاب فى أن السواد الأعظم من المصريين أدرك سوء حالة بلاده [٦٩] » .

ولم يقتصر أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى على ذلك بل ان بعض عناوين المقالات التى كتبها النديم فى « التنكيت والتبكيت » و « الأستاذ » اقتبسها مصطفى كامل فى مقالات كتبها على صفحات اللواء فقد كتب النديم مقالا بالتنكيت والتبكيت تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج [٧٠] » يندب فيه حال الوطن وسوء أحوال أبنائه كتب مصطفى كامل مقالا باللواء تحت نفس العنوان ولنفس الهدف الذى كتب النديم مقاله من أجله فقال : « فما بالنا اليوم معاشر المصريين نتقلب تقلب الحرباء ونخبط خبط العشواء فى الليلة

---

(٦٦) اللواء : العدد الواحد والستون فى ٨ مارس ١٩٠٠ تحت عنوان « التقليد » .

(٦٧) انظر : الفصل التاسع .

(٦٨) اللواء : العدد الخامس والعشرون فى ٣٠ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « أخلاق وآداب » .

(٦٩) نفسه .

(٧٠) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ، ص ٩٤ .

الظلمـاء (٧١) » .

وكما كتب النـديم مقالا بالأسـتاذ تحت عنـوان « الحقوق المقدسـة » بين فيـه حقوق الخديو فى ادارة البلاد (٧٢) كتب مصطفى كامل مقالا باللواء بنفس العنوان ولنفس الهدف بقوله : « ان السلطة الشرعيـة فى مصر هى السلطة الخديوية (٧٣) » .

ومما سبق يتضح أثر النـديم فى تكوين مصطفى كامل الصحافى من حيث الانجاه والنغمة ، وتصوير مشاكل المجتمع ، وشرح الطـرق الموصلة لاصلاحها .

أثر النديم فى تكوين مصطفى كامل الخطابى :

لقد أوصى النديم الناشئة من الشـبان بأن يتقنوا فن الخطابة وتولى بنفسه تلقينهم وتدريبهم عليها (٧٤) حتى صار بعضهم من قادة الفكر والاصـلاح أمثال مصطفى كامل وأحمد فتحى زغلول (٧٥) وقد

---

(٧١) اللواء : العدد الخامس عشر فى ١٨ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود اعوج » .

وايضا : العدد السابع والعشرون فى ٢ فبراير ١٩٠٠

(٧٢) الأستاذ : العـدد الثالث والعشرون فى ٢٤ ينـاير ١٨٩٣ ص ٥٤٠ — ٥٤٥

ولمزيد من التفاصيل أنظر : الفصل الخامس من الكتاب تحت عنوان « النديم بين الخديو عباس الثانى والاحتلال » .

(٧٣) اللواء : العـدد الخامس والستون فى ١٢ مارس ١٩٠٠ ، تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٧٤) كان النديم يجتمع بالجيل الجديد من الشبان فى مقر مطبعـة المحروسة التى كان تطبع فيها مجلتى « الأستاذ » و « المدرسة » كما كان يجتمع بهم سرا فى منزل لطيف باشا سليم .

(٧٥) كان تلميذا بالمدرسة التجهيزية ابان الثورة العرابية ، وكان من الخطباء الذين يحضون على الثورة مع عبد الله النديم .

دار الوثائق : مذكرات محمد فريد — كراسة رقم ٢ ص ٥٢

اختص مصطفى كامل بالعنايه حيث وجـد ميه الاستعداد ونبيب له قدرته الخطـابية وطالعته من مواهبـه امارات الزعامة (٧٦) فشحن عواطفه بما فى نفسه من أفكار مكبونة سنينا طوالا (٧٧) ، وقد ظهـر أثر ذلك واضـحا فى خطب مصطفى كامل وأسـلوبه حيث اقتبس من النديم بعض أساليبه فى الخطابة (٧٨) وكان ممن يرددون نغماته. ولكن تميز مصطفى كامل عن أستاذه بالمـامه باللغـة الفرنسية ومعرفتـه لآراء الغربيين (٧٩) ومن يدقق فى الخطب التى ألقاها مصطفى كامل على أبنـاء وطنه يجدها تخضع لشبه منهج معين قوامه من البداية اثارة المشاعر الوطنية وهو نفس الأسلوب الذى كان يتبعه النديم حيث كان أسلوب كل منهما مؤثرا بالنسـبة للسـامع على كافة المستويات وكما كان النديم مثالا لمن جاء بعـده من الخطباء والمشاهير فى تاريخ مصر الحديث حيث كان ذا لسان ذلق فصيح وبيـان واضح وصوت جهورى وعبارات فصيحة وحجج قوية وجرأة فائقة فى مواجهة الجموع كان كذلك مصطفى كامل حتى أن على مبـارك لقبـه بامرىء القيس (٨٠) لاعجابه بفصاحته وشجاعته وقوة عارضته .

وكما ظهرت خطورة خطب النـديم خلال أحداث الثورة العرابية وخلال المعـارك الحربية بين المصريين والقوات الانجليزية فقد برزت أيضـا خطب مصطفى كامل فى حركة الاحيـاء وبعث الوطنية فكان له

---

(٧٦) محمد كامل النقى : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٢٥

(٧٧) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٢٤

(٧٨) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ص ٣١٧

(٧٩) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٨ ٣٠

وايضا مجلة آخر ساعة : العدد ١١٩١ بتاريخ ٢١ اغسطس ١٩٥٧ مقال للأستاذ عباس محمود العقاد تحت عنوان « حياة قلم » .

(٨٠) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٣

الفضل فى استعادة الثقـــة الى النفوس التى أقفرت وزرع الأمل فى القلوب التى كانت قد استلمت لليأس [٨١] .

وهكذا كان النديم صاحب أول مدرسة خطابية فى التاريخ المصرى الحديث وكان فى مقدمة من تخرج منها مصطفى كامل الذى تأثر بأستاذه ليس فى المبادىء فحسب بل فى الأسلوب أيضا ثم حمل الرسالة الكاملة دون يأس أو كلل .

أثر النديم فى أنشطة مصطفى كامل الوطنية الأخرى :

لم يقتصر أثر النـــديم فى نشـــأة مصطفى كامل على الصحافة والخطـــابة فحسب بل كان مصطفى كامل متأثرا ومقلدا لأســـتاذه فى كثير من الأنشطة الأخرى فكما بدأ النـــديم نشاطه السياسى بالعمـــل السرى فى جمعية « مصر الفتاة السرية [٨٢] » بدأ مصطفى كامل نشاطه الســـياسى بالانضمام الى « جمعية احياء الوطن السرية [٨٣] » التى كانت تتكون من مصريين وفرنسيين ويتركز نشـــاطهم حـــول فـــكرة الاستعانة بدولة قوية تناوىء الاحتلال وكما اهتم النـــديم بانشـــاء الجمعيات الخيرية والأدبية والعلميـــة [٨٤] اهتم أيضا مصطفى كامل بذلك حيث أسس فى مقتبل شبابه جمعية أدبية وطنية سماها « جمعية

---

(٨١) عبد الصبور مرزوق: الخطابه السياسية فى مصر من الاحتلال البريطانى الى اعلان الحماية . القاهرة . دار الكاتب العربى ١٩٦٧ ، ص ٥ ، ٦

(٨٢) للتفاصيل انظر : الفصل الأول .

(٨٣) للتفاصيل عن هـــذه الجمعية واعضائها انظر :

احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ٢ ص ١٩٠ — ١٩١

وأيضا : رسالة الباحث للماجستير السابقة الذكر ، ص ٥١ — ٥٢

(٨٤) انظر : الفصل التاسع الجزء الخاص بالنديم والجمعيات .

الصليبة الأدبية [٨٥] » كما عمل في جمعيات (الاعتدال ، والهدى ، والعلم المصرى) وهذه الجمعيات هي « التى أسسها جماعة من صفوة فضلاء المصريين أدبا وعلما وجاها ومكانة [٨٦] » وكما كان للنديم في هذه الجمعيات جولات في الخطابة والمناظرة كان لمصطفى كامل أيضا جولات صادقات عند المناظرة والجدل والمناقشات [٨٧] .

وكما إهتم النديم بالمسرح وألف مسرحيتى « الوطن وطالع التوفيق » و « النعمان » وكتب عن أهمية التمثيل [٨٨] اهتم أيضا مصطفى كامل بالمسرح حتى أن النديم نوه بمجهوده في تكوين جمعية من الشبيبة المصرية المثقفة لترقية المسرح المصرى وهى « جمعية الفتوح الخيرية » كما نوه بالانتاج الفنى لهذه الجمعية بتشخيص رواية « الملكة بلقيس [٨٩] » كما ألف مصطفى كامل رواية بعنوان « فتح الأندلس [٩٠] » وكتب عن أهمية التمثيل بقوله « التمثيل في كل أمة هو من أهم دواعى ارتقائها ومن أكبر أسباب تهذيبها [٩١] » .

---

(٨٥) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ١٢٥
والجدير بالذكر ان مرجع نسبة الجمعية بهذا الاسم يرجع الى اسم الحى الذى يقطن به مصطفى كامل وهو حى الصليبة القريب من القلعة .

(٨٦) نفسه ، ج ٢ ص ١٤

(٨٧) نفسه .

(٨٨) انظر الفصل الحادى عشر .

(٨٩) الأستاذ : الجزء التاسع والعشرون فى ١٨٩٣/٣/٧ ، ص ٧٢٣

(٩٠) عن نص الرواية : انظر : على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ج ٢ ص ١٦٤ — ٢٤٠

(٩١) اللواء : العدد الثانى عشر فى ١٥ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « التمثيل » .

وكما اهتم النديم بالتعليم الأهلى وأسس مدرسة لتعليم الأطفال بالجمعية الخيرية الاسلامية [٩٢] اهتم أيضا مصطفى كامل بذلك فنادى بنشر التعليم الأهلى فى البلاد [٩٣] وكان من أكبر أمانيه أن يكون له مدرسة ويتضح ذلك من قوله « ان من أكبر أمانى أن يكون لى مدرسة أعلم فيهـا الناشئين [٩٤] وقد تحقق له ما أراد حين سـاعده بعض أثرياء الوطنيين على ذلك وتأسست مدرسة بباب الشعرية أطلق عليها اسم « مدرسـة مصطفى كامل » كان له أمـر اداراتهـا والاشراف عليهـا [٩٥] .

وكما نادى النديم بالحياة الديمقراطية والدستور [٩٦] نادى بذلك أيضا مصطفى كامل حيث بدأ يروج للأفكار الدستورية فى مجلة المدرسة بشرح أنظمة الحكم ، وتطرق حديثه الى الحكومة الدستورية وكيف أن الحكم فيها موزع بين ثلاث سلطات لا تطغى أحدهما على الأخرى [٩٧] ثم نجده يطالب فى مقال له باللواء بتنفيذ وعـد اللورد دفرين بتأسيس مجلس نيابى [٩٨] كما أخذ يدعو الى اقامة مجلس نيابى ليكون أداة لاصلاح عيوب الحكم فكتب مقالا آخر باللواء بين فيـه فساد الادارة الحكومية وطالب بمجلس نيابى بقوله : « وعندى أن هـذه الأدوار

---

(٩٢) انظر : الفصل التاسع .

(٩٣) اللواء : العدد الخامس والخمسون فى ٢ مارس ١٩٠٠ تحت عنوان « المدارس الأهلية » .

(٩٤) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٣١

(٩٥) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٥٣

(٩٦) انظر : الفصل الثامن .

(٩٧) المدرسة : فى ١٧ مايو ١٨٩٣

(٩٨) اللواء : عدد ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٠ مقال تحت عنوان « الحكومة والأمة فى مصر » وقد نادى مصطفى كامل فى هـذا المقال باعطاء المصريين مجلسـا نيابيـا حقيقيـا لا صـورة يراد بهـا السخرية وذرا للرماد فى العيـون .

المختلفة والأدواء المتنوعة دالة كلها على شدة حاجة هذه البـــلاد الى مجلس نيابى تكون له السلطة التشريعية الكبرى ، فلا يسن قانون بغير ارادته ولا تحور مادة الا بمشيئته ولا يزعزع نظام بغير أمره، ولا تعلو كلمـــة على كلمته [٩٩] » •

لقد كان طلب مصطفى كامل بالجلاء مقترنا بطلب الدستور [١٠٠] حتى أن طلبة المدارس كانوا يقومون من وقتٍ لآخر بمظاهرات ينادون فيهـــا الخديو بقولهم « الدستور يا أفندينا » •

وكما دعا النديم الى أهمية الوحدة الوطنية بين عناصر الأمة [١٠١] فقد نادى بذلك أيضا مصطفى كامل فقال فى احدى خطبه « مضى على مصر ثلاثة عشر قرنا نحن والأقباط فيهـــا أخوة صفاء لا نتكلم بشأن الدين الا اذا كنـــا فى المسجد أو كانوا فى الكنيسة [١٠٢] » •

كما ذكر أن « الديانة الاســــلامية تعلم معتنقيهـــا احترام كل المذاهب وجميـــع الديانات وان الاعتـــدال والتســـامح من قواعـــدها الأساسية [١٠٣] » •

---

(٩٩) اللـــواء : عدد ١٦ نوفمبر ١٩٠٢ ، تحت عنـــوان « افلاس الاحتـــلال » .

(١٠٠) اللـــواء : عدد ٢٣ مايو ١٩٠٢ ، تحت عنـــوان « الجـــلاء والدســـتور » .

والجدير بالذكر ان مفهوم الدستور تطور مع مرور الوقت ففى الوقت الحالى تعنى كلمـــة الدستور مجموعة القواعد الاساسية التى توضـــح شكل الدولة ونظـــام الحكم بها .

انظر : د. وحيد رافت ، وايت ابراهيم : القـــانون الدستورى — القـــاهرة — المطبعة العصرية ١٩٣٧ ، ص ٣

(١٠١) انظر : الفصل الثامن الخاص بالنديم والوحدة الوطنية .

(١٠٢) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٣ من خطبـــة مصطفى كامل فى طولوز بتاريخ ٤ يوليو ١٨٩٥

(١٠٣) نفســـه .

ونادى بالوحدة الوطنية بقوله : « أما واجبنا الوطنى فهو العمل باتحاد تام بين المسلمين والأقباط وغيرهم ممن صارت مصر وطنا لهم [١٠٤] » وقد برهن على ذلك بأن ضم بعض الأقباط الى الحزب الوطنى بل وكان أحدهم وهو « ويصا واصف » أحد أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى كما كان مرقص حنا من خيرة أصدقائه [١٠٥] وكما انتقد النديم مواقف السوريين تجاه القضية المصرية [١٠٦] انتقدهم أيضا مصطفى كامل لاعتقاده أنهم يخالفون مصلحة مصر [١٠٧] وكما أن النديم لم يتعرض للتهمة التى تعرض لها الكثير من الزعماء المصريين وهى تهمة ممالأة الاحتلال فقد نجا مصطفى كامل أيضا من هذه التهمة ولم يستطيع أحد من أعدائه أن يرميه بها .

وكما هاجم أذناب الاحتلال والصحف الموالية لهم النديم وجهاده الوطنى [١٠٨] هاجموا أيضا مصطفى كامل ، فعندما قابل مصطفى كامل « الميرالاى بارنج » شقيق كرومر وتناقش معه فى المسألة المصرية[١٠٩]

---

(١٠٤) اللواء : العدد الثالث عشر فى ١٦ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « رابطة الدين ورابطة الوطن » .

(١٠٥) الرافعى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٤٨ تحت عنوان « فضله على الوحدة الوطنية » .

(١٠٦) انظر : سلافة النديم ، ج ٢ ص ٨٠ — ٨١

(١٠٧) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٩٨

المؤيد : فى ٧ مارس ١٨٩٦

اللواء : العدد الرابع فى ٦ يناير ١٩٠٠

(١٠٨) انظر : الفصل الخامس من الكتاب تحت عنوان « النديم بين الخديو عباس الثانى والاحتلال » .

(١٠٩) الاهرام : فى ٢٨ يناير ١٨٩٥ تحت عنوان « حديث له شأن » .

هاجم أصحاب المقطم ذلك وانتقدوا مصطفى كامل انتقادا شديدا واعتبروا حديثه خرافة (١١٠) .

ان أفضل ما فى الرجال هو الثبات على المبدأ مهما كانت الصعاب وقد ثبت النديم على مبدأه وكان وفيا للثورة العرابية حتى فى أحرج اللحظات وخصوصا بعد هزيمتها وكذلك كان مصطفى كامل ثابتا على المبدأ رغم تطورات الأحداث فى غير صالح الحركة الوطنية وخصوصا بين حادثتى فاشودة والاتفاق الودى .

اوجه الاختلاف بين مصطفى كامل واستاذه النديم :

١ — رغم أن مصطفى كامل تلميذ عبد الله النديم — الذى نادى بأن تكون مصر للمصريين وفضل الوطنية المصرية عما عداها — فقد دعا الى دعم تبعية مصر لتركيا وضرورة التمسك بالرابطة العثمانية بقوله : « ويجب على المصريين أن يتمسكوا أشد التمسك بالرابطة الأكيدة التى تربطهم بالدولة العثمانية (١١١) » .

بل وصل به الأمر أن طلب من السلطان ارسال جيوشه الى مصر لاخراج الانجليز منها واحتلالها باعتبارها ولاية عثمانية (١١٢). كما أعلن فى خطبة له بباريس بمناسبة عيد جلوس السلطان فى ٣١ من أغسطس ١٨٩٥ « أن الراية العثمانية هى الراية الوحيدة التى يجب أن نجتمع حولها (١١٣) » .

ومع أنه من الصعب أن ينكر أحد أن مصطفى كامل كان لديه

---

(١١٠) المقطم : عدد ٣٧٨٢ فى ٢٩ يناير ١٨٩٥ تحت عنوان : « حديث خرافة » .

(١١١) مصطفى كامل : « المسألة الشرقية » ص ٢٥٩

(112) Le Bosphore Egyptiene Novembre 1906.

(١١٣) على فهمى كامل : المرجع السابق الذكر ، ج ٣ ص ٢٠٤

الحماس الدينى تجـاه الدولة العثمانية (١١٤) فاننا نرى أن مصطفى كامل قد رغب فى محاسنة الدولة العثمانية حتى يطمئن الى أنهـا لن تنضم الى انجلترا فى سياستها الاستعمارية ضد أمانى المصريين(١١٥)، وحتى يثبت بطـلان الاحتلال الانجليزى ، وعدم شرعيته لذلك فانه عمل فى خطين متوازيين هما الوطنيـة المصرية والجامعة الاسـلامية مع تغليب التيـار الثانى والتمسك باستقلال مصر الداخلى كما قررته معاهدة لنـدن ١٨٤٠ وضمنته الفرمانات السلطانية .

لقد كان الفرق شاسعا بين سياسة النديم وسياسة مصطفى كامل تجاه الدولة العثمانية فالنديم فضل الولاء للوطنية عن الارتباط بجامعة الدين وعندما تعارضت مصلحة مصر مع مصلحة الدولة العثمانية وقف النـديم بجانب مصر (١١٦) وهاجم سياسـة الدولة العثمانية تجـاه القضية المصرية ورفض أن تتنازل مصر عن الامتيـازات التى نالتهـا باستقلالها فى شئونها الداخلية (١١٧) بينما نجـد مصطفى كامل يطلب

---

(١١٤) الدليل على ذلك اتصال مصطفى كامل بالجمعيات شبه السرية للجامعة الاسلامية فى مصر مثل جمعية شمس الاسلام التى كانت تدار فعلا من القسطنطينية وتعمل فى مصر ، كذلك اتصل بجمعية مكارم الأخـلاق التى هدفت الى النهوض بالاسلام .

Landau : op. cit., p. 121.

(١١٥) لم ير الحزب الوطنى بأسا من الابقاء على السيادة الرمزية للسلطة العثمانية خشية أن تنضم تركيا للانجليز .

دار الوثائق : محمد على علوبة : ذكريات سـياسية واجتماعية » ص ٢٦

(١١٦) للتفاصيل انظر : الفصل السابع تحت عنوان « النديم بين الوطنية المصرية والجامعة الاسلامية » .

(١١٧) سجلات الثورة العرابية : سجل رقم ٩٠ تحت عنـوان : « مكاتبات الجهة السنية » .

من السلطان ارسال جيوش عثمانية لاحتلال مصر واخراج الانجليز منها أي أنه لا يمانع فى استبدال احتلال بريطانى باحتلال عثمانى .

ويفند مصطفى كامل ذلك بقوله : « اننا نتبع ناموس الطبيعة القاضى بأن من اتفقت مصالحهم يجتمعون ويتناصرون [١١٨] » لقد دافع مصطفى كامل عن « فكرة الجامعة الاسلامية » وضرورة وحدة المسلمين فى ظل الخلافة العثمانية [١١٩] فى حين كان النديم ينادى بالوحدة الشرقية التى تضم كافة الأديان التى يعتنقها الشرقيون [١٢٠] .

٢ — لقد اعتمد النديم فى نضاله الوطنى على الطبقات الشعبية وخصوصا الفلاحين حيث أنهم غالبية الشعب المصرى فى حين أن دعوة مصطفى كامل اقتصرت على المثقفين فى المدن وساعد على ذلك أن دعوته لتوثيق روابط مصر مع تركيا جعلت الفلاحين الذين ذاقوا الأمرين من العسف التركى يتجنبون دخول حزبه ، ولن يتغير ذلك الوضع الا بعد حادث دنشواى الذى كان فرصة لتوصيل صوت مصطفى كامل لآذان الفلاحين فهتف الفلاح وابنه وامرأته باسمه وراء المحراث وفى طريق القرية وعلى سطح الدار [١٢١] .

---

(١١٨) من خطبه مصطفى كامل التى القاها فى ٢٢ اكتوبر ١٩٠٧ .

(١١٩) ان صفحات اللواء تشب ذلك ففى العام الأول من حياة هذه الجريدة نشرت مقالات كبيرة عن الدولة العثمانية مثل « سلامة الدوله العثمانية » ، « اتحاد كلمة المسلمين » ؛ « قوة الخلافة الاسلامية » ، « دعوة عامة الى المسلمين » ، « عبد الخلافة والاسلام » ، « مصر والدولة العلية » ، « بقاء الدنيا موقوف على بقاء الدولة العلية » ، واستمرت اللواء حتى العام الثامن من عمرها تنشر المقالات التى تربط مصر بالدولة العثمانية وسلطانها .

(١٢٠) انظر : الفصل السابع .

(١٢١) محمد مصطفى الهيباوى : مصر فى ثلثى قرن بين الماضى والحاضر — القاهرة — محمد على منصور ١٩١٩ ، ص ٣٢ .

٣ — ان مصطفى كامل استطاع عرض قضية بلاده على الرأى العام العالمى واكتساب الأنصار لها فى الخارج وذلك لمقدرته على التحدث بالفرنسية ، ولأن ظروف العمل الوطنى كانت تحتم عليه ذلك ، كما أنشأ جريدتين أفرنكيتين (١٢٢) احداهما بالفرنسية وهى ليتندار اجبسيان L'Etendard Egyptien والأخرى بالانجليزية وهى ذى اجبشين استاندار The Egyptian Estandard. بينما لم يتمكن النديم من القيام بذلك أولا لأنه لا يجيد التحدث باللغات الأجنبية ، وثانيا لأن ظروف الكفاح الوطنى حتمت عليه التواجد بمصر سواء فى فترة الثورة العرابية أو ما بعدها .

٤ — ان مصطفى كامل كان عفيف القلم واللسان يطالب بحقوق بلاده بأسلوب بعيد عن السباب والشتائم وقد عبر عن ذلك بقوله : « اننا نعلم أن الصحافى اذا جعل الشتائم فى مواد جريدته أنزل نفسه بنفسه من مقام الواعظ الصادق والناصح المرشد والقائد لحركة الأفكار والميول فى الأمة الى وظيفة الصعلوك الحقير الذى ينبح ليله ونهاره كما تنبح الكلاب (١٢٣) » بينما كان للنديم مواقف غير ذلك ، وخصوصا فى فترة الثورة العرابية (١٢٤) لقد عاش النديم معتل الصحة كثير الأمراض وكذلك كان مصطفى كامل ومع ذلك فلم يعرف أى منهما طعما للراحة ولم يعط أى منهما لبدنه حقه بل كانا يجدان اللذة فى العمل بيد أن تكوين كل منهما الضعيف لم يتناسب مع روحيهما القوية التى يصعب ترويضها على الاستكانة أو المهادنة فواصلا بذل الجهود

---

(١٢٢) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر : رسالة الباحث للماجستير السابقة الذكر ، ص ١٩٥

(١٢٣) اللواء : العدد الرابع فى ٦ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « الصحافة فى مصر » .

(١٢٤) انظر : أعداد الطائف .

فى سبيل مصر تاره فى مرح وتارات أخــرى فى ترح حتى اســتنفذا حيويتهما » •

لقد مات النديم بعد أن نشب الدرن الرئوى أظفاره فى جســده وذلك ما حدث مع مصطفى كامل حيث يذكر محمد فريد أنه لـما عاد مصطفى كامل من أوربا « ذهب لمقابلته باسكندرية على الباخره وكان الدكتور رمضان بانتظاره باللوكاندة ، ولـما رآه مصفرا أخضر اللون قال لى همسا ان حالته الصحية غير مرضية ولابد أن يكون مصــابا بالسـل (١٢٥) » •

لقد كان لاتصال مصطفى كامل بالنديم أكثر من معنى « وكان أجل هــذه المعانى وأسماها اتصال الثورات وانتقال الشعله من يد الى يد ومن جيل الى جيل ، لا تخبو ولا تسقط ، فقد كان مصطفى كامل تجسيدا لروح الثورة الشعبية فى حركة عرابى ، فالخطيب من أحــد ثوارها عبد الله النديم (١٢٦) » •

---

(١٢٥) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد : الجزء الأول . القســم الأول ، ص ٢

(١٢٦) فتحى رضوان : مصطفى كامل . القاهرة . دار المعــارف ١٩٧٤ ، ص ٣٦٧

الباب الثالث

مصر فى مفهوم النـديم السياسى

الفصل السابع : النديم بين الجامعة الاسلامية والوطنية المصرية

الفصل الثامن : فكر النـديم السياسى .

الفصل السابع

النديم بين الجامعة الاسلامية والوطنية المصرية

- موقف النديم من فكرة الجامعة الاسلامية .
- النديم وفكرة الجامعة الشرقية .
- النديم والأفغانى فى القفص السلطانى .
- المبارزة الفكرية بين النديم والصيادى .
- النديم رسول الخديو لدى السلطان .

١ ــ موقف النديم من الجامعة الاسلامية :

لقد كان مبعث ولاء المصريين للسلطنه العثمانية دينيا حيث كانوا مكلفين شرعا بطاعة السلطان باعتباره الخليفة والأب الروحى للمسلمين [١] ، ولما كان مقره فى « استنبول » فان قلوب غالبية المصريين كانت تهفو اليها [٢] . كما كانت الفكرة المتسلطة على العقول فى ذلك الوقت هى ضرورة طاعة السلطان حيث « له عليهم الولاية العامة ، والطاعة التامه والسلطان الشامل ، وله حق القيام على دينهم ، فيقيم فيهم حدوده وينفذ شرائعه ، وله بالأولى حق القيام على شئون دنياهم أيضا وعليهم أن يحبوه بالكرامة كلها لأنه نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعليهم أن يسمعوا له ويطيعوا لأن طاعة الأئمة من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله[٣] » وكان قاضى مصر عثمانيا يقلد من قبل السلطان ، والمندوب أو القومسير العثمانى موضع التجلة والاكرام [٤] ، ولم يكن هناك ما يسمى جنسية مصرية فكانت عثمانى كانت تنطبق على كل من يقطن البلاد العثمانية ومنها البلاد العربية ، وقد حددت العلاقة بين مصر والدولة العثمانية عدة فرمانات ، كما تحدد مركز مصر الدولى على أثر الأزمة الدولية التى

---

(١) عن انتقال الخلافة الى آل عثمان انظر :

د. محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ ــ ١٩١٤ القاهرة . مكتبة سعيد رأفت . الطبعة الثانية ١٩٧٧ ، ص ١٢

(٢) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، حـ ١ ص ١١٣

(٣) على عبد الرازق : الاسلام واصول الحكم ــ بحث فى الخلافة والحكومة فى الاسلام .

القاهرة ــ مطبعة مصر . الطبعة الثانية ١٩٢٥ ، ص ٣

(٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، جـ١ ص ٢٠

أثارها النزاع بين محمد علي والسلطان بتسوية ١٨٤٠ — ١٨٤١ [٥].

وقد استغلت الدول الأوربية وخصوصا انجلترا وفرنسا العلاقة الرسمية التي تربط مصر بالدولة العثمانية في التغلب على الصعوبات التي واجهتهم .

فعندما رغبت انجلترا وفرنسا في عزل اسماعيل أوعزا الى السلطان حتى أصدر أمره بذلك [٦] كما استغلت انجلترا التأثير الديني للسلطان العثماني في نفوس المصريين ، فحاولت عن طريق هذا التأثير اضعاف مركز عرابي وتغيير ميزان المعركة لصالحها فضغطت على السلطان [٧] بالتهديد تارة وباستخدام كافة الوسائط ومنها الرشوة تارة أخرى حتى أصدر السلطان منشورا بعصيان عرابي [٨] مما تسبب

---

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر : د. احمد عبد الرحيم مصطفى : علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو اسماعيل ، ص ٥

وللرجوع الى نصوص التسوية انظر : المرجع نفسه ص ٢١٣ — ٢٢٤

(6) Dicey, E. The story of the Khedivate pp. 250 - 251.

انظر أيضا : د. احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق الذكر ص ٢٠٠ — ٢١١

(٧) محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٨٢

(٨) دار الوثائق القومية : ملف ثابت باشا محفظة ١٦٤ عابدين — خطاب من ثابت باشا الى رئيس ديوان الخديو ، احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٣٨٧

ويذكر عبد الرحمن الرافعى انه لو ترك السلطان وشأنه لما فكر فى اصدار هـذا الاعلان لأنه فى خاصة نفسه لم يكن يعطف على الخديو توفيق ولا يميل الى تثبيت سلطته .

عبد الرحمن الرافعى : الزعيم احمد عرابى ، ص ١٢٨

كما ذكر على فهمى كامل انه لم يكن بين الانعام على عرابى بالنيشان السلطانى وبين اعلان عصيانه سوى شهرين .

انظر مصطفى كامل : فى ٣٤ ربيعا ، جـ ٤ ص ٣١

فى حين أننا نرى انه بجانب ضغط انجلترا على السلطان لاصدار منشورا باعلان عصيان عرابى فان هناك عاملا هاما آخر وهو أن السلطان

=

فى قلب ميزان الحماس الشعبى وأوضاع التأييد الاسلامى والعربى للثورة العرابية [٩] حيث كان عرابى يعتمد فى حربه ضد الانجليز على أنه يدافع عن حقوق السلطان ، وعلى الرغم من أن النديم من تلاميذ الأفغانى صاحب فكرة الجامعة الاسلامية ، وعلى الرغم من أن فكرة القومية الاسلامية كانت متفوقة فى أذهان الكتاب والمفكرين والأدباء فى ذلك الوقت [١٠] على القومية المصرية الا أن النديم كانت له وجهة نظر أخرى تخالف وجهة نظر أستاذه الأفغانى . كما تخالف

=

لم يكن مرتاحا للحركة الوطنية فى مصر لأنه كان يخشى انتشار مفهوم الثورة منها الى باقى ولايات دولته كما أن الثورة العرابية طرحت مفاهيم تستنكرها الدولة العثمانية كل الاستنكار مثل فكرة اعلان الجمهورية وتوزيع الأرض على الفلاحين .

(٩) لقد كان موقف الدولة العثمانية من ثورة عرابى متقلبا حتى اختلط الأمر على الناس فلم يميزوا من هو الخائن اهو الخديو أم عرابى .

الهلال : عدد سبتمبر ١٩٦٥ ، ص ٧٦ ، مقال للدكتور عبد العزيز نوار تحت عنوان « ثورة ١٩١٩ وأثرها فى الحركات النضالية» وتذكر الوثائق البريطانية ان السلطان اتبع فى أثناء الازمه ما يتنافى مع اخلاقه ومبادئه وتبنى وجهات النظر الأوربية .

F. O. 407 Inclosure 6 in No 1444. Vice-Consul Borg to sir E. Malet

كما وصف الأستاذ محمد شفيق غربال سياسة الدولة العثمانية تجاه مصر بأنها سياسة ضعيفة خبيثة .

انظر : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٢ .

(١٠) شارك الأدباء والصحفيون فى الدفاع عن الدين فلفت قاسم أمين الأنظار اليه باخراج كتاب تحت عنوان : «Les Egyptiens» صدر عام ١٨٩٤ للرد على (دوق داركور) الفرنسى الذى هاجم الدين الاسلامى .

Kassem Amin : Les Egyptiens. Le Caire 1894.

وجهة نظر الامام محمد عبـده والشيخ يوسف [11] صاحب جريدة المـؤيد .

فالأفغانى والشيخ محمد عبده والشيخ على يوسف كانوا يفهمون الوطنية على أساس دينى ، ومثل هـذا الشعور دفع بالشيخ محمـد عبـده الى القول بضرورة « المحافظة على الدولة العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله وانها وحدها الحافظة لسلطان الدين ، الكافلة لبقاء حوزته ، وليس للدين سلطان فى سواها وأنا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت [12] » .

هـذه كانت وجهة نظر محمد عبده ، وهى وجهة نظر الكثرة من المفكرين من معاصرى النـديم .

أما النـديم فكانت له وجهة نظر أخرى حيث كان يفضل الولاء للوطنيـة عن الارتباط بجامعة الدين بحيث اذا تعـارض الدين مع الوطنيـة فانه يفضل الوطنية [13] ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « أن عز

---

(١١) رغم اعتراف الشيخ على يوسف بوجود امة مصرية الا انه كان يرى ضرورة تبعيتها للدولة العثمانية حيث يقول : « ان الأمة المصرية ليست مستقلة فى حياتها السياسية وانما هى تابعة لكرسى الخلافة العثمانية » .

المؤيد : فى أول فبراير ١٨٩٢ عن عنـوان « مصر بين يدى أميرها الحـديد » .

(١٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٩٠٩

(١٣) الأستاذ : العدد الثلاثون فى ١٤ مارس ١٨٩٣ تحت عنـوان « تجاذب الجنسيات والأديان » ص ٧٠٥ — ٧١٢

فى حين يذكر الشيخ محمد عبده « أن الخلافة الاسلامية حصـونا واسوارا وان اسوارها ما استحكم فى قلوب المؤمنين من الثقة بهـا ، والحمية للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية فى قلوب المسلمين ، الا ما اتاهم من قبل الدين » .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٩٠٩

الاستقلال بالوطنية خير من الاذلال بجامعة الدين [١٤] » ، ومع ذلك فانه لم ينكر حق السلطان العثمانى كخليفة قائم بأمر المسلمين [١٥] بل ناشد أبناء وطنه بوضع أيديهم فى يده فقال « ضعها فى يد وطنيك وأعقد خنصريكما على محبة أمير البلاد وسيدها الخديو المعظم مرتبطة هـذه المحبة بمحبة أمير المؤمنين الخليفة المعظم [١٦] » .

وعندما وقعت أزمة الانقلاب الوزارى ١٨٩٣ وتمسك الخـديو بحقه فى تعيين وزرائه قال النديم ان الخديو طبق « ما فوضه اليـه السلطان من السلطة ، وما أوجبته عهود الوراثة من الحقوق وما له على الرعيـة من حقوق الطاعه [١٧] » كما أعلن فى مجلته أنه لم يخدم غير السلطان والخديو فقال : « والأستاذ مع كونه متمخضا فى الوطنية عريقا فى المصرية لا يخدم غير سلطانه ، ولا يعرف غير أميره [١٨] » .

كما دافع النديم عن الدولة العثمانية واعترف بسيادتها الدينيـة وهاجم الذين يرمونها بالعجز بقوله : « واننا نرى كثيرا من المغفلين ..

---

(١٤) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ ينـاير ١٨٩٣ ؛ ص ٥٣٢ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

وقد انتقد الشيخ محمد عبده موقف النديم هـذا بقوله ان : « من ظن أن اسم الوطن ومصلحة البلاد وما شاكل ذلك من الألفاظ الطنـانة يقوم مقام الدين فى انهاض الهمم ؛ وسوقها الى الغايات المطلوبة منها ، فقد ضل سواء السبيل » .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٥٠٦ .

(١٥) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ ينـاير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ — ٥٤٥ تحت عنوان : « الحقوق المقدسة » .

(١٦) الأستاذ : العـدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ، ص ٦٩٥ تحت عنوان « هذه يدى فى يد من أضعها » .

(١٧) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠، تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(١٨) الأستـاذ : العـدد الثامن والثلاثون فى ١٦ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩١٧

يذمون الدولة العلية ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وســوء الادارة وقسوة الحكام ولو أنصفوها لقالوا أنها أعظم الدول ثباتا وأحســنها تبصرا وأقواها عزيمة .. لأنها دولة واحدة اسلامية بين ثمانى عشرة دوله مسيحية [١٩] » ولكن عندما تعارضت مصلحة الوطن مع الدولة العثمانية فان النديم كان يقف بجانب الوطن ، ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما تآمر الجراكسة على اغتيال زعماء الثورة[٢٠] وتمت محاكمتهم ورفض الخـديو التصـديق على الأحكام وشرع فى عرض الأمر على السلطان طالبا ارسال لجنة لاعادة التحقيق [٢١] ثار النـديم وهاجم موقف الخـديو واعتبره تنـازلا عن امتيـازات مصر واسـتقلالها الداخلى [٢٢] .

ولمـا حاول السلطان استغلال الخلاف بين العرابيين والخـديو بهدف عودة سـلطانه المتدهور فى مصر ، وتثبيت السـيادة التركية عليها [٢٣] فأرسل بعثة لتقصى الحقائق والتحقيق فى أمر الخـلاف [٢٤]

---

(١٩) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٦٨

(20) Parliamentary Papers. Egypt No. 7 (1882).

تلغراف من سير مالت لايرل جرانفيل بتاريخ ١٢ أبريل ١٨٨٢

أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٢٥٦ ، محاضر جلسات قومسيون التحقيق ، ص ٩٦ (مخطوط بدار الوثائق) .

وايضا جريدة مصر : العدد ١٦ فى ١٩ أبريل ١٨٨٢ تحت عنـوان « مكر سيىء » .

(٢١) ملف ثابت باشا — محفظة ١٦٣ عابدين — تلغراف من الخديو الى ثابت باشا .

وايضـا محفظة ١١٦ أبحاث .

(٢٢) سجلات الثورة العرابيـة : سجل رقم ٩٠ تحت عنـوان : « مكاتبات المعية السنية » .

(23) Cromer : Modern Egypt Vol. 1. p 194.

(24) F. O. 407/22, Inclosure in No. 589, Memorandum by Dervish Pasha.

وقد وصلت هذه البعثة الى الاسكندرية فى ٧ يونيه ١٨٨٢

الوقائع المصرية : العدد ١٤٢٨ فى ٨ يونيه ١٨٨٢

لم يظهر النـديم العـداء لها فى أول الأمر [٢٥] لعلهـا تنضم الى صفوف الوطنيين وحتى لا تنحاز الى الخديو ، ولكن عندما أشيع أن السلطان أرسل البعثة لحث عرابى على قبول المذكرة المشتركة لم يتورع النـديم عن مهاجمة هـذه الفكرة فعقـد اجتماعا بالاسكندرية ضم حوالى عشرة آلاف شخص هاجم فيـه المذكرة ومؤيديهـا [٢٦] كما حرض الأهالى « ضد الأوربيين والأتراك [٢٧] » .

ولمـا أساء درويش باشا استقبال وفد علماء الأزهر ولم يقبل تدخلهم فى الشئون السياسية ، ولن يلجأ الى مشورتهم [٢٨] واتضحت نواياه ضـد الحركة الوطنية حين طالب عرابيا بالتنازل عن سلطاته[٢٩] بقوله له : « أريد أن تحيل على ديوان الجهادية وتتوجه الى الحضرة السلطانية [٣٠] » وارساله تلغرافا الى الآستانة يطلب ارسال فـرق

---

(٢٥) كان النديم يكره درويش اشد الكره ويوجس منه خيفة ، وطالما أعلن الى اصحابه انه لا يأمن الاتراك بوجه عام ، ولا يدرى هل جاء درويش للقضاء على عرابى أم للقضاء على توفيق .

محمود الخفيف : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٧٥

(26) Blunt : op. cit., p. 329.

(٢٧) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية ـــ محفظة رقم١٨ ملف ٤٦ شهادة الباس [illegible] الشامى المعاون بالضبطيـة عن حـوادث الاسكندرية .

(28) F. O 407/22, Inclosure in No 589 Memorandum by Dervish Pasha.

(٢٩) كان من ضمن الأوامر المعطاه الى درويش باشا القبض على عرابى ورملائه وارسالهم مغلولين الى الاستانة .

انظر : محمد مهرى : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٧٢

وعن المؤامرة التى دبرها درويش باشا قبطان الباخـرة التركيـة عز الدين لترحيل عرابى الى الاستانة .

انظـر :

F. O. 407/22, Inclosure in No. 589 Memorandum by Dervish Pasha.

(٣٠) د. محمد احمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٦٧

عسكرية تركية الى مصر [٣١] لم يتردد النـديم فى مهاجمة سـياسة الدولة العثمانية تجاه القضية المصرية فقعد اجتماعا فى المكان المعـد للصـلاة بالجامع الأزهر [٣٢] حيث خطب فى جمع تجاوز أربعة آلاف شخص حمل فيـه على البعثة التركية والخديو حملة مؤثرة كان لهـا أكبر الأثر فى النفوس [٣٣] مما هز مركز درويش ، وجعل المجتمعين ينادون برحيله ولو بالقوة [٣٤] .

وعندما أصـدر السلطان منشورا باعلان عصـيان عرابى هاجم النـديم المنشـور وطالب بالاسـتمرار فى الدفاع عن الوطن حتى لو اشتركت عساكر عثمانية ضدهم [٣٥] .

هكذا فضل النديم الوطنية المصرية على الارتباط بجامعـه الدين مخالفا فى ذلك مفكرى وكتـاب عصره [٣٦] الذين كانوا يعتبرون أن الولاء للدولة العثمانية ثالث العقائد بعد الايمان بالله ورسوله ، كما أنه فضل أيضا جمع الشعوب الشرقية بغض النظر عن الدين وعن فـكرة الجامعة الاسلامية .

---

(31) F O. 407/22, Inclosure in No 589 Memorandum by 'Dervish Pasha.

(32) Blunt : op cit., p. 27.

(33) Blunt : Ibid. p. 308.

(34) Blunt : Ibid. p. 332.

(٣٥) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٥ ص ٢٤٨
والجدير بالذكر ان الباب العالى كان مصمما على أرسال جيش عثمانى الى مصر بشرط جلاء القـوات الانجليزية عنها عنـد وصـول الجنـود العثمانيه اليها .
لمزيد من التفاصيل . انظر : اسماعيل سرهنك . حقائق الأخبـار ، جـ ٢ ص ٤٠٤

(٣٦) حتى مصطفى كامل الذى تتلمذ على النديم واخـذ الكثير من أفكاره اختلف معه فى ذلك وفضل الولاء للدولة العثمانية والميل للجامعـة الاسـلامية .
انظر : الفصل السادس .

النديم وفكرة الجامعة الشرقية :

على الرغم من أن النـــديم أحـــد تلاميذ الأفغانى فانه لم يتفق معه فى كل آرائه فبينما نادى الأفغانى بفكرة الجامعة الاسلامية لجمع شمل البلاد الاسلامية فى مواجهة النفوذ الأجنبى خصوصا الانجليزى والروسى [٣٧] حيث رأى أن هناك قومية اسلامية تجمع بين المسـلمين مهما اختلفت بلادهم وأن « الأصول الدينية الحقة تنشىء للأمم قوة الاتحـــاد وائتـــلاف الشـــمل وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع المعارف [٣٨] » وأنه « لا جنسية للمسلمين الا فى دينهم [٣٩] » — نجد النـــديم يرفض هـــذه الفكرة حيث أنهـــا قائمة على أساس دينى ، ويرى أهمية الشعوب الشرقية بغض النظـــر عن الدين لأن خطـــورة الاستعمار لا تتمثل فى تهديد مسلمى الشرق وحدهم بل تشمل كافة الشرقيين بغض النظر عن دينهم فطالب باتحاد الأمم الشرقيـــة من « عرب وعجم وترك وجركس وأرمن وغيرهم على اختلاف دينهم [٤٠] »

---

(٣٧) د. محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه ، ص ١٨

(٣٨) العروة الوثقى فى ١٤ يوليو ١٨٨٤ تحت عنوان « الوحدة الاســـلامية » .

(٣٩) العروة الوثقى : فى ٢٦ يوليو ١٨٨٤ تحت عنوان : « الجنسية والديانة الاسلامية » .

(٤٠) الأستاذ : العدد الثانى والأربعون فى ١٣ يونيو ١٨٩٢

واذا كان النديم قد رفض الجامعة الاسلامية لأنها قائمة على اساس دينى ودعا الى الجامعة الشرقية التى تضم كافة الأديان فان « سليم تقلا » صاحب « الأهرام » رفض ايضا فكرة الجامعة الاسلامية وفضل عليهـــا الجامعة العثمانية حيث نادى « بوجوب تأييد التبعية العثمانية واحترامها وتوثيقها والمحافظة عليها بالنفس والنفيس » .

الأهرام : فى ١٠ فبراير ١٨٩٢ تحت عنوان (لمحة — مستقبلنا) كما نفى « لطفى السيد » بعد ذلك وجود أى اثر للجامعة الاسلامية بقـــوله :
=

لأنه عندما « تعددت وحدة الملك فى الشرق .. وضعفت قوته العظيمة بتجزؤ ممالكه سهل على الغرب شن الغارة عليها[٤١] » وناشد الشرقيين جمع الشمل وتوحيد الكلمة لمقاومة خطر الاستعمار الغربي فقال : « اذا شددنا أزر بعضنا ، وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشاميه وعربية وتركية أمكننا أن نقول لأوربا نحن نحن وأنتم أنتم . وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعد فريق حق لأوربا أن نطردنا الى رءوس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشى » وتصدق فى قولها : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا [٤٢] » .

كما ذكرهم بأن الأمة الكثيرة العدد والأقطار .. تحفظ مركزها الجغرافى باجتماع كلمتها فاذا تجزأت وصارت قطعا سهل على غيرها من الأمم أن يبتلعها لضعفها عن المقاومة وانفصالها عن العضد والمعين [٤٣] » .

وعندما بعث أحد المسلمين بمدينه بطرسبرج برساله الى النديم يسأله عن خطته فى الوقوف أمام الأعداء رد عليه النديم بأنه يدعو الى الوحدة الشرقية بغض النظر عن الدين لأنه عندما يتبادل علماء المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين العلوم ، وتتشكل منهم المحافل

=

« الجامعه الاسلامية لا اثر لها فى مصر ولا نظن ان لها وجود فى غير مصر » .

الجريدة : فى ٧ مايو ١٩٠٧

(٤١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٢٧ تحت عنوان « وظائف العلماء فى العالم » .

(٤٢) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٣٢ — ٥٣٣

تحت عنوان : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٤٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٢٧

فانهم « لا ينظرون الا من وجهة نظر واحدة هى حفظ الشرق للشرقيين (٤٤) » .

وحذر من التنافر بين الشرقيين وطالب بجمع الشمل موضحا الطرق الموصلة الى التقدم فقال : « لا يتوقف التقدم الا على قطع الأضغان وترك التنافر بالدنيئات وجمع الشتيت مما تفرق من الأجناس الشرقية ولا يكون ذلك الا بالتربية على الآداب ومكارم الأخلاق . وليس القصد بهذا الجمع أن تثور فى وجه الأجانب مزحزحا لهم عن أوطانك بل القصد أن تشابه الأجنبى فى سعيه العلمى والتجارى .. واذا رأيت مصريا أو سوريا أو تركيا أو هنديا أو فارسيا أو مغربيا يوقع النفرة بينك وبين جنس شرقى كأن تكون مصريا وترى شرقيا ينفرك من السورى أو التركى فاعلم أنه أجير يشتغل لغيره (٤٥) » .

كما رأى أن الدولة الشرقية حينما تطرح فى أرض مصر تبدأ من الحريات ومن النهضة الصناعية والزراعية والثقافية لذلك اهتم بحرث الأرض وتهيئتها للبذار (٤٦) » .

وكما ظل الأفغانى مناديا بفكرة الجامعة الاسلامية حتى فى أحرج اللحظات ونادى فى جريدته « العروة الوثقى » بدعوة المسلمين الى

---

(٤٤) الأستاذ : العدد الرابع فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٨٠ ، تحت عنوان : « الجامعة الوطنية والاختلاط العمرانى » .

والجدير بالذكر ان فكر النديم السياسى قد اتخذ طابعا علمانيا منذ ظهوره على صفحات الجرائد المصرية بمعنى اعتبار الفكرة الوطنية فوق كل الخلافات الدينية .

(٤٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ١٢٦—١٢٧ تحت عنوان : « انما يقبل النصيحة من وفق » .

(٤٦) مجلة الكاتب : العدد ١٠٤ فى نوفمبر ١٩٦٩ ، ص ٤ مقال للأستاذ : أحمد عباس صالح تحت عنوان : « دراسة فى الموقف المصرى والثورة » .

الوحدة الصحيحة جاعلين امامهم الأعظم فى ذلك للقرآن الكريم [٤٧] فان النديم ظل متمسكا بفكرة الجامعة الشرقية حتى بعد عودته من منفاه ، وكانت صفحات جريدته « الأستاذ » مجالا لنشر المقالات الخاصة بتنبيه الشرقيين الى الأخطار المحدقة بهم [٤٨] وضرورة الوقوف فى وجه الدخيل الأجنبى [٤٩] كما أن الاستعمار لم يطلق صبرا بالعروة الوثقى [٥٠] فانه أيضا لم يطق صبرا بالأستاذ [٥١] الذى كان له دور مؤثر ، وأحدث تأثيرا سياسيا وأدبيا له شأن [٥٢] .

٢ — النديم والأفغانى فى القفص السلطانى :

ذكرنا أنه بعد هزيمة القوات المصرية واحتلال الانجليز لمصر نفى النديم الى يافا ، وفى أثناء اقامته بها لم يستطيع الوفاء بشرط الحكومة المصرية بخصوص عدم التحدث فى السياسة [٥٣] اذ ما أن وصل اليها حتى تجمع حوله العلماء والمثقفون وأعيان البلاد فتطرق حديثه الى مصر والى المساوىء التى سببها الاحتلال الانجليزى لها كما تعرض لسياسة الدولة العثمانية فأخذ ينتقد السلطان الذى خذل مصر فى محنتها ، وأعلن عصيان عرابى ارضاء للانجليز ولهذا لم تطل

---

(٤٧) محمد رشيد رضا : المنار : العدد ٢٢ من السنة الثانية فى ١٨٩٩/٨/١٢ ، ص ٣٣٧

(٤٨) نفسه : ص ٣٣٩

(٤٩) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ٧ [illegible] ١٨٩٣ ، ص ٥٣٢ ، تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٥٠) صدر قرار من رئاسة مجلس النظار بمنع دخول العروة الوثقى الى البلاد المصرية .

محفوظات مجلس الوزراء — مجلس النظار — محفظة ٥ ى .

(٥١) توقفت بعد اقل من عام من صدورها .

(٥٢) محمد رشيد رضا : المنار : العدد السابق الذكر ، ص ٣٣٩

(٥٣) عن هذا الموضوع انظر : الفصل الخامس .

مدة اقامته بيافا اذ بلغت السلطان أقواله [٥٤] فأمر باخراجه منها رغم أنه لم يستقر فيها سوى أربعة شهور [٥٥] ، ولم يكتف بذلك بل أمر بابعاده أيضا عن كافة البلاد التابعة للدولة العثمانية [٥٦] ومنها مصر فتأزم الموقف بالنسبة للنديم وظل حائرا لا يدرى الى أين يتجه فأرسل الى الاسكندرية [٥٧] حتى تقرر الحكومة أمرا فى شأنه ، وفى خلال ذلك قابله الغازى مختار باشا ، وشجعه على السفر الى الآستانة [٥٨] وسعى له فى ذلك [٥٩] ، ولما كان من سياسة السلطان عبد الحميد فى تلك الفترة استرضاء أرباب الأقلام وذوى الأفكار النائره [٦٠] — وخصوصا العرب — واستمالتهم واغداق الكثير من الأموال عليهم لارضائهم [٦١] ثم التحفظ عليهم فى الآستانة حتى

---

(٥٤) احمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٩

(٥٥) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٦

(٥٦) مذكرات محمد فريد : الجزء الثالث . كراسة ١٦ ص ٢٥
جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ٢ ص ١١٠ — ١١١

(٥٧) أحمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٩

(٥٨) مذكرات محمد فريد . القسم الاول — الجزء الثالث . الكراسة ١٦ ، ص ٢٥

(٥٩) احمد تيمور : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٩

(٦٠) فى اواخر عام ١٨٩٢ أرسل السلطان عبد الحميد يستدعى جمال الدين الأفغانى الى الآستانة . بحجة مشاورته فى الاصلاح فقبل الدعوه بعد تردد وذهب الى الآستانة .
يوسف نعمان معلوف : المرجع السابق ، ص ٢٠٦
وحين دخل العاصمة التركية لم يستطع مبارحتها اذ قضى فيها مايزيد على اربع سنوات اثناءها تحت المراقبة الصارمه .
المجلة التاريخية : المجلدان التاسع والعاشر ٦٠ — ١٩٦٢ مقال للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى تحت عنوان « افكار جمال الدين الأفغانى السياسيه » ص ٢٢٩ — ٢٣٠
والجدير بالذكر انه سبق الأفغانى فى ذلك المصير « ابراهيم المويلحى » انظر : مجلة الرسالة : العدد ٢٥٠ فى ١٨ أبريل ١٩٣٨

(٦١) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، ص ١٠٨

يكونوا على مقربة منه ، وتحت سمعه وبصره ليتقى مهاجمتهم له ويضمن تأييدهم لسلطته الزمنية (٦٢) ويعزز بهم مكانته ويوطد سيطرته (٦٣) خاصة وأنه تمسك بحقوقه فى الخلافه على أساس أنها تضفى عليه نوعا من القداسة ، وتجعله فى مأمن من النقد والتجريح ، ونجح فى ذلك الى حد كبير ، وساعده على تحقيق مبتغاه نمو الحركة الاسلامية التى يتزعمها الأفغانى (٦٤) — أقول لما كان من سياسة السلطان عبد الحميد كل هـذا قبلت سعاية الغازى مختار باشا وسافر النديم الى الآستانة، وصدرت الأوامر السلطانية بتعيينه مفتشا للمطبوعات بالباب العالى(٦٥) بمرتب قدره (خمسة وأربعين دينارا مجيديا فى الشهر (٦٦)).بالاضافة الى مبلغ الخمسة والعشرين جنيها التى كان يتقاضاها من الحكومة

---

(٦٢) جورج انطونيوس : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٦

(٦٣) توفيق على برو : العرب والترك فى العصر العثمانى الدستورى ١٩٠٨ — ١٩١٤
القاهرة — معهد الدراسات العربية ١٩٦٠ ، ص ٣٠٥

(٦٤) د. محمد انيس : المرجع السابق الذكر ، ص ١١٦

(٦٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ١٣
محمد حسنى العامرى : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧٩ بينما يذكر احمد تيمور ان الحكومة العثمانيه استخدمت النديم فى ديوان المعارف .
انظر : تراجم اعيان : ص ٢٧ ، اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٩

(٦٦) احمد تيمور : تراجم اعيان ، ص ٢٧
والدينار عملة ذهبية استخدمها المسلمون فى عصور مختلفة ، وقد ورد لفظ الدينار فى سورة آل عمران من القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما » آية ٧٥
احمد عطية الله : القاموس الاسلامى — المجلد الثانى — النهضة المصرية ١٩٦٦ ، ص ٤٢٤
وقد نقل العرب هذه العملة عن الفرس .
Webstér's Dictionary Springfield. Mass 1878 p 375

المصريه (٦٧) ، وهنـــاك نال الحظوة لدى المقام السلطانى . وتعرف على كثير من الوزراء وأرباب المكانة العلمية (٦٨) ؛ ولكنه اختص بالملازمه والصحبه جمال الدين الافغانى (٦٩) .

وغريب أن يقبل النديم وظيفه مفتش للمطبوعات وهو الذى كان ينال الأذى دائما من اداره المطبوعات المصريه ، وأن يرضى بتحكمه فى الصحف ، وهو الذى كان يأبى أن يتحكم فيه أحـــد ، وأن يكون أداه لتقييد الحرية بعـــد أن كان داعية لتأييد الحريه (٧٠) ، ولكن الأستاذ « أحمد أمين » يعلل ذلك بقوله : ان هـــذه الوظيفه كانت اسميه . وكان الغرض منها أن يمنح النـــديم مرتبا فى نظير عبر وضيع (٧١) وعلى كل حال فقد دخل النـــديم « القفص السلطانى (٧٢) » بعد أن سبقه اليه أستـــاذه الأفغـــانى حيث تجمـــد نشـــاطهما وتـــكاثرت العيون حولهما (٧٣) .

لقد كان قفص جمال الدين ضيقا ولكنه من ذهب حيث كان يعيش فى مظاهر خداعة من عطف السلطان الذى كان يحترم الأفغـــانى وفى نفس الوقت يخافه ويراقب خطاباته، ويختفى وراء ستار لملاحظته(٧٤)

---

(٦٧) عبد الفتاح ندم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣
(٦٨) نفســـه .
(٦٩) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٧
(٧٠) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٣
(٧١) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، ص ٢٤٣
(٧٢) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٣
(٧٣) كانت الأسس التى شيد عليها السلطان عبد الحميـــد حكمه قائمة على الجاسوسية والارهاب .
انظر : جورج انطونيوس : المرجع السابق ص ٦٤ ، مجلة الثقافة : العـــدد الثالث عشر فى ٢٨ مارس ص ٢٤ مقـــال للأستاذ عبد المنعم حمادة تحت عنوان : « جمال الدين الأفغانى » نبذة عن حياته .
(٧٤) د. ألما وتلى : عبد الحمـــد ظل الله فى الأرض — ترجمة راسم رشدى . القاهرة ١٩٠٥ ، ص ١٧٥

أما قفص النـــديم فقد كان واسعا من حديد اذ كانا يختلفان بمقـــدار حطورة كل منهما على السلطان ، وبمقدار مكانته وحسبه ونسـبه . فالأفغانى يتقلد رياسة العمل فى سبيل الدعوة للجامعة الاسلامية (٧٥)، وينزله السلطان فى دار ضيافة خصه بها ، ويجـرى عليـه الأرزاق الوفيرة (٧٦) ويضع تحت تصرفه عربة وخدما وحشما ، ويعرض عليه مشيخة الاسلام فيأبى (٧٧) أما النديم فلا خدم ولا حشـــم فهو من الشعب وابن الشعب وخادمه .

وفى جو كبت الحريات والاحاطة بالجواسيس اتصلت أسـباب الألفة وتمكنت روابط الاتحاد حسا ومعنى (٧٨) بين كل من الأفغـانى والنـــديم فكان لا يصبر أحدهما عن فراق الآخر ، ولا يطيب له مجلس الا اذا كانا فيـــه معا (٧٩) فقد كانا شريكين فى مصير واحد هو قفص السلطان فجمعت بينهما المحنه والغربة (٨٠) .

عاش النـــديم فى الآستانة معطل المواهب فلا خطابة ولا كتابة ولا تهيج للأفكار ولا تحميس لأحد وهو الذى لم يعرف للهدوء طعما فأصبح فى وسط يكاد يختنق فيـــه لا يفرج عنـــه الا مجلس صـــديقه جمال الدين الأفغانى فيتحادثا ويشكو كل منهما للآخر تعذيب روحه الحبيسة فى القفص (٨١) وقـــد بلغ تعلق جمال الدين به ، وجميـــل اعتقاده فيه أنه أصبح وأمسى يعجب بقوة حجته فى المناظرة والجدل ؛

---

(٧٥) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ١٣٦
(٧٦) نفسه : ص ٢٠٢
(٧٧) أحمد أمين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤٢
(٧٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ١٣
جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، جـ ٢ ص ١١١
(٧٩) عبد الفتاح نديم : المرجع نفسه .
(٨٠) د. على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٤
(٨١) نفسـه .

وسرعه بديهته فى التحرير حتى صرح فى عده مجالس بأنه ما راى مثل النديم طول حياته فى توقد الذهن وصفاء القريحة ؛ وسدة المعارضة ووضوح الدليل ، ووضع الألفاظ وضعا محكما بازاء معانيها ان خطب أو كتب (٨٢) .

المبارزة الفكرية بين النديم والصيادى :

والجدير بالذكر أنه كان يوجد بحاشية السلطان عبد الحميد الثانى فى ذلك الوقت رجل له أهمية فى التأريخ للدولة العثمانية فى تلك الفترة وهو « أبو الهدى الصيادى (٨٣) » الذى استطاع بذكائه وتزلفه ومهارته التغلب على عقل السلطان بغرائبه وأحلامه وقدراته ومواهبه فى مجال العمل فى الدوائر والمؤسسات الاسلامية مثل الطرق ومشايخها (٨٤) حيث أن السلطان عبد الحميد الثانى كان فى ذلك الوقت فى حاجة الى قاعدة صلبة واسعة الانتشار يستطيع أن يستخدمها فى مواجهة التيارات السياسية والفكرية القومية والدستورية التى بدأت تفرض نفسها على حكومة الدولة العثمانية خاصة منذ حركة مدحت باشا الدستورية التى

---

(٨٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر . ص ١٣
جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ص ١١١
الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٧

(٨٣) مسقط رأسه قريه خانشيخون من نواحى حلب . وهى بلدة صغيرة يقال أن جماعه من بنى الصياد الذين ينتسب اليهم توطنوا فيها من قديم الزمان . احد كبار الكتاب فى الأستانة : جلاء الغبين فى المحاكمة بين الشيخين فى دار الخلافة العظمى .
ادارة الرائد المصرى . د. ت ، ص ٩

(٨٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر :
محمد ابو الهدى الصيادى : نفحات الامداد على نونيه سيدنا الامام الصياد ص ٢ — ١٩ ، وايضا : القواعد المرعيه فى أصول الطريقه الرفاعية . بيروت — مطبعة المعارف . د. ت ، ص ٢ — ٦ .

جاء على أساسها عبد الحميد الثانى نفســه الى العــرش ، وهــذه التيارات كانت ذات طابع أوربى ، وهو طابع يرى فيــه الســلطان عبد الحميد نكبة على العالم الاسلامى بل محاوله للقضاء على الاسلام ودولته . ومن هنا كان السلطان فى حاجة الى المفكرين الدينيين ليجمعوا حوله هــذه القوه الكبيره الممثله فى علمــاء الدين فى مختلف ولايات الدولة العثمانيــة ليعملوا على توطيــد حكمه والوقوف أمام الضغط الأوربى الفكرى أو السياسى أو حتى العسكرى ، وهــذا يفسر لنــا السر فى بحث السلطان عن شخصيه عربية تمكنه من تحقيق هدفه هذا ووقع اختياره على أبى الهدى الصيادى (٨٥) لأن الرجل عرف كيف يلبى حاجات الســلطان عبد الحميــد النفســية والســياسية فى آن واحــد .

وصل نفوذ أبى الهــدى الى كل أرجاء الممالك التابعــة للدولة العثمانية وتقرب اليه الولاة لنيل رضــائه (٨٦) ، وامتــد نفوذه من

---

(٨٥) هناك آراء أخرى عن أسباب تقرب ابى الهدى الصيادى من السلطان فيذكر « ولى الدين يكن » ان عداوات الصيادى مع الكثيرين وكثرة حاسديه كانتا السبب فى تقريبه حيث اتخذهما ذريعة لاثبــات اخلاصــه للسلطان حيث اوهمه انه لو كان خائنا مثلهم ما ابغضوه فأظهر له السلطان الارتياح على ريبة من امره .

انظر : المعلوم والمجهول ، ج ١ ص ٧

كما يذكر « ابراهيم المويلحى » : ان ابا الهدى لمــا احس بالشر على نفســه اتفق مع بعض المقربين اليه على ترويج شائعة مؤداها أن عنــده صورة فتوى بخلع السلطان عبد الحميد الثانى كان قد كتبها شيخ الاسلام المرحوم « عريانى زادة » بخطــه وذيلها بخاتمه ، وانه لا ينشرهــا الا اذا احس بالخطر على نفسه ، ولمــا وصلت هــذه الشائعة الى الســلطان استرضى أبا الهــدى وحال بينــه وبين الهلاك واصبح لا يرد له طلبا .

انظر : ما هنالك . القاهرة ـــ مطبعة المقطم ١٨٩٦ ، ص ٢٢٧ـــ٢٢٨

(٨٦) يستثنى الخديو عباس الثانى من ذلك فقد كان دائم الخلاف مع الشيخ ابو الهدى الذى كثيرا ما كان يكيل له الدسائس عند السلطان .

انظر : احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ القسم الأول ، ص ٣٩٢

السياسة الى الجيش والادارة وسمى « مستشار السلطنه » و « عماد السياسة » و « مستشار الملك » و (حامى العثمانيين) و (سبد العرب) و (شيخ الشيوخ) و (العارف بالله) و « ركن الخلافه » الذى اليه نرجع فى خطوبها وتعول عليه عند اشتداد كروبها (٨٧) » .

ويذكر « ولى الدين يكن » أن الأفغانى كان صديقا لأبى الهدى وكانت المودة بينهما شديدة حتى وصل الأمر أن كان كل منهما يخاطب صاحبه بيا ابن العم ، ولا يصبر أحدهما على فراق الآخر يوما واحدا حتى سعى بينهما بالنميمة عبد الله النديم متنامرا وبلغت منهما العداوة والبغضاء أن بات كل يطلب موت بعضه (٨٨) . ومع أن لنا كثيرا من التحفظات على كل ما كتبه ولى الدين يكن عن النديم حيث كانت العداوة شديدة بينهما فاننا لا نستبعد أن يكون النديم فعل ذلك بعد أن سمع ورأى جبروت أبو الهدى الصيادى وبطشه بكل رأى حر وبعد أن أحس بخطورته على أستاذه .

كما كان من أسباب كراهية الصيادى للأفغانى منزله الأخير لدى السلطان حيث كان الأفغانى يدخل على السلطان ويصلى الجمعة معه (٨٩) فقلب أبو الهدى له ظهر المجن ووسوس للسلطان فى أمره (٩٠) وعرقل عليه عمله فى شد أواخى الأخاء بين العثمانيين

---

(٨٧) احد كبار الكتاب بالاستانة : حلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين فى دار الخلافة العظمى ، ص ٣٦

(٨٨) المعلوم والمجهول ، ج ١ ص ٩٧

(٨٩) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٠٢

(٩٠) ذكر احد كبار الكتاب فى الاستانة أن أبو الهدى قد اشتهر بمصاحبة اهل السعاية والوشاية واللهو والبطالة والنفاق والشقاق فتراه يجالسهم ويجاملهم فيسهرون معه فى اغلب الليالى لتدبير الحيل وترتيب التقارير وتلفيق التزاوير حتى انه خرب بهذا السبب بيوتا كثيرة .

انظر : حلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين ، ص ٣٦

والفــرس أو بين أهل الســنه وأهل الشــيعة وأكثر من العيــون والجواسيس حوله (٩١) .

استغل النـديم عداء أبى الهدى الصيادى للأفغانى فى التنفيس عن قدراته المعطله وأفكاره المكبوتة وخصوصا أنه تلميذ جمال الدين وصديقه وأن أبا الهدى يسعى فى ايذاء كل من يذكر الأفغانى بالخير(٩٢) بل قد زاد من حنق الصيادى على النديم أنه مصرى وقــد « أفتى واحد وعشرون عالمــا من علماء مصر بتـكفيره وزندقته (٩٣) » .

ومن ثم فهو يكره المصريين ، ويريد أن ينتقم من كل مصرى فسود « صحيفه المصريين قاطبه أمام السلطان بغشه وتدليسه (٩٤) » .

ومع أن أبا الهــدى كان من الجبروت بحيث يخشــاه العظماء لنفوذه لدى السلطان (٩٥) فان النديم انطلق فى هجائه دون أن يعبــأ بسطوته وقدرته على الانتقام منــه (٩٦) حيث كان يلذ له مواجهــة العظماء ، ومنازله الكبراء فى غير خوف لا يعبأ بالقوه ، ولا يخــاف البطش ، فاذا نازل أحــدا وسلط عليه لسانه كانت الكارثة فلا يبالى بالعظائم ، ولا يخشى فى الحق لومة لائم (٩٧) فأخذ يخوض فى سيرته

---

(٩١) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٨٨

(٩٢) نفســه : ص ٩٠

(٩٣) ابراهيم المويلحى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢١ — ٢٢٢.

(٩٤) نفسـه : ص ٢٢٢
كما أيد ذلك أحد كبار الكتاب بالآستانة بقوله : ان ابا الهدى كان « رجلا مدلسا واسع الذمه » .
انظر : جلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين ، ص ٢٧

(٩٥) المنــار : جـ ١ ، ص ٥٩٩ — ٦٤٢
ولى الدين يكن : المرجع السابق ، جـ ١ ص ٢٨ — ٢٩

(96) Delanoue (Gilbert) op. cit., p. 96

(٩٧) عبد الله النـديم : المسامير . القــاهرة . د. ت من مقدمة الكتاب بقلم الشريف ى. ن. هـ. م .

بلسان حاد فاضحا دسائسه وكتابته التقارير الملفقة للسلطان [٩٨] ، واتخاذه الدين ستارا لتنفيذ أغراضه ، وادعاءه الولاية ، وبلغ بتشهير النـديم بالصيادي أن أطال سـهاده وزاد من همومه وعن ذلك يذكر ولى الدين يكن أنه « لما كان المرحوم السيد جمال الدين والمرحوم عبد الله النـديم على قيد الحياة كانا يقظانه حتى تتبادر شئونه من عينيه . ولقد أطالا سهاده وضاعفا همه . فما كنت تسـمع الا صخبا وعويلا متواصلا وشكايات اثر شكايات يطرق بها باب السلطان [٩٩] » .

ولما لم يستطيع أبو الهدى اسكات النديم اضطرالى الاستنجاد بالسلطان ليتخلص منه فدعاه الى القصر السلطانى وطولب بالكف عن هجاء أبى الهدى وكان السلطان « مطلا عليـه من كوه يسمعه ويراه فاستشاط النديم غضبا ، وصاح بأعلى صوته لقد قلد مولانا السلطان أبا الضلال (يقصد أبا الهدى) وسام الافتخار فلألبسنه أنا وسـام العـار ويلازمه فى حياته ، ويصحبه الى قبره بعد مماته ، فخاف من

---

(٩٨) لم يكن النديم وحده فى هـذا المجال فقد ذكر ابراهيم المويلحى انه اذا بحث الباحثون عن اى ضرر يحدث للدولة العثمانية وجدوا ابا الهدى سببه فقد كان للسلطان « كالشيطان للرحمن » وقـد افرط فى اضراره بالناس حتى انه يسعى فى اهلاك قرية آمنة اذا سمع ان رجلا منها قال فيه كلمة يكون غير راض عنها .

ما هنالك : ص ٢١٤ — ٢١٥

وذكر احمد شفيق : الكثير من المساوىء المنسوبة للصيادى مثـل علاقته بمعشوقه شكيب . انظر : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ القسم الأول ، ص ٣٤٨ — ٣٥٠ ، ٣٩٢ — ٣٩٣

كما ذكر احد كبار الكتاب فى الآستانة أن الصيادى كان « رجلا جبارا متصنعا مغرورا محتالا معجبا ساخرا مستهزئا كودا حسودا هلوعا جزوعا مناعا للخير محبا للشر بعيدا عن الحق » .

جلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين فى دار الخلافة العظمى ، ص ٢٦

(٩٩) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٧٦

بالفصر من وعيد النديم ، وأخذوا يتلطفون فى اسكاته ، ولم يستطيعوا ذلك الا بعد جهد أضناهم (١٠٠) » •

وقد نفد النديم وعده فوضع فيه كتابا سماه « المسامير » تضمن هجاءه فى أسلوب « فى قوة تأثيره أحد من المناشير (١٠١) » وقد ذكر النديم أن الهدف من هـذا الكتاب هو « أن نبين الحق لأهل الطريق ، وأن نرشـد الاخوان لما فيه الصلاح ونبعد بهم عن أهل الفسـاد والطـلاح •• واذا بينا سبر أهل الضلالة •• رفعنا الستار عن أعمال بن صـياد •• وننشرناها بين العباد (١٠٢) » •

وقد أدخل النديم ضمن شخصيات هذا الكتاب الشيطان فوضعه فى صوره الحزين الكئيب لظهور منافس له من بنى الانسان فاقه فى حيله وأحابيله ، وسلبه لسلطته وسطوته، كما وضعه فى صوره المستنجد من مكر وخداع أبى الهدى (١٠٣) ثم اتهم النديم والد أبى الهدى ووالدته بكافة الرذائل والموبقات التى تمس الشرف والنسب فقال عن والده الذى لقبه بزنطوط أنه « رجل من الشطار وكبار الدعار يسرق الكحل من العين ويخطف النار من يد اليقين • أمى من أجهل الجاهلين لا يفـرق بين الدين والطين (١٠٤) » وقال عن والدته التى لقبها بأم مطعون بأنها تزوجت شيطانا مريدا ، فتاكا قتالا سراقا ختالا • مجرما عاتيا (١٠٥) » ثم صور أبا الهدى بمداعبة ابليس واعطائه الارشادات (١٠٦) •

---

(١٠٠) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ص ١٧٦ — ١٧٧.
(١٠١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر • مقدمة الكتاب •
(١٠٢) نفسه : ص ٣
(١٠٣) عبد الله النديم : المسامير • المسمار الأول ، ص ١٠
ابو المعاطى ابو النجا : العودة الى المنفى • القاهرة • دار الهلال
جزءان فبراير ومارس ١٩٦٩ ، ج ٢ ص ١٥٤ .
(١٠٤) المسامير : المسمارين الثالث ص ٢٠ ، والخامس ص ٤٢
(١٠٥) نفسه : المسمار الثالث ، ص ٢٥
(١٠٦) نفسه : المسمار السابع ، ص ٦٣

وما أن سمع أبو الهدى بأمر هـذا الكتاب حتى « قامت قيامته وأخذ يهدر كما يهدر الفحل اذا هاج [١٠٧] » فقد كوى النـديم بهذه المسامير الحامية جبهته [١٠٨] اذ شرح فيه تاريخ حياته وحياة أسرته بأسلوب لا يشرف صاحبه .

اتصل أبو الهدى بالسلطان عبد الحميد وأبلغه بأمر الكتاب وذكر له أن هجاء النديم شمله كذلك مما دفع السلطان الى التشديد في البحث عن الكتاب ومصادرته فهاجم رجال البوليس بيت النديم وفتشوه ولكن النـديم كان قد سبقهم اذ أعطاه لأحد أصدقائه [١٠٩] الذى استطاع الفرار به الى مصر وطبعه فخرج مكونا من مقدمة وتسعة مسامير في أربعة وتسعين صفحة ومرسا برسوم كاريكاتيرية ، ولم يهدأ للصيادى بال حتى رد على مسامير النـديم بكتاب « سماه صوت الهزار وزيق العذار [١١٠] » دافع فيه عن نفسه وهاجم النـديم بقوله : « ليقل كل خب ما شاء في عرض كل تقى وأمير ، وليجرأ كل كلب عنيف على كل شريف غطريف [١١١] » كما وصفه بأنه « دنىء الطبع لا يرضى له خلا الا كل دنىء يوالى اللئام ويعادى الكرام يجنح الى اللئيم وان عاداه،

---

(١٠٧) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ١٧٧

(١٠٨) المسامير : مقدمه الكتاب .

(١٠٩) جورج كوشى : وهو من عائله يونانيه يتكلم اهلها العربية والتركية ، وكان فى اول أمره ضابطا اداريا بمدرسة الحقوق المصريه ثم اتصل بالأفغانى وسافر الى الآستانة ، وكان ملازما له كما كان صـديقا للنـديم .

على الحديدى : المرجع السابق الذكر ، ص ٣٨٨

(١١٠) طبع على نفقته محمد شريف الخانجى بالآستانة العلية فى مطبعه المدن بمصر عام ١٩٠٣ فى ٧٨ صفحة وموجـود بمكتبة جامعـة القاهرة . تحت رقم ١٣٤٦١

(١١١) محمد أبو الهدى الصيادى : صوت الهزار وزيق العـذار ص ٢٤

ويجرح قلب الكريم وان والاه فمثل هـذا لا يوالى ولا يطلب من يوالي ، بل يترك وشأنه لحبال الليالى [١١٢] » .

ثم هاجم مصر بقوله أنها « دار الفاسدين [١١٣] » وأنها « دار حرية فجور وموضع فسق غير مستور ومقر فضائح تضيق لها الصدور [١١٤] » .

ومما سبق يتضح لجوء كل من « النديم » و « الصيادى » فى مبارزتهما الفكرية الى الأسلوب العنيف الذى خرج عن أدب المناظرة حيث كال النديم للصيادى من أنواع النقائص والمخازى والموبقات كيلا فاق ما يعرفه فن الهجاء فتناول ولادته ونشأته وحياته بأسلوب ملىء بالسباب والهجاء المقذع .

ثم رد الصيادى عليه بالدفاع عن نفسه واتباع نفس أسلوب النديم فى السباب والشتائم ، ولكنه لم يقتصر فىتوجيه شتائمه وسبابه الى النديم فحسب بل تطرق فى أسلوبه الى مهاجمة مصر وأهلها .

ولتحليل أسلوب « النديم » فى هجاء « الصيادى » يتضح أنه اتبع الأسلوب الساخر الذى يجذب الكثيرين لقراءته فالنكت والأساليب الساخرة يسهل تداولها بين الناس ، وانتقالها من مكان الى آخر بسرعه أكثر من الأسلوب المرسل ، ويكون من السهل حفظها وبذلك تصبح سيرة « الصيادى » كما رسمها له النديم متداولة بين الألسن ، ولفترات طويلة ، ولما كان « الصيادي » يخشى على سطوته ونفوذه بين الناس فقد حاول أن يحول بين خروج هـذا الكتاب الى الناس فأسرع بالذهاب الى السلطان شاكيا حتى أمر بمصادرته .

---

(١١٢) محمد أبو الهدى الصيادى : المرجع السابق الذكر ، ص ٨
(١١٣) نفسه : ص ٢٢
(١١٤) نفسه : ص ٢٣

النديم رسول الخديو لدى السلطان :

من الجدير بالذكر أن النديم والأفغانى كانا رسولى الخديو عباس الثانى لدى السلطان فلما زار الخديو الآستانة عام ١٨٩٤ اتصل بالنديم وطلب منه الوساطة فى أمر مصاهرته من بنات الخلافة (١١٥) ، وتوسط النديم وكاد ينجح فى ذلك لولا دسائس أبى الهدى وتدخله لدى السلطان ، واقناعه بأن الخديو يحيك الدسائس ضده وأفهمه خطر هذا الزواج لأنه اذا أنجبت كريمته دكرا فلا يستبعد أن يرشحه الانجليز للخلافة وتمحى الخلافة من تركيا (١١٦) وتنقل الى مصر ، واقتنع السلطان بهذا الرأى وأفلح أبو الهدى فى منع هذا الزواج (١١٧) .

وعن دسائس أبى الهدى ضد الأفغانى والنديم يذكر مؤلف كتاب « حاضر العالم الاسلامى » أن الأفغانى والنديم كانا فى منتزه « الكاغدخانة (١١٨) » فصادفا الخديو عباس حلمى ، وسلما عليه وتحادثا معه نحو ربع ساعة تحت شجرة هناك فقدم أبو الهدى تقريرا للسلطان بأن الأفغانى والنديم تواعدا مع الخديو على الاجتماع فى « الكاغدخانة » وهناك بايعاه تحت الشجرة على أن تكون الخلافة له ، ولكن السلطان حسب قول جمال الدين — لم يحفل بهذه الوشاية (١١٩)، ولكننا نتفق مع القول بأنها تركت أثرا فى السلطان وغيرت قلبه

---

(١١٥) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٣٠
(١١٦) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ٢ القسم الاول، ص ١٥٦
ولى الدين يكن : المرجع السابق ، ص ٣٠
(١١٧) أحمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ص ١٥٦
(١١٨) منتزه شهير فى الآستانة .
محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٨٨
(١١٩) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٣

عليهما(١٢٠)، حيث أحضر لديه جمال الدين وقال له : « أتريد أن تجعلها عباسية(١٢١)؟ فرد عليه جمال الدين قائلا: «ان بنى العباس قد انقرضوا وبنى على أولى » ثم قال : « ان مولانا يريد عباس حلمى وهل هى خاتم بيدى أضعها فى أى أصبع شئت(١٢٢) » كما أنه شدد عليه الرقابة، ومنع أى أحد من الاختلاط به الا بارادة سلطانية فأصبح محبوسا فى قصره (١٢٣) .

وفى أثناء زيارة الخديو لتركيا عام ١٨٩٥ رجاه النديم أن يسمح له بالعودة الى مصر لشدة حنينه لها وشوقه اليها ورغبته فى أن يقضى بها بقية حياته (١٢٤) وقد سمح له الخديو بذلك (١٢٥) واصطحبه معه الى مضيق الدردنيل (١٢٦) ، ولكن هذا الخبر وصل الى السلطان قبل تحقيقه فانتهز أبو الهدى ذلك وذكر للسلطان أن المؤامرة التى رسمت خيوطها تحت الشجرة فى « الكاغدخانة » من قبل بدأت تنفذ ، فصدرت الأوامر بعدم تحرك الباخرة حتى ينزل منها النديم ، فاضطر النديم الى النزول من الباخرة وكتب للسلطان يتبرأ مما نسب اليه وذكره بأنه وان كان قادرا على الانتقام منه بلا معارض فانه سيقف بين يدى الله العادل القاهر (١٢٧) فأعجب السلطان بشجاعته وعفا عنه بعد أن كان

---

(١٢٠) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، جـ ٢ ص ١٦٦

(١٢١) احمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ القسم الأول ، ص ١١٣

(١٢٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، جـ ١ ص ٨٨

(١٢٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٠٤

(١٢٤) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، جـ ١ ص ١٣

(125) Blunt (Wilfrid Scawen) My Diaries. Part one. p. 256.

(١٢٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، جـ ١ ص ١٣

(١٢٧) نفسه : ص ١٣.

قد أصــدر أمرا بنفيه الى احدى الولايات البعبدة وظــل النــديم بالآستانة حتى أصيب بداء « السل الرئوى » فأحس بأن نهايته قريبة لذلك أرسل تلغرافا الى شقيقه ووالدته يطلب رؤيتهما وهو على سرير المرض قبــل أن بوافيــه الأجــل فسافرا اليــه حتى يرياه قبــل آن يموت •

ومما سبق يتضح أن النديم فضل الولاء للوطنيــة المصريه عن الارتباط بجامعه الدين ، وأنه مع اعترافه بحق الســلطان فى خــلافه المسلمين فقد فصل مصلحة الوطن عن الولاء للدوله العثمانيه بحيث اذا تضاربت المصــالح كان يقف بجانب الوطن • كمــا أنه رفض فــكرة التجمع القائمه على أساس دينى ؛ واقترح بديلا عنها فكرة الجامعــة الشرقيــة بحيث تجتمع كافة الشــعوب الشرقيــة بغض النظــر عن الدين •

وعلى الرغم من محنة الغربه واللحظات الحرجــه التى واجهت النــديم فانه لم يتورع عن مواجهة الفساد والظلم فى عقر داره فكانت المسـارزة الفكرية بينه وبين أبى الهـدى الصيادى كما اتضح أيضا أن النديم أثناء اقامته بالآستانة كان رسولا للخــديو عباس الثانى لدى السلطان العثمانى يقوم بالوساطة له كلما يتطلب الأمر ذلك •

الفصل الثامن

فكر النديم السياسي

- مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين .
- الوحـــدة الوطنيـــه .
- الديمقراطيـــة والرأى العـام .
- فكرة اقامة الجمهورية .

لقد سبقت أفكار النديم السياسيه أفكار أبناء وطنه فكانت جديده عليهم لم يسمعوا بمثلها من قبل [1] حيث نبه أفكارهم الى موضوعات جديدة أيقظ بها الرأى العام بعد فترة رقاد فتحدث عن مفهوم القوميه ومبدأ مصر للمصريين وأهمية الوحدة الوطنيه ، وفكرة الجامعة الشرقيه [2] وأهمية الديمقراطية كأساس للحكم فى مصر والدستور كنظام له وتكلم عن الأحزاب وأهمية الاهتمام بالرأى العام وفكرة الجمهوريه وقد استطاع نشر هذه الأفكار والآراء فى أكبر عدد ممكن من أبناء وطنه حيث أوتى من المقدرة واللباقة ما مكنه من استيعاب آراء أستاذه الأفغانى فى الاصلاح المنشود ثم الاختلاف معه فى كثير من المواقف وتبريره لهذا الاختلاف ثم تبسيطه لهذه الآراء والأفكار عن الاصلاح المنشود وتوصيلها الى العامة : الفلاح فى حقله ، والتلميذ فى مدرسته ، والصانع فى محل عمله ، وبذلك أسهم فى تكوين رأى عام ـ وان كان محدودا ـ يتطلع الى الاصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

أولا ـ مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين :

ظهرت الفكرة القومية لأول مره فى نهايه القرن الثامن عشر وساعد على انتشارها كل من الثورة الفرنسيه والحروب والنابليونية حيث

---

(١) ان الاهتمام بالمصطلحات السياسية فى مصر لم يأخذ مجراه الا عند ظهور الحركات الوطنية كحركة عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول مؤتمر مجمع اللغة العربية . الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ مجموعة البحوث والمحاضرات تحت عنوان « تحقيقات ـ تعقيب الدكتور ابراهيم بيومى مدكور على بحث الأستاذ محمد شفيق غربال « كيف دخلت المصطلحات السياسية فى اللغة العربية » ص ٢٠٣؟

(٢) انظر : الفصل السابع .

تكون لأول مرة فى فرنسا جيش من الشعب الفرنسى للدفاع عن حقوقه بعد أن كانت الجيوش فى ذلك الوقت منظمات محترفة (٣) كما وجد لأول مرة علم قومى ونشيد قومى (٤) ثم تجسد مفهوم القومية فى المطالبة بتأسيس الدول على أساس القوميات لأن كل أمة تكون عضوية اجتماعية طبيعية ذات كيان معنوى خاص ، ويحق لها أن تستقل فى ادارة شئونها دون أن تخضع لمشيئة أمة أخرى وأن تؤسس دولة خاصة بها مستقلة منفصلة عن غيرها (٥) .

ومع ذلك فان هذه الكلمة ظلت نادرة الاستعمال فى الصحافة المصرية فى الفترة ما قبل الحرب العالمية الأولى واستخدمت مكانها كلمة الوطنية (٦) وحيث أن مفهوم الوطنية لا يختلف كثيرا عن مفهوم

---

(٣) د. عبد الله عبد الدائم : القومية والانسانية . بيروت — منشورات دار الآداب . الطبعة الثانية ١٩٥٩ ، ص ٢٤ — ٢٥

(٤) ان الأنشودة الفرنسية التى انشأها الضابط الفرنسى (روجيه دى ليل) وسميت المرسليز كانت من أقوى أسباب انتصار فرنسا على ملوك أوربا الذين تألبوا لاخماد روح الحرية فى مبدأ ظهورها . من المقدمة التى كتبها « محمد فريد » لكتاب وطنيتى تحت عنوان « تأثير الشعر فى تربية الأمم » .

على الغاياتى : وطنيتى . القاهرة — منبر الشرق . الطبعة الثالثة ١٩٤٧ ، ص ١١

(٥) فارن أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ١٨٨٢ — ١٩٢٤ رسالة دكتوراة غير منشورة نوقشت بكلية الاعلام جامعة القاهرة، ص ٣٢

(٦) الوطنية لغويا مصدر مشتق حديثا بزيادة ياء النسب والتاء على كلمة الوطن .

الأمير مصطفى الشهابى : محاضرات عن القومية العربية ، ص ٣

القومية (٧) . فان استخدام القديم لكلمة الوطنيه انمـا كان يعنى به القومية المصرية .

والجدير بالذكر أن مصر لم تفتقد مقومات الأمة على مر تاريخها ولكن وعى المصريين بهذه الفكره لم يظهر الا حديثا (٨) وفى تتبعنـا لبدايات فكرة القومية لدى الكتاب والمفكرين المصريين يتضح أن رفاعه

---

(٧) الوطنيه هى : « حب الوطن والشعور بارتباط باطنى نحـوه ، والقومية هى حب الامه والشعور بارتباط باطنى نحوها ، والوطن من حيث الاساس انما هو قطعه من الأرض ، والامه فى حقيقته الأمر انمـا هى جماعه من البشر » .

ابو خلدون ساطع الحصرى : ابحاث مختارة فى القوميه العربيه . القـاهره — دار المعارف ١٩٦٤ ، ص ٢٨

لذلك يتضح أن هنـاك علاقه عضوية تجمع بين القومية الوطنيـه ولكن هـذه العلاقه رهن باختلاف وظروف كل بلد فعلى حين أن الوطنيـه والقوميه تكاد أن تكونان مترادفتين بالنسبه الدول الاوربيـه نجـد أنهما لا يترادفان فى منطقة كالعالم العربى حيث يستخدم الوطنية للدلالة على الحركات القطريه فى حين تستخدم القوميه للدلالة على حركة الوحـدة العربيـة وعلى كل حال فان حركة الوحده العربية لم تظهر بشكل واضح فى هـذه الفتره .

فاروق ابو زيد : رسالة الدكتوراة السابقة الذكر ، ص ٣٤

(٨) لقد كانت حركة على بك الكبير مظهرا من مظـاهر التفكير فى الاستقلال القومى فى مصر ولكن حالت المصلحة الشخصية قد طغت على الفكره القوميه ولمـا جاءت الحملة الفرنسية على مصر واقامت حـكومة مركزية قوية وصح كيان الدولة فى مصر ، كما ان نابليون عندما طرح بيانه على المصريين خاطبهم باعتبارهم امه متميزة لها كيان مميز . عن هـذا البيـان انظر :

عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ٣ القـاهره — مطبعة مصر ١٢٣٦ هـ، ص ٤ ، ٥

وبعد خروج الفرنسيين من مصر وتولية محمد على كان هناك تفكير واضح فى الاستقلال عن الدوله العثمانية .

التفاصيل انظر :

عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على . القـاهرة . النهضـة المصرية — الطبعة الثالثة ١٩٥١ ، ص ٢٤٢

الطهطاوى هو أول من نعرض لهـذه الفكرة أثنـاء وصـفه للعاصمة الفرنسية حيث كتب أبياتا من الشعر يتضح منهـا ارتباطه العاطفى بوطنه وحبه له فيقول :

لئن طلقت باريسـا ثلاثا
فما هذا لغير وصال مصر

فكل منهما عنـدى عروس
ولكن مصر ليست بنت كفر

لقد ذكروا شموس الحسن طرا
وقالوا ان مطلعهـا بمصر (٩)

ومع أن رفاعة لم يوضح مفهوم الوطنية فى تخليص الابريز ، فانه قد شرح ذلك فى صحيفة « روضة المدارس » فقال :

« ان الوطن هو عش الانسان الذى فيه درج ومنه خرج وجمع أسرته ومقطع سرته (١٠) » ثم ربط بين الوطنى وحقوقه فقال : « ان ابن الوطن المتأصل به ينسب اليـه تارة الى اسمه فيقال مصرى مثلا أو الى الأهل أو الى الوطن فيقال وطنى .. ومعنى ذلك أنه يتمتـع بحقوق بلده ، وأعظم هـذه الحقوق هو الحرية التامة (١١) » .

كما تصدى الشيخ محمـد عبده لتعريف معنى الوطن فقـال : « الوطن فى اللغـة محل الانسان .. فهـو السـكن بمعنى أن نقول استوطن القوم هـذه الأرض وتوطنوها أى اتخذوها مسكنا (١٢) »

---

(٩) رفاعة بدوى رافع الطهطاوى : تخليص الأبريز فى تلخيص باريز القـاهرة — وزارة الثقافة والارشاد القومى ١٩٥٨ ، ص ١٠٥

(١٠) روضة المدارس : العدد ٢١ السنة الخامسة ١٨٧٤

(١١) روضة المدارس : العدد ٢٢ السنة الخامسة ١٨٧٤

(١٢) الوقائع المصرية : فى ٢٨ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان الحيـاة السـياسية .

ثم حمل النديم هـذه المهمة فكان أول كاتب مصرى يعالج مشـكلة القومية المصرية بأسلوب شعبى سهل على أبناء وطنه استيعاب المفاهيم القومية التى كان ادراكها قاصرا على المثقفـين والأرستقراطيين (١٣) فعرف الوطنية والأسباب التى تؤدى الى حفظها بقوله : « يزعم كثير من الناس أن الحياة الوطنية هى الجمهرة .. أى تجمع الأمة فى مكان متكثرين متضامنين .. وليس كذلك فان وفرة العدد والتجمع لا يعنى شيئا من الفراغ من العلوم والصنائع الموصـلين الى توسـيع دائرة العمران وحفظ الوطن من العاديات بما ينشأ عن العلوم من احتكاك الأفكار وتبادلها (١٤) » ثم وصفها بأنها « السر الذى تبعثه الخـواطر الى الأفكار فتتوجه بالهمم الى أعالى الأمـور على مراقى الحـرية ولا يقوم بهذا السر فى كل أمة الا رجال العزائم وأهل الاقـدام على صعاب الحوادث يقطعون العقبات بالصبر على المشاق (١٥) » .

كما ذكر أنه لكى تحفظ الوطنية بين الأجناس القاطنة فى الوطن الواحد فلابد من اتباع مبدأ المساواة بين كافه الأفراد فى الحقـوق والحريات العـامة بغض النظر عن الجنس أو الأصـل أو العقيـدة أو الدين فقال ان حفظ الوطنية فى الأجناس القاطنة فيما يسمى وطنـا يكون « بتوحيد المعاملة والسير فى كل ما من شأنه حفظ الوطن وعماره وانتظامه وامتداد تجـارته وتحسـين صـناعته لا يفرق بينهم جنس ولا دين (١٦) » .

---

(١٣) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، ص ٢٢

(١٤) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ أغسطس ١٨٩٢ تحت عنـوان « الحياة الوطنيـة » .

(١٥) الطائف : فى ٢١ يونيه ١٨٨٢

(١٦) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢

ومن ذلك يتضح أن النديم فى تصديه لتعريف الوطنية اتبع الآتى :

١ — عدم ادخال الدين ضمن مقومات القومية (١٧) ، والمناداة بمبدأ المساواة بين كافة الأفراد بغض النظر عن الجنس أو الدين ، وربما الذى دفعه الى ذلك هو :

(أ) تفكره العلمانى واعتبار الوطنية فوق كل الخلافات الدينية .

(ب) محاوله نفى تهمة التعصب الدينى عن المصريين عموما وعنه خصوصا لأن هذه التهمة حاول العديد من كتاب أوربا الصاقها به وبأبناء وطنه .

٢ — استخدامه لكلمه « وطنية » وهى الكلمة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت بدلا من كلمة « قومية » وان كان يقصد ابراز الفكر القومى بين المصريين .

---

(١٧) فى حين كان هناك اجماع بين معظم الكتاب والصحفيين المصريين على نفى اى علاقه بين الدين والقومية حيث رفض « يعقوب صنوع » أن يكون الدين حدا فاصلا بين مصرى وآخر ؛ فالمصرى مصرى بلا فرق بين اليهود او المسلمين او النصارى .

انظر : ابو نظارة زرقاء : فى اول يوليو ١٨٧٩ ورفض الشيخ على يوسف « اعتبار الدين من مقومات القومية » .

انظر مجله الآداب : فى ٣١ مارس ١٨٨٧ تحت عنوان : « الكلام عن العصبيه » وراى « محمد بك فريد » ضرورة التفرقة بين الدين والوطن بقوله : « الدين شىء والوطن شىء آخر » .

الأحرار : فى ٩ اغسطس ١٩٠٨ تحت عنوان : « دين الفرد ودين الامه » نجد ان مصطفى كامل « يربط بينهما ربطا عضويا لا يكتمل احدهما بدون الآخر فيقول : « لكل امة حية واجبان عظيمان .. واجب نحو دينها وعقيدتها وواجب نحو وطنها وارض آبائها .. وكلما ارتفعت مدارج العرفان والكمال وتقدمت فى سبل العمران اشتد جلالها لدينها ووطنها وعظم تعلقها بعقيدتها وبلادها » .

اللواء : فى ١٦ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان : « رابطة الدين ورابطة الوطن » .

٣ — انه ربط بين الفكرة القومية ومحتواها حيث ذكر « ان الحياة الوطنية لا تتحقق الا بانتشار المعارف والصنائع فى الأمة » .

٤ — دعوته الى احتكاك الأفكار وتبادلها بين أبناء الوطن حتى يتبين لهم النافع من الضار وحتى يكونوا على بينة لما تسير عليه الأمور .

٥ — ان الوطنية توجه الأفكار وتبعث فى النفوس الهمم العالية لدرجة الجود بالنفس والتضحية بكل غال ونفيس من أجل الوطن .

كما صور النديم الوطنية فى صورة غذاء ينتفع به جميع الجسم بحيث لا يترك عرقا من عروقه الا وقد أجرى فيه ماء الوطنية ، ثم عرف الوطنى بأنه الانسان الذى يحفظ بلاده ولغتها وعاداتها الجميلة، ويوسع العمران بالصنائع والمعارف والأمن ويكثر الثروة [18] .

ولما كانت الوطنيه تعنى حب الوطن[19] والشعور بارتباط داخلى نحوه يجعل الانسان يعمل من أجله ويضحى فى سبيله ويقتحم المهالك ويبذل النفس والنفيس فى سبيل حريته واستقلاله فقد ذكر النديم أن أبناء مصر هم الذين ينتسبون اليها وتنتسب اليهم : ولا يعرفون غير بلدهم [20] » ثم تحدث عما يقومون به من أجل بلادهم فقال نرى المصرى « مسئولا عن مال يؤديه وجسر يحفظه وعدو يدفعه : وحد

---

(١٨) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ، ص ٥٥ تحت عنوان : « درس تهذيب تحاور به تلميذ مع نديم » .

(١٩) ذكر سليم حموى ان حب الوطن احدى غرائز النفس البشرية فقال : « حب الوطن ملكة فى النفس غريزة » الاسكندرية فى ٢٨ مايو عام ١٨٨١ تحت عنوان : « حب الوطن من الايمان » .

(٢٠) الأستاذ : العدد الحادى والثلاثون فى ٢١ مارس ١٨٩٣ ، ص ٧٤٩ تحت عنوان : « المسلمون والأقباط » .

يحصنه ان أغار أحد على بلاده خرج الأجانب وهربوا وانسلوا الى بلادهم بما غنموا من هذا المسكين ، وبات هو يقاتل ، ويريق ماء حياته [٢١] » كما ذكر أن محبه المصرى لوطنه [٢٢] تجعله يضحى من أجله فقال : ان محبة الوطن تحرك قلب الانسان وتهيج مادة غريزيه تدفعه الى الغيره على الوطن ميفاديه بكل قواه وما عنده ماديا أو اداريا أو أدبيا ، ومتى كانت هذه المحبه قويه ومساوية لسمو الموضوع المحبوب نما عنها النجاح والفلاح والثروة وقوة البلاد [٢٣] » .

ثم ذكر أنه لكى تبلغ الأمة القوة وتحرز المجد لابد من اتحاد أفرادها فقال : « فكل أمة اتحدت لها محبة الوطن ، واجتمعت قلوبها..

(٢١) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ أغسطس١٨٨١ ص ١٧٧

(٢٢) فرق مجلس شورى القوانين فى جلسته المنعقدة بتاريخ الخميس ١٤ يونيه ١٩٠٠ بين المصريين وغيرهم بقوله :

يعتبر من المصريين الأشخاص الآتى بيانهم وهم :

(أ) المتوطنون فى القطر المصرى قبل اول يناير ١٨٤٨ وحافظوا على محل اقامتهم فيه .

(ب) رعايا الدوله العليه المولودون والمقيمون فى القطر المصرى الذين يقبلون المعاملة بموجب قانون القرعة العسكرية المصرى سواء بأدائهم الخدمة العسكرية أو بدفع البدليه .

(ح) رعايا الدولة العلية المولودون فى القطر المصرى من ابوين مقيمين فيه متى حافظ الرعايا المذكورون على محل اقامتهم فيه .

(د) الأطفال المولودون فى القطر المصرى من أبوين مجهولين .

(هـ) يجوز للرعايا العثمانيين المتوطنين فى القطر المصرى منذ اكثر من خمسة عشرة سنة ان يصيروا مصريين .

انظر : مجلس شورى القوانين مجموعة محاضر جلسات ١٩٠٠ — محضر جلسة ١٤ يونيه ١٩٠٠

(٢٣) الطائف : تحت عنوان الوطن (رقم العدد وتاريخه غير واضح) .

وأسست أعمالها على قواعد التعاون ودعائم الارتباط ونبــذ التهــاون فلا شك أنها .. تحرز قوة واقتدارا يفى جلب الخير العام (٢٤) » .

ونتيجة لتدهور أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتدخل الأجنبى السافر فى شئون مصر ، وسوء ادارة الخــديو ، وفساد الأحوال المــالية ، وظهور نخبــة من المصلحين الذين لديهم القــدرة على التعبير عن مطالب المجتمع وتعبئته ثم تصــاعد التذمر الشعبى نتيجة لكل هــذا ظهرت فى مصر يقظــة قوميــة فى أواخــر السبعينات من القرن التاسع عشر تبلورت فى التخلص من الســيطرة الأجنبية على مختلف أشكالها ، وطرحت فكرة « مصر للمصريين » .

يذكر أحمد عرابى فى مخطوطه أن بداية هــذه الفكرة ترجع الى عهد سعيد باشا ويستدل على ذلك بأن سعيد باشا قال فى خطــاب له أثناء مأدبة أقامها فى قصر النيل « انى نظرت فى أحوال الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مظلوما ، ومهانا ومستعبدا لغــيره من أمم الأرض وحيث أنى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبنــاء هذا الشعب ، وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخــدم بلاده خدمة صحيحة ويستغنى بنفسه عن الأجانب (٢٥) » .

ويرى الباحث أنه وان كان سعيد باشا قد اتبع أسلوب استخدام المصريين فى كثير من المناصب وترقيتهم فان ذلك لم يكن بقصد رغبتــه فى أن تكون مصر للمصريين أولا لأنه من سلالة غير مصرية ، وثانيا لأنه غير مستعد لترك الحكم للمصريين لكى يحــكموا أنفسهم بأنفسهم ، وثالثا لأنه لم يكن مستعدا للتنازل عن امتيازاته ، وامتيــازات أسرته للمصريين ، والتاريخ يذكرنا بحادثة تثبت أن (محمد على) كان يخشى

---

(٢٤) الطائف : المقال السابق الذكر .

(٢٥) انظر : مخطوط كشف الستار عن سر الأسرار ، ص ٧

ترقيـة المصريين الى الرتب العليا مقدرا النتائج التى ستترتب على ذلك [٣٦] وعلى أى حال فانه بترقية سعيد باشا للمصريين وتدريبهم قد ساعد على ابراز الشخصية المصرية واظهارها فى مجالات تبلورت فى صورة احتجاج ونقمة على اغراق الخـديو اسـماعيل للبـلاد فى الديون ، والفساد والاسراف فى دواوين الحكومه فظهـرت الحـركه الوطنيـة فى صورة احتجاج وطنى ، وصرخة شعبية شديدة على الذين يجرون البـلاد الى المهالك فبرز شعار « مصر للمصريين [٣٧] » فى برنامج الحـزب الوطنى الأول [٣٨] الذى انتقـد عدم كفـاءة بعض الموظفين الأوربيين مع ارتفاع رواتبهم كما انتقد اعفـاء الأجانب من الضرائب ، وعدم خضـوعهم لقانون البـلاد ونادى بأن تكون مصر للمصريين ، وأن يصير حكم البـلاد فى أيدى أبنائها الذين أصـابهم الظلم من حكم غير المصريين ، ومنع التدخل الأجنبى وسيطرة جمـاعه الشراكسة والترك والألبانيين والأرمن على الوظـائف الحكوميه ومن ذلك يتضح أن مبدأ مصر للمصريين الذين نادى به الحـزب الوطنى يختلف فى جوهره عن مدلوله لدى أسرة محمد على فالمصريون فى هـذا المبدأ هم أهالى البـلاد الأصليون أى « الفلاحـون » وما الثورة الا تعبـيرا عن أمانيهم لاسـترجاع كرامتهم ، وحقهم فى بلادهم ، أما المصريون لدى أسرة محمد على فهم طبقة الذوات والأرمن وبقايا

---

(٣٦) عندما ارسل ابراهيم بن محمد على الى والده يطلب منه ترمية عدد من الضباط المصريين الى رتبة يوزباشى ، رد عليه قائلا : « من المعلوم يا ولدى اننى اتجنب حتى الآن ترقيـة العـربى الى الرتب العليـا ، وقـد ظللت محجما عن ذلك مدة طويلة ، مقـدرا النتائج التى ستترتب على ذلك ولو بعـد مائة عام » .

مجله الهلال : سبتمبر ١٩٦٥ مقال للدكتور عبد العـزيز نوار تحت عنوان : « ثورة ١٩١٩ واثرها فى الحركات النضالية » ص ٧٥

(٢٧) لوثروب ستودارد : المرجع السابق الذكر ج ٢ ص ١١٦—١١٧

(٢٨) عن هذا الحزب أنظر : الفصل الأول من الكتاب .

، الذين يتمتعون بالجنسـية المصرية ويملكون ثروات مصـر
ا (٢٩) .

دت كلمة مصر للمصريين فى كتابات « يعقوب صنوع (٣٠) »
ى « أن تكون مصر للمصريين (٣١) » كما ترددت فى كتـابات
النـديم وحسن الشمسى والشيخ محمد عبده ، وخصـوصا
ة التغلغل الأجنبى فى البـلاد والهجرات المكثفة التى شهدتها
ـاء من أوربا وخصوصا الفرنسيين والايطاليين واليونانيين أو
ا الدولة العثمانية كالسـوريين واللبنانيين ، وتغلغلهم فى كافة
لحيـاة المصرية حتى أنهم شكلوا خطرا على أوضاع المصريين
جدوا أن فرص العمل بدأت تضيق فى وجوههم بينما تتسـع
(٣٢) فنادى النـديم المصريين بأن يسعوا خلف شىء واحد هو

---

٢) مجلة الكاتب : العدد ١٢٧ فى أكتوبر ١٩٧١ مقـال للدكتور
ـقوط تحت عنوان : « الوجه العربى لثورة عرابى » ص ٤٦

٣) فخر يعقوب بن صنوع بأنه « مصرى ابن مصرى » بقـوله :
ى اعظم افتخار لأن نكران الأصل عندى اقبح عار » .
ـر : ابو نظارة زرقاء : عدد اول يولو ١٨٧٩

ا كان يكتب على صدر صحيفته ابو نظارة أنها (لسان حال الأمة
) ويوقع مقالاته الشيخ جيمس سانوا المصرى ، فى حين يذكـر
انور الجنـدى أنه يهودى ايطالى ولد فى مصر .

ـر : تطور الصحافة العربية فى مصر . القاهرة ـــ مطبعه الرسالة
، ص ٣٨

٣) ابو نظارة زرقاء : فى اول يوليو ١٨٧٩

٣) حذر اديب اسحق فى جريدة مصر من نفوذ الاجانب المتزايد
وتمتعهم بمـا لا يتمتع به المصريون بقوله ان هـذا شأنه أن يولد
ـى المصريين « الحسد والكسل ويشرب قلوبهم التهيب والخوف » .

ـر : فى ٥ نوفمبر ١٨٧٨ كما كتب فى جريدة التجارة عن سـيطرة
على مصائر البـلاد فقال : « فلم يبق والحالة هـذه من باب
ر ضيق لأهل هـذه الديار » .

حفظ مصر للمصريين [٣٣] ، كما ذكر أن السلطة أيضا كانت للمصريين قديما [٣٤] وليست لأحد من الأوربيين أو الترك [٣٥] ، كما أوضح

= التجارة : فى ١٨ نوفمبر ١٨٧٨ تحت عنوان « الوطنيون والأجانب» كما تحدث عن سوء حال المصريين نتيجة تغلغل الأجانب فى شئون الحياة المصريه فقال : « ما اعجب ما نجد تحت سماء الشرق .. الأجنبى يعد نفسه أميرا .. والدخيل اصيلا .. افرطوا فى الطمع فنازعونا الأرض .. حتى اذا رسخت اقدامهم وارتفع مكانهم كبرت نفوسهم عن مساواتنا واصبحوا لا يرون لنا فى منافع أرضنا حقا » .

التجارة : فى ١٠ يناير ١٨٧٩ تحت عنوان « الوطنيون والأجانب » .

(٣٣) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ص ٥٢٦ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٣٤) كان النديم متأثرا فى ذلك بما تردد لدى بعض الكتاب والمفكرين عن ضرورة بعث المجد المصرى القديم .

فنجد رفاعه الطهطاوى يبرز فضل الحضارة المصرية على البشريه بقوله ان مصر « هى ارض الشرف والمجد فى القديم والحديث .. خرج منها كبار ملوك السلاطين وحكماء واساطين » .

انظر : روضه المدارس المصريه : العدد ٢١ من السنه الخامسة لعام ١٨٧٤

كما ذكر « أن مصر نازعت قدماء الامم فى الاقدميه فسلموا لها أنهم دونها فى مرتبه الأهميه وان لم تسبقها امه فى ميدان المدينيه .. فقد كانت ايام الفراعنه أم امم الدنيا ، وكانت شوكه سلاحها قوية وهيبتها فى القلوب ممكنة عليه .. وانها فى القديم والحديث لينة الأخلاق .. ازليه التمدن ، أبدية التدين » .

رفاعة الطهطاوى : كتاب انوار توفيق الجليل فى اخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل . القاهرة ١٢٨٥ هـ ، ص ٩ ، ١٣

كما تعرض اديب اسحق لذلك الموضوع فقال : « مصر ازلية المجد.. عظم بها الملك ، وتأيدت الخلافه واتسعت الامارة » .

انظر : جريدة مصر فى ١٥ اكتوبر ١٨٧٨ تحت عنوان « احوال مصر » .

(٣٥) محافظ الثورة العرابية : محفظه رقم ٢٠ دوسيه ١٨٣

محضر استجواب محمد طاهر معاون بضبطية الاسكندرية عن حادثة ١١ يونيو ١٨٨٢ واشترك السيد قنديل وعبد الله النديم .

خطـورة تغلغل الأجانب فى وظائف البـلاد وما ينتج عنه من أضرار وطالب بتأييد الحركة الوطنيـة التى تطالب بأن تدار هذه الوظـائف بأيد مصرية فكتب مقالا بالطائف تحت عنوان « الغريب فى وطنـه » قال فيـه : « تخيل نفسك عائدا الى وطنك بعد غيبـة سبع سنوات فحين تصل الى الاسكندرية سوف تجد قائد الميناء بحارا انجليزيا . فاذا ما وصلت حقائبك الى الجمرك فستجد مديره انجليزيا كان موظفا سابقا بمصلحة البريد ..

واذا أردت أن تسافر الى القاهرة بالسكة الحديد فتجد هـذا المرفق يدار بواسطة موظفين انجليز وهنود وفرنسيين . فاذا شئت أن ترسـل تلغـرافا الى أهلك تنبئهم بوصـولك فسـتجد المشرف على التلغرافات موظفا انجليزيا أيضـا .. أما اذا رغبت فى الذهاب الى الصعيد فلا بد أن تركب البواخر التى تحتكرها شركة انجـليزية فاذا ما ذهبت الى الريف فسوف تجد كثيرا من الأهل والأصدقاء قد ضاعت أموالهم وذهبت الى أيدى المرابين الانجليز والايطاليين واليونانيين.. فاذا كنت حقا تحب وطنك فيجب أن تؤيد الحركة الوطنية التى قامت لتحصل لك على حقوقك كانسان ، ومن ثم تحس أن وطنـك ملك لك انت (٣٦) » كما هاجم الامتيـازات الممنوحة للأجانب والتى « قدمت الأجنبى على الوطنى فى كل أموره وحرمت التعرض له بشىء من الجزاء وان أساء ، وجعلته يعاقب الوطنى وان كان محقـا ، فترى الأجنبى يشتم ويضرب والمصرى لا يتحرك الا بقوله (معلهش يا خواجة) ولو علم أن مجلس المخالفات عادل ينصف الوطنى من الأجنبى ويأخذ له بحقوقه ما سكت على هذه الاهانات (٣٧) » ثم أوضح كذب ما يردده

(٣٦) الطائف : لم نسـتطع الاستدلال على رقم العـدد او تاريخ صدوره لأن معظمه ممزق .

(٣٧) التبكيت والتنكيت : العـدد السابع عشر فى ٩ أكتوبر ١٨٨١ تحت عنوان : « المحاسن التوفيقية أو تاريخ مصر الفتاة أو زفاف الحرية فى مصر » .

الأجانب من أن المصريين لا يصلحون لاداره الأعمال فقال « ان كل وارد عليها وكل مسترزق فيها من الغرباء يطمع فى كرم المصريين وطبيعه نفوسهم، ويدعى أنه أقدر على مدنينها وأحق بادارتها وأولى بتجارتها، وأقل كلمة يحيى بها المصريين : لستم أهلا للقيام بأعمالكم . ولا تدرون طرق الاصلاح وأحكام النظام [٣٨] » .

وقد طالب النديم هؤلاء بالنظر الى ما قام به أبنـاء مصر من أعمال والى المقدره التى أداروا بها هـذه الأعمال فقال . « وفى الناس من أدرك القرن المـاضى ، ورأى ما كان فيه من الأعمال وعرف من قام بها من الرجال [٣٩] » .

مما سبق يتضح أن هدف النديم من المناداة بمبدأ مصر للمصريين هو تمصير الاداره المصريه فهاجم استيلاء الأجانب على اداره أعمال البلاد ووظائفها ودعا أن تدار هـذه الأعمال وتتولى هـذه الوظائف أبناء مصر حتى يحسـوا أنهم فى وطنهم وأن مصر ملك لهم ، وكذب ما يدعيه الأجانب بأن المصرى لا يصلح لهذه الأعمال مستشهدا على ما قام به أبنـاء مصر من أعمـال أيام محمـد على وسعيد باشا .

كان هـذا هو مدلول مصر للمصريين لدى النديم وليس كما ذكر البعض [٤٠] بأنه الانفصال عن الدولة العثمانيه ، ومع هـذا وبالرغم من أن النديم كان ينادى بالتبعية الدينية للسلطان العثمانى الا أنه كان يرفض الغـاء الامتيازات التى حصلت عليها مصر ، وجعلتها ولاية شبه مستقلة ، وهـذا هو سر الخلاف بين النـديم وولى الدين يكن

---

(٣٨) الأستاذ : فى ٢٨ فبراير ١٨٩٣ تحت عنوان « حالتنـا أمس واليـوم » .

(٣٩) نفسـه .

(٤٠) محمد عبد الوهاب بكر وفوزى شاهين : عبد اللـه النديم ص ٢٤١

الذى يزعم أن مصر للعثمانيين وليست للمصريين وفى ذلك يقول : « ان ما أحدث بيننا الخلاف أنه كان عدوا للعثمانيين ، وهو من قدماء من يقولون مصر للمصريين ونحن نقول مصر للعثمانيين (٤١) » .

لقد كانت عقيدة الوطنيين الحقيقية أنهم يستخدمون السلطنة العثمانية ويعتمدون عليها لتحقيق مصالحهم ، والى أن يحين الوقت لاعلان الجمهورية ويتضح ذلك من قول صابونجى محرر جريدة النحلة فى خطاب أرسله الى بلنت بانجلترا « أن عقيدة الوطنيين المصريين أنهم لا يهتمون مطلقا بالسلطان عبد الحميد .. بل يستخدمونه لتحقيق أهدافهم فقط ويعتمدون عليه حتى تسنح لهم الفرصة لاعلان الجمهورية (٤٢) » .

لقد رأى النديم أهميه الرابطه القومية فى حياة الشعوب ومع ذلك فانه لم ينكر العلاقات الروحية القائمه بين مصر وتركيا بصفتها مركز الخلافة الاسلامية ولم يدع للانفصال عن الدولة العثمانيه بل دعا الى الالتفاف حولها بقوله : « هذه يدى فى يد من أضعها ، ضعها فى يد وطنيك ، وأعقدا خنصريكما على محبة أمير البلاد مرتبطة هذه المحبة بمحبة أمير المؤمنين ، والا اقطعها خير من وضعها فى يد أجنبى يستميلك اليه بوعود كاذبة » .

ورغم ذلك فان جاذبيه الوطن عند النديم كانت أقوى من جاذبية الدين فقد فضل جامعة الوطنية على الارتباط بجامعة الدين اذا تعارضا وقد قال اذلك بقوله : « لو وقعت حرب بين عربى وعجمى تماثلا دينيا هربت الطباع الى الجنسيه فترى عربيا فى أقصى الأرض يفرح بانتصار سواه على العجمى ، والعكس بالعكس (٤٣) » .

---

(٤١) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٣٠
(42) Blunt Secret History p 347.
(٤٣) الأستاذ : العدد الثلاثون فى ١٤ مايو ١٨٩٣ ، ص ٧٠٥ — ٧١٢ تحت عنوان « تجاذب الجنسيات والأديان » .

يذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة أن مناداة النديم بفكرة « مصر للمصريين» هي شطحة من شطحات رجلوطني أخذه الوجد ، وأطاح به الشوق والحب الى حيث صاح هذه الصيحة فيمرات قليلة ونادرة(٤٤)» . ولكننا نرى أن سبب منـادة النـديم بهذه الفكرة ترجع الى وطنيته الشديدة المليئة بالكراهية لاستغلال الأجانب لأبناء وطنه ، وتغلغلهم في كافة نواحي الحياة فحاول ابراز الشخصية المصرية أمام هؤلاء الأجانب موضحا أن خير مصر لابد أن يكون لأبنائها . لقد كان شعار « مصـر للمصريين » من أهم شـعارات الثورة وأكثرها اسـتقطابا للجماهير الشعبية ، وكان رفعه كأحد شعارات الجيش في بداية حـركة تسلط الأتراك والجراكسة أحد الأسباب التى أدت الى اتساع هـذه الحركة والتفاف عديد من القوى الاجتماعية حولها (٤٥) ، لذلك فليس غريبا أن نلاحظ أن كبار زعماء الثورة أمثال عرابى وعبد العال حلمي وعلى فهمي كانوا يضعون في آخر أسمائهم لقب « المصرى » وذلك للتمييز بينهم وبين غيرهم .

وعموما فان الدعوة بتفضيل الوطنية عن الارتباط بجامعه الدين لم تكن مقبولة أو مفهومة لدى جمهرة المفكرين المصريين ولم يدع اليها أحد بعد النديم الا بعد قيام الحرب الأولى (٤٦) ففى ابان الاحتلال حمل لواء الحركة الوطنية الطبقة الوسطى المثقفة والممثلة في الحزب الوطني ،

---

(٤٤) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية في مصر ، جـ ٢ ص ٢٠٤

(٤٥) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٢٨

(٤٦) دعا حزب الأمة الى التخلص من التبعية العثمانيه ولكنه لم يدع الى مناضلة الاحتلال وانهاء وجوده بل احتضن فكرة تهيئة الامه اولا عن طريق الحيـاة الدستورية واستكمال اسـباب الحـكم الذاتي قبل الحصول على الاستقلال .

ومع أن مصطفى كامل كان يفخر ويتشرف بأنه من أبناء مصر ويتضح ذلك من قوله : « أفخر وأتشرف بانى ابن حابط شهم آباؤه فلاحون مصريون [٤٧] » و « ان لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا » .

فان أفكاره لم تكن تمثل الفكره القوميه تماما حيث كان الحزب الوطنى يعترف بالسياده العثمانيه على مصر ، ويحافظ على الروابط التى تربط مصر بالدوله العثمانيه كما أن الشيخ على يوسف صاحب حزب الاصلاح على المبادىء الدستوريه كان يرى أن مصر جزء من الدولة العثمانيه [٤٨] ، ولم نجد بوادر الفكرة القومية بمعنى التحرر من التبعية العثمانية الا لدى حزب الأمة وان كانت هذه الفكرة لا تدعو الى مناضله الاحتلال وانهاء وجوده ، ولكن فى ثورة ١٩١٩ اتخذت هذه الفكرة شكلا جديدا حيث اتجهت الى التخلص من الحماية الانجليزيه والتبعية العثمانية تماما على السواء وان كانت التبعية العثمانية قد زالت عمليا باعلان الحماية نفسها [٤٩] .

ومما سبق يتضح أن النديم لم يكن أول من نادى بمبدأ مصر للمصريين كما يذكر البعض [٥٠] بل سبقه فى ذلك آخرون ، كما يتضح أن المناداة بهذا المبدأ لم يكن الهدف منها الانفصال عن الدولة العثمانية بل الوقوف فى وجه سيطرة الأجانب على مرافق البلاد وخصوصا بعد أن أغلقت فرص العمل أمام المصريين بينما أتيحت لغيرهم فكانت هذه الصرخة تنبيها الى خطورة ما يحدث .

---

(٤٧) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنيه ص ١١٢

(٤٨) المؤيد : فى ١٩/١٠/١٩١٣

(٤٩) يوسف خليل جاد الله : تطور الحركة القوميه فى مصر ١٨٨٢ — ١٩١٩ رساله دكتوراة غير منشورة نوقشت بكليه الآداب جامعه القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٤٨٤

(٥٠) محمد عبد الوهاب صقر ، فوزى شاهين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤١

وفى غمرة الأحداث حاول الاستعمار وأذنابه ايجـاد ثغرة بين عنصرى الأمة عن طريق ترويج الشائعات المغرضة وتشجيع الجمعيات التبشيرية مما جعل النديم يشعر بالخطر على الوحدة الوطنية فقـام بحملة ضد هؤلاء (٥١) موضحا فشل مبتغاهم وداعيا أبناء الوطن على اختلاف أديانهم الى التمسك بالوحده الوطنية .

النديم والوحدة الوطنية :

رغم أن التاريخ المصرى شهد وحدة عنصرى الأمة (المسـلمين والأقباط) عبر مراحله المختلفة فان ازدياد النفوذ الأوربى فى مصر مع بداية القرن التاسع عشر قد رافقته حملة مكثفة لالصاق تهمة التعصب الدينى بالمصريين زاد أثرها أثناء تواجد قوات الاحتـلال الانجليزى بأرض الوطن ، واستغلها الانجليز كوسيلة لتبرير احتلالهم لمصر بحجة المحافظة على الأمن وحماية أرواح وممتلكات الأجانب كما استخدموها للتفرقه بين عنصرى الأمة حتى تضرب الوحدة الوطنية وينشغل أبنـاء الوطن عن المطالبة بالاستقلال (٥٢) وقد لاحظ النديم ذلك فحرص على توضيح الأمور لأبناء وطنه (٥٣) ، فقال : « يقول عنا ذوو المطـامع

---

(٥١) انظر : الأستاذ : العـدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ أبريل ١٨٩٢ تحت عنوان « هـذا عندكم فما مقابله عندنا » .

(٥٢) د. ماريق أبو زيد : أزمة الفكر القومى فى الصحافة المصرية ص ٧٩ — ٨٠ .

(٥٣) لم يكن النديم وحـده فى هـذا المجال فقد ناشـد « سليم النقاش » المصريين ان « لا يجعلوا اختلاف العقائد سببا فى اختـلاف القلوب » .

العصر الجديد : فى ١٩ أكتوبر ١٨٨١ تحت عنـوان « الوطنيـة الحقـة » .

كما ناشدهم الشيخ محمد عبده بأن يكونوا فوق الخلافات الدينيـة والسـياسة أيضا .

انظر : الوقائع المصرية : فى ٣ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان « فصول الأديب الفاصل فى الحياة السياسية » .

الملكيه أننا متعصبون تعصبا دينيا . والله يعلم أن هذا التعصب لا رائحة له في جميع بلاد الاسلام ، وانه لا يوجد الا بين رجال أوربا (٥٤) » .

ثم طالبهم بالاتحاد والتمسك بحبل الائتلاف حتى يفوتوا على مروجي فكره التعصب أغراضهم في ضرب الوحدة الوطنية ، وزرع بذور الشقاق بين أبناء الوطن فقال « أوصيكم بكلمة الاتحاد والتمسك بحبل الائتلاف ، وأحذركم من التخاذل وسماع أقوال أهل الأهواء الذين شربوا دماءنا ولم يرووا وأكلوا لحومنا ولم يشبعوا (٥٥) » كما حذرهم من سماع أقوال هؤلاء حتى يفوتوا عليهم مآربهم فقال : « لابد من سد الأذن عن سماع الأصوات الأجنبية التي تحرك النفوس وتظلم القلوب (٥٦) » وناشدهم بتوحيد الصف لحفظ الوطن فقال : « ليعد المسلم منكم الى أخيه المسلم تألفا للعصبية الدينية ، وليرجع

---

(٥٤) الأستاذ : العدد الخامس والثلاثون في ٢٥ ابريل ١٨٩٣ ، ص ٨١٢ تحت عنوان « هذا عندكم فما مقابله عندنا » .

والجدير بالذكر انه قامت حمله ضد الاسلام من بعض مروجي فكرة التعصب مما دفع الشيخ محمد عبده الى السير على نهج استاذه الأفغاني في الدفاع عن الاسلام ورد هجمات الطاعنين « المناقشة التي دارت بين الأفغاني وأرنست رينان » وكان له في هذا مواقف مشهودة أشهرها اثنان أولهما رده على المسيو جبرائيل هانوتو وزير الخارجية الفرنسية والثاني رده على فرح انطون محرر مجله الجامعة وكان رده على هذين الخصمين قويا مفحما اذاع شهرته في العالم الاسلامي وجعله اقدر المحدثين في الدفاع عن الاسلام .

انظر : تشارلز آدمس : الاسلام والتجديد في مصر — ترجمه عباس محمود — القاهرة — لجنه ترجمة دائرة المعارف الاسلاميه ١٩٣٥ ، ص ٨١ — ٨٦

(٥٥) التنكيت والتبكيت : العدد الثامن عشر في ١٦ اكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٩٦ تحت عنوان « وصية وطنية » .

(٥٦) الأستاذ : العدد الثاني والعشرون في ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

لابنان الى القبطى والاسرائيلى تأييدا للجامعـة الوطنيـه ، وليكن المجمـوع رجـلا واحـدا يسعى خلف شىء واحـد هو حفظ مصر للمصريين [٥٧] » ثم رد على ادعاءات مروجى فكرة التعصب الدينى بأن المسلمين والأقباط واليهود يعيشون فى مصر معا فى أمان وتعـاون كامل من أجل مصلحة وطنهم، ولا يعكر ذلك سوى أفكارهم ومحاولاتهم بث الشـقاق [٥٨] كمـا بين لهـم أن الاسـلام دين لا يدعـو الى التعصب [٥٩] .

---

(٥٧) الأستاذ : المقال السابق .

(٥٨) الطـائف : فى ٢٩ يونيـه ١٨٨٢ تحت عنوان « المصريون والأوربيون » .

(٥٩) ضرب النديم مثالا على ذلك مقال ان الأستاذ « محمد الانبابى» شيخ الاسلام ذكر بان له جارا اوربيا اراد ان يضع اثاثه أمانه عنده ويسافر خشيه على نفسه فأوضح له « ان الدين الاسلامى يقضى بحفظ المستأمن وصيانة ماله وروحه من كل العوارض ، وان المعتدى على مستأمن كالمعتدى على مسلم سواء بسواء ، وان هـذا الأمر معلوم لكل مسلم لذلك فهم لا يعتدون على احد ولا يهتكون حرمة نزيل لان الشرع الشريف يحرم ذلك عليهم فاطمأن قلب الرجل وعاش آمنا بين اخوانه المسلمين » .

الطائف : المقال السابق الذكر .

والجدير بالذكر أن تعبير الشيخ الانبابى يعنى اعتبار الأوربيين مثل اهل الذمة فى الاسلام اى انهم فى ذمة المسلمين وهم مسئولون عن امنهم، وهذا ما هو مرفوض من جانب المسيحيين وغيرهم .

وقد اهتم الشيخ على يوسف أيضا بالرد على مروجى اتهام المصريين بالتعصب فقال : « هـذا هو الشعب الذى جلس فيه الوزير نوبار باشا على كرسى الخديوية نائبا عن الحاكم الشرعى للبـلاد . والحكومة كمـا تعلمون اسلامية وذلك الوزير مسيحى ، ولم تسمعوا أن احدا من المصريين فاه بكلمة بل ربما لم يخطر هـذا الخاطر على بال واحد من المسلمين كأنه لم يعد فارق بينهم وبين غيرهم من أبنـاء دين آخر . ان المصريين ابعـد الشعوب عن التعصب الدينى » .

المؤيد : فى ٢١ فبراير ١٨٩٥ تحت عنوان « ما لكم لا تنتهيون وماذا باللـه تبغون » .

لقد تغنى النديم بروح النسامح السائده بين المصريين وأشـــاد باختلاط المصريين والأقباط ثلاثة عشر قرنا من الزمان فقال : « قضى المسلمون مع الأقباط ثلاثة عشر قرنا ، وهم فى اختــلاط أهل بيت ، ومعاملة عشيرة ، واتحاد عائلة ، وما جرى بينهم يوما واقعه عدوانية مسببة عن اختلاف الدين بل بقينا معهم كل هــذه المدة نتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار (٦٠) ثم تحدث عن محافظة كل منهما على الآخر وخشيته على أمواله فقال : « ان القبطى بسكن فى قــريه من قرى الريف وجاره المسلم يحرسه ويقضى له أشــغاله ويحفظ له أمواله (٦١) » كما تحدث عن روح التسامح الدينى بين كافه الأجناس التى تقطن مصر فقال : « الأجناس المختلفة الدين والوطن واللغــة يساكنوننا معاشر المصريين فلا يجدون الا صــدورا رحبــة ووجوها ضاحكة ، وألسنة رطبة بالتحيات والتهانى (٦٢) » كما قال أنه « رغم وجود الألوف المؤلفة من اخوان الوطنية الأقباط فى الوجــه القبــلى والبحرى ، ومخالطتهم المسلمين دارا لدار ، وغيطا لغيط لم يسمع أن مسلما تعدى على قبطى فقتله فى بلد من البلاد (٦٣) » وذكر أن شعب مصر فخور بوحدته الوطنية فقال : « نحن معاشر المصريين نفتخر بين الأمم بهــذه الجامعة التى لا تنحل ، عقدتها ، ولا يبدد نظامها (٦٤) »

---

(٦٠) الأستــاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥١٦ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٦١) الأســتاذ : العدد الرابع فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٧٦ ، تحت عنوان « الجامعه الوطنية والاختلاط العمرانى » .

(٦٢) نفســه .

(٦٣) الأســاد : العــدد التاسع والثلاثون فى ٢٣ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٤٦ تحت عنوان « اعداء المصريين » .

(٦٤) الأســتاذ : العــدد الرابع فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٧٨ تحت عنوان « الجامعة الوطنية والاختلاط العمرانى » .

كما قال ان « مصر مخصوصة بجامعة وطنية لم يسمع مثلها فى الأقطار اذ كانت الأمة الاسلامية مع الطائفة القبطية كأهل بيت يتعاونون على المعاش ويتجاورون الأعمال ويتقاسمون النظر فى شئون البلاد (٦٥)».

لقد أوضح النديم لدعاة التفرقة عدم جدوى محاولاتهم للتفريق بين عنصرى الأمة فقال : « ولهذا لم تجد دولة من الدولة العدوانية علة دينية تتداخل بها فى شأن مصر باسم راحة المسيحى والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الأقباط حريتهم فى عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بها حجابا بين مصر وبين تلك الدعوة التى تقودها أوربا تغريرا ونضليلا (٦٦) » .

ثم حاول أن يوضح الدعايات الكاذبة التى يروجها بعض الأوربيين فقال : « ان أوربا لا تعرف حقيقة الشعب المصرى لأن رجال الصحافة بها لا يستقون المعلومات التى يكتبونها من مصادرها الحقيقية بل من جلسات المقاهى أو من الخدم الذين يعاشرونهم لمدة يوم أو يومين(٦٧)» وذكر أنه حتى فى أحرج الأوقات التى عاشتها مصر أثنـاء الحروب الصليبية التى تحرك لها عالم أوربا برمته وامتدت قرنين ،وكان لمصر فيها الشأن الأكبر واليد القوية لم يسمع أن مسلما تعدى على قبطى

---

(٦٥) الأستاذ : المقال السابق ، ص ٧٥

(٦٦) الأستـاذ : العـدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٢٤ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٦٧) الطـائف : لم نستطع الاستدلال على رقم العـدد أو تاريخ صدوره لأن معظمه ممزق .

فى اشتعال نار الحروب (٦٨) كما كذب ماتردد عن أن مذبحة الاسكندريه كان سببا دينيا فقال « فلو كانت فتنه الاسكندرية اسلامية كما زعموا لجرت الدماء أنهرا فى الصعيد فسكون المصريين وامتزاجهم بالأقباط امتزاج الأهلية أيام الفتنة أكبر دليل على أن المصرى لا يعرف التعصب الدينى ، ولا ينقض عهدا ، ولا يخفر ذمه ولا يعتدى على وطنى أو مستوطن » (٦٩) ثم وضح لهم أن أبناء مصر مهما دبر لهم من مؤامرات للتفرقة بينهم فهم اخوان فى الوطنية يشد بعضهم أزر الآخر وانهم لو قامت الدنيا وقعدت هم هم اخوان الوطنية يعضد بعضهم بعضا .. يتزاورون تزاور أهل بيت ، ويشارك الجار جاره فى أفراحه وأتراحه علما منهم أن البلاد تطالبهم بصرف حياتهم فى احيائها بالمحافظة على وحدة الاجتماع الوطنى الذى يشمله اسم مصرى من غير نظر الى الاختلاف الدينى (٧٠) .

وإعدم اعطاء الفرصة لأن يبث أحد المغرضين روح الفرقة بين أبناء الوطن طالب النديم بايجاد جمعية مصرية من المسلمين والأقباط للبحث فى الوطن وخصائصه وواجباته ، وضرورات حياته، والمحافظة على مابين المصريين وغيرهم من روابط المحبة فقال « ان

---

(٦٨) الأستاذ : العدد الرابع فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٧٥ تحت عنوان « الجامعه الوطنيه والاختلاط العمرانى » .

كما وقفت جريده « الوطن » موقف المدامع عن الوحدة الوطنية فكتب ميخائيل عبد السيد أن : « البلاد المرتاحة من آفة التعصب هى المرتقبه الى ذوى المجد » .

الوطن : فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٨

ولكن هذا الموقف تغير بعد وفاة ميخائيل عبد السيد وتولى « نجدى ابراهيم » الذى حاول اثارة الفتن الطائفية بمقالاته .

(٦٩) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون فى ٢٣ مايو ١٨٩٣ ، ص ٩٤٦ تحت عنوان « أعداء المصريين » .

(٧٠) الأستاذ : العدد الحادى والثلاثون فى ٢١ مارس ١٨٩٣ ص ٧٤٩ تحت عنوان « المسلمون والأقباط » .

تكوين جمعية من الفريقين يفيدهمــا فوائد جمه ، ويحول بينهما وبين النزعات الأجنبية » (٧١) .

والجدير بالذكر آن النديم لم يترك فرصة الا عبر فيها للأقبــاط عن مودته فقد اشترك فى احتفالاتهم ، ويتضـــح ذلك من قوله « وما عقدوا محفلا الا كنتخطيبـــه ، ولا نادانيأحدهم الا كنتمجيبه »(٧٢) وعندما تأسست الجمعيــة الخيرية القبطيــة (٧٣) حضر النديم حفل الافتتاح ويتضح ذلك من قوله « خطبت فيهم خطبة التأسيس الجميل وحشوتها بمواعظ من الانجيل (٧٤) وعندما وافقت الحكومه علىصدور النشرات الدينيه القبطيــة رحب النديم بذلك ، وكتب فى مجلته تحت عنوان « تقاريظ » أنه « مع كون جمهور البــلاد المصرية مسلما وفى وسطهم الطائفــة القبطيــة ماكنا نرى جريدة دينيــة اســلاميه ولا مسيحية ، والآن وقــد انحل ذلك القيد وتقــدمت المطبوعات خطوة عظيمة فظهرت فيها « النشرة الأسبوعية الدينية القبطية » ثم ظهرت النشرة الانجيلية المصرية « فالجرائد الدينيــة ترد الأمم عن الفجور والفساد وتدعو الناس الى مكارم الأخلاق » (٧٥) .

---

(٧١) الأســتاذ : العــدد الحادى والثلاثون فى ٢١ مارس ١٨٩٣ ص ٧٥٠ تحت عنوان « المسلمون والاقباط » .

(٧٢) د. محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٥١

(٧٣) أنظر : الفصل التاسع .

(٧٤) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥١

(٧٥) الأســتاذ : العــدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢ ، ص ٤٠٥ — ٤٠٦ كما عبر يعقوب صنوع عن ذلك بقوله ان الطريق للوحدة الوطنية هو مكافحة الاباطيل التى تفرق بين المسلمين والمسيحيين باظهار سماحة القــرآن وكلمــه الانجيــل ، وهكذا يتسنى المــلاءمة بين قلوب الفريقين .

د. ابراهيم عبده : ابو نظارة — امام الصحافة الفكاهية المصــورة وزعيم المسرح فى مصر ١٨٣٩ — ١٩١٢ ، ص ١٨

والواضح أن الدعوه للوحدة الوطنيـــة النى نادى بها النـــديم وشاركه فيها بعض كتاب عصره كانت لوقف عوامل التفكك والفرقة التى حاول البعض بثها لفصم عرى الوحدة الوطنيـــة لذلك نجد النـــديم يناشد أبنـــاء وطنه بالمحافظة على الوحدة الوطنيـــة ، ويحذرهم من سماع مدبرى الفتن الذين لا همّ لهم ســـوى انقسام الوطن (٧٦) كما يوضح للدول الأجنبيـــة التى تحاول النيل من الوحدة الوطنية « أن الادعاء على المصريين بالتعصب الدينى خطأ » (٧٧) مؤكدا لهم فشل مبتغاهم لأن المصريين يتسمون بالتسامح ويشهد على ذلك الأوربيون الذين يعـــاشرونهم (٧٨) هكذا كانت دعوة النديم للوحدة الوطنية ، وهكذا كانت فـــكرته بايجاد جمعية تجمع شـــمل المسلمين والأقبـــاط للنظر فى شئون وطنهم ، ومحاولة اصلاح مافسد من أموره ورغم ذلك فعنـــدما ضـــاق الانجليز ذرعا بالنـــديم وحاولوا التخلص منه ومن صحيفته « الأستاذ » نسبوا اليه تهمة التعصب الدينى .

ولمـــا كان النديم يرفض فـــكرة أن يكون للدين دخل فى مصائر الأمم فقد رفض فـــكرة « الجامعة الاسلامية » التى تبناها أســـتاذه الأفغـــانى ورأى أن البديل عن ذلك هو المنـــاداة بجمع شمل الشرقيين بغض النظر عن دينهم فظهرت فـــكرة الرابطة الشرقية « لحفظالشرق للشرقيين » .

وكما أن النديم تحدث عن مفهوم القومية ومبدأ «مصر للمصريين» وأهمية الوحدة الوطنية فقد كانت لديه أفـــكار أيضا عن الديمقراطية

---

(٧٦) استغل بعض مدبرى الفتن مقتل بطرس غالى فحاولوا شق الوحدة الوطنية واحداث صراع طائفى فعقد المؤتمر القبطى فى أسيوط ، والمؤتمر الاسلامى بمصر الجديدة .

(٧٧) الطائف : تحت عنوان « المصريون والأوربيين » علما بأننا لم نتمكن من معرفة رقم العدد أو تاريخه لأن نصف الصفحة الأولى مفقود .

(٧٨) نفســـه .

كأساس للحكم فى مصر ، والدستور كنظام له وحرية الرأى والاهتمام بالرأى العــام وفــكرة اعلان الجمهورية وهذا ما سنتعرض له .

النديم والديمقراطيــة :

لقد انفعل النديم بالمظالم الواقعة على أبناء وطنه وما يتعرضون له من سوء ادارة نتيجة للحكم المطلق الذى أتقــل كواهلهم فــكانت

---

(٧٩) ان كلمة الديمقراطية استعملت من قبل فى المدنيات القديمة بل انها يستمد أصلها من كلمتين يونانيتين هما Demos بمعنى شعب ، Kratos بمعنى سلطة أى أن الديمقراطية هى حكومة الشعب .

د. ثروت بدوى. النظم السياسية . القاهرة. دار النهضة العربية. الطبعة الأولى ١٩٦١ ص ١٥٦ ويذكر الأستاذ محمد شفيق غربال ان الأب « أغسطينس باربارا » عندما ترجم كتاب « السياسة لأرسطو » من اليونانية الى العربية ترجم كلمة ديمقراطية اليونانية بالحكم الشعبى والسياســة الشعبية دون أن يحاول ان يبرر لم عدل عن كلمة « الديمقراطية » السائدة فى الاستعمال الى الحكم الشعبى ، ومن الجائز ان الحكم الشعبى أدق من كلمة ديمقراطيــة من حيث الدلالة على المعنى الأصلى ، لــكن مادام الاستعمال قد درج على كلمة ديمقراطية فــكان من الخير الابقاء عليها .

مؤتمر مجمع اللغة العربية — الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩— ١٩٦٠. « مجموعة البحوث والمحــاضرات » تحت عنــوان « كيف دخلت المصطلحات السياسية فى اللغــة العربيــة ص ١٩٦ — ١٩٧ .

ومفهوم الديمقراطية فى الصــحافة المصرية حــديث العهــد وقليلا ما استخدمت هذه الــكلمة حتى نهاية الحرب الأولى وكان يستعاض عنها بــ « حكم الشورى » او « سلطة الشعب » فعرفها » عبد الله النديم » بأنها « الشورى » أنظر : التنكيت والتبكيت فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ .

وعرفها « ميخائيل عبد السيد » بأنها « سلطة الأمة » وذكر انهــا أفضل انواع النظم . الوطن فى ٢٨ نوفمبر ١٨٨٨ .

وعرفها « مصطفى كامل » بقوله « ان تنــال الأمة حقوقها كاملة .. فتصبح سيدة نفسها » اللواء فى ٢٥ فبراير ١٩٠٦ تحت عنوان « ثم ننال حقوقنــا » وعرفها « أحمد لطفى الســيد » بأنها « سلطة الأمة » وأنه « لا يمكن الاعتراف بوجود ذاتى للامة أو حياة حقيقية لها الا اذا كان لها من ادارة اعمالها الحظ الملائم لدرجتها فى الرقى الاجتماعى .

الجريدة فى ١٨ مايو ١٩٠٧ تحت عنوان « المجالس النيابية » .

كما عرفها محمــد رشيد رضــا بأنها « تقتضى بما حكم به الشرع والعقل .. اى بوجوب جعل الحكام اجراء للامة .

المنار فى ١١ مارس١٩٠٧ تحت عنوان « سنن الاجتماع فى الحاكمين والمحكومين » .

خطبــه ومقالاته فى تلك الفترة توضح أن هنــاك روحا مضطهده فاض بها الاضطهاد فصــاح تدافع عن نفسها وقــد صور ذلك بقوله « وقد كانت البــلاد على سعة أطرافها كليمان أعد للمذنبين ، ومجلس جزاء هيىء لأرباب الجرائم والخاطئن ، ولو أن سائحا جويا صعد فى درجات الهواء الى حد يرى ويسمع من تحته من أهالى الديار المصرية اذ ذاك لرأى أمه تتقلب على جمر العذاب على غايه من الاختلاط والاختباط »(٨٠) كما رأى انه لا يمكن اصلاح الأحوال والاستبداد (٨١) مطبق على رقاب المحكومين وبادى بتحــديد الحقوق والواجبــات لــكل من الحــاكم والمحكوم (٨٢)

وذكر أن الشرق لم يعرف الديمقراطيه لاستبداد حكامه وجهالة شعوبه فقال « لم يكن عند ملوكهم ثقة باعيانهم ووجهائهم ، ولايحبون كثرة العقلاء خوفا من الطلب الذى يحلم به كل ملك شرقى .. نراهم اذا نبغ فى ممالكهم أناس وضعوهم تحت سوط التضييق حتى يبغض للغير طريق العقلاء والنبهاء فرارا من الوقوع فيما وقعوا فيــه من

---

(٨٠) الطائف فى ١٩ يونيه ١٨٨٢ .

(٨١) عرف الـكواكبى الاستبداد بانه « انفراد المرء على رأى نفسه فيما ينبغى الاستشاره فيــه » كما عرفه بأنه « تصرف فرد أو جمع فى حقوق قوم بلا خوف تبعه » .

الرحالة ك : طبــائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ص ٦ ، ٧ .

كما عرفه بانه « صفة الحكومة المطلقة العنــان التى تتصرف فى شئون الرعيه كما تشاء بلا خشيه حساب و لا عقاب » .

والجدير بالذكر ان الكواكبى نشر سلسلة من المقالات عن الاستبداد فى جريدة المؤيد ابتــداء من ١٥ أبريل ١٩٠٠ تحت عنوان « اسراح على المحررين السياسيين » .

(٨٢) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ ص ٢٧٥ .

البلاء والعنــاء » (٨٣) ثم تحدث عن أهميه أسلوب التشاور بين أبناء الوطن فقال : « الشورى هى غرس الأفــكار فى أرض التبادل وسقيها بماء الحرية ، وخدمتها بيد الاعتدال لتثبت العــدل وتزهر الحق وتثمر العمران » (٨٤) وكتب عن فوائد الحياه النيابية ، والأسس التى تقوم عليها طريقة الانتخاب السليم والشروط الواجب توافرها فى المرشحين فذكر أنه لا يقوم بهذا العمل الا من توافرت فيه « مواد الفضل وتردى برداء العدل .. وتدرع بدرع الوقاية من شهوات نفســه وأغراضــه الذاتيــة » (٨٥) .

---

(٨٣) الأســتاذ : فى ٢٩ نوفمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « لم تقــدموا وتأخرنا والخلق واحد » .

والجدير بالذكر ان النــديم لم يكن وحده الذى حمل ملوك الشرق مسئولية التدهور نتيجــة لاستبدادهم فقــد سبقه فى ذلك آخرون فأديب اسحق يحمل ملوك الشرق المسئوليــة بقوله « ان استبداد ملوك الشرق واستئثارهم بالمنــافع هو العلة الحقيقيــة فى سقوط دولهم واختــلال مواردها وتلاشى احوالها » .

جريدة مصر فى ٣١ يوليو ١٨٧٩ تحت عنوان « آثار الاســتبداد فى الدول الشرقية عموما والدولة العثمانية خصوصا » .

وكتب سليم النقاش عن ذلك فقــال « فمن آفات الشرق العظمى وطامته الــكبرى استبداد ملوكهم وتحامل قويه على صعلوكه » .

جريدة العصر الجديد فى ١١ مارس ١٨٨٠ تحت عنوان : « الاستبداد فى الشرق » .

كما ذكرت جريدة مرآة الشرق ان اســباب انحطاط الشرقيين يرجع الى « فساد اخلاق الأمراء وولاة الأمور وجهلهم بواجباتهم وسوء تدبيرهم واستبدادهم فى الراى » .

مرآة الشرق فى أول مايو ١٨٧٩ تحت عنوان « المــال » .

(٨٤) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع عشر فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ ، علما بأن هذه الأفــكار تتفق مع افكار جمعية الفتــاة السرية التى انضم اليها النديم قبل ذلك حيث نشرت فى لائحتها اهمية نظام الشورى وايجاد قانون ينظم الحقوق والواجبــات لــكل من الحاكم والمحكوم .

انظر : جمعية مصر الفتاة : لائحة اصــلاح مرفوعة الى جلالة الأمير توفيق ص ١ — ٦٨ .

(٨٥) مصر : العــدد ٤٢ فى ١٨ ابريل ١٨٧٩ مقال للنــديم تحت عنوان « الحال » .

ثم تحدث عما توفره الحياه الديمقراطية للشعب من الحموق حيث تعرض الأمور على المجلس النيابى ثم تناقش قبل تنفيذها فاذا وافق عليها أغلبية الأعضاء نفذت ، واذا اعترضوا أوقفت حتى لو كانت بأمر الحاكم لأن الرأى الأخير يكون نتيجة التشاور وتضارب الأفكار ثم تصدر القوانين متلائمة مع التابع والمتبوع [٨٦] ، كما انتقد الحكام الذين يصدرون القوانين دون الرجوع لرأى أحد [٨٧] وتحدث عن أسباب نجاح النظام الديمقراطى فى الغرب فقال « وما أوصلهم لهذه الغاية الا اعتمادهم على الفضلاء والأذكياء حتى اضطروا الأغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التى بها ترشحوا للدخول فى أندية الشورى » [٨٨] كما ذكر أن الديمقراطية وجدت بالغرب عندما رأت ممالك أوربا أن الملوك كثيرا مايمعون فى أخطاء الرأى حينما ينفردون به فأحدثوا مجالس الوزراء والشورى التى تقيدت بها الممالك ظاهرا فألقت أوزارها على عاتق أعيان الأهالى ومنتخبيهم لتستمد أفكارهم بما به يحسن النظام وتبقى المملكة حية بحياة قواها العاملة ، وصار للأمم الثقة بملوكهم ووزرائهم لعلمهم أنهم لايصرفون شيئا ولا يحدثون عملا ولا يبرمون أمرا الا بمشورة نوابهم .

وبتبادل الأفكار بين الوزراء والنواب ظهرت ثمرات عظيمة واشتد عضد الدول وعظمت قوتها واتسعت تجارتها ومعارفها [٨٩] .

---

(٨٦) الأستاذ : العدد الثالث والثلاثون ص ٧٦١ .

وكان ميخائيل عبد السيد قد سبق النديم فى تعريفه للحكومة الديمقراطية حيث قال هى التى « يكون فيها الملك مقيدا ومربوطا بشرائع البلاد بحيث لا يجوز له الخروج عن مقتضاها ولا المروق عن فحواها » الوطن فى ٢٨ نوفمبر ١٨٨٨ .

(٨٧) تحدث الأفغانى عن الأمة التى تتقيد برأى واحد من الناس ولا تتحرك الا بارادته فقال « ومن المعلوم أن الرجل الواحد ولو انفرد بالعقل والذكاء والهمة وعلو النفس لا يستطيع جلب السعادة لنفسه فضلا عن جلبها لأمة كبيرة .

مصر : العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ .

(٨٨) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٧٦١ .

(٨٩) الأستاذ : فى ٢٩ نوفمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد » .

طالب النديم بتكوين الأحراب مثلما يحدث فى أوربا حتى يكون هنـــاك من يحاسب الحكام على أفعـــالهم ، ويستخلص من تضـــارب الأفـــكار واختـــلاف، الأحـــزاب قوانين تلائم التـــابع والمتبوع (٩٠) فكتب فى الأســـتاذ قائلا « علينا معاشر المصريين خصوصا والشرقيين عموما أن نبحث فى طرق أحـــزاب أوربا وروابطهم وكيفيه ســـيرهم ، وموجب استمرارهم على ماهم فيه ، ونقلدهم بسير لطيف ، واعتدال فى الحركات والسكنات مع لزوم الهـــدوء وحسن الانقيـــاد والمحافظة على حقـــوق الأجانب والنزلاء والانتبـــاه لدســـائس الدخـــلاء وفتن الأجراء » (٩١) كما طالب بأن يكون لـــكل حزب جرائده التى تعـــبر عن أفكاره فقال : « ولتكن لـــكل فريق جرائد تنشر أعمـــاله وتؤيد أقواله وتبين له دسائس بقيـــة الجرائد وتنبهه على ما يجب اتخاذه مما تراه صالحا آخذة أفـــكارها من مجموع أعمال الحـــزب أو آراء عقلائه بحيث تلزم مشربا لا تتحول عنه بتحول الأحوال و لاتتلون أمام حزبها بتلون المطامع ولا يلزم من اختصاصها أن تكون مضادة لغيرها من الجرائد فى كل ما يكتب » (٩٢) .

وبما أن الديمقراطية الـــكاملة لا تكون الا اذا كان حق الانتخاب وحق الترشيح مقررين للجميع دون تمييز بسبب الثروة أو المولد فقد طالب النـــديم بتمثيل الفقراء فى المجـــالس النيابية لأن وجود الأغنياء وحدهم يجعلهم يوجهون سلطةالتشريع حسب أهوائهم وحسبمايخدم

---

(٩٠) رئيف خورى : الفكر العربى الحديث — اثر الثورة الفرنسية فى توجيهه السياسى والاجتماعى ص ٢٠٢ .

(٩١) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣٠ يناير ١٨٩٣ ص ٤٦٤ — ٤٦٧ تحت عنوان « اشتات الشرق وعصبيات أوربا » .

والجدير بالذكر ان النديم خالف رأى اســـتاذه الذى كان يرى ان تكوين الأحزاب لا يتناسب مع افـــكار أهل الشرق لأنه يؤدى الى الشقاق بينهم ويصبح نكبة عليهم .

محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى ص ٨٥ .

(٩٢) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٤٦٧ .

مصالحهم فقال « ان كان الانتخاب ماصرا على الأغنياء دون الأذكياء كان مجلس النواب وبالا على الشـعب والوطن .. لأن الغنى مولع بالاستبداد والاستعباد »[٩٣] ووجوده فىمجلس النواب علهلزياده هلاك السعب وتشريع للقوانين الظالمة له كما انتقد الأمم التى نسـير على هذا المنوال وذكر أنها « مقيدة بقوانين وضعت لأغراض داتية وأفكار مقصوره على فرد أو بعض أفراد ولا يفقه تلك القوانين الا واضعها.. ومجالس مقصـورة على أرباب الىروه أو أهـل الـكلام وليس كل الأمة » [٩٤] .

والجدير بالذكر أن النـديم كان فى ذلك مخالفـا لرأى الشيخ محمد عبده الذى طالب بقصر الانتخاب على المتعلمين [٩٥] وذلك أثناء خطبته فى احتفـالات جمعية المقاصد الخيرية فى ١٣/٢/١٨٨٢ ابتهاجا بتعيين البـارودى حيث قال : « انه لم يعهد فى أمة من أمم الأرض أن الخـواص والأغنيـاء ورجال الحكومة يطلبون مسـاواة أنفسهم بسائر النـاس وازالة امتيـازاتهم واستئثارهم بالجـاه والوظـائف بمشاركة الطبقـات الدنيا لهم فى ذلك » [٩٦] كما قال مخاطبا الأغنياء هل « رضيتم واخترتم عن روية وبصيرة أن تشاركوا سائر أمتكم فى جاهكم ومجدكم ، وتساووا الصعاليك حبا فى العدالة والانسانية » [٩٧]

---

(٩٣) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع عشر فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١

(٩٤) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جـ ١ ص ١١٨ .

(٩٥) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر جـ١ ص ١٤٨ .

(٩٦) نفسـه .

(٩٧) نفسـه .

ويذكر الأستاذ أبو المعـاطى أبو النجا أن الشيخ محمد عبده يعتبر أعظم موثق عقود فى القرن التاسع عشر بين الأفـكار حيث نجح فى أن يعقد زواجا سعيدا فى رأسه بين العلم والدين ولـكنه رغم ذلك لم يستطع أن يهضم فـكرة الزواج السعيد بين الأغنيـاء والفقراء ولا بين القـانون والثورة .

انظر : العودة الى المنفى جـ ٢ ص ٣٤ .

وقد اعترض النـديم على ذلك بقوله أن الفلاحين هم الأغلبيـة العظمى من سكان البلاد ، وهم أصحاب المصـالح الحقيقيون وأدرى بمشاكلهم من غيرهم [٩٨] .

هكذا عارض النـديم سيطرة الأغنياء على مجلس النواب وطالب بتشكيله من كافة الطبقـات حتى يكون للفقـراء رأيهم فى الدفاع عن مصالحهم ، وحتى تسمع أصواتهم موضحا أن الديمقراطية الصحيحة لابد أن يتـدرب عليها الشعب ويمارسـها [٩٩] ، ولهـذا قال « ان الشىء فى أوله لا يجىء على صورته الحسنة فى سائر الجهات بل لابد من النقض والابرام والخطأ والتصويب والتعبير والتبديل حتى تتقدم الأفـكار وتتحسن الأعمـال [١٠٠] ومن هـذا يتضح أن النـديم لم تقف أفكاره عند حدود الديمقراطيه السياسية التى « ظلت تسـود الفكر المصرى وتطبع أغلب كتابات الصحفيين والـكتاب المصريين حتى نهاية الحرب الأولى [١٠١] بل أرسى تقليدا جديدا للديمقراطيـة وهو الديمقراطية الاجتماعيه حيث دافع عن حق الانتخـاب للجميع دون تفرقة بين غنى وفقير أو متعلم وجاهل ، واعتبر أن ذلك سيؤدى الى الاصلاح السياسى والاجتماعى ، متفقا فى ذلك مع رأى استاذه الأفغانى الذى يرى أن كل اصـلاح الى زوال مالم ينبعث من أعمـاق

---

(٩٨) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر جـ ٤ ص ٢٣٤ .

(٩٩) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ص ٢٥٠ .

وقد وصل الأمر بالنـديم ان اعترض على اختيـار سلطان باشـا رئيسا للمجلس بقوله « ولمـا تراس ابو سلطـان على مجلس الأعيـان اعترضت على عرابى فى انتخـابه واطلت فى عتابه وقلت له انه تلميذ فى مدرسة الظلم الوبيل وتربية الخديو اسماعيل » .

د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٦١ .

(١٠٠) التنكيت والتبكيت : فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ م

(١٠١) فاروق ابو زيد : الفـكر الليبرالى فى الصـحافه المصرية ١٨٨٢ — ١٩٢٤ ص ٢٤٠ .

الجماهير » [١٠٢] .

كما ناشد النديم الحاكم أن يندرع « بدرع الوقاية من شهوات نفســه ، وأعراضــه الذاتيــه وينزل عن جواد الجبروت الى أرض التواضع واللين .. وشــاور فى أمره ولى العقل والخــبره .. وقلد أعمــاله أهل العفة والأمانة والصدق » [١٠٣] .

هكذا وقف النــديم حربا على الحكم المطلق والاستبداد ، ورأى أن الأخذ بمبادىء الحرية وأســاليب الحكم الدســتورية واجب على الحكومات حتى تستطيع الوصول الى التقــدم والازدهار لبــلادها . كما رأى أن تكون السيادة والسلطة للأمه لأن الحكام لم يوجــدوا الا لخدمه الشعب [١٠٤] .

وبما أن الديمقراطية تعتمد فى وجودها على حرية تكوين الرأى وحرية التعبير عنه ، وبما أن بنــاء الحياة الديمقراطيه لا يتم بــدون الاهتمام بالرأى العام [١٠٥] وتوعيته فان النديم لم يغفل الحديث عنه .

---

(١٠٢) قال الأفغانى « ولن تنبعث شرارة الاصــلاح فى وسط هذا الظلام الحالك الا اذا تعلم الشعب وعرف حقوقه ودافع عنهــا ، ومتى عرف الشعب هذه الحقوق وجد نفسه مضطرا الى المطالبة بها والمحافظة عليها اذا نالها » .
جمال الدين الأفغانى « العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى » ص ٣٠ .

(١٠٣) جريدة مصر : العدد ٤٢ فى ١٨ أبريل ١٨٧٩ مقال النــديم بعنوان « الحــال » .

(١٠٤) توفيق على برو : المرجع السابق الذكر ص ٢١ .

(١٠٥) هو « ثمرة النقاش والجــدال بين الأفراد حيث يسود أحد الآراء الفردية على بقيــة الآراء او تصل الجماعة الى راى جديد كان فى مبادىء الأمر رايا تم تناولته بالصقل والتحويل والتعديل » .
د. حسنين عبد القادر : الراى العام والدعايه وحريه الصــحافة القاهرة . الطبعه الثانية ١٩٦٢ ص ١٥ .
كما انه « الراى السائد بين أغلبية الشعب الواعيه بالنسبة لموضوع او اكثر يمس مصــالح هذه الأغلبية مسا مباشرا أو يشغل بالها ، ويحتدم فيه الجدل والنقاش فى فترة معينه » .
د. مختار التهامى : الراى العام والحرب النفسية .
القاهرة . دار المعارف ١٩٦٧ ص ٢٢ .

ومع آن مصطلح الرأى العـــام كان حديث الاستعمال (١٠٦) في مصر مثل الـــكثير من المصطلحات السياسية فان النديم لم يغفله حيث أنه عامل هام فى تحريك المجتمع نحو القضايا ذات الأهميـــة القومية فقال « ان النظر فى المصالح المـــدنية والواجبات الوطنيـــة لا يكون الا فى الأندية والمجامع بتبادل أفكار عقلاء الأمة سؤالا وجوابا وسلبا وايجابا بما عند الأفراد من الأخبـــار الطارئة والحوادث العارضـــة والمسائل العلمية والوسائل التجارية والبـــواعث الوطنيـــة والحوافظ الملـــكية والخصائص الجنسية والفوائد اللغوية والمحســـنات المـــدنية فانه يستحيل على فرد أن يستقل بهـــذه العلوم نظرا وبحثا وتنفيـــذا مهما ارتفعت درجتـــه من المعـــارف ، واتسعت أفـــكاره بالتجارب بل لابد له من أيد يكثر بها العمل والسنة تنتشر بها العوائد وتسمع القاصى والدانى ممن تجمعهم الوطنيـــة أو تضمهم الجنسية أو تعمهم السلطة الدولية ، وهذا لا يكون الا باجتماع العقلاء وتبادل افكار المنتج للرأى العـــام » (١٠٧) .

ومن ذلك يتضح أن النـــديم دعا الى تبادل الأفـــكار بين أبنـــاء الوطن عن طريق عقـــد الاجتماعات فى الأنـــدية وأماكن الاجتماعات الأخرى وذلك للنظر فى أحوال البـــلاد وبحثها بحثـــا عاما يقوم على

---

(١٠٦) مع ان تاريخ هذه الفكرة يعود الى المدنيات القديمه فقد كان « لصوت الشعب » فى اواخر الامبراطورية الرومانية قوه عظيمـــة فى تقدير اعمال الدولة وآرائها فان هـــذا المصطلح حديث الاســـتعمال ولم يصـــبح شـــائعا قبل أواخر القرن الثـــامن عشر . فالروح العـــامه «Esprit Général» التى اتى بها « مونتسكيو » والارادة العامة «Volonté Général» التى اتى بها « روسو » اقرب شىء لما نسميه بالراى العـــام .

سيوارث دود : العلاقات الاجتماعية فى الشرق العربى — ترجمة فريد جبرائيل نجار — ص ٣٠٠ .

(١٠٧) الأستاذ : العدد الثالث عشر فى ١٥ نوفمبر ١٨٩٢ ص٢٨٩ — ٢٩٠ تحت عنوان « طريق الوصول الى الراى العام » .

الوعى والتفكير وايثار الذات لأن الاجماع على المسائل الهامة ضرورى ، وعن هذا الطريق تتسع أفكار الشعب وتزداد تجاربه ويعرف ماضيه وحاضره وتبعث فيه روح الحميه فيحافظ على حقوقه ويعرف واجباته لأن الرأى العام الحقيقى يجب أن يستند على تفاعل أكثرية الشعب ، وهذا التفاعل ينتج عندما تدور بينهم المناقشات فى أحوال البلاد السياسية والاقتصاديه والاجتماعية والثقافية وغيرها .

ولما كان الرأى العام وقوه الجماهير لا يزدهران الا فى ظل الديمقراطية حيث يتمتع أفراد الشعب بكافة صور الحريه فقد أكد النديم على ضرورة حرية الفكر لأن غيابها كان السبب فى تأخر البلاد وطالب « باطلاق حرية الكتاب فى نشر أفكارهم » (١٠٨) .

هكذا استطاع النديم أن يبسط لأبناء وطنه أفكاره عن الديمقراطية ومزاياها وأسباب تقدم الغرب وتأخر الشرق وأهمية التشاور بين أبناء الوطن ، وضرورة تكوين الأحزاب وحق الانتخاب والترشيح للجميع بغض النظر عن ثروة أو علم أو غيرهما متخطيا فى هذا الأفكار السائدة عن الديمقراطية ومبرزا طريقا جديدا لها ، وهى الديمقراطية الاجتماعية ثم أوضح أهمية الاهتمام بالرأى العام وتكوينه حتى يستطيع المساهمة فى بناء الحياة الديمقراطية ، ولما كان من بين أفكار العرابيين عزل الخديو واقامة جمهورية فاننا سنتعرض لهذا الموضوع مبرزين دور النديم فيه .

---

(١٠٨) الأستاذ : فى ٢٩ نوفمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد » .

النديم وفكرة اعلان الجمهورية (١٠٩) :

على الرغم من أن جمـال الدين الأفغـانى كان يرى أن الحكم الجمهورى فى وقتـه لا يصلح للشرق ، ولا لأهله (١١٠) ، لأن « طول مكث الشرقيين تحت نير استبداد المستبدين .. (جعلهم) لا يميزون بين الحسن والقبيح والضار والنافع وأوشكوا ألا يعرفوا أنفسهم وما انطوت عليه من القوى المقدسة والمقدرة الكاملة (١١١) وأن من الأفضل التدرج فى مجال العمل السياسى بما يوائم طبيعة الشعب واستعداداته فانه عز عليه أن تكون مصر راسفة فى الأغلال فاقترح على الشيخ محمد عبده أن يقتل الخديو اسماعيل ويتضح ذلك مما ذكره الشيخ محمـد عبده بقوله : « كان الشيخ جمال الدين موافقا على الخلع فاقترح على أنا أن أقتل اسماعيل ، وكان يمر بمركبته كل يوم على جسر قصرالنيل ولـكن كل هذا كان كلاما نتهامسه فيما بيننـا ، وكنت أنا موافقا على قتل اسماعيل ولـكن كان ينقصنا من يقودنا فى هذه الحركة » (١١٢).

---

(١٠٩) يرجع اصل هذه الـكلمه الى وقت الحمـلة الفرنسية على مصر ، حين بدأ الجيش الفرنسى بنشر منشوراته التى وصـفت بأنهـا صدرت عن « الجمهور الفرنسى » فأصبحت كلمة «République» تؤدى بجمهور ثم انتهى الأمر الى كلمة جمهورية .

مؤتمر مجمع اللغـة العربيـة — الدورة السادسـه والعشرون ١٩٥٩ز — ١٩٦٠ « مجموعه البحوث والمحاضرات » بحث مقدم من الأستاذ محمد شفيق غربال تحت عنوان « المصطلحات السياسة فى اللغـة العربية » ص ١٩٥ وقـد ظهرت كلمة الجمهور فى الـكتب العربيه لأول مرة فى كتاب المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى اثنـاء حديثـه عن الزعامة الشعبية واثرها فى توليـه محمد على : عجـائب الآثار حـ ٣ ص ٣٢٩ .

(١١٠) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السـياسى فى مصر الحديثة ص ٣١ .

(١١١) جريدة مصر : العدد ٣٣ فى ١٤ فبراير ١٨٧٩ مقال للافغانى تحت عنوان « الحكومة الاستبدادية » .

(١١٢) انظر المنار الجزء التاسع عدد ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ص ٩٨ .
Cromer : op cit, Vol 2 p. 181.
Blunt : op. cit, p. 95.
وايضا : تشارلز آدمز : المرجع السابق الذكر ص ١٥ ، ٢١٠ .

قد كان من أفكار قادة الحركة الوطنيه فى ذلك الوقت طرد
ديو وذريته من مصر (١١٣) ، وتفضيل النظام الجمهورى (١١٤)
بث النديم هذه الفكرة فى عقول الشباب (١١٥) ، ولكنها لم
أييدا كافيا من العلماء والكثير من المسلمين خشية فصل الدين
دولة (١١٦) لاعتقادهم أن الاسلام لايفرق بين الدين والدولة ،
الخلافة رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا (١١٧) ، وتصورهم
منى اقامة الجمهورية هو الانفصال عن الدولة العثمانية ويوضح
ما ذكره البارودى فى اجتماع للعرابيين بمنزل حسن موسى العقاد
د كنا نرمى منذ بداية حركتنا الى قلب مصر الى جمهورية مثل
سرا ، ولكننا وجدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة لأنهم
متأخرين عن زمنهم ومع ذلك فسنجتهد فى جعل مصر جمهورية
أن تموت » (١١٨) .

كما أن العرابيين لم يجدوا أيضا تأييدا كافيا من النواب فى
ب خلع الخديو فعندما اجتمع مجلس النواب فى منزل سلطان باشا

---

(113) F. O 407/22, Inclosure in No 589, Memorandum Dervish Pasha.

(١١٤) تحدث الشيخ محمد عبده عن النظام الجمهورى فى امريكا
، : « انسا نستحسن حالة الحكومه الجمهوريه فى امريكا واعتدال
امها والحرية التامة فى الانتخابات العموميه لرؤساء جمهورياتها
نساء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ونعرف مقدار السعادة الى
ا الأهالى فى تلك الحاله » .
الوقائع المصرية فى ١٤ ابريل ١٨٨١ تحت عنوان « خطأ العقلاء »

(115) Blunt . Secret History P. 347.

(١١٦) شكيب ارسلان : السيد رشيد رضا او اخاء أربعين سنة
١١٤) دمشق — مطبعة ابن زيدون . الطبعة الأولى ١٩٣٧ .

(١١٧) انكر الشيخ على عبد الرازق ذلك ، وذهب الى أن الاسلام
ة دينية لا علاقة لها بالأمور السياسية .
انظر كتاب « الاسلام وأصول الحكم » .

(118) Blunt · Op. Cit. P. 344.

وطالب عرابى بخلع الخديو (١١٩) وختم خطبتـه بقوله : « من كان معنا فليقم . حدثت ضـجه كبيره فى المـكان ووقف الضباط ولـكن معظم النواب لم يقفوا فتهددهم الميرالاى محمد عبيـد بالسيف ومع ذلك ظلوا جالسـين مما يوضـح أن معظم النواب لم يوافقوا عرابى على خلع الخـديو (١٢٠) لقد خنى العرابيون مفـاجأة الرأى العـام بنظـام لم يستعد له ، ومع ذلك فقـد كانت هنـاك بوادر محاولات للتخلص من الخديو والأمثله التالية توضح ذلك :

١ — فى أثناء الاستعدادات للقيام بمظاهرة عابدين يذكر « سليم النقاش » أنه حينما بلغ عبد العـال حلمى حكمدار الآلاى السودانى خبر ذهاب الخـديو الى القلعـة كى يثنى حاميتها عن الاشتراك فى مظاهرة عابدين ، جمع عساكره ، وتوجه بهم اليها ودخلها ، ولـما لم يجد الخديو تأسف ورجع بالآلاى قاصدا عابدين (١٢١) .

ان ماذكره النقاش يضع علامة استفهام على تأسف عبد العـال حلمى لعدم وجود الخديو بعد أن حاصر القلعة بجنوده .

٢ — تهديد عرابى بمحاصرة سراى الاسماعيلية المقيم به الخديو اذا لم يأمر برجوعه الى نظارة الجهادية (١٢٢) .

٣ — محاولة العرابيين الحصول على موافقة مجلس النواب بعزل الخديو (١٢٣) .

---

(١١٩) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر حـ ٧ ص ٩٢ — محضر استجواب يعقوب سامى .

(١٢٠) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابيه والاحتلال الانجليزى ص ٢٨٠ .

(١٢١) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، الرافعى : المرجع السابق الذكر ص ١٢٤ .

(١٢٢) الرافعى : المرجع السابق الذكر ص ٢٨٠ .

(١٢٣) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر حـ ٧ ص ٩٢ .

٤ — قول بعض الزعماء « اعزلوا الخديو الذى دعا الأجانب للتدخل فى أمرنا وتهديدنا بأساطيلهم » (١٢٤) .

٥ — عثر ضمن الأوراق التى ضبطت لدى عرابى على صيغة سؤال مضمونه استفتاء العلماء فى جواز عزل الخديو ونصه كالتالى :

ما القول فى حاكم مولى من طرف سلطان المسلمين على أن يعدل فى النـاس ويقضيبأحكام الله فنقض العهدوأحدث الفتن بينالمسلمين وشق عصاهم ثم انتهى به الأمـر الى أن اختـار ولاية غير المؤمنين على ولاية المؤمنين ، وطلب من الأمم الخارجـه عن الدين القويم أن ينفذوا قوتهم فى بلاد حكومته الاسـلامية وحمل رعاياه على أنيدينوا ويخضعوا لتلك القوة الأجنبية وبذل عنايته فى المدافعة عنها ، ولما دعاه المؤمنين الرجوع عن ذلك أبى وامتنع وأصر على الخروج عن طاعة السلطان والمروق من الشريعـة فهل يجوز شرعا أن يبقى هذا الحاكم حاكما حتى يمكن قوة الأجانب من السلطة الاسلامية أو يتعين فى هذه الحالة عزله واقامة بديل له يحافظ على الشرع ويدافع عنه (١٢٥) .

٦ — حدث فى اليوم التالى لضرب الاسكنـدريه أن أمر عرابى طلبه باشا بمحاصرة قصر الرمل الموجود به الخديو بجنود من الفرسان والمشـاة (١٢٦) والقبض عليـه وارساله الى القـاهرة خشية التجائه للانجليز (١٢٧) مما دفع الخديو الى ارسال وفد الى عرابى (١٢٨) لمعرفه

---

(١٢٤) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ص ٢٦٨ .
(١٢٥) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابيـه محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى .
(١٢٦) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابيه — محفظة رقم ١٩ ملف رقم ٩٦ شهادة سليمان اباظة باشا أمام قومسيون التحقيق بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٨٨٢ .
(١٢٧) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ١ ص ١٦٧ .
(١٢٨) كان الوفد مكونا من سلطان باشا وحسن الشريعى وسليمان اباظة وياوران الخديو وياوران درويش باشا .
سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٧ ص ١٢٧ .

أسباب الحصار والمطالبة بانهائه ولم يوافق عرابى الا بعد الحاح الوفد عليه وتكرار الرجاء [١٢٩] والحاح ياور درويش باشا .

٧ — ان دعوه عرابى الي عقد جمعية عمومية من كافه طوائف الشعب ومنهم شيخ الاسلام والقاضى والمفتى ووكلاء الدواوين وقضاه الأقاليم وأعيان التجار وكثير من أعضاء مجلس النواب وغيرهم من أعيان وعمد البلاد للنظر فى أحوال البلاد [١٣٠] ومناقشه الموقف بعد اتضاح موقف الخديو فى الانحياز للانجليز وانعقاد هذه الجمعية واصدار قرارات بتوقيف أوامر الخديو وما يصدر من نظاره الموجودين معه وخلع طاعته وترتيب مجلس ادارى للنظر فى شئون ادارة البلاد [١٣١] أن دعوته تلك تعتبر فكرة جريئه ذكرها عرابى بأنها :

« عبارة عن جمهورية مؤقته الى أن تنقشع سحب المصائب المتكاثفة على مصر » [١٣٢] .

٨ — تحرير محاضر بعزل الخديو وتختيم الأهالى والعلماء عليها [١٣٣] .

---

(١٢٩) دار الوثائق القومية : محافظ الثوره العرابية — محفظه رقم ١٩ ملف ٩٦ شهاده سليمان اباظه باشا امام مومسيون التحقيق فى ١٣ اكتوبر ١٨٨٢ .
والجدير بالذكر ان سليمان اباظة هذا كان ضمن اعضاء الوفد الذى ارسله الخديو لعرابى لفك الحصار .

(١٣٠) محافظ الثورة العرابية . محفظه رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى .

(١٣١) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية : محفظه ٤١ ونبذة تحت عنوان « صوره القرار المعطى من الأمه المصرية بديوان الداخلية » فى ٢٩ يوليو ٨٢ .

(١٣٢) مجلة الهلال : عدد مارس ١٩٧١ ص ٧٧ تحت عنوان « وثائق جديدة وخطيرة عن الثورة العرابية » حصلت عليها من مارسل « فريدة مرعى » وعلق عليها د. احمد عبد الرحيم مصطفى . وثيقة تحت عنوان « رسالة من عرابى الى يعقوب صنوع » .

(١٣٣) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظه رقم ٨ ملف ٢١٢ . محضر استجواب احمد عرابى .

٩ ـ قول محمود سامى البارودى « ان الخديو لازم يأخذ شنتته ويتوجه للوقاندو شبت.(١٣٤) فانه عزل (١٣٥) من ذلك يتضح أن فكرة عزل الخديو واقامة الجمهورية كانت واردة ضمن أفكار العرابيين .

لقد كان قادة ومفكري الثورة العرابية يكرهون من أعماق قلوبهم جميع أفراد الأسرة الحاكمة فالشيخ محمد عبده كان يعتقد أن هذه الأسرة قد أساءت لمصر اساءة شديدة وانه من الخير التخلص منها وسار على منواله عبد الله النديم (١٣٦) أما عرابى فلم يكن يمدح من أسرة محمد على سوى سعيد باشا (١٣٧) وكان يتحين الظروف المواتية لاعلان الجمهورية (١٣٨) . ومع ذلك فالسؤال الذى يطرح نفسه هو هل كان هدف العرابيين الانفصال عن تركيا والاستقلال التام واقامة نظام جمهورى بمعناه المعروف أم أن هدفهم كان الحصول على السلطة وادارة زمام الحكم فى ظل السيادة العثمانية أو خلع الخديو وتولية البرنس حليم مكانه ؟ (١٣٩) .

---

(١٣٤) يقصد لوكاندة شبرد . علما بأن كلمه شبت يقصد بها حشرة كثيرة الأرجل يسميها العامة (ابو شبت) انظر : مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط طبعه ١٩٦٠ جـ ١ ص ٤٧٢ .

(١٣٥) اعترف احمد رفعت فى محضر استجوابه بأن البارودى قال ذلك . سليم النقاش : المصدر السابق جـ ١٧ استجواب أحمد رفعت .

(١٣٦) يعقوب صنوع : أبو نظارة زرقاء ـ باريس فى٣ فبراير١٨٨٢

(١٣٧) مجلة كلية الاداب ـ جامعة القاهرة . المجلد الثامن عشر ـ الجزء الأول مايو ١٩٥٦ مقال الدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان « العقدة الشركسية » .

(١٣٨) مجلة الهلال عدد مارس ١٩٧١ ص ٧٧ تحت عنوان : « وثائق جديدة وخطيرة عن الثورة العرابية » حصلت عليها من باريس « فريدة مرعى » وعلق عليها د. احمد عبد الرحيم مصطفى . رسالة عرابى الى يعقوب صنوع .

(١٣٩) البرنس حليم (.الأمير محمد بن عبد الحليم بن محمد على الكبير) كان بحسب فرمان الوراثه احق بالعرش من الخديو توفيق لأنه اكبر افراد الأسرة الحاكمة سنا ولكن بتبدل هذا النظام فى عهد اسماعيل بعد صدور فرمان ٧ . ١٨٦ اصبح العرش لتوفيق .
انظر : عبد الرحمن الرافعى . الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٦٦ .

ان الوثائق والمراجع التى بين أيدينـا لم توضح شيئا بالنسبة للجزء الأول من السؤال وان كنا نرى أن فـكرة العرابيين للتخلص من السيادة العثمانية فى ذلك الوقت لم تكن واردة فى أذهان الكثيرين منهم وقد وضح ذلك يعقوب صنوع بقوله : « تبين لى أيضا أن أفكار جمهور من الوطنيين خلع الأمة الحـاكمة أعنى الخـديو وقومه وجعل مصر حكومة جمهورية تجرى بمقتضى قانون الجمهوريات الحرة، وتكون تحت ادارة الدولة العليه وتنزع عموم الأجانب من دوائر حكومتهـا وتستمر فى اصـلاح شئونها (١٤٠) أما عن فكرة خلع الخديو توفيق لاحلال البرنس حليم مكانه فقـد كانت هنـاك اتصالات بخصـوص ذلك حيث حاول البرنس حليم الاتصـال بعـرابى وبقـواد آلايات الجيش عن طريق حسن موسى العقـاد (١٤١) ، وكان حليم يحـاول الحصول على « التماس من الأمة بخلع الخديو لعـدم كفاءته » وفى سبيل ذلك حاول التقرب من العرابيين حتى يصـل على أكتافهم الى الحكم ، وكان يروج له بين أوساطهم يعقوب صـنوع وعبد السـلام المويلحى حتى أصبحت مجالس النـاس تفيض بهذا الحديث ، ووصل الأمر بأن جاهر بعض الزعماء برغبتهم فى خلع الخديو وتعيين الأمير حليم باشا مكانه (١٤٢) غير أن عرابى لم يرتبط بأى صلات معه (١٤٣) بل انه عندما تكلم البعض مع عرابى فى ذلك الموضوع « صرح غاضبا بأنه من الواجب التخلص من أسرة محمد على بأكملها » (١٤٤) .

هكذا عرض النديم أفكاره السياسية بأسلوب واضـح وقـدرة فائقة فى العرض ، وبالرغم من أن هذه الأفكار كانت جديدة على أبناء

---

(١٤٠) ابو نظارة زرقاء فى فبراير ١٨٨٢ .

(١٤١) دار الوثائق : ملف ثابت باشا . محفظة ١٦٣ — برقية من الخديو الى ثابت باشا فى ٣ فبراير ١٨٨٢ .

(١٤٢) الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٢٦٧ .

(١٤٣) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر جـ٧ ص ٣٠ ، ١١٦ — ١٣٤ — ١٣٧ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٨ .

(١٤٤) الرافعى : المرجع السابق الذكر ص ٢٦٤ .

وطنه فانهم لم يجدوا صعوبة فى استيعابها ، وتبلورت الرؤيه الوطنية للجماهير فى المطالبه بالاصلاح السياسى والاجتماعى وظل النديم على وفائه للعمل السياسى حتى افظ آخر أنفاسه [١٤٥] فحمل هذه الأفكار أو بعضها الكثير من المصلحين والأدباء ورجال الصحافة وكان من هؤلاء مصطفى كامل .

---

(١٤٥) بينما النديم على وفائه للعمل السياسى نجد الشيخ محمد عبده بذم السياسه ويدعو للبعد عنها ومنذلك قوله « مادخلت السياسه فى شىء الا افسدته » وقوله « أعوذبالله من السياسه ومن لفظالسياسه، ومن معنى السياسه ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسه ومن كل خيال يخطر ببالى من السياسة ، ومن كل ارض نذكر فبها السياسه ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل فى السياسه ، ومن ساس ويسوس ، وسائس ومسوس » .

محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر حـ١ ص ٨٩١ .

الباب الرابع

النــديم وحركة الاصــلاح الاجتماعى والثقافى

- الفصل التــــاسع : النديم والاصلاح الاجتماعى
- الفصل العـــاشر : النديم وثقافة عصره
- الفصل الحادى عشر : أساليب النديم فى العمل الوطنى

الفصل التاسع

النديم والاصلاح الاجتماعى

- موقف النديم من آفات المجتمع المصرى
- فهم النديم للعدالة الاجتماعية
- النديم وانشاء الجمعيات الخيرية
- فكر النديم عن اصلاح الحرف والمهن

لقد سبقت دعوه النديم للاصلاح الاجتماعى انشغاله بأحداث البلاد السياسيه ثم مزج بينهما وسارا جنبا الى جنب حيث انشغل بما أصاب قومه من جهل وانحلال وانهماك على الرذائل والموبقات وحاول أن ينبههم على مضارها ويزيل الخرافات والجهل المطبق عليهم، معتقدا أن الوطن لا يمكنه التخلص من السيطرة الأجنبية طالما كان الجهل معششا فى عقول أبنائه والخرافات مسيطرة على أفكارهم مؤثره على طموحهم والرذائل والموبقات محطمه لملتهم وعقائدهم[1] فكتب المقالات المطوله والقصص الرمزية والمحاورات التى كتبت بالعامه فى صحفه ليفهمها غالبية الشعب مصورا فيها الأحوال الاجتماعيه والسياسية والثقافيه التى تعيشها البلاد وما فيها من عيوب : كما كانت له الخطب الاصلاحية على منابر المساجد وفى طرقات المدن والقرى والنجوع حيث قام بحملاته المكثفة على البدع وأعمال الشعوذه والعادات التى لا تدخل أى بلد الا وتخرج منه التمدن والعلوم مطالبا أبناء وطنه بالسعى خلف العلوم بدلا من السير وراء الخرافات[2] وسنخص هذا الفصل بالحديث عن : —

١ — النديم وموقفه من آفات المجتمع المصرى .
٢ — فهم النديم للعدالة الاجتماعية .
٣ — موقفه من انشاء الجمعيات الخيرية .
٤ — فكره عن اصلاح والحرف المهن .

---

(١) كانت افكار النديم فى ذلك امتداد لما ذكره جمال الدين الأفغانى من سيطرة الخرافات على عقول الشرقيين .
انظر : جريدة مصر . العدد ٣٣ فى ١٤ فبراير ١٨٧٩ تحت عنوان « الحكومة الاستبدادية » .

(٢) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٨ .

اولا — النديم وموقفه من آفات المجتمع المصرى :

انتـــاب المجتمع المصرى آفات عديدة بعضها تراكم بمرور الزمن والآخر جديد على المجتمع المصرى ، ولمـــا كان لهذه الآفات أكبر الأثر فى تأخر الناس وتدهور أحوالهم وعدم مسايرتهم للتقدم فقـــد تحدث النديم عنها مبينا مضارها فذكر منها أساليب مشايخ الطرق فى الموالد والشعوذة والمشعوذين والخرافات والاحتيال والـــكذب والبـــدع التى تسمم بها النساء العجائز أفـــكار الشابات مثل الندب والصراخ خلف الميت والجلوس على المقـــابر والزار وبدعة نحد الشحاذ ، ثم تحدث عن مضار الاسراف فى الأفراح والمآتم وعلة الطلاق والتكاسل والاتكال كما تحدث عن خطورة الاندفاع فى تقليد الأوربيين وانتشـــار الخمر والقمار والدعارة ؛ وفيما يلى نعرض ماذكره النديم عن كل آفـــة من هذه الآفات .

أ — انتقد النديم الأساليب التى يتبعها مشايخ الطرق فى الموالد مما يسىء الى الدين وهو منها براء وينسبون الى الأوليـــاء الـــكثير من الـــكذب والبهتان[٣] ويعجب لمـــا يدعيه هؤلاء من علم بما أنزله الله وأن فى استطاعتهم دفع المصـــائب ، وجلب النوائب بقـــدرتهم وبرميهم بالـــكفر والفسوق[٤] موضحا أن وظيفة رجال الدين ما هى الا بـــذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعليم مكارم

---

(٣) محمد عمر : حاضر المصريين او سر تأخرهم . القاهرة — مطبعة المقتطف ١٩٠٢ ص ٢٤٣ .

(٤) عبد الله النديم : كان ويكون حـ١ ص٢٤٧ .

ويذكر محمد رشيد رضا ان بعض المشعوذين باعوا بطائق للنجاة من النـــار ، ومنهم من باع النشرة و « الحجاب » لقضاء الحاجات وشفاء الأمراض .

انظر : المنـــار . الجزء الثانى والعشرون . المجلد الثامن ص ٨٤١ تحت عنوان « اقرار البدعة وانكار السنة » .

الأخلاق[٥] مؤكدا أن الطريق الصحيح هو التمسك بالقرآن والسنة[٦] كما ندد بعادات أهل الطرق فى الموالد التى هى أبعد ماتكون عن الدين مثل الطبل والزمر والرقص وما يتخلل ذلك من الأمور التى تخالف الآداب الشرعية فقال : « هلا اتخذ الناس طريقة للموالد والمجالس غير هذه الطريقة الشنيعة وهلا رجع هؤلاء الجهلة عن بدعهم » [٧] .

ولما كان نقد النديم لهؤلاء بقصد الاصلاح فقد أوضح لهم الطريق الذى يجب أن يتبعوه من أجل اظهار الدين بصورته الحقيقية فقال : « ان الطريق المسلوك للقوم مبنى على الاخلاص فى العمل وحب الخلوة والبعد عن الناس والصمت عن اللغو وملازمة الذكر ، والعمل بالسنة والارشاد الى الطريق المستقيم »[٨] .

كما ناشد أولى الأمر باصلاح الطرق وتنقيتها من البدع والأهواء حتى تكون من عوامل تآلف القلوب وتوحيد الكلمة[٩] لقد استهدف النديم من نقده لأساليب مشايخ الطرق هو أن يسلكوا النهج القويم ويسيروا على ما تأمر به الشريعة الاسلامية ويبتعدوا عما يخالف القرآن والسنة . كما استهدف أيضا تقدم الشعب بتوضيح

---

(٥) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٢٤٧ .

(٦) الأستاذ : العدد الثالث والثلاثون فى ١١ ابريل ١٨٩٣ ص٧٨٦ تحت عنوان « الطرق وما فيها من البدع » ؛ وأيضا العدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ أبريل ١٨٩٣ ص ٨٢٨ تحت عنوان « الطرق واصلاحها » .

(٧) الأستاذ : العدد الثالث والثلاثون فى ١١ ابريل ١٨٩٣ تحت عنوان « الطرق وما فيها من البدع » .

وقد سار حافظ ابراهيم فيما بعد على منوال النديم فى نقد مشايخ الطرق واسراف الناس فى طاعتهم والتغالى فى تبجيلهم .

ليالى سطيح — تقويم وتبويب الدكتور محمد كامل جمعه ص ١٦ .

(٨) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

(٩) الأستاذ : العدد الخامس والثلاثون فى ٢٥ أبريل ١٨٩٣ ص ٨٢٨ تحت عنوان « الطرق واصلاحها » .

الأضرار المترتبة على هذه العادات وضرورة تجنبها حتى تسير البلاد نحو التقدم .

٢ — عن الشعوذة والمشعوذين دعا النديم الناس الى الحذر من هؤلاء[١٠] والانطلاق فى أثر الدول المتقدمه ، ومعرفة أساليب تفكير شعوبها وحياتهم فقال : « يا بنى الشرق أين أحلامكم العظيمةوذكاؤكم البديع كفاكم من العار فقد الثقة فيكم .. كماكم أنكم تتبعتم الخرافات حتى فسدت أخلاقكم وتكدرت أفكاركم .. أرى فعلةباريس فتحوا لهم صندوق اقتصاد فنما وأثرى .. ونحن نقتصد فى المعاش، ونتوسع فى الخمور والحشيش والقمار[١١] وطالب النديم المشتغلين بالشعوذة بالكف عن تضليل الناس والبحث عن عمل آخر مثل الصناعة حتى يفيدوا بها أنفسهم ووطنهم وحذرهم من أنه سيكشف أمرهم للناس بقوله : « مهلا أيها المشعوذ فقد جاءك التنكيت والتبكيت يظهر مخبئاتك وما أنت عليه من الأضلال والافك فما أضرنا الا شعوذتك فلو تعلمت صنعة غير هذه لكانت أشرف لك ألم تدر أن الصناعة عليها احياء الوطن وعمار البلاد »[١٢] .

كما حذر الناس من الالتجاء الى هؤلاء المشعوذين فى حل مشاكلهم أو الاستماع لأقوالهم لأنهم يضلون عقولهم بأفعال قبيحة ويسلبون نقودهم وضرب مثلا على ذلك فقال ان رجلا مقيما فى ميت غمر « حفر بركة وأشاع أن ماءها يشفى من كل داء فهرع اليه الناس من كل بلد حتى ضاقت ميت غمر بالوفود وكان يعطى الأبريق بعشرة قروش ، ويأخذ الخادم عشرة قروش وعشرة قروش أخرى ثمن

---

(١٠) التنكيت والتبكيت فى ١٩ يونية ١٨٨١ تحت عنوان « خذ من عبد الله واتكل على الله » .

(١١) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يولية ١٨٨١ .

(١٢) التنكيت والتبكيت : العدد السابع فى ٢٤ يوليو ١٨٨١ ص٦١٧

. الشيخ عشروه قروش ثم يظهر التعفف ، ويقول انه يعالج
اء مرضاة الله ؟

ـمثل هذه الجهالة نضارع الأمم المتمدنة »[١٣] .

ـرب مثالا آخر بما حدث فى محطة سكة حديد دسوق حينما
القطار امرأه تدعى الولاية ، فازدحم النــاس عليها بعضهم
طار الذى تركبه ، والبعض الآخــر يقبل يدها فتقول لهم
ـعى الولاية « مستورة .. سالكة .. أشيا معدن .. قدادك
الك خضره... الله يحنن عليك .. ارمى حمولك على المتولى..
، أولاد الحرام »[١٤] .

هاجم النديم هؤلاء الذين يتخذون من الدين ســتارا لنشر
ـقندات الفاسدة مستغلين سذاجة بعض الناس — بأن لهم
ـيا خارقا وأنهم الواسطة بين الانسان وخالقه وأن لهم من
لمعزة والصفات المذهلة ما يجعل طلباتهم مجابة — مبينــا
لهم وان الدين منها براء .

مدعى الطب الذين يعالجون المرضى بالتمائم والتعاويذ حذر
طنيه من هؤلاء حفاظا على أرواح أبنائهم وضرب لهم مثالا
أفعالهم فقال : « استدعى بعض شبابنا دجالا من ميت غمر
ولدا هو ثمرة فؤاده وقرة عينه ، فلما أقبل ذلك الدجال أخذ
د تارة بكتابة التمائم وأخرى بالتراكيب القتالة (ويسمبها
هاما بأنه طبيب) فلم يلبث الولد الا أياما قلائل حتى التحق

التنكيت والتبكيت : العــدد الحادى عشر فى ١١ اغسطس
١٧٤ تحت عنوان « امالك من امثال للجهالة » .

التنكيت والتبكيت : العــدد العاشر فى ٧ اغسطس ١٨٨١
ن « بسلطنة التخريف » .

بساكنى القبور »[١٥] ناشــد النــديم أولى الأمر بمحاربة الأباطيــل والخزعبلات التى أخرت البلاد و « قطع دابر مدعى الطب وابعــاد من تعثر عليه من المشعوذين المتلفين للعقول والأجسام »[١٦] .

وفى مقال للنــديم عما يسببه هؤلاء الدجالون والمشعوذون من أخطار على المجتمع ذكر أنه بعد دعوته لانشاء المدارس أثناء تجواله بزفتى وميت غمر خرج من هؤلاء رجل يمر فى الطرقات والمجامع يقول: « المدارس من محدثات الأمور وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار »[١٧] .

ثم أخذ يخوف الناس من المدارس بقوله انها تزيغ العقائد وتفسد الأخلاق فتبعه خلق كثير من أوباش زفتى ورعاعها[١٨] وقــد ناشــد النديم هؤلاء الناس بالــكف عن الخرافات بقوله « كفاكم أنكم تتبعتم الخرافات حتى فسدت أخلاقكم وتكدرت أفكاركم وصرتم لاتصلحون لادارة أموركم الا بعد طهارة أخلاقكم التى أفسدها التخريف »[١٩] .

٣ ــ وعن الاحتيال والــكذب والتخريف وتخريب عقول النــاس وافساد أخلاقهم وتزوير أدبهم الشعبى الأصيل ومحتواه هاجم النديم مروجى هــذه الآفات فــكتب تحت عنــوان تخريفـــه « الجنــون فنون »[٢٠] مقالا قال فيه ان أحد المحتالين جلس على قهوة وأخــذ

---

(١٥) التنكيت والتبــكيت : العــــدد الثــانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩١ .

(١٦) التنكيت والتبكيت : العــدد الحــادى عشر فى ١١ اغسطس ١٨٨١ ص ١٧٤ .

(١٧) التنكيت والتبكيت : العــدد الثـــالث عشر فى ١١ سبتمبر ١٨٨١ ص ٢٠٨ .

(١٨) نفســـه .

(١٩) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يولية ١٨٨١ تحت عنوان « النحم دو الذنب » .

(٢٠) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونيو ١٨٨١ ص ١٠ــ١١

يقرأ تخاريف سماها قصة عنترة[٢١] فاجتمع اليه عدد من الرعاع والهمج فلما رآهم منصتين اليه ذكر عبارات نسبها لعنترة ، وظل يتفنن فى الكذب حتى الفجر وأخيرا قال وبينما هم فى قتال ونزال ، وقد انكشف الغبار عن أسر عنترة وسيخلصه فى الليلة المقبلة فقال له أحد المجانين لابد أن تخلصه الآن وخذ عشرة جنيهات فأبى المحتال وسكت عن الكلام فشتمه المجنون ، وعلت أصواتهما بالقبائح وآل الأمر الى الضرب والاهانة ثم ذهب المجنون وقد تذكر أن عنده قصة عنترة ولكنه أمى لا يقرأ فقصد بيت ولده وأيقظه من النوم وهو يبكى[٢٢] « وطلب من ابنه أن يحضر الكتاب ويخلص عنترة من الأسر والا قتل نفسه ولما حاول الابن اقناع أبيه بأن هذه حكاية مكذوبة وقصة كلها تحريف[٢٣] وما عنترة الا عبد أسود أخذ شهرة بما صنعه من قتل بعض الناس بلا حق قام الرجل وضرب ابنه بعصاه حتى سال دمه، وطرده من بيته انتقاما منه لأنه شتم عنترة فخرج الابن يسب الجهل وأهله وقال : « لاشك ان الجنون فنون »[٢٤]

٤ — وكما حذر النديم الرجال والأولاد من البدع ومفاسدها فقد حذر الشابات من النساء بالابتعاد عن الخرافات التى يسمم بها العجائز

---

(٢١) عن سيرة عنترة والمشتغلون بها فى مصر
انظر : ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر — ترجمة عدلى نور . القاهرة الأنجلو المصرية ١٩٥٠ ص ٣٠٤ .

(٢٢) التنكيت والتبكيت : المقال السابق ذكره ص ١٠ .

(٢٣) يذكر الشيخ حسين المرصفى أن حكاية عنترة وغيرها من القصص الخرافية اكثرها كذب وتمويهات ، واسوا من ذلك حال تواجد قوم فى اماكن سماع هذه الحكايات ينددون المشاجرة ويختلفون الخلاف حول هذه الحكايات .
انظر : الوسيلة الأدبية حـ ٢ ص ٧١٠ .

(٢٤) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ص ١١

أفكارهن من حيث الندب والصراخ خلف الميت وذكرهن بأن ذلك مخالف للشرع والدين فقـال : « لو علمن علم اليقين أن الولولة والندب[٢٥] خلف الميت لا يجوزان شرعا لما حصل منهن ذلك ولما خرجن خلف الميت صارخات متهتكات صابغات وجوههن وأيديهن بالنيلة أو الطين بل كن يمتثلن لأمر الدين »[٢٦] كما هاجم جلوس النساء على المقـابر وتجمعهن كل يوم خميس وفى الأعياد والمواسم للذهاب اليها واتخـاذ ذلك فرصه للتزين والتبهرج .

وانتقد النديم « الزار »[٢٧] الذى تقوم به بعض النساء بحجة

---

(٢٥) لمزيد من التفاصيل عن هذه البدعه :

انظر : كلوت بك — لمحه عامة الى مصر — تعريب محمد مسعود القاهرة — مطبعة ابى الهول الجزء الثـانى ص ٧١ وايضا ادوارد وليم لين المرجع السابق الذكر ص ٣٩٦ .

(٢٦) التنكيت والتبكيت : العدد التاسع فى ٧ اغسطس ١٨٨١ ص ١٤٣ ، ولمزيد من التفاصيل

انظر : احمد امين . قاموس العادات والتقاليد ص ١٣٩ .

(٢٧) بدعة تشترك فيها الجـارية والسيدة فيـاخذن بدق الطبول دقات مزعجة، ويتبادلن الرقص والتمايل والبكاء الهائل والركوع والسجود وضرب الخدود وحل الشعوروقرع الصـدور فى وسط تتلى فيه الأكاذيب على الله والصالحين .

محمد عمر . المرجع السابق الذكر ص ٢٧٥ .

ويذكر محمد رشـيد رضا أن بعض النساء يتكلمن كلاما يوهمن به انهن مختلطات بالجن او الأوليـاء ويطلبن اشياء من ازواجهن ، وهـذا القسم من النساء لا دواء لهن غير الزجر والاهانة والتكذيب .

المنار : المجلد الثامن — الجزء الثامن عشر فى ١٣ نوفمبر ١٩٠٥ ص ٧١٦ تحت عنوان « نصائح صحية للبنات من مجلة انقراط » .

ويذكر الأستاذ احمد رشدى صالح أن منظومات الزار عبـارة عن « مجرد رقصات همجية تذكرنا بما نقراه عن رقصات الجماعات المتـاخرة استدرارا للخير او دفعا للحيوان الباطش او الظلام المخيف » .

انظر الأدب الشعبى . القاهرة — النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٥٥ ص ١٢٣ .

أن الشياطين يركبوهن متخذين هيئة سلطان أو ملك[٢٨] ، وكل من أصيبت منهن بمرض عصبى أو فتور جسمانى يوصف لها أن تحضر « الكودية »[٢٩] لتبخرها ببخور مخصوص ، وتستنطق الشيخ الذى حل فى زعمهن على جسدها واذا يئست من شفائها تشير عليها بأن تستعد للزار وأن تجهز ما يلزم له من المأكولات والمشروبات والحلى والحلل كالثياب والأقراط والأساور والجلاجل[٣٠] وقد ضرب النديم مثالا على هذه البدعة منددا بها فقال حدثنى بعض من أثق به بتخريفة جرت بمنزله فقال : « بينما كان بمنزلى فى أحد الأيام بعض النساء واذا بجارية سوداء دخلت عليهن ومعها امرأتان فقامت النساء اجلالا لها واجلسنها فى صدر مجلسهن وبعد تناول الطعام بقليل بدأت المرأتان تغنيان وتطبلان فأخذت الجارية فى الانتفاض ثم قامت من وسط المجلس وصاحت بصوت مزعج « السلام عليكم » فأجابها كل من بالمجلس (وعليكم السلام سيدنا الشيخ) ثم صارت كل واحدة تحييه بتحية غير تحية الأخرى[٣١] وقد حدد الشيخ طلباته « باحضار ديك وفرخة سوداء من غير اشارة »[٣٢] .

وقد ندد النديم بما سمعه واعتبره بدعة قبيحة مسيئة للمجتمع

---

(٢٨) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٨ .

(٢٩) عرفت رئيسة مجمع الزار باسم « الكودية » .
المقتطف : المجلد الخامس عشر — الجزء الثالث فى أول ديسمبر ١٨٩٠ ص ١٨٧ .

(٣٠) المقتطف : العدد السابق الذكر ص ١٨٧ — ١٨٨ .
وايضا حافظ ابراهيم : ليالى سطيح ص ١٦ .

(٣١) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٨ .
انظر : الأستاذ : العدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢ ص
(٣٢) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر .

لسمعة أفراده وطالب بمدرسة[٣٣] لتهذيب البنـات حتى لا يسلـكن طريق الأمهات[٣٤] .

كما انتقد النـديم بدعـة « شحذ الشحاذ » التى تفعلها بعض النساء يوم عاشوراء ، حيث يخرجن فى هـذا اليوم وكل منهن تحمل طفلا صغيرا وقد بذلن عفافهـن وأبرزن نهودهن حتى اذا ما التقين بفتى أو رجل قابلنه بالضـحك والقهقهة قائلين « شحذ الشحاذ » . فيعطيهن درهمـا فيـأخذنه منه على زعم منهن أن هذا الدرهم يمد أجل الطفل الى أمد مديد ويمنع عنه الموت[٣٥] « وقد اعتبر النـديم هذا العمل علة من أكبر العلل التى أصـابت المجتمع وحـذر من أنه لا يمكن أن نرتقى الى سلم المـدنية الا اذا طهرنا بيوتنا من هـذه العقائد الفاسدة »[٣٦] .

كما ندد بالنساء العجائز اللائى يلقن الأبناء أصنافا من التخريف

---

(٣٣) كتب النديم فى مجلة الأستاذ فيما بعد عدة مقالات ومحاورات تحت عنوان « مدرسة البنات بهدف توعيتهن وتهذيب اخلاقهن »

انظر الأسـتاذ : العـدد السـابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢ ٣٩٥ — ٣٩٩ .

(٣٤) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ، وقد تحدث حافظ ابراهيم بعد ذلك عن دور الأم فقال :

الأم مدرسـة اذا اعـددتها   اعددت شعبا طيب الأعراق

كما ذكر قاسم امين ان المراة هى ميزان الأسرة فان كانت منحطـة احتقرها زوجها واهلها واولادها اما اذا كانت على جانب من العقل والأدب هذبت جميع الأسرة واحترمها افرادها واحترموا انفسـهم وعاش الجميع فى نظام تام .

قاسم امين : تحرير المراة ص ١١٦ .

(٣٥) عبد الله النديم : منتخبات النديم ص ٣٠ .

(٣٦) نفسه ص ٣١ .

فذكر أن رجلا أخذ أولاده ليشترى لهم طرابيش فقابله أحد أصحابه ولما عاد الى بيته وأخبر زوجته بذلك قالت له لابد أن يكون هذا الرجل حسدكم ثم ألزمته باستحضار شيء من أثر صـــاحبه لتبخر منه الأولاد فامتثل الرجل للأمر ، وذهب الى صاحبه وأحضر منـــديله بحجة شراء مثله ثم أعاده اليه وأطرافه مقصوصة(٣٧) .

لقد نصح النديم الناس بالابتعاد عن مثل هذه الخرافات والعادات القبيحة لأنها ما أن حلت ببلد الا وأخرجن منه التمدن وأبعدت عنـــه العلوم وأصبح مقاما للأجنبى ، وناشدهم بالسعى خلف العلم والمعرفة فقال : « يا أيها الوطنيون لم لا تجدون فى السعى خلف المعـــارف ، وقد ظهرت لـــكم ثمراتها لتضارعوا باقى الأمم فى التمدن الذى لايكون الا باجتناب الخرافات »(٣٨) .

٥ ـــ بين النديم لمواطنيه مضار بعض العادات وأوضح لهم أنها تؤذى ولا تنفع فتحدث عن الاسراف الذى يحدث عند الوفاة حيث تقام السرادقات فقال ان هذه الأموال تصرف فى غير سبيلها فربمـــا كان للفقيد أطفال يئنون جوعا ويرجون مرحمة ويحتاجون أن تصرف عليهم هذه الأموال(٣٩) كما تحدث عما يحدث داخل السرادق حيث يأخذلفيف من المعزين يغتـــابون ســـواهم والبعض منهم جلوس يراءون الناس بكلامهم الذى يلوكه لسانهم ويتعجب منذلك بقوله « وأى فائدة عادت

---

(٣٧) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٣ .

(٣٨) التنكيت والتبكيت : العدد السابق ص ١٩٨ .

(٣٩) عبد الله النديم : المرجع السابق ص ٣٤ .

للقيد »[٤٠] ثم يدعو الله أن يرشد عبـاده الذين ضلوا السبيل[٤١].

وعن عادة « الجهاز أو الشوار » قال النديم انها عادة تخلق بها الناس وتكون فى معظم الأحيـان سببا فى تخريب البيوت العامره كما أنها تنزل بالفقراء الى الحضيض حيث يهرع الناس لابتياع كل رخيص وغال لاتمام هذه العادة وانتقد ذلك بقوله : « يحتمل أن يكون الزوج فقيرا ولا يقدر أن يسكن فى غرفة تلم هذه الأمتعة التى تهدمها كلمـه الطـلاق »[٤٢].

٦ — وعن علة الطلاق واسراف المسلمين فيه وفى النزوج بأكثر من واحدة طالب النديم الحكومة ورجال الشرع بوضع حـد له وأن يكون هنـاك نظاما للطلاق حتى لا تتشرد الأسرات ويتحطم الأبناء[٤٣] وحتى لا يساء فهم الدين[٤٤] وطالب من يتدخلون لفض النزاع فى مثل هذه الحالات أن يكون تدخلهم للخير والاصلاح ولا يحكمون على شىء قبل التروى حتى لا تشتعل نار الحقد بين العـائلات[٤٥] بل يقومون باصلاح ذات البين درءا للمفاسد المترتبة على الخلاف والخصام لأن أكثر النزاع بين النـاس يكون سـببا عن وشـايات أرباب المفاسـد وسعايات سيىء المقاصد.

---

(٤٠) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٣٥ .

(٤١) نفســه .

(٤٢) نفســه .

(٤٣) حمل هذه الدعوه بعد النديم « قاسم امين » فى كتابه « تحرير المراة » حيث قال « ان ارادت الحكومة ان تفعل خيرا للامه فعليهـا ان تضع نظاما للطلاق » ووضع خمس مواد لتنفذ ذلك .

قاسم أمين : تحرير المراة . القاهرة — الطبعـة الثانيـة ١٩٤١ ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٤٤) كانت اباحة الطـلاق فى الاسلام سببا فى طعن بعض مؤلفات الفرنجة على الاسلام واهله .

(٤٥) عبد الله النديم المرجع السابق الذكر ص ١٣ — ٣١ .

٧ — حذر النديم أبناء وطنه من الاتكال والتكاسل والجبن فى مواجهة المواقف والتنصل من المسئولية باعتبار كل شىء يخضع للقضاء والقدر وضرب لهم مثلا على ذلك فذكر فى مقال له بعنوان « نهايه البلادة — كلها عيشة وآخرها الموت »(٤٦) — وتمنى ألا يكون من بين المصريين من ينطبق عليه هذا المثل — فقال ان رجلا ذهب الى قريه فاستضافه شيخها ولما أقبل الليل ونام الرجل أحس بسارق يحاول خلع باب منزل الشيخ فأيقظ مضيفه وقال له ان بالباب لصا يحاول خلع الباب وسرقة المنزل فلم يهتم صاحب البيت بل قال لصاحبه « اللى على الجبين لازم تراه العين » و « المقدر كائن ولابد من انفاذه » ولما طلب منه صاحبه الاستعداد للمدافعة عن بيته ونفسه وأهله وماله رفض وقال له « توكل على سيدك ونام » وجبن عن الوقوف فى وجه اللص فقام صاحبه وأمسك اللص وكتفه ومع ذلك لم يأبه صاحب البيت بل نام وقال لصاحبه « كلها عيشة وآخرها الموت » .

اتهم النديم صاحب البيت بالغباء وعدم معرفة قدر نفسه وشرف بيته(٤٧) وطالب أمثاله بالنظر الى الافرنج الذين يهاجرون من بلادهم ويتحملون المشقات لكسب الدراهم وذكرهم بأن المدنية والتقدم لا تحصل عليهما البلاد عن طريق الجبن والكسل بل ببذل الجهد والعمل(٤٨) .

٨ — وعن الخرافات الشائعة فى ذلك الوقت باسم «الاستخارة»(٤٩)

---

(٤٦) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ص ٥٦—٥٨ .

(٤٧) نفسه ص ٥٨ .

(٤٨) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٢٦ .

(٤٩) الاستخارة تعنى طلب الخيرة بسؤال الله تعالى فى عمل من الأعمال قبل ان يعتزم عليه ، ويسبق ذلك طهارة وصلاة وقراءة بعض آى الذكر الحكيم ، ويرى الكثير من الفقهاء انها من البدع .
احمد عطية الله : القاموس الاسلامى . المجلد الأول ص ٨٥ .
وايضا انظر احمد امين : قاموس العادات والتقاليد ص ٣٦ .

و « المنـــدل » تحدث النديم عن اقبال الناس عليهما فذكر أن أحـــد الدجالين حضر من المغرب مدعيا « أنه عليم بالاستخارة والخرافـــة الذائعه فى مصر باسم « المندل » فهب الناس قائمين اجلالا له ، وذهب اليه الكثيرون ليكتب لهم خرافة من أساطير الأولين » فكانوا يأخذونها فرحين وألسنتهم تقول : (خذ من عبد الله وتوكل على الله) (٥٠) .

نصح النديم الناس بعدم الاعتقاد فى هذه الخرافات التى تعطل الفكر والارادة لأنها لو كانت صـــادقة ما بقى فى الدنيـــا غامض ولا مخبأ ولاعتمدت عليها المحاكم فى كشف السرقات والجنـــاة ، ولصـــار أصحاب هذه الخرافات من أغنى أغنياء الدنيا(٥١) .

وقد ندب النديم الوطن لتواجد مثل هذه البدع فيه فقال : « هل توجد مدنية على جانب من الجهل مثل مدنيتنا وعقائدنا الواهية ،يقوم الغربى من رقاده باكرا ، ويفتح عينيه على قوته العاملة ، ويقوم الشرقى صحوة النهار الى مشعوذ سخيف ينظر فى مستقبله فينحرف هذا حتى يشبع ذاك مالا » (٥٢) .

لقد كان هدف النديم من نقد مجتمعه الاصلاح وتهذيب الشعب وتقدم البلاد (٥٣) فكان المصرى الصـــادق الذى لا يتملق أبناء وطنه أو يداهن الحكام بل يبصر الناس بعيوبهم ، وعرض عليهم مشـــاكلهم وشاركهم فى البحث عن أقصر الطرق لعلاجها(٥٤) .

---

(٥٠) منتخبات النديم ص ٢٤ .

(٥١) سارت بعض الصحف على منوال النديم فى نقد هذه الخرافات انظر : المقتطف المجلد السابع عشر . الجزء الثـــامن من الســـنة السابعه عشر فى اول مايو ١٨٩٣ ص ٥٦١ تحت عنوان مسائل واجوبتها

(٥٢) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ١٣ .

(٥٣) دار الوثائق . محـــاضر جلســـات قومســـيون التحقيق بمصر ص ١٩٨ .

(٥٤) محمد عبد الوهاب صقر ، فوزى شاهين : المرجع الســـابق ص ٢٤٣ .

٩ — وكما حذر النديم أبنـاء وطنه من العادات والتقاليد البالية السائدة بينهم حذرهم أيضا من الاندفاع فى تقليد الأوربيين بما لايتفق وواقع الحيـاة الاجتماعية للشعب المصرى وحيث بهرت المدنية الأوربيه البعض فاندفعوا فى تقليدها بغير هـدى وظنوا أن كل ماعليه الغربيون من الأخلاق والعـادات هو سبب هـذه النهضـة الـكبيرة التى هم عليها ، وجهلوا أن لـكل أمة مقومات وعادات ان هى خرجت عليهـا كانت عرضـة للفشل والانحطاط فكتب مقـالا بعنوان « فصـل فى الأخلاق والعـادات »[٥٥] حذر فيه أبناء وطنه من عواقب محاكاة الغير دون ترو فقال : « ينبغى لمن يغير عادته بعادة الغير أن ينظر فى أصل عادته وفوائدها ومضارها ثم فى عادة الغير كذلك فان رأى حسن عادته وأنها من لوازم حفظ المظهر أو الثروة أو الوطنية أو الجنسية أو اللغة أو الدين لزم الابقـاء عليها ، فان انتقل من عادته بلا روية ولا نظر للعواقب فقد أسلم ذاته الى من انتقل لعـادته بلا حرب ، ويعز عليه الرجوع لجنسيته ووطنيتـه وخصائص أمته »[٥٦] كما هاجم النديم المتفرنجين على صـفحات جـرائده ففى مقـال له بعنوان « عـربى تفرنج »[٥٧] تحدث عن شاب من أبنـاء الفـلاحين سماه « زعيط » أرسلته الحكومة الى أوربا ليكمل تعليمه بعد انتهـائه من الدراسـة بالمرحلة الابتدائيـة ، وبعد أن أتم دراسـته عاد الى بلاده متبرما بعـادات قومه وأخلاقياتهم ، ولم يكتف بذلك بل أخـذ يذم أهـله وبلاده كما نسى لغته العربية .

وصف النديم هذا الشاب بأنه لم يتهذب صغيرا ولم يعرف حقوق

---

(٥٥) الأستاذ : العدد الاول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص١٢—١٣ .

(٥٦) نفسـه .

وعن محاولات الأوربيين جر ابناء الشرق : الى الابتعاد عن أخلاق الآباء والأجداد . انظر : سلافة النديم جـ ٢ ص ٦٦ .

(٥٧) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ .

وتنفسه ولا حق لمقته ولا صدر شرف الأمة ، وتنعته باللئيم الجاعى بحق الوطن(٥٨) .

كما انتقد النديم تقليد الناس لبعض الأفراد دون النظر إلى المنفعة التي ستعود عليهم من ذلك فقال تحت عنوان « غفلة التقليد »(٥٩) أن « رجلا بنى بيتا وزخرفه وملأه بالأثاث والمتاع ثم دعا بعض أصدقائه الى وليمة ، وكان فى جملة المدعوين أحد النبهاء ، ولما انتهى بهم المجلس أخذ يقص عليهم مقدار ما صرفه فى بناء هذا البيت وأنه اشترى خزانة كتب ، وضع بها كتبا بمائة جنيه ، ولما سئل عن الكتب التي يفضل قراءتها قال انه لا يفضل منها شيئا ولكنه دخل بيت الشيخ فلان والسيد فلان والحاج فلان والهمام فلان والأمير فلان فرأى فى مضيفة كل منهم خزانة بها كتب وعليها ستارة خضراء وبجانبها منشه من الريش والخادم كل يوم ينفضها ويمسح الزجاج والخزانة فأحس أن هذا طراز جديد فى بناء البيوت فرتب مضيفته مثلهم ليكون فى صف المتمدينين » فلعن النبيه الجهل وسب التقليد وقال لقد « أصبح الكل نائما فى غفلة التقليد »(٦٠) .

١٠ — ولما انتشرت أماكن بيع الخمور انتشارا كبيرا فى البلاد(٦١) وكثرت أماكن اللهو(٦٢) وزادت أماكن دور القمار حتى وصلت فى

---

(٥٨) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونيه ١٨٨١ ص ٧-٨ .
(٥٩) نفسه ص ١٣ — ١٥ .
(٦٠) نفسه ص ١٥ .
(٦١) بلغ عدد الطلبات المقدمة لوزارة الداخلية عام ١٨٩١ للتصريح لأصحابها بافتتاح خمارات بالقاهرة وحدها ٣٩١ طلبا ، كان معظمها مقدما من الأجانب وخاصة اليونانيين .
انظر :
Gouvernorat du Caire city Police. Rokhsa. 1891.

(٦٢) بعد انتشار هذه الأماكن اصدر مجلس شورى القوانين لائحة بشأنها انظر : محاضر جلسات مجلس شورى القوانين — مجموعة محاضر ١٨٩١ ملحق ٥ ص ١١٠ .

القاهرة وحددها من ٣١٦ الى ٧٤٧٥ دارا اى بزيادة ٧١٥٩ دارا فى السنوات الأولى من عهد الاحتلال[٦٣] فقد حذر النديم أبناء وطنه من ارتياد هذه الأماكن مصورا أحوال من يدخلونها بانهم يخسرون صحتهم ويفقدون أموالهم[٦٤] وموضحا المساوىء والمفاسد المترتبة على ذلك واستند على موقف الدين الذى حرم الخمر[٦٥] بقوله بقوله تعالى : « يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير »[٦٦] فقال « اجتمع فى الخمر من المفاسد ما لا يجتمع فى غيرها من البواعث .. وكل مسكر خمر وكل خمر حرام »[٦٧] كما اتهم الانجليز بالتشجيع على اقامة هذه الأماكن حتى تفتت الأسرات وتنتشر الجرائم وينحل الشعب المصرى[٦٨] .

---

(٦٣) د. عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر ج ١ ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٦٤) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٤٧ .

(٦٥) الخمر فى الشرع هو السائل الذى يؤثر فى العقل حتى يضيع سواء أكان من العنب أو التمر أو من الزبيب او من الذرة أو من الشعير او من الحنطة او من التفاح أو من الكمثرى أو من العسل او من غير ذلك ، وسميت الخمر بهذا الاسم لأنها تخامر العقل ، وهذه التسمية قديمة منذ ايام الجاهلية .

انظر مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية — الجزء السابع يولية واغسطس ١٩٢٩ .

(٦٦) سورة البقرة ، ٢١٩ وهذه الآية الكريمة نزلت بالمدينة حيث قدم النبى صلى الله عليه وسلم واهلها يشربون الخمر ويقرفون الميسر وقد سأل اهلها رسول الله عنهما فنزلت الآية .

(٦٧) من خطبة النديم اثناء صلاة الجمعة وهو مختف بالريف .

انظر : سلافة النديم . الجزء الثانى ص ٨٤ .

(٦٨) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون بتاريخ ١٧ يناير ١٨٩٣ ص ٥١٠ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

وقد اتفق بلنت مع رأى النديم فى ذلك حين تحدث عن فضل الاحتلال على اصحاب الحانات الذين انتشروا فى الريف المصرى واثرهم على الفلاح المصرى الذى فقد استقلاله الاقتصادى نتيجة لتعاطيه الخمر وانزلاقه فى مهاوى الرذيلة

Blunt : My Diaries Part I. pp. 41 - 44.

وانتقد النديم تفاخر بعض الشبان بأنهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر حتى يكونوا شبانا عصريين وصور حالتهم بعد دخولهم الحانات فقال انهم « يتمايلون ذات اليمين وذات اليسار ، وقد ذهبت عقولهم وطاش صوابهم وهم بين نعيق وصفير وقهقهة وسبابيخترقون الأزقات لمعاكسة الفتيات ، ويظهرون من شقشقة اللسان الأقاويل البالية التى لا يمحوها الا عقاب شديد »(٦٩) كما ذكر أن شارب الخمر يغيب عقله فيتكلم بما به يكفر ، وربما طلق زوجته وهو لا يشعر(٧٠) .

كما وصف أحوال من يخسرون أموالهم فى لعب القمار بالحزن والغيظ ونصح العقلاء بعدم مسايرة هؤلاء الجهلاء فى مفاسدهم حتى لا يسيئوا الى أنفسهم (٧١) ، ودعا الذين يفقدون أموالهم على موائد القمار آن يوفروها للعمل فى التجارة أو الصناعة وذكرهم بأن الحرية ما هى الا الوقوف عند الحدود والمطالبه بالحقوق وانها من أكبر دعائم العمران لو أن الناس فهموا معناها وأحسنوا استعمالها ثم ذكر أن هذا لا ينطبق على المزدحمين على أبواب محال البيرة والخمارات وبيوت العاهرات الذين اتخذوا من الحرية الشخصية طريقا لفعل المنكر واعتبرهم الفريق المفسد لعقله وماله والذى لا يعرف الضار من النافع حيث أن منهم من ينفق فى الخمارة الريال أو الجنيه كل ليلة وأولاده بلا عشاء أو ربما كان ماينفقه من كسب زوجته أو مسروقا من مال أبيه وطالب بالحجر على هؤلاء السفهاء (٧٢) والبعد عن هذه الرذائل والتحلى بدواعى الكمال والانتباه من غفلة الضياع مالا وذاتا (٧٣) .

---

(٦٩) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٤٧ .

(٧٠) عبد الفتاح نديم : سلافة النديم ج ٢ ص ٨٤ « من خطبة النديم يوم الجمعة وهو مختفيا بالريف » .

(٧١) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر ص ٤٨ .

(٧٢) الأستاذ : العدد السادس فى ٢٧ سبتمبر ١٨٩٢ ص ١٢٢ تحت عنوان « دستور » .

(٧٣) نفسه : ص ١٢٣ .

وعنـــدما اعترض البعض على دعوه النديم بحجه أن ذلك يؤدى الى نقاص ميزانيه الجمـــارك مائتى ألف جنيه ، وافلاس عشرين الف تاجر أوربى (٧٤) رد عليهم النـــديم بأن قولهم هـــذا يدل على قلة الادراك وضعف العقل وأن الخـــديو والحكومة لا يهمها الا ما فيـــه مصلحة البـــلاد وتحلى أبنـــائها بالـــكمال والفضيلة ، وابعادهم عن السقوط فى النقـــائص والرذيلة (٧٥) وان من الأولى بنـــا « أن نحول بين شبابنا وبين مفسدات عقولهم وأموالهم لنحول بينهم وبين الجنون والافلاس » (٧٦) .

كما صور النديم فى محاورة له بعنوان « حنيفةولطيفة » (٧٧) أن الانهماك فى شرب الخمر وغيره من المـــكيفات يؤدى الى ضياع الأموال وترك الأولاد « عرايا جعانين » وأنه لمـــا ترك « حنيفة » الخمر وفر اثنى عشر جنيها كل شهر واشـــترى « أطيـــان الميرى اللى الفـــدان بعشرة جنيهات » (٧٨) وفى مقال للنديم بعنوان « سهرة الانطبـــاع » تحدث عما تسببه عادة الـــكيف من تبلد الفكر والجبن (٧٩) وســـوء الأخلاق وطالب أبنـــاء الوطن بالتفكير فيما يساعد على تقدم البـــلاد والنظر الى أحوال الأمم وسير العقـــلاء حتى تظهر أنوار المعـــارف والآداب كما حـــذر الشبان وخصوصـــا أبنـــاء الذوات من الاسراف

---

(٧٤) الأستاذ : العدد السابع فى ٤ اكتوبر ١٨٩٢ ص ١٦٤ تحت عنوان « اعتراض مغفل » .

(٧٥) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ١٦٦ .

(٧٦) الأستاذ : العدد السادس فى ٢٧ سبتمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « دســـتور » .

ولمزيد من التفاصيل عن مضار الخمر . انظر : المنار الجزء الخامس المجلد الثامن عدد يونيو ١٩٠٥ .

(٧٧) الأســـتاذ : العـــدد الثـــانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٦٨ — ٢٧٢ .

(٧٨) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

(٧٩) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ ص٨—١٠

والانهماك فى شرب الخمر ولعب الميسر (٨٠) وضرب مثـالا للسكارى لعل بعضهم يقتـدى به وييسر حذوه فتحدث عن اقلاع أحد المدمنين عن شرب الخمر فوفر مالا بنى به بيتـا « بدلا من اللى كان بيروح منه كل شهر ١٢ جنيها كانوا بيروحوا فى طريق الشيطان الرجيم .. وخد من البتل يختل » (٨١) .

١١ — وعن اباحة الزنا والأضرار الاجتماعية التى تحدث من ذلك انتقد النـديم حرية اباحة الزنا فذكر أنها لا توافق تقاليد أهل الشرق ولا أديانهم فقال : « اتفق المسلمون والنصـارى واليهود والمجوس على الغـيرة على النسـاء وصـيانتهن واجمعـوا على تحريم الزنا وقبحه » (٨٢) وهاجم قانون الـكشف على البغايا (٨٣) بمعرفة أطباء

---

(٨٠) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونيـة ١٨٨١ ص ٢٢ — ٢٤ تحت عنوان « هدف طلع النهار » .

(٨١) الأستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ تحت عنوان « حنيفـة وطليفـة » .

(٨٢) الأستاذ : العدد الثامن والثلاثون فى ١٦ مايو ١٨٩٣ ص٩١٢

(٨٣) صدر قانون بخصوص الكشف على النساء العاهرات .

أنظر : دار الوثائق القومية — محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة رقم ٦٢ وثيقة بتاريخ ١١ مايو ١٨٨٤ .

وايضا منشور نظارة الداخلية فى ٢٩ ذى الحجه ١٢٩٩ .

بخصوص الـكشف على النساء العاهرات لمنع انتشار الزهرى .

انظر : دار المحفوظات . مجموعـة القرارات والمنشورات عن عام ١٨٨٢ ص ٢٣٣ .

وقـد افتتح مكتب خاص ليقيـد النسوة العـاهرات أسماءهن به دار الوثائق . محافظ مجلس النظار — جلسات يناير ١٨٨٥ تحت عنوان « بيان المسائل التى ستنظر بجلسة الاثنين ٥ يناير ١٨٨٥ » .

كما أن الوقائع المصرية اعلنت فى عددها الصـادر بتاريخ ٣اكتوبر ١٨٩١ عن حاجة مكتب الـكشف على العـاهرات الى كاتب بمرتب من ٤ الى ٦ جنيهـات .

الحكومة (٨٤) واعطائهن شـــهادات بأنهن صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والأنجيل والتوراة (٨٥) .

وتكلم النـــديم عن البيوت السرية فقال انها « ليست سرية بل معلومة ولا تخفى على رجال الضبط والربط » (٨٦) وطالب أن تكون هذه البيوت بعيدة عن بيوت الناس الطيبين دفعا للشبهات (٨٧) .

كما تحدث عن تضليل المفسدين لعقول الشباب للانغماس فى هذه الموبقات حتى يفسدوا المجتمع ويقضوا على قيمه وأخلاقياته فـكتب تحت عنوان « مجلس طبى لمصاب الأفرنجى » (٨٨) مقالا صور فيه أن أحد المفسدين ادعى أنه من الأتقيـاء ونسل الى شـاب مستقيم الحال صـحيح الجسم معتز بنفسه حتى أوقعه فى مهـاوى الرذيلة فأصيب بالداء الأفرنجى حتى بهت لونه وتمكن الداء منه (٨٩) .

---

(٨٤) الاستاذ : العـدد الثـامن والثـلاثون فى ١٦ مايو ١٨٩٣ ص ٩١٢ .

(٨٥) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٨٦) الأسـتاذ : العدد التاسع عشر فى ٢٧ ديسمبر ١٨٩٢ ص٤٣٨ تحت عنوان « الآداب العامة » .

(٨٧) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٤٣٩ . وقد كان النديم فى ذلك معبرا عن آلام الاهالى من تجاور البيوت السرية لبيوت الاحرار فمن شكوى تـقدمها الأهالى الى مجلس بلدى الاسكندرية ينصح المناح الناس الا تكون البيوت السرية بجانب مساكن الشرفاء .

دار المحفوظات : محفوظات نظارة الداخلية — التلم الأفرنجى مخزن ٢٧ عين ٨٤ .

(٨٨) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ ص٤—٦ وكلمة الافرنجى تعنى مرض الزهرى وكان المصريون يسمونه احيانا بالمبارك او داء المعبز والجمال والحب الأفرنجى .

انظر . كلوت بك : المرجع السابق الذكر ج ٢ ص ٥٦٠ .

(٨٩) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر .

١٢ ـ كما هاجم النديم تقليد بعض النساء المصريات للاجنبيات فى شرب الخمر والتشدق باستخدام كلمات أجنبية فى الحديث بالعربيه ولبس الضيق والمحبوك من الثيــاب الأفرنجية والانهماك فى الملذات والشهوات والاستهتار بالدين والوطنيه ، واتهم الأوربيين بأنهم وراء هذه المفاسد (٩٠) حتى يضمحل الشرق وتنحل أخلاق أبنــائه وينتشر الفســاد وقبيح العادات حيث أن الأوربيين لم يرعوا حرمة أى شىء ، وقد كان النــديم فى ذلك معبرا عن رأى كثير من الأهالى والدليل على ذلك الشكوى المقــدمة من سكان وأصحاب أملاك بشياخة رفاعى محمد التابعة لقسم اللبان الى مجلس بلدى الاسكندرية حيث يتضح منهــا شكوى النــاس بقولهم توجد أماكن « مؤجرة الى مومسات محــدقين بمنازلنا من كل الجهــات وحيث أنه موجود أيضا مسجدان للعبــادة أحدهما لأولاد منصــور الفحام المشهور والآخر تعلق الشيخ عرفــه العطن ، وكان سبق منا تقــديم جملة عرضحالات للمحافظة والداخلية بهذا الخصوص . وسعادة محافظنا أمر بنقل المومسات الوطنيات الى النقط المعــدة لهن ، ولم يبــق الآن غــير هؤلاء الأجانب يجولون فى الشوارع والأزقة أمام منازلنــا متهتكات لا يعتنون بوعظ واعظ وحيث أن وجود تلك العواهر بهذه النقطة المهمة مخل للآداب وعلى غير السير الانتظامى خصوصا لقربهم من محلات العبــادة فلا يمر عليهن أحد فى الطريق الموصل لأحد المساجد المذكورة أو لمنزله الا ابتدره تلك النسوة ودعوه لفعل الفــاحشة .. وبهذا السبب منعت اقامة الشعائر الدينية بتلك المساجد وهجرت » (٩١) .

---

(٩٠) كان النديم على حق فى ذلك والدليل انه عندما اعترض الخديو عباس الثانى ومعظم نظاره على بناء مكان بمدينة الأزبكيه لممارسة اشياء مخلة بالآداب صمم السير الوين بالمر على اقامته فتراجع الخديو والنظار.

دار الوثائق القومية : محافظ مجلس النظار ــ جلسة ١١ مايو١٨٩٣

(٩١) دار المحفوظات العمومية ــ محفوظات نظارة الداخليــة ــ القسم الأفرنكى مخزن ٢٧ عين ٨٤ .

كما يذكر أصحاب هذه الشكوى أيضا أنه يوجد « بزقاق المساجد المذكوره قهاوى الحشيش والخمامير والكرخانات معا » ويتساءلون بقولهم هل القوانين العادلة وغير العادلة تصرح بغلق أبواب المساجد وفتح أبواب المفاسد ؟ ثم يلتمسون من أولى الأمر خروج تلك النسوه من هذه الجهة التى بها مساكن الأحرار ومحلات العباده المقدسة « حفظا للآداب وصيانة للأعراض وراحة السكان » (٩٢) .

وهناك شكوى أخرى قدمها أهالي طنطا ضد سيدة فرنسية افتتحت منزلا للدعارة على شكل فندق فى مكان آهل بالسكان ومع ذلك لم تستطع المحكمة اتخاذ أى اجراء لحماية الأهالى لكون لائحة المومسات التى صدرت فى يوليو ١٨٨٥ لا تشمل الأجنبيات (٩٣) .

لقد علق أحد النبهاء بمجلة « الأستاذ » على أحوال البلاد فى ذلك الوقت بقوله « ان حالتنا الحاضرة تشبه عليلا مصابا بمرض باطنى وقد قصد دجالا فأعطاه دواء قابضا فأصبح يشكو مرضين .. وهذا ينطبق على أحوالنا فاننا بدلا من معالجة أمراضنا القديمة بأنوار التمدن قد زدنا عليها كافة الرذائل وكفانا برهانا » (٩٤) .

هكذا تناول النديم الآفات الاجتماعية التى لحقت بالمجتمع المصرى بأسلوب مؤلم لم يتسلق فيه أحدا بل استخدم أسلوب التبكيت حيث كان لازما للايقاظ والانهاض لأن الاصلاح لا يتأتى الا من فهم

---

(٩٢) دار المحفوظات العمومية : محفوظات نظارة الداخلية — القلم الافرنجي مخزن ٢٧ عين ٨٤ .

(٩٣) دار الوثائق القومية : ديوان خديو — وثائق عربية الىجهات محفظة رقم ١٣ ملف نظارة الحقانية رقم ٢ لعام ١٨٩٢ .

(٩٤) الأستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٨٢ تحت عنوان « رسالة بقلم احمد نبهاء المصريين » .

الناس لأخطائهم وتوضيح الأسباب التى أدت الى تخلفهم والوسائل المعينة على العلاج لذلك كانت دعوته قوية وخصوصا وأنه اتخذ من الدين طريقا لتنبيه الناس نحو اصلاح مجتمعهم فأوضح أن أسباب هذه العلل هو جهل الناس بأصول دينهم ، وعدم اذعانهم لعقائده وأحكامه ، وانه ليس هناك وسيلة لمكافحة هذه الآفات أفضل من الرجوع الى الدين .

كما تبنى النديم أسلوب النقد العنيف ضد الأوربيين (٩٥) بسبب ماجلبوه على البلاد من مفاسد ؛ وقد تميزت مقالاته بأنها لم تكن كلها مجرد زجر ونواه مما قد يبعث على الملل بل اتخذ أكثرها شكل محادثة لطيفة تتميز بالواقعية (٩٦) .

ثانيا — موقف النديم من العدالة الاجتماعية :

قسم النديم المصريين الى ثلاثة أقسام : فقراء ، وأغنياء ، وأمراء (٩٧) . وطالب بأن يسود بينهم العدل والمساواة حتى يتقدم المجتمع لأن الانسان مالم يشعر بقيمته وتقدير المجتمع له فلن يكون منتجا ، وذكر بأنه لم يتحقق ذلك الا اذا ساعد الغنى الفقير والقوى الضعيف(٩٨) « فالقانون الالهى (*) يسوى بين الأمير والحقير والقوى

---

(95) Gamal Mohamed Ahmed Op. Cit. P. 68.

(٩٦) د. سلمى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى . القاهرة — دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ ص٣٢٧

(٩٧) الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ص ٥١ تحت عنوان « مطالب العلم » .

(٩٨) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس في ١٠ يوليو ١٨٨١ تحت عنوان « كيف ظهرت وانا لك بالمرصاد » .

(*) يقصد النديم بالقانون الالهى « القرآن الكريم » و « السنة النبوية » حيث ان الشريعة الاسلامية تقوم على أساس الوحى الالهى وهما القرآن والسنة .

للتفاصيل انظر : دكتور صوفى حسن أبو طالب : مبادىء تاريخ القانون . القاهرة — النهضة المصرية ١٩٥٧ ص ١١٥ .

وهذا يدلنا على ان النديم استمد افكاره عن العدالة الاجتماعية من مصادر الشريعة الاسلامية .

والضعيف ويحكم بمسئولية كل فرد من الأفراد عن أقواله وأفعاله بين يدى مولاه يوم يبعثه فى النشأة الآخرة » (٩٩) .

ترجم النـديم عما يدور بخواطر أبنـاء وطنه فطالب بانصـاف الفقراء من الأغنياء وهاجم الذين يستعبدون الفقـراء من الأغنيـاء وطالب بتخليصهم من قسوتهم فقال : « انهم يرون أن الفقراء خلقوا لخدمتهم ومدحهم ، وأن الله فرض عليهم حب الأغنياء ، وتعظيم ذوى الهيئات ، وان كانوا من المجرمين لايحسنون الظن بفقير ، ولا يسمعون منه كلاما وان كان حقـا .. ولا يعترفون له بفضل وان كان عالما لمـا جلبوا عليه من عداوة الفقراء » (١٠٠) ثم ندد ببذخ الأغنيـاء وترفهم بينما الفقراء لا يجدون ما يسـدون به رمقهم فقال : « أليس الرجل منكم كالرجل منـا فما بالـكم لا ترضون بثلاثين صنفا من الطعـام ونرضى بالخبز والملح ، ولاتقنعون بألوف من الجنيهات ونقتنع بالقرش الواحد . أخلقتم من الذهب ، وخلقنا من التراب أم ولدتم قابضين على أزمة الدنيـا وولدنا عبيدا لـكم ، أم نزلتم من السماء ، ونزلنا من بطون الأمهات » (١٠١) ؟ كما حذرهم من أن غالبية الشعب هم الفقراء وانهم قلة فقـال : « ألا ترون أنكم تعدون على الأصـابع فى بلادنا والفقراء هم الأمة » (١٠٢) .

وفى رواية « الوطن وطالع التوفيق » تحدث النديم عن عـدم اهتمام الأغنيـاء بمصلحة البـلاد وانكبابهم على التفاخر والتبـاهى بما لديهم من ثروة فقال : « الأغنياء مقتصرون على استخدام الفقراء

---

(٩٩) عبد الله النديم : كان ويكون جـ١ ص ٢١ .

(١٠٠) التنكيت والتبكيت : العـدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩١ تحت عنوان « منى يستقيم الظل والعود اعوج » .

(١٠١) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٣ تحت عنوان « منى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٠٢) نفسـه .

والهدوم النظيفة والمآكل والمشارب ، واذا اجتمعوا يفتخرون بالطباخين والجوارى والخدامين والبيوت » (١٠٣) ثم خاطب ضمائر الأغنياء مؤنبا لهم ترك الفقراء يتضورون جوعا بينما هم يجلسون أمام الموائد الحافلة بصنوف الطعام والفقراء ينتفضون من شدة البرد وقلة الغطاء بينما هم ينامون على الفراش اللين الوثير فقال : « أيها الفرح بما ملكت يداه ما أحزنك لو تأملت المضطر يتضور جوعا والبائس ينتفض بردا والغريب لا مأوى له يستكن فيه واليتيم لا قيم له يرشده ويعلمه والمريض المعدم لا مال له يطبب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه فى حفظ حياته أف لك ولمالك » (١٠٤) ونصحهم بأن ما يصرفوه فى الملاهى الليلية يمكن صرفه على الأيتام والفقراء فيستقيم حال المجتمع فقال : « ان أحدكم يصرف فى الملاهى عشرة آلاف جنيه فى كل عام ولو مال لتربية أيتام لربى بها مائة يتيم » (١٠٥) .

ثم وصف الأطعمة الفاخرة التى يتناولها الأمراء والأغنياء يوميا فقال : انها تشمل « خمسة أصناف أو ستة .. يتداولون فى الصحون المحمر والكباب والكفتة وكباب الفرن » (١٠٦) بينما لا يتناول الفلاح سوى « صنف واحد يطبخ كل ليلة من عدس أو كشك أو بيسارة أو فول أو دشيشة » (١٠٧) وفى وجبة الغذاء يكون طعامه « مش أو جبن أو كرات أو فجل أو مخلل » (١٠٨) كما انتقد النديم

---

(١٠٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جـ٢ ص ٤٩ .

(١٠٤) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث فى ٢٦ يونية ١٨٨١ ص٣٩ تحت عنوان « تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان » .

(١٠٥) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٠٦) الأستاذ : العدد الثالث فى ٦ سبتمبر ١٨٩٢ ص ٥١ تحت عنوان « مطالب الطعام » .

(١٠٧) نفسه .

(١٠٨) نفسه .

تعامل الأغنياء مع الأجانب بينما لا يتعاملون مع أبناء البلاد من الفقراء بل يتركونهم يتضورون جوعا فقال : « ألا يخجل (الغنى) اذا أعطى الغريب الدرهم وجاره يموت جوعا ، وهو لا يشعر ما هذه الحياة التى تنسى بموت صاحبها » (١٠٩) كما طالب الفقراء بتكوين عصبيه لمواجهة الأغنياء (١١٠) ثم حذر الغنى من غضب الفقير عليه فقال : « أنت تحى الكثير من غير أهلك وتلتذ بشهواتك وأنت تنغص حياة الألوف .. فبؤت بغضب الأمة وسخط البلاد » (١١١) .

رأى النديم فى فقراء المصريين دعامة للثورة لأنهم أصل كل شىء وأن الأغنياء لم يفيقوا من غفلتهم الا اذا حركهم الفقراء ، وبدأوا بأنفسهم فى الاصلاح حيث هم عمى عن طريق التقدم الا بمرشد والمرشد هم الفقراء (١١٢) لقد خرج النديم من طابور الفقراء، وعاش فى قلة من العيش (١١٣) وكان سعيدا بذلك ويتضح ذلك من قوله « أما اللذة المقصودة بالشهرة فانها ظاهرة فى سرير نومى الحديدى الخشن وسترتى الوحيدة القديمة » (١١٤) .

ولم يرث النديم أى مال أو جاه من أبيه الخباز الفقير بل عاش عيشة عريضة اختلط خلالها بطبقات المجتمع الدنيا فاختلط بالفلاحين

---

(١٠٩) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٣ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١١٠) د. محمد احمد خلف‌الله : عبدالله النديم ومذكراته السياسية ص ٤٩ .

(١١١) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث فى ٢٦ يونية ١٨٨١ ص٣٩ تحت عنوان « تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان » .

(١١٢) سلافة النديم ج ٢ ص ٤٥ — مسرحية الوطن وطالع‌التوفيق

(١١٣) احمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر ص ٢٧ .

(١١٤) التنكيت والتبكت : العدد السابع فى ٢٤ يوليو ١٨٨١ ص ١٠٨ تحت عنوان « اياك أعنى يا نفس فاسمعى وعى » .

ورأى بؤسهم ، كما رأى الأغنياء يستغلون الفقراء فى مجتمع استغلاله يمحق انسانية الانسان [١١٥] .

هكذا تعايشت الثورة السياسية مع الثورة الاجتماعية فى حدود امكانات العصر ومفاهيمه [١١٦] ، وهكذا نبه النديم أغنياء عصره الى خطورة اهمالهم لاصلاح حال الوطن وأبنائه من الفقراء مبينا لهم أن الحياة ليست التباهى بكثرة الأموال والحشم والخدم وانما بالدور الاجتماعى الذى يقومون به لخدمة مجتمعهم .

ثالثا — النديم وانشاء الجمعيات :

دعا النديم الى انشاء الجمعيات الخيرية بهدف النفع العام للبلاد، وكوسيلة لتعليم أبناء الشعب فقيره وغنيه ، وشد أزر الضعيف منهم حتى تنهض البلاد ويعرف أبناء الوطن وخصوصا الفقراء حقوقهم وواجباتهم وبدأ بنفسه فأعلن عن انشاء جمعية علنية بالاسكندرية [١١٧] هدفها النشاطان الاجتماعى والثقافى ، وأخذ هو وصحبه يجمعون المال من أعيان الثغر [١١٨] الذين ضاقوا ذرعا بطغيان النفوذ الأجنبى فى البلاد واستئثار الأجانب بمرافقها [١١٩] واستيلائهم على الوظائف الكبرى والمرتبات العليا [١٢٠] وبعد جهد

---

(١١٥) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ص ٢٤٨ .

(١١٦) الكاتب العدد ١٠٤ فى نوفمبر ١٩٦٩ ص ٤ مقال للاستاذ أحمد زكى صالح تحت عنوان « دراسة فى المثقف المصرى والثورة » .

(117) Landau (Jacob) Op. Cit. P. 85.

(١١٨) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » .

(١١٩) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل جـ١ ص ٢٤٤ .

(١٢٠) يوحنا ابكاريوس : المرجع السابق الذكر ص ٢١٧ .

وعناء طويلين [١٢١] تأسيست « الجمعية الخيرية الإسلامية » [١٢٢] في ١٨/٤/١٨٧٩ [١٢٣] وكانت رسالتها ترمي الى « تربية الناشئة وبث روح المعارف فيهم لترقية أفكارهم وتطهير أخلاقهم وبث الروح الوطنية في نفوسهم [١٢٤] كما كانت تنادي بالأعمال الانسانية الخيرية ونشر التعليم [١٢٥] وقرنت العزم بالفعل [١٢٦] فأنشأت الجمعية

---

(١٢١) التنكيت والتبكيت ؛ العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » وايضا عبد الفتاح نديم .

المرجع السابق الذكر جـ١ ص ٦ .

(١٢٢) تعتبر هذه الجمعية باكورة الجمعيات الخيرية الاسلامية فى الديار المصرية . العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٠ وايضا اسكندرية العدد ١٥٧ فى ١٥ يناير ١٨٨٢ وهذه الجمعية غير المعروفة الآن بهذا الاسم .

عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق الذكر جـ١ ص ٢٤٥ ، د. عبد اللطيف حمزة ادب المقالة الصحفية جـ٢ ص١٢٠ .

ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى دار المحفوظات — مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار والنظارات بخصوص الجمعية الخيرية الاسلامية ص ٦٠٩ بتاريخ شهر سبتمبر ١٨٩٢ .

(١٢٣) التجارة العدد ٢٢ فى ١٩ ابريل ١٨٧٩ بينما يذكر الاستاذان الدكتور عبد اللطيف حمزة والدكتور محمد البهروجى أن هذه الجمعية انشئت عام ١٨٧٨ قصة الصحافة العربية فى مصر منذ نشأتها حتى منتصف القرن العشرين ص ٨١ ، تاريخ الاسكندرية منذ اقدم العصور جـ ٣ ص ٣٨٥ .

(١٢٤) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ص ٦ ، مجلة الهلال عدد أول فبراير ١٨٩٧ المقال السابق الذكر ص ٤٠٤ .

(125) Landau : Op. Cit. P. 101.

(١٢٦) الوقائع المصرية العدد ٩٤٢ فى ١٩ أكتوبر ١٨٨٠ مقال للشيخ محمد عبده تحت عنوان « حكومتنا والجمعيات الخيرية » وايضا : محمد رشيد رضا تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده ص ٥٠ .

مدرسة (١٢٧) لتعليم وتثقيف البنين والبنات (١٢٨) الفقراء والأيتام منهم مجانا (١٢٩) والقادرون بمصروفات قليله لتكوينهم دينيا ووطنيا (١٣٠) وقد افتتح النديم حفل الافتتاح فى ١٨٧٩/٦/٨ بكلمة قال فيها « افتتحنا هذه المدرسة بلا كره ولا قرض وأعددنا لها من المعارف ما يقوم بالواجب والغرض للفقراء وقد جعلناها حرة مطلقة لمن يتعلمون (١٣١) كما أوضح أن الهدف من انشاء هذه المدرسة هو ابعاد الأطفال عن التعصب لدين أو عنصر وتنشئتهم على الوطنية وحب الانسانية (١٣٢) ثم تعرض لأحوال البلاد وما آلت اليه من فساد (١٣٣) وطالب بالبعد عن الأنانية والتمسك بالمصلحة

---

(١٢٧) كان مقر هذه المدرسة بشارع رأس التين بالاسكندرية .

أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ القسم الأول ص ٣٦ ويذكر النديم انه عندما افتتحت هذه المدرسة لم يؤازره سوى واحد وعشرين رجلا من متوسطى الحال حيث لم يكن لديهم اكثر من ثمن المكاتب والالواح ومع ذلك فانه صار يجتهدويحث الناس على مساعدة هذهالمدرسه حتى صارت ذا ثروة عظيمة .

التنكيت والتبكيت . العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٢٨) كانت شكوى نظارة المعارف احتياج الأهالى الى انتشار المعارف بسبب قلة المدارس ، لذلك كانت فكرة النديم انشاء المدارس بالجمعيات ملائمة مع متطلبات الوطن .

محفوظات مجلس الوزراء — نظارة المعارف — محفظة رقم ١/٤ .

مجموعة رقم ١٧٨/١٣٧/٣/٢ معارف عمومية تقرير بتاريخ ٤ مايو ١٨٨٠ .

(١٢٩) مصر : العدد ٥٠ فى١٣ يونية ١٨٧٩ تحتعنوان « الجمعية الخيرية الاسلامية » .

(١٣٠) وزارة الشئون الاجتماعية : تقويم الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية ص ١٦ .

(١٣١) مصر العدد ٥٢ فى ٢٧ يونية ١٨٧٩ .

(١٣٢) نفسه .

(١٣٣) عن نص خطاب النديم انظر جريدة مصر فى ٣٠ يونية ١٨٧٩ تحت عنوان « الجمعية الخيرية الاسلامية » .

الوطنيــة ، وقــد انقسم من حضروا هــذا الحفل بعد سماع خطبة النديم الى قسمين قسم وصف الخطبــة بأنها تنبيه للعقول الخــامدة وعلاج للقلوب (١٣٤) والآخر فزع لتعرض النديم لأحوال البلاد والفساد الذى آلت اليــه ، فحــاول اقنــاع النــديم بابطــال الخطابة خوفا وفزعا (١٣٥) ، ولــكنه لم يأبه لرأيهم واستمر فى طريقه فــكانت جرأته حديث النــاس ومثار اهتمامهم فعقــد الندوات الأســبوعية ليزودهم منها بالعلوم والمعــارف وحب جنسيتهم المصرية (١٣٦) ، وقــد اشترك النديم فى وضع منــاهج التدريس بهذه المدرسة كما قام بتدريس مادتى الانشاء (١٣٧) وعلوم الأدب (١٣٨) « وتدريب النــاشئة وتمرينهم على الخطابة والجــدل من جهة وبث روح النخوة والغيرة فى أفــكارهم من جهة أخرى ليتمكنوا اذا بلغــوا مبلغ الرجال من أداء مقاصــدهم بلا حيــاء أو خجل » (١٣٩) ويذكر « أحمد شفيق » أنه زار هذه المــدرسة

---

(١٣٤) مصر : العدد ٥٠ فى ١٣ يونية ١٨٧٩ .

(١٣٥) التنكيت والتبكيت : العــدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » .

(١٣٦) نفســه .

(١٣٧) يذكر الشيخ حسين المرصفى ان الانشاء علم يبين كيفيــة تاليف الخطب ورسائل المخاطبات وما اشبه ذلك .

الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية جا ص٤ .

كما يذكر ان كتابة الانشاء يقال لها صناعة الترسل وهى المسماة فى زماننا كتابة التحريرات اى الاتيان الحر نفسه ج٢ ص ٢٠١ .

ويذكر مصطفى كامل أن المقصود بالانشــاء ليس تنسيق العبــارة وتحليتها بالنثر والنظم بل القصد الأصلى هو وضع عبارة عربية صحيحة سليمة يفهمها القارىء ويقف بها على قصد الكاتب .

مجلة المــدرسة : الجزء الرابع فى ١٧ مايو ١٨٩٣ تحت عنــوان « الانشاء والتحرير » .

(١٣٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جا ص١٧ ، الهلال المقال السابق الذكر ص ٤٠٤ .

(١٣٩) نفســه .

فسر من الطريقة التي يتم بها شرح الدروس للتلاميذ حيث كانت جذابة سهلة المآخذ على الأطفال تعلمهم القواعد في شكل محاورات مسلية لذيذة (١٤٠)، كما علم النديم تلاميذ هذه المدرسة الفنون وطريقة التمثيليات فأخرج روايتي « الوطن وطالع التوفيق » و « التعمان » ومثلهما مع تلاميذه بأحد ملاعب الثغر(١٤١) وكان يوزع بعض ايراداتها على تلاميذه كمكافآت لهم (١٤٢) والبعض الآخر يوضع في صندوق الجمعية (١٤٣) .

لقد كان النديم أول من أدخل فن التمثيل في خدمة المنهج المدرسي كما اتخذه كوسيلة يوصل من خلالها للشعب رسالته ويلقنه المبادىء الوطنية والاجتماعية (١٤٤) .

وقد بلغ عدد التلاميذ الفقراء والأيتام بمدرسة النديم « مائتين وثلاثة » (١٤٥) من العدد الكلي وهو أربعمائة وثمانون تلميذا ، ولما استقرت أحوال المدرسة سعى النديم لدى الخديو توفيق لكي يرعى مدرسته ويزورها وقد كلل جهده بالنجاح فزار الخديو المدرسة يوم امتحان تلاميذها (١٤٦) ، وكان يسأل التلاميذ بنفسه فسر من اجابتهم

---

(١٤٠) احمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن جـ٢ القسم الأول ص ٣٦ .

(١٤١) احمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامي ص ١٣٠ .

(١٤٢) التنكيت والتبكيت : العدد السادس في ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود اعوج » .

(١٤٣) نفسه ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » .

(١٤٤) نجيب توفيق : المرجع السابق الذكر ص ٢٨٥ .

(١٤٥) التنكيت والتبكيت : العدد السادس في ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود اعوج » .

(١٤٦) احمد تيمور : تراجم عيان ص ١٦ ، أعلام الفكر الاسلامي ص ١٣٠ .

ونجابتهم [١٤٧] كما تفقد سير العمل بالمدرسه فأعجب بنظامها [١٤٨] وأحس بمآثر مؤسسيها وعنايتهم بتربية الأيتام والفقراء [١٤٩] ، ولما طلب منه النديم أن يعهد برعاية هذه المدرسه الى ولى عهده عباس حلمى كان له ما أراد [١٥٠] كما أمر الخديو بأن تكون المدرسة البحرية مقرا يدرس فيه تلاميذ هذه المدرسه لاتساعها وجودة موقعها [١٥١]. ولكى يرفع عن كواهل مؤسسيها ايجار المبنى [١٥٢] ، كما استمال النديم الخديو لرعاية مدرسته وحاول استماله رياض باشا رئيس النظار وكسب مودته فعرض عليه قانون الجمعيه فطلب منه رياض باشا تنقيحه حتى يقرر بأوامر رسمية فنقحه النديم فى خمسة وعشرين بندا تغير بمقتضاها اسم الجمعيه من الجمعية الخيرية الاسلامية الى الجمعية الخيرية المصرية [١٥٣] بحيث تتشكل من المصريين على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم ، وأن يكون من أنشطتها فتح المدارس لتعليم البنين والبنات وانشاء مستشفى للمرضى ودار الضيافة وتربية الأيتام ومساعدة الضعفاء كما نص البند الرابع والعشرون من هذا القانون أن يكون رئيس الجمعية ولى عهد الحضرة الخديوية وينتخب له نائب بمعرفة الجمعية وأن يكون للسيد / عبد الله النديم الحق فى المحافظه على هذا القانون فى جميع أقسام الجمعيه .

---

(١٤٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ص ٦ .

(١٤٨) الوقائع المصرية فى ١٤ يوليو ١٨٨١ .

(١٤٩) العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « الجمعية الخيرية المصرية بالاسكندريه » .

(١٥٠) الوقائع المصريه : العدد ١٤٢ فى ١٩ اكتوبر ١٨٨٠ مقال للشيخ محمد عبده تحت عنوان « حكومتنا والجمعيات الخيرية » وأيضا الهلال عدد فبراير ١٨٩٧ المقال السابق الذكر ص ٤٠٤ .

(١٥١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ص ٦ .

(١٥٢) العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « الجمعية الخيرية المصرية بالاسكندرية » .

(١٥٣) نفسه (علما بأن نص القانون منشور بملاحق الرسالة) .

قدم النديم قانون الجمعيــة للخديو ولرياض باشا الذى عرضه على مجلس النظار وأصــدر به أوامر رسميه [١٥٤] بعث بصورتها الى محافظ الاسكندريه [١٥٥] والضــباط فانصرفت الشبهة عن الجمعية ، واقبل عليها النــاس [١٥٦] كما اشترك رياض باشا فى الجمعيه وتبرع بمبلغ خمسة وعشرين جنيها سنويا لها من ماله الخاص [١٥٧] .

ولمــا تقدم النديم بطلب الى ديوان المدارس لمساعدة الجمعيــة تقرر لها مائتان وخمسون جنيهــا سنويا كاعانة نقدية [١٥٨] مساعدة

---

(١٥٤) الوقائع المصرية فى ١٩/١٠/١٨٨٠ .

(١٥٥) ارسل رياض باشا الى محافظ الاسكندرية موضحا له نشاط الجمعية بقوله « ليس بخاف ما نهض اليه الموفقون من اهل البر والاحسان من ذوات ووجوه الثغر السكندرى فى تاليف وانشاء جمعية خيرية لتعليم العلوم واللغات المفيدة والصنائع النافعة ، وقد قرنوا العزم بالفعلبانشاء المكاتب التعليمية ابتغاء مرضاة الله تعالى وحبا فيما يعود بالخــير على الوطن والآن قدموا لنا قانون الجمعية الدال على حسن مقاصــدهم بما قرروه من انشــاء مستشفى للمرضى ومكتبة لمطالعة الــكتب واستنساخها ثم دار ضيافة لمن يقدم على الجمعية وأن يكون من شئونها مواساة الأرامل وتربيــة الأيتام » .

العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٠ ، محمد رشــيد رضا . المرجع السابق جـ٢ ص٥١ .

(١٥٦) عبد الله النديم : كان ويكون جـ١ ص٧٢ .

(١٥٧) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٤ تحت عنوان « اسمعوا واعجبوا » .

(١٥٨) الوقائع المصرية العدد ٩٤٢ فى١٩ أكتوبر ١٨٨٠ مقالللشيخ محمد عبده تحت عنوان « حكومتنا والجمعيات الخيرية » .

محمد رشيد رضــا المرجع الســابق الذكر جـ٢ ص٥٠ ، التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ص ٩٤ ، كان ويكون جـ١ ص٧٢ بينما يذكر النديم فى مذكراته ان الاعانة مائة جنيه فقط .

انظر دكتور محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٥٢ وفى تصورنا ان النديم كتب ذلك بحكم السجع .

من ديوان المعارف بمكن زيادتها كلما احسنت الجمعيه اعتنايه بالأيتام والفقراء (١٥٩) ؛ كما تقرر احتساب مدد خدمة العاملين بالجمعية والمدرسة فى المعاش مما مكن النديم من استخدام مدرسين أفاضل من رجال المعارف (١٦٠) مع أنه كان محظورا على مدرسى المعارف فى ذلك الوقت التدريس بالمدارس الحرة (١٦١) وفى ٢٢ أغسطس ١٨٧٩ أقام النديم فى ساحة الجمعية محفلا للخطابة (١٦٢) وفى تلك الفترة أراد الخديو توفيق استغلال فكرة انشاء الجمعيات الخيرية والمدارس لخدمة سياسته وحتى يضمن ثناء أصحابها عليه وخصوصا بعد خلافه مع رياض باشا فدعا الوجهاء والأعيان الى الانضمام اليها (١٦٣) ، كما طلب أن يمتد لجمعية النديم فرع فى القاهرة فتأسست جمعيه المقاصة الخيرية فى سبتمبر ١٨٨٠ تحت رياسة « محمود سامى البارودى » (١٦٤) بهدف بث المعارف ونشرها بانشاء مدارس لتعليم الفنون والصنايع ومستشفى لمعالجة الفقراء المرضى بغير مقابل ومحل لدراسة العلوم والمذاكرة (١٦٥) فتسابق

---

(١٥٩) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود اعوج » وايضا الوقائع المصرية العدد ٩٤٢ فى ١٩ اكتوبر ١٨٨٠ مقال الشيخ محمد عبده السابق الذكر .

(١٦٠) عبد الله النديم : كان ويكون جا ص ٧٢ .

(١٦١) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة المعارف — محفظة رقم ١/٤ مجموعة رقم ١٧٨/١٣٧/٣/٢ معارف عمومية .

(١٦٢) انظر : الفصل الحادى عشر .

(١٦٣) العصر الجديد : العدد ٤٣ فى ٢٩ اكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « الجمعية الخيرية المصرية بالاسكندرية » .

(١٦٤) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٥٠ .

(١٦٥) دار المحفوظات العمومية — محفوظات الداخلية — محفظة رقم ٣٦ عين ٧٨ مخزن ٥٠ خطاب من رئيس مجلس ادارة جمعية المقاصد الخيرية الى رئيس مجلس النظار .

وبخصوص هذا الموضوع يمكن الرجوع ايضا الى دار الوثائق القومية معية سنية عربى — صادر افادات سجل رقم ٤٥٣٧١ ص ٣٠ .

عليها الأمراء والوجهاء وأقبل عليها العلماء والأغنيـــاء وباشرت أعمالها الخيرية من أجل نفع الوطن وأهله (١٦٦) .

وقد اســتفاد النـديم بذكاء من تعـارض الخـديو مع رياض فشجع كلا منهما على أن يتخذ من جمعيته وسيلة من وسائل الدعاية له حتى يتمكن من نشر دعوته عن طريق تأييدهما له فـدعا النـديم الخديو الى حضور مسرحيته « الوطن وطالع التوفيق » ورغم محاولات رياض عرقلة ذلك (١٦٧) فقـد نجح النديم فى عرض مسرحيتـه أمام الخـديو وكان لها أكبر الأثر فى النفـوس حيث نبهت الأنظـار الى العيوب الاجتماعية والسياسية وكانت لهجتها تشف عن الأسف لتقهقر البـلاد والظلم الواقع على كاهل النـاس حيث ينهب الـكبير الصغير ويقتل الغنى الفقير (١٦٨) .

وقد أعجب الخديو بالرواية وكان لها فى نفســه من حسن الموقع مابعثه الى دفع مبلغ مائة جنيه من ماله الخاص مساعدة للجمعية(١٦٩).

ولـما أوجس رياض خيفة من أفـكار النديم عزم على التخلص منه وهـدم جمعيته وذلك عن طريق اطلاق الشائعات المغرضـة ضده بهدف اخراجه من الجمعية ، ويتضح ذلك من قول النديم « وسوس

---

(١٦٦) العصر الجديد : العدد ٤١ فى ١٨ اكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « تقدم المصريين » .

(١٦٧) حاول رياض باشا تعطيل هذه المسرحية وبث أنصـاره من اجل احباطها فأخذوا يذيعون بين الناس أن تذاكر الدخول نفذت كما سعوا الى اغراء التلاميذ على الانقطاع عن المدرسة فى ذلك اليوم لتتعطل الرواية

التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٢ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٦٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر . الجزء الثانى ص ٣٤ تحت عنوان رواية الوطن ، جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية حـ ٤ ص ٨٠ .

(١٦٩) عبد الفتاح نديم . المرجع السابق الذكر حـ١ ص ٧٠ .

الى بعض الذوات من الأعضاء ، وجعلهم لى أعداء يعارضوننى فى كل مشروع ويتظاهرون على بغير المشروع لأضيق برجال أنسى وأترك الجمعية بنفسى » (١٧٠) .

ورغم كل ذلك فقد تحمس له الناس وتبارى الخطباء فى ابراز محاسن أعماله ومدحه فأطلقوا عليه « مؤسس الجمعيات » و « رائد الدعوة الى الاصلاح بالتعاون والتعليم والاتحاد » و « أول محب ساع فى الخير » (١٧١) و « فارس البلاغة » وظل النديم يداوم على العمل بالمدرسة بعقله وأعصابه ولكن أعوان رياض ضيقوا عليه الخناق وأثاروا على شهرته الحقد والحسد (١٧٢) وائتمروا على الايقاع به ، وساعدهم على ذلك « الرئيس العامل للجمعية » (١٧٣) فاجتمعوا ليأخذوا قرارا بفصله من ادارة المدرسة وعضوية الجمعية ولما أحس النديم بما قصدوا اليه فوت عليهم المكيدة وقدم اليهم استقالته قبل أن يقيلوه بحجة ضعف قواه على تحمل الأتعاب الحسية والآلام المعنوية بما لا يمكنه من ادارة المدرسة (١٧٤) .

وعلى غرار جمعية النديم تكون كثير من الجمعيات الخيرية اقتداء بجمعيته (١٧٥) حيث كان قد دعا فريقا من الأقباط الى تكوين

---

(١٧٠) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٥٥ .

(١٧١) للرجوع الى نص هذه الخطب : انظر التنكيت والتبكيت فى ١٠ ، ١٧ يوليو ١٨٨١ .

(١٧٢) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ٨١ ص ٥٠ تحت عنوان « اخطار الى كتبة المرجفين » .

(١٧٣) كان منصب الرئيس شرفيا ومتروكا لمحافظ الاسكندرية لذلك فالمقصود بالرئيس هو المحافظ .

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جا ص٧ .

(١٧٤) للرجوع الى نص خطاب الاستقالة أنظر : التنكيت والتبكيت: العدد السابع فى ٢٤ يوليو ١٨٨١ ص ١١٨ تحت عنوان « صورة ما كتب لسعادة الهمام احمد باشا رافت محافظ الاسكندرية ونائب عموم الجمعية الخيرية » .

(١٧٥) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ٨١ ص٧٤

جمعيه منهم تسير على نهج الجمعية الخيريه الاسلامية حتى يتوحد سير المسلمين والأقباط لأن الحقوق الوطنية لا تعرف الا عن طريق العلم [١٧٦] ولا تحفظ الا بتوحيد الكلمة والتآلف وتبادل الرأى الرأى فاستجابوا لدعوته وتأسست الجمعية الخيرية القبطية بالاسكندرية [١٧٧] ، وحضر النديم حفل التأسيس وخطب فيه مشيدا [١٧٨] بجهود المخلصين فى انشاء الجمعيات مناديا بالاتحاد والتآخى فأبدع وأجاد ونفع اخوانه وأفاد [١٧٩] .

وقد سارت هذه الجمعية على نهج جمعية النديم فافتتحت مدرسة لتعليم التلاميذ الفقراء [١٨٠] تسع مايقرب من أربعمائة طالب [١٨١] كما ناشد النديم الأغنياء بالاشتراك فى انشاء الجمعيات فقال : « يا ذوى الثروة هلا هزتكم أريحية الانسانية فجعلتم للجمعيات أثرا تذكرون به ، وتنازلتم عن بعض مستغلاتكم التى لا لاتفقركم ولا

---

(١٧٦) عبد الله النديم . كان ويكون جـ١ ص ٧٢ .

(١٧٧) اسسها بطرس غالى ١٨٨١ .
انظر جرجى زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٤ ص ٨٦ .
ولمزيد من التفاصيل عن اهداف هذه الجمعية وقانونها
أنظر : الوقائع المصرية فى ٤ يونية ١٨٨١ .

(١٧٨) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٥١ .

(١٧٩) اسكندرية العدد ١٥٦ فى ٨ يناير ١٨٨٢ تحت عنوان « الجمعية الخيرية القبطية » .

(١٨٠) دار الوثائق : محافظ مجلس الوزراء — الطوائف القبطية محفظة رقم (٣) وثيقة رقم (١) مذكرة من نظارة المعارف الى مجلس النظار بخصوص الجمعية الخيرية القبطية بالاسكندرية .
وعن هذا الموضوع انظر ايضا . دار المحفوظات — محفوظات الداخلية محفظة رقم ٣٨ ملف ٨٨ عين ١٥٠ مخزن ٥٠ .

(١٨١) دار الوثائق : محافظ مجلس الوزراء — الطوائف القبطية — محفظة رقم (٣) وثيقة رقم (٦) بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨٨٠ وأيضا العصر الجديد العدد ٤١ فى ١٨ اكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « تقدم المصريين » .

تلجئكم لبيع الأطبـاق الذهبية ولا الأسرة الفضية » (١٨٢) كما ذكرهم بأن اشتراكهم فى هـذه الجمعيـات ليس لمجرد رئاسة يبلغونهـا بل للمساعدة واعانة الفقراء لأن الأغنيـاء لو تولوا رئاسة المجامع الخيرية « أهانوا الفقراء وشتتوهم بعنفوانهم وتعاظمهم » (١٨٣) .

وقد نجحت دعوة النديم فى المنـاداة بانشاء الجمعيات فتسابق أبناء الوطن على انشاء الجمعيات اقتداء بجمعيته (١٨٤) فتكونت جمعية شبراخيت (١٨٥) من أعضـاء وطنيين قاموا بافتتـاح مدرسـة خيرية لتعليم الفقراء (١٨٦) كما تأسست جمعية الاخلاص بميت غمر (١٨٧)، وكان لخطاب النـديم فى حفل افتتـاحها ومناداته بافتتاح مدرستين أن استجاب العمد والأعيـان لطلبـه (١٨٨) وافتتحت جمعيـة خيرية بالمنصورة تحت اسم « جمعية الصنائع والفنون الخيرية » (١٨٩) لتأسيس المدارس العلمية ، وتوسيع نطاق الصنائع (١٩٠) ، كما اشترك النـديم

---

(١٨٢) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يوليو ١٨٨١ ص ٩٣ تحت عنوان « متى يستقيم الظل والعود أعوج » .

(١٨٣) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ص ٩٤ .

(١٨٤) التنكيت والتبكيت : العدد السادس فى ١٧ يولية ٨١ ص٩٥ تحت عنوان « ثمرة الاجتماع » .

(١٨٥) على الساحل الغربى من النيل بمديرية البحيرة — وهى قاعدة مركز شبراخيت القاموس الجغرافى جـ ٢ القسم الثانى ص ٣٠٧ .

(١٨٦) العصر الجديد : العدد ٤١ فى ١٨ أكتوبر ١٨٨٠ تحت عنوان « تقدم المصريين » .

(١٨٧) الأهرام العدد ١١٧٧ فى ١٣ اغسطس ١٨٨١ .

(١٨٨) الأهرام : العدد ١١٧٧ فى ١٣ اغسطس ١٨٨١ .

(١٨٩) العصر الجديد : العدد ٨٠ فى ٢٤ أغسطس ١٨٨١ « اعلان من جمعية الصنائع والفنون الخيرية بالمنصورة » .

(١٩٠) الأهرام العدد ١١٧٨ فى ١٦ أغسطس ١٨٨١ .

فى عضويه « جمعية التوفيق الخيرى » (١٩١) التىتأسست بالقاهرة(١٩٢). وأقام احتفالا خاصا بمناسبة تأسيسها فى الجمعية الخيرية الاسلامية خطب فيه مشيدا بتأسيس الجمعيات « فأحسن وأجاد وأطرب وأغرب وأعرب وأفاد » (١٦٣) كما اشترك النديم فى احتفالات الجمعية بالقاهرة حيث ألقى خطبة افتتاحية ، وتلاه آخرون ثم قام وألقىخطبة بـ ينفيها ثمرةالاتحاد ومضرة التحاسد(١٩٤) والتنافر ، وحث على التعاون لمساعدة الفقراء والأرامل والأيتام ونشر المعارف ولما دعا النديم الأقباط لانشاء المزيد من الجمعيات استجابوا لدعوته وافتتحت « جمعية المساعى الخيرية القبطية » كما افتتحت الجمعية الخيريةالقبطية بالفيوم (١٩٥) . وقد حضر النديم حفل افتتاح « جمعية المساعى الخيرية القبطية ، وقام خطيبا فى الحاضرين مشيدا بالوحدة الوطنية » فأفصح وأجاد وتفنن فى المواضيع ذاهبا فيها مذهب الجد تارة ومذهب الهزل تارة أخرى (١٩٦) ، وبجانب

---

(١٩١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الجمعية . انظر الأهرام العدد ١٢٢٦ بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٨٨١ تحت عنوان « جمعية التوفيق الخيرى وتذكر جريدة المحروسة فى العدد ١٣٨٨ بتاريخ ٨ ابريل ١٨٨٦. أن الأمير عباس حلمى كان رئيسا لهذه الجمعية وانه حدث بها انشقاق ادى الى اغلاقها ايام العرابيين » .

(١٩٢) كان منزل الجمعية بدايرة باب اللوق بجوار حنفية الميـاه اسكندرية العدد ١٤١ فى ٤ اغسطس ١٨٨١ تحت عنوان « اعلان من جمعية التطبيق الخيرى بمصر » .

(١٩٣) اسكندرية عدد ١٥٦ فى ٨ينايرِ ١٨٨٢ تحتعنوان « الجمعية الخيرية الاسلامية » .

(١٩٤) اسكندرية : عدد ١٥٧ فى ١٥ يناير ١٨٨٢ من عنوان « جمعية التوفيق الخيرية » .

(١٩٥) لمزيد من التفاصيل عن تأسيس هذه الجمعية واهدافها يمكن الرجوع الى دار المحفوظات فى محافظ الداخلية — محفظة رقم ٣٨ ملف ٨ عين ١٥٠ مخزن ٥٠ .

(١٩٦) مصر : العدد ١٧٨٥ بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٨١ تحت عنوان جمعية المساعى الخيرية القبطية » .

دعوة النديم الى انشاء الجمعيات الخيرية نادى بتكوين بنك قومى تساهم فيه الحكومة وأغنياء المصريين لتسهيل عملية توصيل الحجاج الى البلاد المقدسة بدلا من قيام الأجانب بهذا العمل (١٩٧) .

رابعا — فكر النديم فى اصلاح المهن والحرف :

لما كانت المهن والحرف فى مصر قد بلغت حالة شديدة من التدهور وخصوصا بعد أن تعرض الاقتصاد القومى الى الغزو الاقتصادى الأوربى وأصبحت موارد البلاد ضمانا للوفاء بالتزاماتها تجاه الدول الكبرى وأهملت الخدمات العامة الواجبة على الحكومة ازاء الشعب فقد نادى النديم باصلاح المهن والحرف ووقف تدهورها ومد يد العون لها ، كما قدم المقترحات والحلول اللازمة لاصلاحها وناشد أولى الأمر للاهتمام بها وسنخصص دراستنا فى هذا الفصل على مهنة المحاماة وما ذكر النديم من حلول لاصلاحها كمثال لفكرة عن اصلاح المهن ، وعن الصناعة والصناع والفلاحة والفلاح كمثال على اضمحلال الحرف .

(أ) النديم ومطالبته بتنظيم مهنة المحاماة

نادى النديم بتنظيم مهنة المحاماة حيث كانت حرة ليس لها من النظام الا قواعد أولية (١٩٨) ، ولهذا دخلها كثير من مدعى العلم بفن المرافعات وسموا أنفسهم (افوكاتيه) وأغلبهم من صنف الكتاب الذين رفتوا بجنايات قبيحة (١٩٩) وارتياد كثير من الأفاقين الأجانب

---

(١٩٧) الطائف نقلا عن
Parliamentary Papers No. 7 (1882) . P. 56.
من سير ادوارد مالت الى ايرل جرانفيل فى ٦ مارس ١٨٨٢ .

(١٩٨) احمد فتحى زغلول : المحاماة . القاهرة — مطبعة المعارف ١٩٠٠ ص ٢٤٩ .

(١٩٩) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١م ص ١٨٨ مقال بعنوان « نهاية الصداقة » .

لهذه المهنة دون مؤهلات قانونيـــة أو جداره مستغلين جهل الفـــلاحين الذين انكبوا عليهم يوسطونهم فى دعاواهم ويدفعون لهم الـــكثير من النقود نظير الأتعاب وربمـــا يبيع الفـــلاح حلق مراته [٢٠٠] أو أثاث بيته من أجل ذلك ثم ترفض دعواه لجهل الأفوكاتو وعـــدم معرفتـــه للقوانين مما أدى الى تأخر القضـــاء وانحطاط شأن المحـــامين [٢٠١] وتأصل العـــادات السيئة والأخلاق غير الحميدة فيهم [٢٠٢] .

رأى النديم أن السبيل لاصـــلاح مهنة المحاماة لا يتم الا عن طريق تلقين الحقانيـــة فن الترافع لبعض الشبان الأذكياء ثم تمتحنهم بعد ذلك فمن نجح رخصت له بالترافع وأعطتـــه رخصة بيده بحيث لا يقبل توكيل من لم يرخص له [٢٠٣] وطالب الشبان المصريين باتقان فن الترافع حتى لا يســـتغل الأجانب مواطنيهم وضرب مثـــالا على ابتزاز مدعى الأفوكاتيه من الأجانب لأموال الفـــلاحين واثرائهم ثراء فاحشا دون وجـــه حق ، فقـــال قدم أحد الشبان من أهل رومية الى مصر واشتغل بصـــنعة الترافع الأفوكاتية ، ورغم أنه قـــدم فقـــيرا فقـــد غنم فى سبع ســـنوات من العمل فى هـــذه المهنـــة مبلغ خمسة وثلاثين ألف جنيه بعد حذف مصاريفـــه الشخصية [٢٠٤] وقـــد لقيت فـــكرة النديم عن اصـــلاح المحاماة صـــدى طيبا فى دوائر الحكومة فنظمت مهنة المحاماة والقضاء [٢٠٥] .

---

(٢٠٠) التنكيت والتبكيت : العدد الثامن فى ٣١ يوليو ١٨٨١ ص١٣٤ تحت عنوان « افوكاتو جاهل لم يحسن وضع اسمه وفلاح مغفل » .

(٢٠١) أحمد فتحى زغلول : المرجع السابق الذكر ص ٣٠١ .

(٢٠٢) نفســـه ص ٣٠٥ .

(٢٠٣) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ١٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٨٨ مقال بعنوان « نهاية الصداغة » .

(٢٠٤) التنكيت والتبكيت : العدد السابق الذكر ص ١٩٢ .

(٢٠٥) الوقائع المصرية فى ١٨٨٢/١/٢٥ .

(ب) فكر النديم عن اصلاح الصناعة

بعد ضرب الثورة العرابية واحتلال بريطانيا لمصر قامت انجلترا بتحويل البلاد الى مزرعة كبيرة لانتاج القطن لمصانع الغزل والنسيج بها ، وتمكنت من عرقلة انشاء أى صناعات حقيقية فى البلاد حتى تصبح سوقا تصرف فيها بضائعها الزائدة كما ساعدت على انحطاط الصناعات الحرفية وتضاؤل شأنها بل وأقامت على انقاض دكاكين أصحاب هذه الصناعات والحرف المقاهى والحوانيت المكتظة بالبضائع الأوربية (٢٠٦) .

نادى النديم باصلاح أحوال الصناعات المصرية بعدما حدث لها من الاضمحلال والتقهقر حتى « أمست فى زوايا النسيان مسدولا عليها حجاب الاهمال بين غالب الوطنيين » (٢٠٧) وحذر أبناء الوطن بأن اهمال الصناعة الوطنية (٢٠٨) يؤدى الى موتها منتقدا الأغنياء لتشجيعهم الصناعات الأجنبية واستخدامهم المصنوعات الأوربية حتى أماتوا الصنعة المصرية والصناع وحولوا ما كان بيد أبناء الوطن من الصناع الى الأجانب (٢٠٩) وجعلوا أوربا تدعى بأننا فى حاجة الى مصنوعاتها لأننا لانحسن صناعة الأثاث واللباس حتى تمكن الأوربيون من ادخال مصنوعاتهم الى بلادنا (٢١٠) طالب النديم بنشر

---

(٢٠٦) عبد المنعم الغزالى : تاريخ الحركة النقابية المصرية ١٨٩٩ — ١٩٥٢ القاهرة — دار الثقافة الجديدة الطبعة الأولى ١٩٦٨ ص ٥ .

(٢٠٧) الأستاذ : العدد السادس والثلاثون فى ٢ مايو ١٨٩٣ ص ٨٧٤ — ٨٧٥ تحت عنوان « الصنائع والصناع » .

(٢٠٨) عن هذه الصناعة انظر : ادوارد وليم لين . المرجع السابق الذكر ص ٢٢٨ — ٢٣٧ .

(٢٠٩) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ اغسطس ١٨٩٢ ص ١٣ تحت عنوان « فصل فى الأخلاق والعادات » .

(٢١٠) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ٢٧ يناير ١٨٩٣ ص ٥٠٨ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

المصنوعات الوطنيــه وتشجيعها لأنه « لا دوله الا بالرجال ولا رجال الا بالمال، ولا مال الا بتقدم الصناعة والفلاحة[٢١١] كما طالب بمقاطعة الصناعات الأجنبيــة فقال « لا تلبس الا من صنعة بلادك أى ما كان من غرسها أو أصــواف وأوبار حيوانها مشغولا بمعرفة الوطن مخيطا بيــده مبيعا فى دكانه لتحفظ ثروة البــلاد وتزيد من عمرانها وقــوة حاكمها فان من ترك الصــناعة واستعمل المشــغول فى غــير بلده كان كالأجير الذى يشتغل لغيره فيرفع الحجر ويحمل الطين ويبنى حتى يرفع بيتا جميلا ليسكنه مستأجــره » [٢١٢] وحــذر من اماتة الصــناعات الوطنيــة والصناع حتى لا يجعلوا الوطن محتــاجا دائما للغير [٢١٣] كما حاول بث روح النخوة فى نفوس أبنــاء وطنــه قائلا لهم « كفاكم من العــار فقد الثقة فيكم وعــدم الركون اليكم فى أعمال وطنكم .. كفاكم أن أشغالــكم وأمتعتكم وأثاثكم يقدمها اليكم الغربى ويستنزف بها ثروة بلادكم وأنتم لا تشعرون » [٢١٤] .

وفى مقال بعنوان « المرافعــة الوطنية » صور النــديم الوطن وهو يرفع دعوى على أبنائه فى محكمة سماها محكمة الحقوق اتهمهم فيها بالجمود حيث أنهم لم يؤدوا له حقوقه الشرعيــة التى أوجبهــا عليهم شرع الوطنيــة فانهمكوا على شراء المصنوعات الأوربية وتقليد

---

(٢١١) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص ٢٦ تحت عنوان « جواب عن سؤال » والجدير بالذكر أن النديم اقتبس هذا التعبير من كلمات رفاعة الطهطاوى « لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة » .

انظر . رفاعة الطهطاوى : تخليص الابريز ص ١٤٠ .

(٢١٢) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع عشر فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ ص ٢١٩ تحت عنوان « درس تهذيبى — التلميذ ونديم » .

(٢١٣) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ص ١٣ تحت عنوان « فصل فى الأخلاق والعادات » .

(٢١٤) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يوليو ١٨٨١ تحت عنوان « النجم ذو الذنب » ص ٧١ .

الأجانب بقوله « أبنـائى سائرون خلف أهوائهم فجاءوهم بالمحسنات والمشتهيات وعرضـوها عليهم فانكبوا عليها شراء واقتنـاء حتى فرغ ما بأيديهم من المـال.» (٢١٥) كما وصـف الوطن أبنـاءه بالخروج عن حد الأدب والجهـالة وميلهم الى الشهوات فقال : « انتهى الأمر عن حد الأدب والجهالة وميلهم الى الشهوات فقال : « انتهى الأمر ببيع المرتهن على ماأخذوه ». فوضع الغير يده على مااستحقه بجهالة أبنائى وخروجهم عن حد الأدب وميلهم الى الشهوات من غير نظر للعواقب (٢١٦) « واستمرت المرافعة وانتهت بحث أبناء الوطن على تشجيع الصناعة الوطنية واستغناء عن المصنوعات الأجنبية . كما ذكر النديم أبناء الوطن أن الطريق الصحيح لاحيـاء الصناعات الوطنيـة هو انشاء الشركات المساهمة التى تزيد ثروة البـلاد واقترح أن يجتمع عدد من الشبان ويفتحون صـندوق اقتصـاد يكون من شأنه أن يقبل السهام ليشتغل بها فى الصـناعة الحاضرة بشرط أن يتعاهد كل المسـاهمين على أن لا يشترى شـيئا من مثل المشغول فى سهامه من الأجنبى أبدا ثم تبدأ جمعية السهام بتشغيل أصناف البنطلون والسترة والقميص الأفرنكى والجزمة وغير ذلك من الضروريات بحيث لا تستعمل فيـه الا أهـل البلاد فيكون المساهم قـد ربح كسب السهام واحيـاء الصناعة وفتح بيوت الصـناع وزيادة ثروة البـلاد » (٢١٧) وعنـدما حاول بعض الأنجليز المثلون لنقابة لنـدن تأسيس مشروع لغزل القطن فى مصر هاجم النـديم هـذا المشروع واعتبره ضربة الصناعات الوطنية (٢١٨) كما طالب النـديم أبنـاء وطنه بالاطلاع على تواريخ الأمم وأحوالها ليتعلموا أسـباب تقدمها أو تأخرها وطرق المعـاملات فيها حتى يرى

---

(٢١٥) الأستاذ : العدد الخامس فى ٢٠ سبتمبر ١٨٩٢ ص ٩٧ .

(٢١٦) الأستاذ : العدد الخامس فى ٢٠ سبتمبر ١٨٩٢ ص ١٠٠ .

(٢١٧) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع عشر فى ١٨ سبتمبر ١٨٨١ ص ٢١٩ تحت عنوان « درس تهذيبى ـ التلميذ ونديم »

(218) The Times : London, Mars, 1893.

أن الأجنبى لا يشترى ما يلزمه الا من أجنبى مثله تشجيعا له ورواجا لصناعة بلاده فيقتدى به ولا يمكن الغريب من ثروة بلاده ، ويشجع صناعة أبناء وطنه (٢١٩) .

ولما قام بعض الشبان المصريين بمقاطعة المصنوعات الأجنبية والاعتماد على مصنوعات بلادهم المحلية شكر لهم النديم حسن صنيعهم وطالب أبناء الوطن وخصوصا الأغنياء بالاقتداء بهؤلاء « الوطنيين فى تزيين بيوتهم بمصنوعات بلادهم ، وبذلك يحيون ألوفا من الصناع ، ويفتحون بيوتا قفلها موت صناعة أهلها » (٢٢٠) . كما ذكر أن أسباب تقدم الصناعة فى أوربا هو الكفاح العلمى واحكام وسائل الحياة فى جميع نواحيها فقال « لو نظرنا الى حالة أوربا من جهة الصنائع لرأيناها كل يوم فى تقدم باهر ، ونرى السياسيين وأصحاب الثروة يشتغلون بأنفسهم لتقدمها ويساعدون بأموالهم لنجاحها » (٢٢١) . ولتنظيم أحوال العمال اقترح النديم أن تعقد جمعية لكل طائفة من العمال للنظر فى شئون أفرادها وتوزيع الأعمال بينهم على أن يفرض مبلغ ضئيل من المال على كل صانع بصفة سهم يدفعه على قدر اقتداره بحيث توضع هذه المبالغ فى صندوق تدار منه الأعمال ثم توزع الأرباح على أصحاب الأسهم بعد أن يحجز من كل صانع جزءا يضيفه لسهامه حتى يصبح ذا ثروة من حيث لا يشعر » (٢٢٢) كما طالب بترك التحاسد والتباغض.

---

(٢١٩) التنكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ اغسطس ١٨٨١ ص ١٧١ تحت عنوان « التجارة البائرة » .

(٢٢٠) الأستاذ فى ٤ أكتوبر ١٨٩٢ تحت عنوان « بضاعتنا ردت الينا » .

(٢٢١) الأستاذ : العدد السادس والثلاثون فى ٣ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان « الصنائع والصناع » ص ٨٥٤ .

(٢٢٢) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص ٢٦ تحت عنوان « جواب عن سؤال » .

بين أصحاب المهنة الواحده حتى لا تموت الصنائع واقترح على النبهاء اطلاع أهل الصناعة على محتويات الجرائد التى يقرأونها حتى يروا مدى تقدم صناع أوربا وطرق اجتهادهم فى زيادة الثروة لأن ذهن الصانع المصرى كامل التيقظ « ولا ينبه بأكثر من الاشارة » (٢٢٣) كما حث الحكومة على مساعدة الصناع حتى تظهر الصنائع الى الوجود وحذر من أنه اذا لم يحدث ذلك فان أهل الصناعة سيصبحون خدما للمتمولين وتضيع الصناعة وتفقد الثروة ويختل نظام الأحوال الاجتماعية (٢٢٤) وطالب بتكوين بنك قومى (٢٢٥) لمساعدة الصناع ومساندة الصناعة الوطنية وحمايتها بحيث يتكفل بمساعدة أصحاب الصنائع الموجودة بتقديم السلف اللازمة واستحضار ما يلزمهم من الآلات والمخترعات الحديثة وليكون وسيلة للتخلص من سيطرة الأجانب على الاقتصاد المصرى ومرافق البلاد (٢٢٦) وهكذا دعا

---

(٢٢٣) التنكيت والتبكيت : المقال السابق الذكر ص ٢٧ .

(٢٢٤) نفسه .

(٢٢٥) الطائف .

وأيضا Blue Books, Egypt No 27.

تلغراف من مالت الى جرانفل بتاريخ ٢٧ فبراير ١٨٨٢ كما برزت هذه الفكرة وسط أعضاء جمعية الشبان بالاسكندرية والتى كان النديم من أبرز المشجعين على تكوينها .

انظر : جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٤ ص ٩١ .

(٢٢٦) شارك بعض الكتاب النديم فى الدعوة لذلك فدعا سليم النقاش فى المحروسة الى الاسراع فى انشاء هذا البنك لأن « البلد التى تفقد استقلالها الاقتصادى لا يمكن أن يكون لها استقلال سياسى » ونادى أديب اسحق بتكوين بنك وطنى لمساعدة الفلاح « من مخالب المرابى لرفع الدين عن عاتقه الى غير ذلك من الحسنات » مصر فى ١٥ مارس ١٨٨٢ تحت عنوان « مشروع بنك وطنى مصرى » وطالب ميخائيل عبد السيد بانشاء شركات وطنية لأنها « أعظم الوسائل التى أوصلت ممالك أوربا الى الثروة . الوطن فى ١٢ نوفمبر ١٨٨٠ كما دعا الى انشاء بنك وطنى

النديم الى اصلاح أحوال الصناعة والصناع وحذر من اهمال ذلك وطالب بتشجيع المصنوعات الوطنية بإنشاء الشركات الوطنية والاقتباس من أفكار الغرب كما طالب بتنظيم أحوال العمال وعقد جمعية لكل طائفة منهم وإنشاء بنك قومى لمساعدتهم وتقديم السلف اللازمة لهم وشراء الآلات الجديثة للنهوض بالصناعة ثم دعا الى حماية المصنوعات الوطنية من منافسة المصنوعات الأوربية بعمل ما يسمى اليوم بالحماية الجمركية كما طالب بمقاطعة المصنوعات الأجنبية .

وهكذا وضع النديم أفكارا وأسسا جديدة لاصلاح أحوال الصناعة والصناع قبل أن يضع محمد فريد أساس حركة النقابات فى مصر [٢٢٧] .

(ج) النديم والفلاح

يمكن تعريف الفلاح المصرى بأنه من الفئة الاجتماعية التى لا عمل لها سوى الزراعة ، والتى تمثل ركنا أساسيا من أركان الحياة المصرية على مر عصورها حيث كان يمثل عماد الثروة البشرية ، ولا يزال أمره حتى الآن[٢٢٨] ومع ذلك فانه لم يلق العناية والاهتمام

=
نديره الحكومة « ليعرض على الفلاحين السلف بفوائد مناسبة » الوطن فى ٣٠ يوليو ١٨٩٢ تحت عنوان « البنك المصرى » .

وكتب حسن الشمسى فى المفيد داعيا لانشاء بنك وطنى لمساعدة الفلاح الذى يتحكم فيه السمسار « تحكم السيد فى مملوكه وينتقم منه ما شاء ويكتب عليه ما اراد من الأمور » .

المفيد فى ٢٣ يناير ١٨٨٢ تحت عنوان « الفلاح » .

(٢٢٧) عبد المنعم الغزالى : المرجع السابق الذكر ص ٣٣ .

(٢٢٨) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : مجموعة ابحاث القيت عام ١٩٧٠ تحت عنوان « الأرض والفلاح على مر العصور » مقال للدكتور عبد العزيز صالح بعنوان « الأرض والفلاح فى مصر الفرعونية » ص ١٧ .

والرعاية التى كانت تعطى للأرض بل اعتبر اداة للانتاج يعتصر جهده حتى يستخرج من الأرض أقصى ماتستجيب له ثم لا يصيب من بعد ذلك كله الا الكفاف (٢٢٩) وقد تحمل الفلاح المصرى على مر العصور المتاعب صابرا (٢٣٠) ، ورزح تحت ألوان شتى من المظالم وقد بلغ من احتقار بعض الحكام له أن كانت كلمة فلاح سبة تطلق على الجاهل والبائس والمتوحش والأبله (٢٣١) ، كما كانوا يعتقدون أن الفلاح لا يصلحه الا الضرب •• وأن غاية ما ينتهى اليه أمره من رفع الألم عنه أن يعلو صياحه استغاثة بالمشايخ والأولياء(٢٣٢) وقد بلغ من احتقار أسرة محمد على للمصريين الخلص أن كانوا يطلقون عليهم اسم الفلاحين من باب التندر والاحتقار (٢٣٣) ، وزادت متاعب الفلاح فى عصر اسماعيل حيث لاقى الكثير من العذاب والضرب بالسياط أثناء السخرة وجمع الضرائب مما جعل

---

(٢٢٩) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : مجموعة الأبحاث السابقة مقال للدكتور احمد عزت عبد الكريم بعنوان « الأرض والفلاح فى مصر » ص ٤ .

(230) Kassem Amin · Les Egyptiens P 13.

كما كتب يعقوب صنوع الفلاح المصرى بأبو الغلب د. ابراهيم عبده: ابو نظاره ص ٥٥ .

(٢٣١) احمد امين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص ٣١٠ — ٣١١ ، ودكتور محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص ٣٣ .

(٢٣٢) محمد المويلحى : حديث عيسى بن هشام ص ١٦ .

(٢٣٣) د. احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصريه ص١٧ ويذكر عرابى ان لفظ فلاحين اطلق على أهل البلاد اذلالا لهم .

انظر : محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى كما ترددت الأمثال التى توضح استحالة مساواة الفلاح مع أهل السلطه مثل « ان طلع من الخشب باشه يطلع من الفلاح باشا ، عمر الفلاح ان فلح » ، « ربنا ما ساوانا الا فى الموت » .

ولمزيد من الأمثال انظر : احمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى القاهرة : الطبعة الثانية ١٩٥٥ — مكتبة النهضة العربية ص ٦٣ .

بعضهم يضطر الى ترك أرضه فرارا من هذا العذاب (٢٣٤). ، وقد عبر جمال الدين الأفغاني عما يلاقيه الفلاح من مظالم فى خطاب له بقوله : « أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت ماتسد به الرمق وتقوم بأود العيال لماذا لا تشق قلب ظالميك ؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك » (٢٣٥) وتحدث يعقوب صنوع عن ضرورة اصلاح أحوال الفلاح حتى تتحسن أحوال البلاد فقال : « ان أردت أن تصلح أحوال القطر ينبغى عليك أن تراعى الفلاح وتكون معينا له وتسلفه فلوس من طرف الحكومة بفوايظ خفيفة يشترى بها مواشى وبذره فتنجح الزراعة وينتج بها غناوة البر » (٢٣٦) كما أوضح الشيخ محمد عبده ذلك بقوله : « كان أهالى بلادنا محملين من الأثقال النقدية مالا يطيقون من ضرائب على الأراضى متنوعة متكثرة تتجدد على الدوام ، بتجدد الأشهر والأعوام وجرائم تفرض على الأنفس وتوابعها من غير نظام » (٢٣٧).لقد أحس النديم بالمظالم الواقعة على أبناء شعبه من الفلاحين أكثر من غيره من الكتاب والمفكرين حيث كان قد جرب الكثير من شئون الحياة المصرية ، وعرف حلوها ومرها ، وخالط الفقراء والأغنياء وامتزج بالفلاحين ويتضح ذلك من قوله « خالطت الأمراء وداخلت الحكام وعاشرت أعيان البلاد ، وامتزجت برجال الصناعة والفلاحة والمهن الصغيرة وأدركت ما هم فيه من الجهالة ومم يتألمون وماذا يرجون » (٢٣٨) وصور بؤسهم وما يلاقونه فى السخرة من العذاب

---

(٢٣٤) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن حـ١ ص٢٩ .

(٢٣٥) فيليب طرازى : تاريخ الصحافة المصريه حـ٢ص٢٩٥ ، عثمان أمين رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده ص ٢٠٢ .

(٢٣٦) ابى نظارة زرقاء : العدد ٢٧ فى ١١ نوفمبر ١٨٧٩ .

(٢٣٧) الوقائع المصرية : العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ تحت عنوان « حب الفقر او سفه الفلاح » محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام حـ٢ ص٥٦ .

(٢٣٨) عبد الله النديم : كان ويكون حـ١ ص ١٠ .

المهين ، كما صور الطريقة التى سبع معهم انثاء تحصيل الضرائب فكتب سلسله من المقالات تحت عنوان « مصر واسماعيل باشا »[٢٣٩] تحدث فيها عن الأحداث كما رآها وسمع بها بصراحه شديدة فذكر الضرائب التى ابتدعها الخديو اسماعيل بقوله : « اخترع من الاقلام مالا تتصوره الأوهام مثل العوايد الشخصية ، وعوايد الحمير والخيل والعربات والأغنام ونزح المراحيض ورسم الزواج والطلاق ودخولية الأبقار والأغنام والأسمان والألبان والاصواف والأوبار والحبوب والخضار والفواكه والحطب والقش والجله وذبل الحمام والسهام والمقابلة والمصلح (الملح) تحت ستة وسبعين جنسا تحتها أنواع كثيرة لا تدع صغيرة من المظالم ولا كبيرة [٢٤٠] كما كتب مقالا تحت عنوان « سلب الأملاك من الملاك » [٢٤١] وصف فيه الخديو اسماعيل بأنه يتلذذ بأنين المظلومين وحنينهم وتضرعهم وتأوههم كما ذكر أنه سلب من الأراضى الزراعية ما يزيد على مليون فدان [٢٤٢] وان رجاله يسرقون الولد والوالد للعمل بها لا يفرق فى ذلك بين ذكر أو أنثى وعن جباة الضرائب والطرق الوحشية التى يتبعونها والتى تقشعر لها الأبدان ، وهى طرق الضرب بالسياط والاذلال والاهانة ذكر أن المدير أو الوكيل اذا نزل ببلد لتحصيل الضرائب طلب أهاليها واحدا بعد واحد فمن دفع ما عليه لجانب الحكومة منضما الى ماعليه لشخص الحاكم نجا من عذاب اليم ، ومن قصرت يده القى على الأرض وضرب بالسياط والكرابيج حتى يقضى عليه فيموت أو يبقى حيا فيودع فى ظلمات السجون بعد الهجوم على منزله وتفتيشه

---

(٢٣٩) الطائف فى ١٨٨٢/٤/٢٩ .

(٢٤٠) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ص٣٧ .

(٢٤١) الطائف .

(٢٤٢) ذكر دايسى ان اسماعيل اراد ان يجعل من مصر مزرعة يكون هو فيها المالك الوحيد ، ولقد سيطرت عليه فكرة امتلاك جميع اراضى مصر ، واستغلالها لكى تعود عليه بالربح الوفير .
Dicey : The Story of the Khedivate P. 70.

وأخذ ما فيــه من ثمرات الزراعــة وغــذاء الأبنـــاء (٢٤٣) كما ذكر النــديم أنه رأى ببلده (نجير) (٢٤٤) احــدى قرى مديرية الدقهلية امرأة فر زوجها من الحبس فطلبت أمام وكيل المــديرية وهناك ضربت على كتفيها ثمانين كرباج ثم ألقيت على الأرض وضربت على صدرها ثلاثين كرباجا ، حتى تعترف بمكان زوجها ولمـــا ذكرت أنها لا تعلم عنه شــيئا أمر الحـــاكم بضربها حتى ماتت ، ويذكر النديم أنه لمـــا سأل الصراف عن المطلوب من زوج هذه المرأة اتضح أنه ٤٥ قرشا(٢٤٥)

وقد ذكر النديم روايه أخرى توضح مدى ظلم جبـــاة الضرائب وعدم مراعاتهم لأبسط النواحى الانسانيه فقال : « شاهدت القواصين وجبـــاه الضرائب يعترضـــون جنـــازة فى أحد الشوارع ثم تتقـــدم أحد القواصين وأمر بانزال النعش من فوق أكتاف المشيعين حتى تدفع الضريبة التى كانت مستحقة على الميت فصاح المشيعون لعنه الله على الخديو فى كل كتاب ، وأخيرا دفعت الشهامة أحد المشيعين فأعطـــاهم الضريبة وكانت ستة قروش » (٢٤٦) .

وكما تحدث النـــديم عن جبـــاة الضرائب ومدى قســـوتهم مع

---

(٢٤٣) الطـــائف فى ١٨٨٢/٤/٢٩ تحت عنوان « الضرائب وطرق تحصيلها » .

(٢٤٤) من أعمال الدقهلية ــ تابعة لمركز دكرنس وتــكون مع قرية ميت شداد ناحية مالية واحدة : باسم بخيرومية شداد .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية .
الجزء الأول ــ القسم الثانى ص ٢٣٨ .

(٢٤٥) الطـــائف فى ١٨٨٢/٤/٢٩ تحت عنوان « الضرائب وطرق تحصيلها » .

(٢٤٦) الطائف فى ١٨٨٢/٤/٢٩ .
كما ذكر النـــديم فى مجال آخر ان الرجل كان يقتل بسبب عشرين قضه ويشنق بسبب غضب المدير او المامور وتنهب مزارعه وماشيته وتصدر ضده الأحكام حسب مايتراءى للحاكم .
انظر : ســـلافة النديم جـ٢ ص ٦٣ .

الفلاحين نحدث أيضا عن السخره التى كانت سائده فى ذلك الوقت(٢٤٧) حيث كان الفلاحون يسخرون للعمل فى أراضى الخديو وأتباعه بدون أجر بل كانوا يرغمون على احضار مأكولاتهم وأدوات زراعتهم معه ومع ذلك كانوا يتعرضون للضرب بالكرباج أثناء العمل فذكر أنه رى ألوفا من الأهالى جمعوا من المديريات لحفر رياح الخطاطبه حتى تسقى مزارع الخديو ، ولما أحس الملاحظون ان البرنس حسين باشا مفتش الوجه البحرى سيفاجئهم للتفتيش هرعوا الى قطع الغصون الغليظه من الأشجار ، ونزلوا بها على أجسام الفعلة العاريه حتى أصبح لا يظهر من هذه الأجسام الملطخة بالطين سوى مواضع السياط ، وحتى أصبح لايسمع الا الأنات والصراخ والنحيب، وكلما مر البرنس على مدير ورأى الأنفار تقع على الصخور وتغرق فى الوحل ، وتضرب على الوجوه قال للمدير (افرين ! افرين !) أى برافو برافو ! كلما انتهت الزيارة كان عدد الموتى قد بلغ الثلاثين بين مضروب بالسياط وغريق فى الوحل (٢٤٨) .

لقد هال النديم أن يرى الفلاحين يقعون تحت هذه المظالم الوبيلة وانطبعت فى نفسه صورة التعذيب التى يلاقيها الفلاح ، فدافع عنه على صفحات جرائده ، وهاجم الذين أهدروا آدميته وسلبوه حقوقه ، وامتصوا ثروته فطاف بعض البلدان مثل دمياط والرحمانية ودسوق وزفتى والمنصورة وميت غمر (٢٤٩) وجلس مع الفلاحين يبين لهم حقوقهم ويحرضهم على الوقوف فى وجه الظلم الواقع على كواهلهم ويقارن لهم بين حياتهم التعسة وما يلاقونه من شقاء وحياة الأغنياء الذين يمتصون أموالهم ويبعثرونها على ملاذهم وترفهم (٢٥٠)

---

(٢٤٧) سلافه النديم حـ٢ ص ٦٣ .

(٢٤٨) الطائف فى ٦ مايو ١٨٨٢ .

(٢٤٩) التنكيت والتبكيت : صفحات ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(٢٥٠) التنكيت والتبكيت : العدد العاشر فى ١٥ اغسطس ١٨٨١ .

وناشدهم بتثقيف أنفسهم حتى يعرفوا حقوقهم ويمنعون استغلال الأجانب لهم فقال : « لو تعلم الفلاح وعرف هيئة البلاد وما هي عليه من ثروة وعزة وخسة وغيرها لنظر لهذا الغريب بعين المعرفة وعامله بما تقتضيه طبيعة بلاده » (٢٥١) ، ولما نادى « حسن الشمسي » و « أديب اسحق » بانشاء بنك وطني لمساعدة الفلاح وانتشاله من مخالب المرابي لدفع الدين عن عاتقه (٢٥٢) أيد النديم المشروع على صفحات جريدة الطائف (٢٥٣) كما طالب أبناء وطنه بأن يتنبهوا ويفيقوا حتى لا تتحول ثروتهم الى الأجانب (٢٥٤) وناشد الأغنياء معاملة الفلاحين بما يتناسب وتقدير المتاعب التي يلاقونها من أجلهم فقال مخاطبا لهم : « تعال فانظر الى سلم رفعتك ؛ ومعدن حياتك ونبع ثروتك أخيك — استغفر الله — خادمك الفلاح . أنظر الى ثوبه المهلهل ولبدته التي لا تستر يافوخه ورغيفه الذي لا تكسره قوتك ومشه الذي تعاف النظر اليه ، وارقبه وهو يسقي الزرع والطين الى فخذيه ، والشمس تشوي وجهه وجسمه ، ويقطع يومه في عذاب وعمل ، فهو صاحب الفضل عليك ، وأنت لا تنظره الا بعين المقت ولا تعامله الا بيد الاهانة ولسان السب مستقبحا صورة عنونت بفلاح (٢٥٥) » كما طالب بالغاء السخرة وتحرير الفلاح من

---

(٢٥١) التنكيت والتبكيت : العدد الحادي عشر في ٢١ اغسطس ١٨٨١ ص ١٧٧ .

(٢٥٢) المفيد في ٢٣ يناير ١٨٨٢ تحت عنوان « الفلاح » ، جريدة مصر العدد الثاني عشر في ١٥ مارس ١٨٨٢ تحت عنوان « مشروع بنك وطني مصري » .

(٢٥٣) الطائف : لم نستطيع الاستدلال على رقم العدد وتاريخه لأنه ممزق .

(٢٥٤) التنكيت والتبكيت : العدد الحادي عشر في ٢١ اغسطس ١٨٨١ ص ١٧٩ تحت عنوان « التجارة البائرة » .

(٢٥٥) التنكيت والتبكيت : العدد العاشر في ١٥ اغسطس ١٨٨١ .

الدائنين وشباك المرابين (٢٥٦) الذين يستغلون جهله فى ابتزاز أمواله (٢٥٧) ، وقد كشف عن غش هؤلاء وتسترهم تحت حماية القوانين والمحاكم المختلطة مستغلين فى ذلك سوء أحوال الفلاحين (٢٥٨) حيث لم يجدوا من سبيل سوى الالتجاء اليهم مع أنهم من أكبر أعوان الظلم فى ذلك الوقت وأشد أنصاره بحيث « اذا روا حاجة الأهالى اليهم تدللوا وتمنعوا لعلمهم ان الكرباج وراءهم فلا قدرة لهم على الصبر ولا سبيل الى التخلص من ألم العذاب ولو مؤقتا الا بالرضاء بكل مايرسمون عليهم من الفائدة (٢٥٩) فكبلوا الأهالى بالديون الهائلة وأضاعوا ثرواتهم حتى انتشر الفقر والبؤس بينهم (٢٦٠) واضطرهم العجز الى بيع أملاكهم ورهن عقاراتهم وأراضيهم أو الانسلاخ منها بالكلية » (٢٦١) .

وقد ضرب النديم مثالا على ابتزاز الأجانب الذين انتشروا بين

---

(٢٥٦) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ تحت عنوان « محتاج جاهل فى يد محتال طامع » .

(257) Gamal Mohmad . Op. Cit. P. 68.

وقد تحدث النديم عن الربا فى خطبة له يقول : « ماشدد الله تعالى فى محرم تشديده على الربا .. يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين » كما ذكر أن ثروة المرابى ماهى الا بلاء عليه فقال : « فلا تغرنكم ثروة المرابى فانها املاء واستدراج » سلامة النديم حـ٢ ص٨٣ من خطبة يوم الجمعة وهو مختف فى الريف .

(٢٥٨) التنكيت والتبكيت : العدد الحادى عشر فى ٢١ أغسطس ١٨٨١ ص ١٧٧ .

(٢٥٩) الوقائع المصريه : العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ مقال للشيخ محمد عبده تحت عنوان « حب الفقر أو سفه الفلاح » .

(٢٦٠) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ١٨٩ .

(٢٦١) الوقائع المصرية العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ مقال الشيخ محمد عبده السابق الذكر ، محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام حـ٢ ص ٥٦ ، ٥٧ .

الفلاحين انتشار الذئاب بين الأغنام فقال ان أحد المزارعين استدان من أحدهم مبلغ مائة جنيه مأعطاها له بالربا المائة بمائة وعشرين ، ولعدم معرفة الفلاح للحساب كان المرابى يستغل ذلك فى غشه ومغالطته حتى تدخل أحد النبهاء وأنب المرابى على ذلك وتمنى أن تعمل الحكومة على حفظ الحقوق حتى لايقع بعد ذلك « جاهل محتاج فى يد محتال طامع » (٢٦٢) .

لقد كانت وطنيه النديم تأبى عليه استغلال هؤلاء الأجانب لأبناء وطنه من الفلاحين فقام بتنبيههم على ما وصل اليه هؤلاء من ثروة بينما هم فى حالة شديدة من السوء معبرا لهم عن ذلك بكافة الوسائل التى يمكن أن تصل لأفهام الشعب ومنها الزجل فقال :

أهل البنوك والأطيان صاروا على الأعيان أعيان
وابن البلد ماشى عريان . ممحاه ولا حق الدخان
شرم برم حالى غلبان (٢٦٣)

والجدير بالذكر أن الثورة العرابية كانت ثورة فلاحية فقائدها ينحدر من صلب الفلاحين وخطيبها قضى الكثير من أيام حياته بينهم ، وقد حاول مادة هذه الثورة من أول الأمر اجتذاب الفلاحين

---

(٢٦٢) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونيه ١٨٨١ ص ١١—١٢ والجدير بالذكر أن الشيخ محمد عبده ضرب الكثير من الأمثلة على استغلال الأجانب للفلاحين فى احدى مقالاته .

انظر : الوقائع المصرية العدد ٩٦٩ فى ٢٥ نوفمبر ١٨٨٠ تحت عنوان « حب الفقر أو سفه الفلاح » .

(٢٦٣) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ٣١ يوليو ١٨٨١ ص ١٤٩ والجدير بالذكر أن تعبير « شرم برم حالى غلبان » قد اخذه النديم من يعقوب صنوع ، حيث له زجل تنتهى كل فقرة منه بهذا التعبير ، وقد نشر الدكتور ابراهيم عبده هذا الزجل فى كتابه أبو نظارة .

انظر : أبو نظارة امام الصحافة الفكاهية المصورة ص ٨٨ .

اليهم ليكونوا ركيزة لهم ، كما دافعوا عنهم وأوضحوا لهم حقوقهم حتى أن أحد ضباط الثورة خاطب الفلاحين فى نواحى الزقازيق بقوله : « ان الأراضى التى يمتلكها الأغنياء هى من حقكم أنتم » (٣٦٤)

هكذا كان النديم داعية للاصلاح الاجتماعى على أساس التمسك بالحضارة الاسلامية والتقاليد الشرقية محذرا من الاندفاع وراء تقاليد الأوربيين نقليدا لا يستند الى واقع الحياة المصرية ولا الى المقومات الشرقية فكانت دعوته ذات تأثير قوى فى نفوس مواطنيه لأنها نابعة من شعور عميق بما يعانيه الوطن من متاعب وآلام ومستنده على الدين ، لذلك يمكننا القول بأن النديم كان داعية الى الاصلاح الاجتماعى على أساس دينى (٣٦٥) .

---

(264) Cromer Modern Egypt Vol. 1 P. 258.

(٣٦٥) لم يكن النديم وحده فى هذا المجال فقد كانت دعوى تلاميذ الافغانى للاصلاح الاجتماعى تقوم على الأساس الدينى فالشيخ محمدعبده قال « الهدف النهائى لفكره هو الإصلاح الاجتماعى فى الاسلام » .

انظر : د. على الدين هلال : التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث ١٨٨٢ — ١٩٢٢ القاهرة — معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥ ص ٤٢ .

الفصل العاشر

النـــديم وثقافة عصره

- فكره عن اصلاح التعليم .
- فكره عن اصـــلاح الأزهر .
- دفاعه عن اللغة العربيـــة .

تحدث النديم عن ثقافة أبناء وطنه وما طرأ عليهـا من تغيرات فقال « انتهت مصر فى أول القرن الثالث عشر (يقصـد الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى) الى أميـة كادت تعم أرجاءها اذ لم يبق منها من يحسن العبارة الا علماء الأزهر الشريف ، ولا من يكتب الا كتاب الحكومة وصيارفة البلاد فكانت الأمة فى غاية التقهقر المدنى والفراغ العلمى » (١) .

لقد كانت الأميه منتشرد فى كافة أرجاء البـلاد ، ومتغلبه على السـواد الأعظم من أبنـاء الوطـن ، ولم يكن هنـاك فى نظر المصريين غير الأزهر كمنارة للعلم والمعرفة ، وأن الدنيـا بدونه خلو منها حتى أرسلت البعثـات الى أوربا فى عهد محمد على فأحس أبناء مصر بما بلغته أوربا من « أقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية والطبيعيه ، وما وراء الطبيعـة أصـولها وفروعها » (٢) ولما غادت هذه البعثات الى مصر ، وافتتح محمـد على المدارس « لتعليم فنون الهندسة والطب والحساب والحرب وما يتبع ذلك » (٣) ظهر فى مصر نوع آخر من الحيـاة العقلية غير النوع التقليدى المحافظ والمتمثل فى الأزهر وهو النوع المدنى الذى يعتمد على العلم الأوربى والحضارة الغربية (٤) ، وكان على رأس هذا النوع رفاعة الطهطاوى الذى عاد

---

(١) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ أغسطس ١٨٩٢ ص ٣٤ تحت عنوان « الحيـاة الوطنية » .

(٢) رفاعة الطهطاوى : تخليص الابريز فى تلخيص باريز . القاهرة — وزارة الثقافة والارشاد القومى . البابى الحلبى ص ٦١ .

(٣) الأستاذ : العدد الثـانى فى ٣٠ اغسطس ١٨٩٢ ص ٣٤—٣٥ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

ولمزيد من التفاصيل انظر : دكتور احمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٢١ — ٢٤١ .

(٤) عبد الله النديم : كان ويكون ج ١ ص ٥٠ .

الى مصر حاملا بذور النهضة الفكرية فأحرجها من ظلمات العصور الوسطى ، وكان همزه الوصل بين ثقافة الغرب وعقلية الشرق ، ولما تولى عباس الأول الحكم أظهر أنه لن يكون الحاكم الذي يتابع سياسة جده ويحنو على مؤسساته ويؤيد نظمه فأعرض عنها ولكنه لم يأت بما يحل محلها [٥] فأصدر الأمر باغلاق الكثير من المدارس ، وأهمل التعليم وطرد الموظفين الأوربيين وفى مقدمتهم كلوت بك [٦] وفرض القيود على الأجانب المقيمين فى مصر وتخلص ممن كان يعمل منهم فى المصالح والمعاهد فأخذ التعليم المدنى فى الاضمحلال حتى قبرت فكرة التعليم الشعبى [٧] وانهار النظام التعليمى الحكومى نفسه [٨] ، ولم يزدهر مرة أخرى الا فى عصر اسماعيل حيث أشاع فى مصر نهضة تعليمية قومية بما جدد من معاهد العلم المدنية والعسكرية، وبما أرسل من بعوث الى الخارج كما اتجه الى العناية بالكتاتيب [٩] وقد كتب النديم عن ذلك فقال : « وسع نطاق المعارف ونشرها فى المدن والقرى بفتح كثير من المدارس فى المديريات » [١٠] ولما جاء الخديو توفيق « مشى على قدم أبيه فى العناية بالمعارف » [١١] حتى تربى « آلاف من الطلبة على نفقة الحكومة فى مدارس شتى .. وهم الآن غرة فى

---

(٥) د. أحمد زعت عبد الكريم . تاريخ التعليم فى مصر — عصر عباس وسعيد . القاهرة — مطبعة النصر ١٩٤٥ جا ص٧ .

(٦) نفسه : ص ٩ .

(٧) ظلت الكتاتيب منتشره مى مدن مصر وقراها رغم ما انشأه محمد على من مدارس كعمل قومى خالص بعيدا عن تدخل السلطة وكعمل خيرى يقف عليه الأغنياء من مالهم .

(٨) د. احمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق الذكر حا ص٥ ، صبحى وحيده : مى اصول المسألة المصرية ص ١٥٦ .

(٩) لمزيد من التفاصيل انظر : د. احمد عزت عبد الكريم : ناريخ التعليم فى مصر . عصر اسماعيل ج٢ المجلد الثانى ص ٧٨٣ .

(١٠) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ اغسطس ١٨٩٢ ص ٣٥ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

(١١) نفسه .

جبين مصالح الحكومة تفتخر بهم البلاد » (١٢) .

وباحتلال الانجليز لمصر بدأ اهمال التعليم ، وحرصت سلطات الاحتلال على جعله أداة لتحقيق أهدافها (١٣) حيث اقتصر على تخريج موظفين لا يصلحون لعمل خارج دواوين الحكومة (١٤) فتقهقر كليا عما كان عليه قبل ذلك ، وسدت أبوابه بكل حيلة فى وجوه الأمة » (١٥) حيث الغيت المجانية فى أقسامه الثلاثة الابتدائى والثانوى والعالى بعد أن كانت قاعدة التعليم الحكومى فى مصر منذ عهد محمد على تقوم على مبدأ المجانية (١٦) ، وبعد أن كانت العلوم تدرس باللغة العربية

---

(١٢) مجلس شورى القوانين : محضر جلسة الاربعاء ١٩ ديسمبر ١٨٩٤ ص ٥٠ .

(١٣) د. أميل فهمى حنا : تاريخ التعليم الصناعى حتى ثورة ٢٣ يوليو القاهرة . مؤسسة التأليف والنشر — دار الكاتب العربى ١٩٦٧ ص ٢٧٥ .

(١٤) هاجم حافظ ابراهيم هذا اللون من التعليم فى كتابه « ليالى سطيح » كما هاجمه فى شعره .
ليالى سطيح — تقديم وتبويب د. محمد كامل جمعه . ص ١٤-٤
وايضا ديوان حافظ ابراهيم .

(١٥) مجلس شورى القوانين : محضر جلسة الأربعاء ١٩ ديسمبر ١٨٩٤ ص ٥٠ .

(١٦) كان جميع التلاميذ الذين يدخلون مدارس الدولة يتعلمون بالمجان وتصرف لهم الكتب وادوات الدراسة دون مقابل بل وكانت الدولة تقوم أيضا على اطعامهم وكسائهم وايوائهم .
محمد عبد الفتاح ابو الاسعاد : تاريخ التعليم فى مصر تحت الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ — ١٩٢٢ ص ٨٧ — رسالة ماجستير نوقشت بقسم التاريخ بآداب عين شمس — مكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس تحت رقم ١١١١٢ .
والجدير بالذكر أن رياض باشا عندما تولى نظارة المعارف فى عهد اسماعيل أصدر قرارا فى ٥ فبراير ١٨٧٤ بفرض المصروفات المدرسية على القادرين فقط من التلاميذ ولكن هذا القانون اهمل تنفيذه ولم يطبق الا على نطاق ضيق .
يعقوب ارتين : القول التام فى التعليم — ترجمة على بهجت ص ٣٧ — ٣٨ ولم تتعدى نسبة الطلبة الذين دفعوا مصروفات فى عام ١٨٨١ سوى ٣٠٪ فقط من عددهم الكلى .
Milner : Op. Cit. P. 306

فيما عدا الحقوق التى كان التعليم فيها بالفرنسية أصبحت تدرس بالانجليزية ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية ، وحل المدرسون الإنجليز مكان المصريين ، وأغلقت بعض المدارس كما تلاشت البعثات التعليمية الى أوربا (١٧) فى الوقت الذى زادت فيه الإرساليات التبشيرية لترويج الثقافة الأجنبية ، وأنشئت مدارس لتعليم أبناء الجاليات الأجنبية (١٨).

لقد أحس النديم بما يعانيه أبناء وطنه من جهل أدى الى ضياع حقوقهم وسيطره الأجانب على مقدراتهم فنادى بانتشار التعليم وتعميمه بين أبناء الشعب عن طريق فتح الكتاتيب الأهلية ومدارس الجمعيات الوطنية (١٩) والمدارس الحكومية بحيث لا يقتصر على فئة دون أخرى ، وبحيث لا يكون ترفا لا يناله الا الأغنياء والمحظوظون فنادى بمجانية التعليم للفقراء من أبناء الشعب حتى لا تعوقهم المصروفات عن اكمال التعليم ، وطالب المعلم باتباع الطرق السهلة فى التعليم حتى يصل الى أذهان تلاميذه دون معاناة ، وأن يكون قدوة فى الأخلاق والتواضع كما هاجم السياسة التى وضعها الاحتلال بشأن التعليم مما أدى الى تدهوره.(٢٠) وحرض المصريين

---

(١٧) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ١٧٩ ، ١٨٢ ولما كانت البعثات التعليمية ترسل معظمها الى فرنسا فقد قاوم الانجليز ذلك فى محاولة للقضاء على النفوذ الثقافى الفرنسى . يعقوب ارتين : المرجع السابق الذكر ص ١٢٦ .

(١٨) عن أسماء هذه المدارس وتاريخ انشائها وأماكنها . انظر : دكتور أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر ، عصر اسماعيل الجزء الثانى . المجلد الثانى ص ٨٥٣ — ٨٦١ .

(١٩) عبد الله النديم : كان ويكون جا ص٧٢ .

(٢٠) وضع الكواكبى خوف المستبدين من انتشار العلم بقوله ان المستبد يخاف من العلوم « التى توسع العقول وتعرف الانسان ماهو الانسان وما هى حقوقه وهل هو مغبون ، وكيف الطلب وكيف النوال » كما ذكر ان « المستبد كما يبغض العلم لنتائجه يبغضه لذاته لأن للعلم سلطانا اقوى من كل سلطان » .

الرحالة ك : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد . القاهرة . المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣١ ص ٢٩ .

على المحافظة على ثقافتهم القومية .

ولما كان التعليم في مصر ذا شقين مدني وديني ، وكل منهما في تدهور فان النديم لم يغفل أيا منهما ، فكما نادى باصلاح التعليم المدني نادى أيضا باصلاح أحوال التعليم التقليدي المتمثل في الأزهر وهيئاته حيث أنه اشعاع العلم والهداية لكل الشعوب الاسلاميه وطالب بمزج التعليم الديني بالمدني حتى يخرج رجال الدين من انكماشهم الي العلوم الدنيوية ، وحتى لا يهمل رجال التعليم المدني العلوم الدينية كما دافع النديم عن اللغة العربية ودعا الى العنايه بها ، وهاجم محاولات الاستعمار للتقليل من شأنها ، ونادى بالمحافظه عليها لأنها مرتبطة بالدين والجنسية ، وجدد الدعوة الى انشاء مجمع للغة العربية حتى يمكن حفظ كلماتها من تداخل اللغات الأجنبية . ولكي نوضح مواقف النديم الاصلاحية تجاه ثقافة عصره فقد قسمنا هذا الفصل الى :

١ — فكر النديم عن اصلاح التعليم .

٢ — فكره عن اصلاح الأزهر .

٣ — دفاعه عن اللغة العربية .

١ — فكر النديم عن أصلاح التعليم :

اعتبر النديم انتشار التعليم والمعارف من أهم عناصر الوطنية فقال : « ان الحياة الوطنية هي انتشار المعارف والصنائع في الأمة ولن التدهور والتذمر مع الجهل والفراغ من المعدات لا يفيدان الا الخذلان » (٢١) ونادى الأغنياء باسم الوطنية بالتعاون على رفعة الوطن بالمساهمة بما لديهم من مال وفكر وقوة فقال : « لو علمت

(٢١) الأستاذ : العدد الثاني في ٣٠ أغسطس ١٨٩٢ ص ٣٢ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

الوطنية ودرستها على خبير بها لعلمت أن البلاد محتاجة الى فكرك وقوتك والأهل مفتقرون الى مالك » [٢٢] ثم ناشدهم المساهمة فى انشاء المدارس لتعليم الأبناء [٢٣] فقال : « ما بالنا لا نتعاون على تشييد المدارس فى بلاد أوقعها الجهل فى موقع الخسران مع العلم بأن المدارس هى الأصل الذى نبنى عليه نجاح المقاصد اذ أنها هى الواسطة العظمى فى اكتساب الفضائل التى أقل ما فيها حسن تربية الأبناء التى نحن فى حاجة اليها » [٢٤] وندد بالبخلاء الذين يكنزون الأموال ولا ينفقونها فيما يعم على البلاد بالنفع فقال : « لو كان عندى مليون من الجنيه ، وأحكمت غلق الصناديق عليه ، ولبست من الثياب أفخرها ، وركبت من الخيل أشهرها ، وكنت مع ذلك بلا لب أعقل به ، ولا فكر به أنتبه ، ولا خير يؤثر عنى ولا صديق يقرب منى يحسن بى أن أقول أنا انسان ، وأنا بهذه الحالة اقل من الحيوان » [٢٥] ثم أخذ يطوف البلاد فزار شبراخيت ، وميت غمر [٢٦] والمنصورة لحث الناس على افتتاح الكتاتيب والمدارس الأهلية [٢٧] لتعليم الأولاد حتى تنتشر المدارس ويعم التعليم [٢٨] لأنه لا اصلاح

---

(٢٢) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث فى ٢٦ يونيو ١٨٨١ ص ٣٩ تحت عنوان « تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان » .

(٢٣) من تقرير قدمه ناظر المعارف الى رئيس النظار يتضح ان التعليم الابتدائى كان « قليل الاتساع ، ولم ينتشر فى اى جهه سوى المحروسه .. وانه قد زاد احتياج الأهالى الآن الى انتشار المعارف » دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء — نظارة المعارف محفظة ١/٤ مجموعه رقم ٢ — ٣ — ١٣٧ — ١٧٨ معارف عمومية — تقرير بتاريخ ٤ مايو ١٨٨٠ .

(٢٤) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٠ تحت عنوان « آفة السكوت » .

(٢٥) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يولية ١٨٨١ ص ٨٣ — ٨٤ .

(٢٦) للتفاصيل : انظر الفصل التاسع .

(٢٧) الأهرام : العدد ١١٧٧ فى ١٣ أغسطس ١٨٨١ .

(٢٨) التنكيت والتبكيت : العدد الثالث عشر فى ١١ سبتمبر ١٨٨١ ص ٢٠٨ .

يدون « افتتاح المدارس ونشر المعارف والتفنن فيما يجلب الثروة ويحفظ الأمة . » (٢٩). ونادى بضرورة توحيد التعليم ، ومزج التعليم الدينى بالتعليم المدنى حتى يخرج رجال الدين من انكماشهم ، وخصوصا فى النواحى السياسية لأن العلوم الدينية كما يذكر من قواعد السياسة (٣٠) ، كما انتقد نظم التعليم السائده لخلوها من الروح القومية لدى التلاميذ فذكر أن الثورات الناجحة ضد الاستعمار أساسها التعليم والتضنيع (٣١) وناشد أولى الأمر بتنظيم المدارس والعناية بأمرها فقال : « ليس بعزيز على الحكومة العباسية أن توجه العناية الى تنظيم المدارس وترتيب الطلبة على هذا الأسلوب » (٣٢).

طالب النديم بتعميم التعليم بين طبقات الشعب (٣٣) حتى تنتشر المعارف فى جميع أنحاء البلاد لأن الأمة لا تستطيع الوصول الى مشارف المدنية الا بتعليم كافة أبنائها فقال : « اذا قصرنا التعليم على أفراد معلومة أو طبقة دون أخرى فقد رجعنا بمدنيتنا

---

(٢٩) مسرحية الوطن وطالع التوفيق نقلا عن سلافه النديم ج٢ ص ٤٢ .

(٣٠) الأستاذ : العدد التاسع فى ١٨ اكتوبر ١٨٩٢ ص ٢٠٢—٢٠٨ تحت عنوان « تربية الأبناء » .

(٣١) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » .

(٣٢) الأستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ ص ٦٠٣ تحت عنوان « العلماء والتعليم » .

(٣٣) لقد سبق النديم مجلس شورى القوانين فى المناداة بتعميم التعليم بين افراد الشعب اذ لم ينتبه المجلس لخطورة الأمية وضرورة تعميم التعليم الا فى ديسمبر ١٨٩٤ .

انظر : مجلس شورى القوانين — جلسة الاربعاء ١٩ ديسمبر ١٨٩٤ ص٥٢ كما تبنى هذه الفكرة فيما بعد محمد فريد اذ عمل على انشاء مدارس ليلية لتعليم الفقراء والعمال مجانا ، وهى المدارس التى عرفت باسم مدارس الشعب .

لمزيد من التفاصيل انظر رسالة الباحث للماجستير السابقه الذكر ص ٢٣٧ .

التهغرى » (٣٤) كما حض على ضرورة تعليم الفـلاحين حتى يعرفوا أحوال وظروف بلادهم فقال : « لو تعلم الفلاح وعرف هيئة البلاد وما هى عليه من ثروة وعزة وخسة وغيرها لنظر لهذا الغريب بعين المعرفة : وعامله بما تقتضيه طبيعة بلاده » (٣٥) .

كما انتقد النـديم المصاريف الفادحة التى يفرضـها أصحاب المـكاتب البسيطة على الأبنـاء نظير تعليمهم وطالب بانشاء المدارس العمومية فقـال : « لا يخفى على العـارفين بأحـوال الأهلين الذين مازالوا يتكبدون المصـاريف الفادحة لقـاء تعليم أولادهم فى المكاتب البسيطة التى قل أن تنتج زيادة عن معرفـة القراءة والـكتابة ، ان هـذا ليس هو الغرض المطلوب الذى ينبغى الاجتهاد فى الوصول اليه هو أن يكون التعليم فى مدارس عمومية توصل المتعلم الى ما تقتضيه حقوق الهداية » (٣٦) ثم طالب بتوحيـد منـاهج التعليم فى كافـة المـدارس فقـال : « الذى نحث الأمة المصرية على مداركتـه هو توحد التعليم لئلا بطاح الأبنـاء لا هم مصريون ولا أجانب » (٣٧) .

كما طوع النـديم صحافته لخدمة تلاميذ المدارس فـكتب على صفحات مجلة الأستاذ مقالات ومحاورات بأسلوب مبسط للتلاميذ (٣٨)

---

(٣٤) الأستاذ : العـدد الثـانى فى ٣٠ أغسطس ١٨٩٢ ص ٤٠ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

(٣٥) التنكيت والتبكيت : العـدد الحـادى عشر فى ٢١ أغسطس ١٨٨١ ص ١٧٧ .

(٣٦) التنكيت والتبكيت : العـــدد الثـانى عشر فى ٤ سبتمبر ١٨٨١ ص ١٩٠ .

(٣٧) الأستاذ : العـــدد الثـامن فى ١١ أكتوبر ١٨٩٢ ص ١٨٢ تحت عنوان « اللغة والانشاء » .

(٣٨) حمل النـديم مجله الاستاذ على ثلاثة مستويات حتى نستفيد منها كل فئات الشعب فكانت كالآتى :

(أ) مقالات علمية وطنية بلغة أدبية رفيعة كتبت للمثقفين .

(ب) مقالات بأسلوب مبسط كتب لانصاف المتعلمين والتلاميذ .

(د) محاورات ومقالات باللغة العامية لتهذيب العامة وترقية أفكارهم

تحتوى على دروس ترمى الى تهذيب أخلاقهم وتوسيع مداركهم مثل « تربيـــة الأبنــاء » [٣٩] و « نديم وحافظ » [٤٠] و (حفصة وبنتها سلمى) [٤١] و (مدرسة البنين) [٤٢] و (مدرســة البنــات) [٤٣] شرح فيها أهمية التعليم والسياسة التى يجب أن تسير عليها المناهج وأهمية اعطـــاء الأولوية للدروس التى تحض على حب الوطن وتعلم التلاميذ الأخلاق الفاضلة ، وتنمى فيهم الروح الاستقلالية وتعرفهم بسير الأولين وأمجاد الوطن ، وتبعدهم عن روح التعصب وخصوصا بعد أن مسخ الاحتـــلال برامج التعليم وجعل أساسه أوليات القراءة والـكتابة للشعب وتعليم متوسط ولا داعى لأكثر من ذلك [٤٤] كمـا حرص على اســتبعاد التاريخ القومى الصحيح فى مناهج الدراســة لـكى ينشأ الجيل جاهلا بتاريخ بلاده محروما من غــذاء النفوس فى الوطنيــة لا يفرق بين الاحتلال والاستقلال ولا يدرك ما فى الاحتلال من اهدار لـكرامة الشعب وحقوقه فصــارت غاية التعليم محــاربة الشعور الوطنى واماتته فى النفوس [٤٥] ، كما انتقد النديم المدارس الأجنبية التى تفسد الأبنــاء وتبعدهم عن دينهم [٤٦] لأنها لا تقــدم التعليم الذى يتفــق وقومية الغالبيـــة العظمى من سكان البــلاد

---

(٣٩) الاستاذ : العدد التاسع فى ١٨ أكتوبر ١٨٩٢ ص٢٠٠ ــ ٢٠٨
(٤٠) الاستاذ : العدد الثالث عشر فى ١٥ نوفمبر ١٨٩٢ ص٢٩٥ .
(٤١) نفسه ص ٢٩٨ .
(٤٢) العدد السابع عشر فى ١٣ ديسمبر ١٨٩٢ ص ٣٩١ــ٣٩٥ .
(٤٣) نفسه ص ٣٩٥ ــ ٣٩٩ .
(٤٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانيــة . الجزء الأول . بحث فى العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال الى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢ ــ ١٩٣٦ ص ١٩ .
(٤٥) عبدالرحمن الرافعى : مصروالسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ١٨١ .
(٤٦) كانت المدارس الأجنبيــة مستقلة تمام الاســتقلال عن نظارة المعارف وظل تقدمها يطرد من عام لآخر بينما ظلت مدارس الحكومة كمــا هى . د. احمد عزت عبد الـكريم : تاريخ التعليم فى مصر . عصر اسماعيل جـ ٢ المجلد الثانى ص ٨٣٢ .

وديانتهم واقترح وضع نظام قومى لمناهج التعليم الأولى فى مصر فنادى بان « يملأ ذهن التلميذ بأخبار المؤلفين والمهذبين من المتقدمين والمعاصرين ، ويشرح له فضل من مضى من علماء جنسه ، وما كانوا عليه من الاجتهاد والتقدم والاشتغال بما يبث روح المعارف لئلا يغلب عليه فضل غيرهم فيحتقر معارف بلاده ويفخر بغيرها »(٤٧).

ثم تحدث عن أهمية دروس الوطنية فقال : « أن يعرف التلميذ أصل نشأة جنسه ، ومقدار ما وصل اليه من العزة والقوة والثروة والأسباب التى تحل عروة الجنسية وتضعف قوتها »(٤٨) كما صور الوطنية فى صورة غذاء ينتفع به جميع الجسم بحيث لا يترك عرقا من عروق أبناء وطنه الا وقد « أجرى فيه ماء الوطنية » وكما أن النديم لم يغفل الوطنية فى منهجه فانه لم يغفل الدين أيضا فقال على المعلم « أن يغرس فى ذهن التلميذ أصوله قبل أن يشغل فكره بالعقليات لترسخ قدمه فى طريق المذهب فلا تزحزحه العقليات عند الاشتغال بها »(٤٩).

وطالب المعلم بالتزام الطرق السهلة فى تلقين دروسه للتلاميذ(٥٠) وخصوصاً فى اللغة العربية »(٥١) حتى لا يصعب الأخذ بها ، ولا

---

(٤٧) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ص ٥٤ تحت عنوان « دروس تهذيب تحاور به تلميذ مع نديم ».

(٤٨) نفسه ص ٥٥.

(٤٩) نفسه ص ٥٥.

(٥٠) الاستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ ص ٦٠٣ تحت عنوان « العلماء والتعليم ».

(٥١) حاول الانجليز فى تلك الفترة التقليل من تدريس المواد باللغة العربية للتلاميذ فى المدارس والجدول الآتى يوضح ذلك :

	عام ١٨٨٢	عام ١٨٨٨	عام ١٨٩١	عام ١٩٠١
عدد الدروس باللغة العربية	٩٩	٩٦	٩٦	٨٨
عدد الدروس بالانجليزية	٢٤	٣٠	٣٦	٤٤

نقلا عن محمد عبد الفتاح ابو الاسعاد : رسالة الماجستير السابقة الذكر ص ١٣.

تمل النفس من ملازمتها (٥٢) وحثهم على الرغبة فى تحصيل العلوم، وملازمة الجد والاجتهاد (٥٣)، كما وضع النديم مواصفات المعلم المثالى فقال : « يجب أن يكون متواضعا لين العريكة سهل الأخلاق واسع العبارة فى فنه غير ماجن ولا محملق ولا فاحش ولا قاس ولا معجب بنفسه ولا كسول ولا عابس » (٥٤) .

وكما عرف النديم المعلمين بواجباتهم التى يجب أن يسيروا عليها طالب لهم بحقوقهم فناشد أبناء الوطن باحترامهم لأن اهانتهم « تعتبر أول دليل على خراب البلاد » (٥٥) كما ذكر أن « العلماء (٥٦) فى كل أمة وجيل هم أئمة الناس فى السير الى المدنية وقادتهم الى الانتقال من ظلمة الجهل الى العلم » (٥٧) « وحث الحكومة على الأخذ بعضد هؤلاء ومكافأتهم على أتعابهم ومساعدتهم حتى يقف الشرق أمام الغرب علما وعملا وربما فاقه لشدة ذكاء أبنائه وقوة تصورهم » (٥٨) .

كما ذكرهم بأهمية تربية الأبناء وانتشار العلوم بينهم فقال « ان سعادة كل أمة موقوفة على تربية أبنائها وانتشار العلوم بها.. وان الجهل يسوق أهله الى الدمار والخراب وتواصل الفتن والحروب

---

(٥٢) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص١٩ تحت عنوان « اضاعه اللغة تسليم للذات » .

(٥٣) عبد الله النديم : كان ويكون جـ ١ ص ٥٠ .

(٥٤) التنكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ص ٥٤ تحت عنوان « دروس تهذيب تحاور به تلميذ مع نديم » .

(٥٥) مسرحية الوطن وطالع التوفيق — نقلا عن سلافة النديم جـ ٢ ص ٣٥ .

(٥٦) وضع النديم المعلمين والمدرسين فى منزلة العلماء فقال « ونريد بالعلماء كل ذى علم ينتفع به فى شىء مخصوص خاصة المعلمين والمدرسين » انظر : سلافة النديم جـ ٢ ص ٢٥ تحت عنوان « وظائف العلماء فى العالم » .

(٥٧) الاستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ تحت عنوان « العلماء والتعليم » .

(٥٨) عبد الله النديم : المرجع السابق الذكر جـ١ ص ٥٠ .

الداخليـة والخارجية مع حيلولته بين أهله وبين ما يوصله الى الظفر وبلوغ المقاصـد » (٥٩) وذكرهم بأن الجاهل دائما ما يقع فريسـة لظلم الطامعين مصورا ذلك فيما كتبه تحت عنوان « محتاج جاهل فى يد محتال طامع » (٦٠) .

فكان أسلوبه ساخرا ومنيرا (٦١) كما وصف الأمة التى تأنف من العلوم بأن أهلها « يعيشون أذلاء ويموتون أذلاء » (٦٢) وفى مقال له بعنوان « المرافعـة الوطنية » صور الوطن وهو يرفع دعـوى على أبنـائه فى محكمة سماها « محكمـة الحقوق » رماهم فيهـا بالجهل والتهاون وأنهى مداولات المحكمـة بادانة الأغنيـاء لتقصـيرهم فى فتح المـدارس (٦٣) .

ومع أن النـديم كان ينتقد أبنـاء وطنه فقد كان يأبى أن يقلل أجنبى من شأنهم ، ولمـا كانت النغمة السائدة لدى أنصـار الاحتلال هى التقليل من شـأن المصريين وارجاع جميع أوجه الفشل والقصور اليهم (٦٤) ووصفهم بعدم الصـلاحية لتولى الأعمـال (٦٥) وأنهم

---

(٥٩) الاستاذ : العدد السابع والثلاثون فى ٩ مايو ١٨٩٣ ص٨٧٣ تحت عنوان « التربية والتعليم » .

(٦٠) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ ص١١ .

(61) Gamal Mohamed Ahmed : Op. Cit. P. 68.

(٦٢) مسرحيـة الوطن وطـالع التوفيق نقـلا عن سلافة النديم جـ ٢ ص ٣٦ .

(٦٣) الاستاذ : العدد الخامس فى ٢٠ سبتمبر ١٨٩٢ ص ٩٧ .

(64) Lloyd : Egypt Since Cromer V 1 P. 163

(٦٥) الاسـتاذ : العدد الثانى فى ٣٠ اغسطس ١٨٩٢ ص ٤١ تحت عنوان « الحيـاة الوطنية » .

وعندما فشلت سـياسة الاحتلال فى النهوض بمدرسة المهندسخانة ارجع دنلوب ذلك الى كسل المصريين ، وكراهيتهم للاعمال

Dunlop Note on the progress 1901 P. 35.

ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر : محمد عبد الفتاح أبو الاسعاد : رسالة الماجستير السابقة الذكر ص ٨ — ٩ .

يكرهون العلم والمدنية فان النـديم رد عليهم بأن الشعب المصرى محب للمعـارف يتـدافع بنوه فى تعلم العلوم الدينيـة والرياضـية والطبيعية ، وانه دائما ينـادى بانشاء المدارس ، واستشهد على ذلك بما ذكره اللورد كرومر عندما زار احدى قرى الصـعيد عام ١٨٨٩ حيث قال « زرت قرى كثيرة ، وبعيدة فى صـعيد مصر ذلك المكان الذى من النـادر رؤية وجه أوربى فيـه ، وكان الطلب الذى قـدم الى مرارا وتكرارا هو حث الحكومة على اقامة مدرسة فى القرية »(٦٦)

كما هاجم النـديم الدعوى القائلة بأن المصرى ليس فيه أهلية لخـدمة بلاده فذكر أن الأجنبى دخل بلادنا ، وكان بهـا القـوانين والأنظمة المشابهة لمـا توجد عليه دول أوربا (٦٧) وضرب الأمثلة على حب المصريين للتعليم وأيد حجته بالأمثلة التـاريخية فذكر بأنه حينما اهتم ولاة الأمور بالتعليم فى مصر برع المصريون فى الفنون والصنائع « وقام كل بما عهد اليـه أحسن قيـام ، وظهر جهـابذة وصـاروا أساتذة ثم مديرين ثم أمراء » (٦٨) .

ومع أن النـديم حذر أبنـاء وطنه من الأجانب فانه لم يمانع فى تعـلم علومهم حتى يمكنهم معرفـة ما وصـلوا اليـه من تقـدم ومدنية (٦٩) فقال : « لا ننكر على الأوربيين سعيهم معنـا فى طريق

---

(٦٦) الاستاذ : العدد السابق الذكر ص ٤١ ، وقد اورد ذلك اللورد كرومر فيما بعد فى كتابه

Modern Egypt Vol. 2 P. 532.

(٦٧) الأستاذ : العدد الرابع والعشرون فى ٣١ يناير ١٨٩٣ ص ٥٦٠ تحت عنوان « لا دليل على دعوى تهديد الراى العام » .

(٦٨) الأستاذ : العدد الثانى فى ٣٠ اغسطس ١٨٩٢ ص ٣٤ تحت عنوان « الحياة الوطنية » .

(٦٩) رئيف خورى : الفكر العربى الحديث ص ٢٠٢ .

(٧٠) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٣٩ .

التقدم »(٧٠) كما ذكر « أن الأدوار الشرقية طويت فسجل كان والدور الغربى هو المعلوم الآن..فلا عيب علينا اذا أخذنا من أوربا واقتدينا بها الآن » (٧١)، ثم وضح « أن اختلاط الأمم موجب لتربيتها تحت أحضان بعضها بالتقليد والتلقى ومن يتطرق لذم استيطان الغير من قبل أن ينظر الى الفائدة الحاصلة منه حتى لو كان الغير قاهرا فانه يتعلم بقهره كيفية تكوين العصبية واحياء الوطنية » (٧٢) كما أوضح أن أهم أسباب تقدم أوربا هو بحث أبنائها فى العلوم ونشرها فى سائر أطرافها (٧٣) .

أما فكر النديم عن تعليم البنات فقد أوضحه فى محاوراته التى كتبها تحت عنوان « مدرسة البنات » (٧٤) ومع أنه سار على فكر أبناء عصره فى تأييد سياسة الحجاب وتمسك بها (٧٥) فقد أيد تعليم البنات الدين وشئون الأسرة ، وأصول الحياة الزوجية والتدبير المنزلى ، وعارض تعليمهن الموسيقى والرقص واللغات الأجنبية فى وقت كان تعليم الفتاة لدى عامة المصريين مسلمين

---

(٧١) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر حـ ٢ ص ٢٥ تحت عنوان « وظائف العلماء فى العالم » .

(٧٢) الاستاذ : المقال السابق الذكر ص ٤٠ .

(٧٣) التنكيت والتبكيت . العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١ ص ٥٣ تحت عنوان « درس تهذيب تحاور به تلميذ مع نديم » .

(٧٤) الأستاذ : صفحات ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ .

(٧٥) حتى ذلك الوقت كان قاسم امين مدافع عن سياسة الحجاب والسترة والحشمة ويهاجم السفور المبتذل .
انظر :

Kassem Amin . Les Egyptiens P 102.

وقد نشر هذا الكتاب ردا على الدوق داركور Le Duc d'Harcourt الذى زار مصر عام ١٨٩٣ ثم وضع كتابا تحت عنوان

L'Egypte et les Egyptiens.

انتقد فيه المجتمع المصرى انتقادا لاذعا وصور حياة مصر والمصريين بالوان قاتمة مما دفع قاسم امين الى الرد عليه .

وداد سكاكينى : قاسم امين ص ٣٠

وأقباط غير مرغوب فيـــه لزعمهم أن البنت إذا تعلمت وتثقفت تسبب الضرر لعـــائلتها ، ويكون ذلك فى عرفهم مفسدا للاخلاق (٧٦) .

هكذا كان النديم مهتما بالتعليم ومنادياً بضرورة تعميمه والمحافظة على الثقافة القومية (٧٧) بانشاء الـكتاتيب والمدارس لتوضيح الطريق أمام أبنـــاء وطنه ، فكان معلما لشعبه ، ولم تكن مهنة التعليم بجديدة عليه فقـــد كان معلما بمدرسة الجمعيـــة الخيرية الاســـلامية وكان أستاذاً لقرائه فى الصحف حيث كان يكتب بعض المحـــاورات فى صورة حوار بين أســـتاذ وتلميذه وتسميته لاحدى صـــحفه باسم الأســـتاذ لهو دلالة واضحة على وضوح صفة المعلم فيه .

وكان أستاذا فى خطبه حيث وضح لمن لا يعرف القراءة والكتابة — وكانوا السواد الأعظم من المصريين — المسائل (٧٨) ونقـــل اليهم أفـــكاره كما أنه اشتغل معلما بعد وصوله الى منفاه الأول بيافا حيث افتتح هناك مكتبا لتعليم الصبيان (٧٩) .

لقد حرص النـــديم على أن يتعلم النـــاس الحرية والـــكرامة وأصـــول الوطنيـــة وأن يخلصـــوا فى الايمان بالله والوطن والنفس وهو القـــائل :

أورنى أمـــة بلغـــــت منـــــاها

بغير العلم أو حـــد اليمانى (٨٠)

---

(٧٦) محمد عمر : المرجع السابق الذكر ص ١٢٥ . وقد ظل الأمر حتى حمل قاسم امين على ذلك واعتبره من عوامل الضـــعف فى المجتمع المصرى . قال ان « المرأة محتاجة الى التعليم لتكون انسانا يعقل ويريد » قاسم امين : تحرير المرأة ص ٢٠ .

(٧٧) الكاتب : العدد ١١٨ فى يناير ١٩٧١ ص ٦٣ مقـــال للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى تحت عنوان « تطور الفكر الســـياسى فى مصر الحديثة » (التيار الليبرالى) .

(٧٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر جـ ١ ص ١٢٨ .

(٧٩) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر جـ ٤ ص ٤٨٧ .

(٨٠) من خطبة النديم التى ارتجلها فى وداع آلاى عرابى عند سفره الى رأس الوادى .
انظر : التنكيت والتبكيت فى ١٨٨١/١٠/٩ .

٢ ـ فكر النديم عن اصلاح الأزهر :

أحس النـديم بأن الأزهر لم يعـد لائقا بمكانته كمنارة للعلم فى مصر والعـالم الاسلامى حيث كان فى حاجة ماسة الى الاصـلاح وخصوصا بعد أن تراكمت عليه غيوم الاهمال ، ورانت عليه أسـباب الخمول والرتابة (٨١) وأصبح التعليم به قليل الجـدوى فقلمـا يلقى درس فى الأخلاق كما أن الآيات القرآنيـة التى تحض على المضائل كان حظها من الذكر والتفسـير أقل كثيرا مما تحظى به آيات تتصل بالأمور الشكلية فى الاسـلام (٨٢) وانصرف التعليم فيـه الى الشكل دون الجوهر فـكان مجدبا ، وليس للعقل فيه حرية التفكير لاقتصاره على الحفظ دون الفهم (٨٣) ، كما أخذ أهل الأزهر ينظرون بعين العداء الى المـدنية الحديثة والى العلوم التى قامت عليها (٨٤) وقـد جنى ذلك الجمود الشـديد على علماء الأزهر حتى صـاروا كأنهم عضو ميت فى جسم الأمة لا يهمه من شـئونها شىء ولا يسعى فى شىء من الخير لها ، كما ساء حال موظفيـه فأخـذوا يتكففون الأيدى ، ولم يتيسر لهم حتى القوت الضرورى ، ويتضح ذلك من الشكاوى المقدمة الى الخـديو نذكر منها على سـبيل المثال شكوى « الشيخ محمد عبده شيخ رواق البغـدادية بالأزهر » من سوء أحواله هو وأسرته والتماسه المساعدة فيطـالب « بربط كم قرش لنـــا من الأوقاف

---

(٨١) نجيب توفيق : المرجع السابق ذكر ص١٢٨ ، مجلة المقتطف : الجزء التاسع من المجلد الثلاثين فى أول سبتمبر ١٩٠٥ ص ٧٣٥ — ٧٤٢ تحت عنوان « إصـلاح الأزهر » .

(٨٢) د . محمد فؤاد شكرى : بنـاء دولة مصر محمد على . القاهرة دار الفكر العربى الطبعة الأولى ١٩٤٨ ص ٦٦٤ .

(83) Chirol, Valentine - The Egyptian Proplem - P. 238.

(٨٤) عبد المتعال الصعيدى : تاريخ الاصلاح فى الأزهر ص ٢٥ .

الخيرية (٨٥) لتستعين بهـا على طلب العلم » (٨٦) وهنـاك شكوى أخرى يلتمس فيها الشيخ « محمد يوسف امام مسجد الحسـين » طلب اعانة بقوله التمس « علاوة كم قرش على ماهيتى لاعانتى على القوت الضرورى أنا وعائلتى » (٨٧) ولم تقتصر الشكوى على هؤلاء فقط بل امتدت الى شيخ الجامع الأزهر نفسه فقد أرسل الشيخ محمد الانبابى « يشكو الى الحكومة من سـوء أحواله وقلة النقدية التى لا تكفى لشئون وظيفته » (٨٨) .

لقد شعر القـديم بأن ما عليه الأزهر من أحوال كهذه ينتقص من مكانته وجلال رسالته كمركز للاشعاع الدينى على العالم الاسلامى (٨٩) وكمظهر من مظاهر المجد المصرى لحمله لواء المعرفة فى مصر وفى الشرق

---

(٨٥) كان الانفاق على الأزهر ، وغيره من الأماكن الدينيـة يعتمد على نظام الأوقاف حيث كان بعض الأغنيـاء موقفون جزءاً من ثروتهم على ما يحتاجه التعليم الدينى من مصروفات .

(٨٦) دار الوثائق : ديوان خديو — وثائق عربيـه الى جهـات — محفظه رقم ٩ دوسيه رقم ٣ وثيقه رقم ٢٩٠ تحت عنوان « ديوان عموم الأوقاف من يناير الى مايو ١٨٩٠ » .

(٨٧) دار الوثائق : ديوان خديو — وثائق عربيـه الى جهـات — محفظة رقم ٩ دوسيه رقم ٣ وثيقة رقم ٤١٢ .

(٨٨) دار المحفوظات العمومية : أوراق ربط معـاش زيادة للشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الأزهر . دولاب ١٣ عين ١٤ محفظـة ٢٩١ دوسيه ٧٦٦٨ .

(٨٩) كان للازهر اهمية عظيمة اكتسبها من موقع مصر وسط العالم الاسلامى وقربها من الحجاز وصبغتها العربيـة ، واهميتها الاقتصـاديه ولعراقة وادى النيل فى الثقافة العقليـة القديمة ، ولهـذا كان قبلة اهل العلم لجميع المسلمين ، ويدل على ذلك ما كان به من الأروقه التى ضمت الأتراك والهنود والجـاوبين والدكارنه واهل الحرمين الشريفين والمصر والعراق والبرابره والصوماليين والأفغـان والشوام والمغاربة وغيرهم . احمد عبد الجواد : حياة مجاور ص ٢٦٢ ورغم ما اصـاب الأزهـر من ضعف فقـد ظلت له مكانته فى العالم الاسـلامى حيث لم يبق غيره موئلا للعربيـه وعلومها ، فلولاه لذهبت اللغـة العزيزة بطغيان اللغة التركيه عليها أو تغلبت عليها العامية وأتت على البقيه منها .

عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق الذكر ص ٩ .

الاسلامى قرونا متصلة (٩٠) فبدأ يعرض نواحى النقص فى نظام الأزهر ثم اقترح الحلول اللازمه لاصلاحه ، فدعا الى تطوير الأزهر ووقف جموده وانعزاله عن المشاكل الاجتماعية والسياسية للشعب فقال : « نرى كل مشتغل بالأزهر منصرفا عن الدنيا وما فيها ، فلا يقرأ الجرائد العلمية ولا السياسية ، ولا يعرف شيئا من أحوال الممالك ولا يقرأ تقويم البلدان (الجغرافيا) ولا علم له بشىء من الجارى بين الملوك والطوائف ولا وقوف له على حوادث الحروب واختلاف الأمم ، ولا المام عنده بصنعة أو زراعة أو أصول تجارة ، ولا يبحث فى مخترع يسمع به ومقترح يرد عليه وكأنه فى جب لا ساكن فيه الا من يماثله فى هذا التجرد الشنيع ، مع أنه يطلب العلم ليكون مؤهلا للافتاء والقضاء وهاتان الوظيفتان أرقى وظائف السياسة القضائية المتصلة بكثير من الفروع الاداريه » (٩١) .

كما أرجع النديم حالة تجمد الأزهر الى طريقة التعليم السائدة فيه (٩٢) فى ذلك الوقت حيث انحصرت الدراسة فى العلوم الدينية

---

(٩٠) د. طه حسين : نقد واصلاح . بيروت — دار العلم للملايين — . الطبعة الأولى ١٩٥٦ ص ٢٦٥ .

(٩١) الأستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣

« الجدير بالذكر ان الدكتور طه حسين كرر مطالب النديم بعد حوالى نصف قرن من الزمان فنادى بتطوير التدريس فى الأزهر وتثقيف رجاله بالثقافة الحديثة حتى يكون عنوانا للمجد المصرى الحديث كما كان عنوانا للمجد المصرى القديم ، وسبيل ذلك ان تكون الثقافة التى تصدر عنه والمعرفة التى تطلب فيه ملائمتين اشد الملائمة لحاجات الناس وآمالهم مستقبل الثقافة فى مصر . القاهرة — مطبعة المعارف ١٩٣٨ جـ ٢ ص ٤٧٢ — ٤٧٥ .

نقد واصلاح ص ٢٦٥ — ٢٦٦ .

(٩٢) تحدث الشيخ حسن المرصفى « عن تجمد طريقة التعليم بالأزهر وسوء احوال رجاله » فقال : « تقضوا أرزل العمر فى كتب محدوده وشروح موجوده وهم يكررونها ولا يدرونها ويقررونها ولا يحررونها ويتداولونها ولا يتعقلونها . »

الوسيلة الأدبيه جـ ٢ ص ٦٧٣ .

وكتب الأستاذ عباس محمود العقاد عن التعليم بالأزهر فقال :

« وكان التعليم والتعلم كلاهما فوضى مهملة لا رقابة عليها لأحد » .

انظر : محمد عبده . ص ٧٤ .

وبقيت العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية والفلسفية مهجورة من الأزهر ، ينظر اليها بعين السخط ، ويفر من سماعها فرار الصحيح من الأجرب » [٩٣] .

هذا فى الوقت الذى يجب أن يكون فيه الأزهر « ملطفا للحياة الحديثة مخففا لأثقالها ملائما بينها وبين ما يأمر به الله من الخير والمعروف ، مباعدا بينه وبين ما ينهى الله عنه من الشر والمنكر »[٩٤]

طالب النديم المشايخ بالاستقامة وحسن السيرة والاخلاص ، والبعد عن الرياء وحب المظهر والجاه والتقيد بكتاب الله والسنه النبوية حتى يسير طلبتهم على منوالهم وينتفعون بصحبتهم ومواعظهم لأنهم اذا كانوا غير ذلك وميالين للبدع والأهواء فلا يفيدون مريديهم غير الخسران والضلال [٩٥] كما طالبهم باتباع الحق والأصول الدينية وعدم محاباة الملوك أو الأمراء [٩٦] .

كما ذكر أن أهم أسباب سوء أحوال طلاب الأزهر يرجع الى كثرة العطلات به أثناء الموالد والمناسبات والأعياد الدينية [٩٧] وأيام الجمع ويوم المحمل وعند موت عالم ومرض شيخ وغير ذلك كما كشف عن سبب هام يفت فى عضد الأزهريين ويقعد بهم عن التعليم والمذاكرة وهو سوء أحوالهم الصحية حيث يجتمع فى الجامع الأزهر من عشرة الى عشرين ألفا مع عدم وجود من يرعى هؤلاء من الناحية الصحية مما يتسبب عنه انتشار الأمراض المعدية حيث يسكنون حجرات ضيقة فاسدة الهواء وقليلة الضوء تستوطنها

---

(٩٣) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ص ٥١٦ ، محمد عمر : المرجع السابق الذكر ص ٩٠ .
(٩٤) د. طه حسين : نقد واصلاح ص ٢٦٥ .
(٩٥) عبد الله النديم : كان ويكون جـ ١ ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .
(٩٦) نفسه ص ٨٥ — ٨٦ .
(٩٧) لمزيد من التفاصيل : انظر . محمد عبد الجواد : حياة مجاور فى الجامع الأحمدى . القاهرة — دار الفكر العربى ١٩٤٥ ص ١٥٠ — ١٥١ .

الحشرات وتملؤها القاذورات كما « كانت أمكنة الجامع الأزهر من صحنه الى مقاضيزه الى أروقته الى مغاطسه وميضاته وكنفه مجمع أوساخ ، ومهب روائح عفنة ، ومنبع وخامة وبؤرة أمراض معدية » [٩٨] وساعد على انتشار الأوبئة أيضا فقر الطلاب الذى يمنعهم من نظافة أنفسهم بتغيير ثيابهم حيث يرتدى معظم هؤلاء طوال العام ثوبا واحدا غالبا ما يكون فى حالة قذرة كما أنهم يقطعون النهار وطرفا من الليل جلوسا على حصير فوق بلاط .

اقترح النديم حلولا لاصلاح الأزهر نشرها على صفحات مجلة الأستاذ [٩٩] فحث الحكومة على الاهتمام به [١٠٠] وتخصيص مبلغ من المال للانفاق على شئون التعليم به والاعتناء بشئونه كما تعنى بمعلمى اللغات الأجنبية وبعض العلوم الطبيعية من الأجانب الذين يحصلون على مرتبات مرتفعة ومراكز كبرى [١٠١] على حساب الكفاءات المصرية فقال : « اذا كانت الحكومة تصرف لمعلمى اللغات الأجنبية وبعض العلوم الرياضية والطبيعية الخمسين جنيها والمائة راتبا لشخص واحد فماذا عليها لو خصصت للازهر ودوائره مبلغا تساعد به الأوقاف » [١٠٢] كما أوضح لها أن تقدم الأزهر ورفعته يعود على الوطن بالنفع بصفة عامة والحكومة بصفة خاصة فقال ان من طلبة الأزهر « يخرج القضاة ونواب البلاد

---

(٩٨) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر جـ ١ ص ٤٨٠ .

(٩٩) الأستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ ص ٦١٩ تحت عنوان « العلماء والتعليم » .

(١٠٠) الجدير بالذكر ان مجلس شورى القوانين قد تبنى ما طالب به النديم فى مطالبة الحكومة بالاهتمام بالازهر حيث نادى « بالمحافظة على هذه المدرسة العظمى ، ومد يد المساعدة اليها ماديا ومعنويا » .
مجلس شورى القوانين — محضر جلسة السبت ٢٣ ديسمبر ١٨٩٣

(١٠١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى :
محمد عبد الفتاح ابو الاسعاد : رسالة الماجستير السابقة الذكر .

(١٠٢) الأستاذ : العدد السادس والعشرون فى ١٤ فبراير ١٨٩٣ ص ٦١٩ تحت عنوان : « العلماء والتعليم » .

والفنون وطلبه دار العلوم ، وهؤلاء كلهم تابعون لادارة الحكومة لا لاداره الأزهر » [١٠٣] وذكرها بأهميه الأزهر كاشعاع للعالم الاسلامى حيث تشع منه أنوار العلم والهداية لكل شعوبه فقال : « وأما الأزهر فلا ينكر أحد ماله من الأهمية فى العالم الاسلامى أجمع فقد تخرج فيه الجهابذة والأساتذة والمؤلفين الذين هدوا العالم الانسانى الى طرق المدنية والفضل بتآليفهم المفيدة ، ومبتكراتهم البديعه » [١٠٤] كما تحدث عن المواد التى تدرس به والعلماء القائمين على التدريس فيه فقال « فقد ملىء بالأئمة الأعلام الحائزين على رتب المزايا والفضائل . وكلهم قائم بتدريس ما نبط به من فنون التفسير والحديث والأصول والفقه والتوحيد والمنطق والبيان والبديع وأدب البحث والوضع والتجويد والقرآن والمصطلح والحساب والتاريخ والانشاء والعروض والقوافى وغيرها من العلوم النقلية والعقلية [١٠٥] .

طالب النديم بادخال العلوم العصرية بالأزهر كالرياضيات والآلات والهندسة والحساب والجغرافيا والحقوق والتاريخ وعلم الأخلاق ومبادىء الصحة الشخصية [١٠٦] حتى يجارى التطور الحضارى ، وليكون اتصاله بالأجيال الناشئة والأجيال المقبلة أكبر من اتصاله بالأجيال الماضية والحاضرة حيث أنه مشرق النور الدينى للبلاد الاسلامية كلها ، وأخص ما يمتاز به الإسلام أنه دين الحرية والعلم والمعرفة والتطور والطموح الى المثل العليا فى.

---

(١٠٣) نفسه .

(١٠٤) الأستاذ : العدد الثامن والثلاثون بتاريخ ٢٦ مايو ١٨٩٣ ص ٩١٨ تحت عنوان « الأزهر الشريف بمصر وجامع الزيتونة بتونس » .

(١٠٥) نفسه ، ويعتبر كتاب « مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية » لرفاعة الطهطاوى وثيقة هامة من اهم الوثائق فى تاريخ التعليم بالأزهر حيث يشتمل على أسماء المؤلفات الكثيرة التى كانت تدرس به .

(١٠٦) الأستاذ : العدد السابق الذكر

الحيـاة الروحية والمـادية جميعا (١٠٧) ، كما طـالب بمراعاة أحوال الطلاب الصحية أثنـاء الدراسة والـكشف الطبى عليهم قبل دخولهم حتى لا ننتشر العـدوى بينهم ، ولا يفت المرض فى عضدهم ويقعـد بهم عن التعليم والمـذاكرة (١٠٨) ، وناشـد الطلاب باتبـاع قواعد آداب المحـاضرة لأن أكثرهم يكون غير منتبـه أو نائم أثنـاء القـاء الدروس فقـال : « يرى أكثرهم نائما على وجهه فى الدرس ، ويبقى كذلك ساعات ، ويستمر اليوم بعد الآخر حتى تتصب المواد فى عينـه فتضعف أو يذهب نورها فضلا عن خروج هيئـة قعوده عن حـد الأدب » (١٠٩) .

ولمـا كانت الدراسة فى الأزهر لم تقيـد الطلاب بنسبة حضور معينـة بل كان مرجع ذلك اجتهادهم (١١٠) فقـد طـالبهم النـديم بضرورة المواظبـة على حضـور الدروس يوميا ، واقترح على العلماء تنظيم الامتحانات السنوية واعتبار نسبة انتظـام الطالب على سماع المحاضرات ضرورية لدخوله الامتحـان ، وأن تنظم المناهج الدراسية، وتوزع على سـنوات الدراسة على أن يمتحن فيها الطلبة فى نهاية كل عام دراسى (١١١) وقد تحققت مطالب النـديم على يد الشيخ محمد

---

(١٠٧) د. طه حسين : المرجع السابق الذكر ص ٢٦٦ .
والجدير بالذكر أن الشيخ محمد عبده عين مفتيا للديار المصرية فى ٢ يونية ١٨٩٩ ونادى بذلك وأدخله فى حيز التنفيذ .
لمزيد من التفاصيل انظر : محمد رشيد رضا . المرجع السابق الذكر جـ ٣ ص ١٦٦ .

(١٠٨) لقد تحقق ما نادى به النـديم اذ تعين طبيب يعرض عليه كل من يريد الالتحـاق بالأزهر من الطلاب ويعـالج المرضى ، ويراقب تنفيذ الأمور الصحية ، وأنشئت صـيدلية ومحل لعـادة المرضى فيه وكان ذلك من مساعى الشيخ محمد عبده .
محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر جـ ٢ ص ٢٥٢ ، د. تشارلز : المرجع السابق الذكر ص ٧١ .

(١٠٩) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

(١١٠) محمد عبد الجواد : المرجع السابق الذكر ص ١٦٧ — ١٦٨

(١١١) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

عبده حيث صدر القانون الشامل للجامع الأزهر فى أول يولية ١٨٩٦ فأضاف للعلوم الدينية كثيرا من المواد الجديده وهى الأخلاق ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية ، وجعل التاريخ الاسلامى والخط والانشاء ومتن اللغة ومبادىء الهندسه وتقويم البلدان مواد اختيارية يمتاز محصلها من غيره، ويقدم عليه فى الوظائف والمرتبات (١١٢) وتم تنظيم عملية مواظبة الطلاب فى الدراسه ومراقبة نسبة حضورهم للدروس (١١٣) كما سعى الشيخ محمد عبده عند الوزارة حتى تخصص مبلغا من ميزانية الدولة للانفاق منه على الدراسة فى الأزهر (١١٤) .

٣ ــ دفاع النديم عن اللغة العربية :

هال النديم أن يرى آثار موجه الفرنجة الجارفة التى أصابت البلاد تصل الى اللغه العربية حتى أصبح أبناء وطنه لا يهتمون بلغتهم والمثقفون منهم يتفاخرون باستعمال اللغات الأجنبية كلغة للتفاهم والتعامل كما هاله أن يرى محاولات الاستعمار للتقليل من شأن اللغة العربية للسيطرة على عواطف المصريين وأفكارهم حتى لا ينهضوا لمناوئيهم واحلاله الانجليزية والفرنسية محل العربية فندد بهؤلاء فى صحفه مبينا لهم الآثار الضارة التى ستترتب على مستقبل الوطن والدين نتيجة ما يفعلون فكتب مقالا تحت عنوان

---

(١١٢) محمد عبد الجواد : المرجع السابق الذكر ص ٢٦٣ ، عباس محمود العقاد : محمد عبده ص ٢٠٦ .

(١١٣) للتفاصيل انظر : المقتطف : الجزء التاسع من المجلد الثلاثين فى أول سبتمبر ١٩٠٥ ص ٧٤١ تحت عنوان « اصلاح الأزهر » .

(١١٤) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٢١٠ .

ولمزيد من التفاصيل : عن اصلاحات الشيخ محمد عبده فى الأزهر . انظر : محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٥٠ وما بعدها .

(اضاعة اللغة تسليم للذات) (١١٥) خاطب فيه المتفرنجين فقال « أيها الناطق بالضاد — بم تستبدل لغتك ، وليس لها من مثيل ، وان من يتركها وأنت لها كفيل ، وما الذى استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابله فيها » (١١٦) كما بين لهم أن « اللغة هى سر الحياة » (١١٧) يترجم بها اللسان عن خواطر القلب وانها فى حد ذاتها شخصية استقلالية لأن الذى يعبر بلغته يشعر بالقوة وتنطبع نفسه على حب الكرامة والاستقلال ثم انتقدهم بقوله . « بقى لما تتكلم بلغة ضيوفك ، وكل من جه تاخد لك من لغته كلمتين حتى تركب لك لغة من هنا ومن هنا حتى بقيت غريب فى الديار ، وضيعت مجدك وشرفك » (١١٨) .

وحذرهم بأن ما يفعلونه سيؤدى الى اماتة القومية والجنسية والدين وقطع الصلة بين الجيل الحاضر والتراث المجيد الذى ورثناه عن أسلافنا فقال « واذا حولنا طريق التعليم باللغة الوطنية

---

(١١٥) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ .

وقد اثار موضوع هذا المقال مناقشات عديدة معارضة ومؤيدة فقد ندد أمين شميل بالمقال وحث على هجر اللغة العربية والاستعاضة بغيرها من اللغات .

ولمزيد من التفاصيل : انظر جريدة العصر الجديد العدد ٧٨ فى ١٠ اغسطس ١٨٨١ .

تحت عنوان « جواب واقتراح لاحد علماء مصر الأفاضل » .

كما وقف المتعصبون للغة بجانب النديم ، وهاجموا ما قاله شميل ونصحوه بالرجوع الى رأى النديم .

العصر الجديد : العدد ٨٠ فى ٢٤ اغسطس ١٨٨١ تحت عنوان « ما كل ما يعلم يقال » .

رسالة لاحد ادباء الاسكندرية .

وكانت هذه المقالة سببا فى مناظرة طويلة بين ادباء مصر انتهت باقامة النديم نفسه حكم موفق بين افكار الكل .

سلافة النديم ج ١ ص ٩٤ — ١٠٠ .

(١١٦) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١ ص١٩

(١١٧) نفسه .

(١١٨) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٤ اغسطس ١٨٩٢ ص١١—١٥

الى التـدريس باللغـات الأجنبيـة أهتنا قوميتنا وجنسيتنا وديننـا وأصبحنا أجانب بين قومنـا » (١١٩) ثم بين لهم أن اللغـة العربيـة مرتبطة بالدين والجنس والقومية (١٢٠) أشـد ارتبـاط ، وناشد أولى الأمر حفظ اللغة العربية لأنها مرتبطة بالدين ارتباط الروح بالجسد (١٢١) ففيها سر خالد هو القرآن الـكريم الذى لم يكن كتابا يجمع بين دفتيه ما بجمعه كتاب أو كتب فحسب بل هو « جنسية لغوية .. ولولا هذه العربيـة التى حفظها القرآن على الناس وردهم اليها .. لما تماسكت أجزاء هذه الأمة » (١٢٢) .

كما طالب النـديم بالاكثار من مدارس الجمعيـات وصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغـة العربية بطريقه تهذيبيـة (١٢٣) وذكرهم بأنه حينما كانت البـلاد خالية من الدخلاء ، كانت اللغـة العربيـة

---

(١١٩) الأستاذ : المقال السابق الذكر .

وقد حمل حافظ ابراهيم دعوة الحفاظ على اللغه العربية بعد النديم وندد بمحاولات اماتتها ؛ وبعث الانجليزية مكانها ، وأخذ يحمس المصريين ويدفعهم للوقوف فى وجه هذه المحاوله قائلا على لسان الفصحى :

أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً	...

أداريكم من جانب الغرب ناعب ... ينادى بوأدى فى ربيع حياتى
أيهجرنى قومى عفا الله عنهم ... الى لغـة لم تتصـل برواة

(١٢٠) الأستاذ : العدد الثامن فى ١١ أكتوبر ١٨٩٢ ص ١٧٩ . تحت عنوان « اللغـة والانشاء » .

(١٢١) نفسـه .

(١٢٢) مصطفى صادق الرافعي : تحت راية القرآن — المعركة بين القديم والحديث القاهرة — المكتبة التجارية . الطبعه الرابعة ١٩٥٦ ص ٤٧ — ٤٨ .

(١٢٣) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونيه ١٨٨١ ص ١٩ تحت عنوان « اضاعة اللغة تسليم للذات » .

وقد ردد هـذا فيما بعد الأستاذ عباس محمود العقـاد بقوله ان « الحملة على لغتنـا نحن حملة على كل شىء يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينيـة وعلى اللسان والفكر والضـمير فى ضربة واحدة .. فزوال اللغة العربيـة لا يبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه على سائر الأقوام » .

انظر : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب . القاهرة — دار المعارف ١٩٦٣ ص ١٢٧ .

فى قمــة مجدها وازدهارها فقــال : « بحثنـــا فى اللغة العربية وما كانت عليـــه من العــز والارتقـــاء أيام خلو العرب من الدخلاء والخلطاء » (١٢٤) .

ورد على أولئك الذين ادعوا أن اللغــة العربية ليست لغة علمية فقــال : ان أصــول العلوم فى القرون الطويلة المــاضية والثقافات العلميــة المختلفــه التى حملها العرب الى العــالم الحــديث كانت باللغــة العربية التى لفت الدنيــا ، ودخلت كل دولة بعلومها وفنونها « فنعرف فضــل العدو قبل الحبيب » (١٢٥) كما ذكر أن اللغـــات السريانية والعربيــة والفارسية والعبرانيــة كانت أســاس العمران والمدنية (١٢٦) ، وانه قد ظهر فى الوجود العلمى مئات الوف من أفاضل وأجلاء علمــاء بلاد العرب والفرس والــكرد هدوا العالم الى الحضارة وكمال العمران (١٢٧) وهاجم ما ردده وليم ويلكوكس الانجليزى (١٢٨) بأن أســباب تأخر المصريين هو تمسكهم باللغة العربية الصحيحة (١٢٩) مبينا أن القرآن وهو الحجة الــكبرى لنـــا معــاشر المسلمين نزل بالعربيــة ، وطالب بضرورة المحــافظة على اللغة موضــحا أهميــة استعمالها فى المعاملات الخاصة وبين الأهل والأبنــاء ، وفى كتب الدين

---

(١٢٤) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣٠ يناير ١٨٩٢ ص ٤٦٧ . تحت عنوان « باب اللغــة » .

(١٢٥) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ص ١٩ تحت عنوان « تحيــة بلدى » .

(١٢٦) عبد الله النديم : كان ويكون حـ ١ ص ٢٥٦ . « حديث النديم مع الخواجه المرسى عن اللغات » .

(١٢٧) عبد النديم : المرجع السابق الذكر جـ ١ ص ٤٨ .

(١٢٨) كان يعمل مهندسا للرى فى مصر ، وقــد أدار مجلة باســم الأزهر فى عام ١٨٩٣ للدعوة الى العامية والترويج لها .

وعن ما ذكره ويلــكوكس انظر : مجلة الأزهر — العــدد الأول من السنة السادسة فى ١ يناير ١٨٩٣ ص ١ — ١٠ .

(١٢٩) الأستاذ : العــدد العشرون فى ٣ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « اشتات الشرق وعصبيات أوربا » ص ٤٦٩ .

والعلم لأن بقـاء الجنس والدين مرتبطان ببقائها [١٣٠] ، وأن « ف. ضعف كل أمة فقـدان لغتها » [١٣١] كما أوضح لأولى الأمر خطورة ادخال الـكلمات الأجنبيـة فى المـكاتبات الرسمية فقال : « ان كثرة استراق الـكلمات الأجنبية واستعمالها فى مخاطباتنا الـكتابية يؤدى الى الرجوع باللغة القهقرى » [١٣٢] .

كما ذكر أن اللغـة العربية « تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لا قاعدة تمشى عليها ، ولا كتاب يحفظها ولا ضابط يجمعها ولا حروف تؤلف منها » [١٣٣] وضرب مثالا على جهـل رجال الادارة الحكومية باللغة العربيـة فـكتب تحت عنـوان « كم فى الزوايا من. خبايا » تهكم فيـه عليهم فذكر أن أحد المأمورين أخطأ فىعمله فأرسل اليه رئيسه كتابا يوبخه فيه ويسأله الاجابة فطلب أحد رؤساء الكتاب وأعطاه الـكتاب للرد عليه ، ولمـا كانت لغة هذا الرئيس العربية غير سليمة سأل كل من فى الديوان أن يرشدوه على من يستطيع الـكتابة بالعربية الفصحى فلم يجد غير شاب من أولاد الفقراء لاتزيد ماهيته عن ثلاثمائة قرش فاستحضره وأعطاه الخطاب ليرد عليه فـكتب الرد بلغة عربية فصيحة أعجبت المأمور الذى سأل كيف يكون هذا بثلاثمائة ورئيسه بألف قرش فقال له الوكيل هذا هذا من أولاد الفقراء ، وليس له محسوبية لدى أحد امراء حتى يتقدم لدى ذوى الغايات .

وقد ختم النـديم كلامه بأن قال « أعظم مصيبة من رئيس كتاب

---

(١٣٠) الأستاذ : العدد السابق ص ٤٧١ .

(١٣١) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣ يناير ١٨٩٣ ص ٤٦٧ تحت عنوان « باب اللغـة » .

(١٣٢) الأستاذ : العـدد الثـامن فى ١١ اكتوبر ١٨٩٢ ص ١٧٨ تحت عنوان « اللغـة والانشاء » .

(١٣٣) التنكيت والتبكيت : العدد الثانى فى ١٩ يونيه ١٨٨١ . تحت عنوان « اضـاعة اللغة تسليم للذات » .

لا يعرف الانشاء ،ووجود مأمور لا يحسن كتابة جواب » (١٣٤) »

وهنا يمكن أن يتبادر فى أذهاننا سؤال وهو لقد كانت الكتابة الديوانية ركيكة منذ البداية فلماذا شن عليها النديم حملته الآن ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ينبغى أن نوضح أن سبب تدهور اللغة العربيه فى أيام محمد على وقبله كان بسبب سيطره اللغة التركية على العربية وخاصة فى دواوين الحكومه ، فقد كان كل من يجيد التركيه له أحقيه الترقى فى سلك الحكومة . وخير مثال على تدهور اللغة العربية فى هذه الفترة ما كتبه الشيخ عبدالرحمن الجبرتى فى كتابى « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » (١٣٥) و « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » (١٣٦) حيث يتضح مدى تأثر الجبرتى بطابع عصره فىانحطاط الأسلوب ، وشيوع العجمه فىالتراكيب والتروى فى الكثير من الأخطار النحوية واللغوية ، وقد ظلت اللغة التركية هى لغة الدواوين معظم عصر اسماعيل حتى ترجم « عبد الله فكرى » اللوائح الى العربية فلا بدع اذا آثرت الحكومة أبناء الأتراك ومن يجيد التركية بالوظائف الكبيرة (١٣٧) ثم نشأت طبقة من كتاب الدواوين لم تختلف فىشىء عن كتاب الدواوين المتأخرين(١٣٨) من حيث كتابة المنشورات والتقريرات بأسلوب السجع ولم تكتف بما فيه من أغلال بل تضيف اليه أغلال الجناس والطباق وغيرهما من

---

(١٣٤) عبد الفتاح النديم : المرجع السابق الذكر ج ١ ص ١٠٤—١٠٥ .

(١٣٥) طبع عدة طبعات منها طبعه ١٢٦٧ هـ بالمطبعة الأميرية بالقاهرة فى ٤ أجزاء .

(١٣٦) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠١ م تاريخ ، عدد اوراقه ١٤٦ مكتوب بخط واضح وقد قامت وزارة التربية والتعليم بتشكيل لجنة لتحقيقه وطبع عام ١٩٦١ فى جزءين .

(١٣٧) عمر الدسوقى : محمود سامى البارودى ص ٢١

(١٣٨) أمثال القاضى الفاضل وزير صلاح الدين وطبقته

أغلال البـــديع ، وربما كان من أهم أســباب هذا الجمود أن مصر لم تكن تشعر بوجودها شعوزا محققاً حيث اهتم محمد على بكبت هــذا الشعور ، وظل الشعب بعيدا عن المنــاصب الــكبرى التى اختص بها طبقـــة الأتراك ، وظلت لغتــه معه متخلفــة لا تتطور ، اذ لم تكن هناك بواعث سياسية ولا قوميه تدفعها الي هــذا التطور : بل كان الحاكم يقدم عليها اللغــة التركية فى دواوينــه ومنشوراته (١٣٩) .
لذلك فالاجابة على السؤال المطروح بأنه حينما ظهرت البواعث القومية والسياسية ظهر من الــكتاب والشعراء من أحاط اللغة العربية بعنايته وبرعايته أمثال « ابراهيم المويلحى وعبد الله النديم المصرى ومحمود سامى البــارودى وعدد كبير غيرهم ممن حرصوا على ســلامة اللغة وأعادوا الى العربيــة ديباجتها المشرقة وبيــانها النــاصع » (١٤٠) وخصوصا بعد أن سيطرت انجلترا على مصر عسكريا وحرصت على السيطرة أيضا على أفــكار المصريين وعواطفهم بالعمل على القضــاء على لغتهم وبعد أن اجتــاحت مصر موجة الفرنجة ومحاولة البعض التقليل من شــأن اللغة العربية واعتبارها مصدرا من مصادر التخلف الحضارى لقد كان النــديم على حق فيما دعا اليه حيث كانت الألفاظ الأجنبيــة قــد طغت على الألفاظ العربيــة (١٤١) ، واســتعملت فى

---

(١٣٩) د. شوقى ضيف : الأدب العربى المعاصر فىمصر ص١٤٤ .
(١٤٠) الأمير مصطفى الشهابى : محاضرات عن القومية العربيــة ص ٣٠٢ .
(١٤١) بلغ الأمر بمجله المقتطف أن نادت بكتابة الالفــاظ العربيــة بالحروف الأجنبية ، وحيث أن باللغه العربيــة حروفا لا وجود لهــا فى اللغــات الأفرنجية كالحاء والعين والغين ــد اقترحت حروفا عربيــة لتطابق الأفرنجية .
المقتطف : الجزء الرابع من السنة الثالثة عشر . عدد يناير ١٨٨٩ ص ٢٤٥ — ٢٤٨ تحت عنوان « طريقة جديدة لــكتابة العربيه بحــروف افرنجيــة » .
وراى الأب انستاس الــكرملى اختراع طريقــة جــديدة لــكتابة الــكلمات العربية يتمكن من خلالها القــارىء قراءة اى نص كان من غير ان يستعين بالصرف والنحو .
الهلال : الجزء العاشر فى اول أغسطس ١٩٣٢ .
تحت عنوان : « هل ينبغى تغيير الحروف العربية » .

المخاطبات الكتابية داخل الدوائر الحكومية حتى كثرت الشكوى. ويتضح ذلك من رسالة أرسلتها نظارة المعارف الى مجلس النظار تشكو فيها من كتابة بعض الألفاظ العربية باللغات الأجنبية فى دوائر الحكومة مما أدى الى وقوع الكثير من الأخطاء وهذا نصها « لم تتقرر حتى الآن فى دوائر الحكومة قاعدة ثابتة يتبعها الكل فى كتابة الألفاظ العربيــة بحروف اللغات الأجنبيــة وبالعكس ، وقد ترتب على ذلك وقوع الغلط فى كتابة بعض الأسماء والأعلام والأسماء الخاصة الأكثر تداولا عند نقلها بالحروف الأجنبيــة ، وكثيرا ما يشاهد حصــول هذا الخطأ فى الأوراق الرسمية الصــادرة فى دوائر الحكومة » (١٤٢) ومع أن النــديم قــد دعا الى الحفاظ على اللغــة العربية لأن انقطــاع الصلة ببننــا وبين ماضينا أشبه شيء بتجريد الانسان من الذاكرة فانه لم يعترض على تعلم اللغات الأجنبية (١٤٣) بل اعتبر أن الجمع بينهما من أسس التقــدم والعمران فقال : « ان الجامع بين لغتــه ولغــات الغير أساس من أسس العمــران المــدنى ومنبع من منــابع الأبحر العلمية » (١٤٤) كما ذكر أن تعلم اللغــات دلالة على مدى ما وصــل اليه الأهالى من حيث المــدنية وان اللغــة تعظم وتتسع موادها كلما دعت ضرورة العمران والمدنية الى اتساع نطاقها (١٤٥) .

---

(١٤٢) دار الوثائق — محفوظات مجلس الوزراء — نظارة المعارف محفظه رقم ٤/٤ فى ١٨٩٢/١/١٥ مذكرة رقم ٤٨٣ من نظارة المعارف الى مجلس النظار .

(١٤٣) لقد كانت مقالات النــديم فى التنكيت والتبكيت تحض على الابتعاد عن كل ماهو اجنبى ، ولــكن تغير ذلك فى كتاباته بالأستاذ اذ يتضح منها اعترافه بحتميه التطور بشرط أن يميز أبناء الوطن بين الخبيث والطيب ، علما بأن استاذه الأفغــانى قــد تعلم الفرنسية فى سن متأخرة حتى يستطيع الرد على اتهامات المتعصبين من علماء أوربا .

(١٤٤) الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ص ١٤ تحت عنوان « فصل فى الأخلاق والعادات » .

(١٤٥) عبد الله النديم : كان ويكون جـ ١ ص ٥٦ ، « حديث النديم مع الخواجه الفرنسى عن اهمية اللغات » .

دعا النديم القائمين بأمر الأمم الشرقيـــة أن يحولوا بين اللغـــة العربيـــة وبين موتهـــا (١٤٦) فجـــدد الدعوة الى انشاء مجمع للغـــة العربية (١٤٧) حتى يمكن أن يحول رجاله دون اللغة وموتها حيث أن المـــدنية الحاضرة قد أوجدت ما ليس له معنى فى الألفاظ العربيـــة مما يحتم ضرورة وضع أسماء عربية للمصطلحات الجديدة ، وترجمـــة الألفاظ الأوربيـــة واخضاعها لمعـــايير وأصول قواعد اللغة العربية ، واقترح أن يتكون هـــذا المجمع من « علماء أفاضل متمكنين من اللغة

---

(١٤٦) الأستاذ : العدد الثامن فى ١١ اكتوبر ١٨٩٢ ص ١٨٠ تحت عنوان « اللغة والانشاء » .

وملا طمع الاستخفاف باللغة العربية فيما بعد ان اقترح سلامة موسى الغـــاء الالف والنون فى المثنى ، والواو والنون من جمع المذكر السالم .. والياء والاعراب ، والاكتفاء بتسكين اواخر الـــكلمات .

مجلة الهلال : عدد اول يولية ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ — ١٠٧٧ .

(١٤٧) الأستاذ : العدد الثامن فى ١١ اكتوبر ١٨٩١ ص ١٨٠ .

تحت عنوان « اللغة والانشاء » علما بأن النديم لم يكن اول من طالب بانشاء مجمع اللغـــة العربيـــة كما ذكر الدكتور على الحـــديدى ذلك فى كتابه عبد الله النديم خطيب الوطنيـــة ص ٣٤٠ ، وكما ذكر الأستاذ نجيب توفيق فى كتابه عبد الله النـــديم خطيب الثورة العرابيـــة ص ١٣٥ حيث يتضح لنـــا ان احمد فارس الشدياق قد دعا الى انشاء مثل هذا المشروع من قبل فى صحيفة الجوائب وبالتحديد فى عام ١٨٦٠ وناشد الشـــدياق رفاعه الطهطاوى ومحررى « روضه المدارس » بأن يشتركوا فى هـــذا العمل حيث أن مصر كما يذكر « مورد العلوم العربيـــة ومصدرها وكلام مشايخها متبع فى جميع الأمصـــار » .

احمد فارس الشدياق : كنز الرغائب فى منتخبـــات الجوائب جـ ١ ص ٢٠٠ — ٢٠٦ .

كما نادى بهذه الفكرة بعد ذلك عبد الله باشا فكرى فى عام ١٨٧٦ مشيرا الى ان الداعى الأول اليها هو احمد فارس الشدياق أمين فكرى : الآثار الفكرية (نظم ونثر احمد فـــكرى باشـــا) ص ٢٣٨ ثم كرر عبد الله فـــكرى هذه الفكرة مره أخرى فى عام ١٨٨١ مناديا بانشـــاء أكاديميـــة لصيانة اللغة ولـــكن الأحوال السياسية حالت دون ذلك .

المقتطف : عدد مارس ١٩٢٨ ص ٥٨ مقال للاستاذ توفيق حبيب تحت عنوان « محاولات لانشاء مجمع لغوى ووضع دائرة معارف عربيه » .

وعلوم شتى بحيث يقـدر كل واحـد منهم على مراجعـة الكتب اللغوية وغيرها » [٩٤٨] .

كما طالب بأن يقسم أعضاء هذا المجمع على حسب قدرتهم العلمية فيكون « قسم منهم يختص بالمواد اللغوية ، وقسم يختص بالآليات[١٤٩] كالنحو والصرف والبيـان والبـديع والمنطـق ، وقسـم يختص بالتـاريخ وتقويم البـلدان ، وقسم يختص بالترجمة ، وقسم يختص بالرياضيات » [١٥٠] .

كما طالب بأن يعقد هذا المجمع جلسه عامة كل شهر [١٥١] ، وأن يكون له جريدة خاصـة بنفاريره وخطبـه [١٥٢] ، واقترح بألا يقصر المجمع أعمـاله على الديار المصريه بل ينم مخاطبـة كل الجهـات العربيـة والشرقية حتى لا يقع خلاف بين المصريين وغـيرهم ، ولم يتحقق ما نادى به النديم [١٥٣] رسميا الا فى ديسمبر عام ١٩٣٢ حيث صدر مرسوم بانشاء مجمع للغة العربية [١٥٤] .

والجدير بالذكر أنه رغم دفاع النديم عن اللغة العربية ومناداته

---

(١٤٨) الأستاذ : العـدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ص ٦٧٣ — ٦٨٦ تحت عنوان « مجتمع اللغه العربية بمصر » .

(١٤٩) يقصد النديم بالآليـات هـا المواد التى تحـتاج الى تفكير ذهنى وتعتمد على العقل .

(١٥٠) الأستاذ : العدد السابق الذكر ص ٦٨١ .

(١٥١) لمزيد من التفاصيل . انظر : المقتطف : المقـال السـابق الذكر ص ٥٩ .

(١٥٢) تحقق ذلك بانشاء « مجله مجمع اللغه العربية » التى يصدرها المجمع بصـفة دورية .

(١٥٣) حمل مصطفى صـادق الرافعى الدعوة لانشـاء مثل هـذا المجمع بعد النـديم .
انظر : تحت راية القرآن — المعركة بين القديم والحديث ص ٥٥ .

(١٥٤) انظر ما أصدره مجمع اللغـه العربية تحت عنوان « مجمع اللغـة العربية فى ثلاثين عاما » جـ ٢ .
المجمعيون . مقدمه الدكتور مهدى علام .

باحيائها وخوفه من ضياعها نجد له بعض المحاورات والمقالات فى صحيفتى « التنكيت » و « الأستاذ » باللغة العامية [١٥٥] ورغم خطورة العاميه على الفصحى نجده يعلل ذلك بقوله ان كتابته بالعامية كان يهدف منها الى تحويل العامى الجاهل من كراهه قراءته الكتب الى محبتها فيؤدى به الأمر الى سماع الكلام الصحيح [١٥٦] كما أن مقالاته العامية كانت « أشبه بدروس عملية تناولت موضوعات شتى مما كان يهم الشعب » [١٥٧] .

لقد أحس النديم بخطورة العامية على الفصحى وخصوصا بعد دعوه البعض الى هجر الفصحى واستبدال العامية بها أمثال « أمين شميل » [١٥٨] و « وليم ويلكوكس » وأصحاب المقتطف [١٥٩] مما

---

(١٥٥) للامثله على ذلك انظر : التنكيت والتبكيت العدد التاسع فى ١٧ اعسطس ١٨٨١ تحت عنوان « حمل زجل عال » ؛ الأستاذ : العدد الأول فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ ص ١٦—٢١ تحت عنوان « تحيه بلدى » ، العدد العاشر فى ٢٥ اكتوبر ١٨٩٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٧ تحت عنوان « يوسف القماش وسلامه الصياد وروحته خضرا » ؛ وايضا العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٦٨ تحت عنوان « حنفيه ولطيفة » .

(١٥٦) الأستاذ : العدد العشرون فى ٣ يناير ١٨٩٣ ص ٤٦٨ . تحت عنوان « باب اللغة » .

(١٥٧) د. سامى عزيز : المرجع السابق الذكر ص ٢٩٥ .

والجدير بالذكر ان كتاب تلك الفترة أباحوا لانفسهم استخدام العامية فى الكتابه وكان على راسهم عبد الله باشا فكرى .

امين فكرى : الآثار الفكرية — نظم ونثر عبد الله فكرى باشا . القاهرة ١٨٩٧ ص ٨٠ .

ويذكر الدكتور طه حسين ان العاميه ليس لها مقومات وخصائص اللغة بل هى لهجة من اللهجات . مستقبل الثقافة فى مصر جـ ٢ ص ٣١٤ — ٣١٥ .

(١٥٨) هو ابن ابراهيم شميل وشقيق الدكتور شبلى شميل . ولد عام ١٨٢٨ فى كفر شيما بلبنان وقد هاجر الى مصر واشتغل بالمحاماة كما عمل بالأدب والعلم والتاريخ .

زكى مجاهد : الأعلام الشرقية فى المائه الرابعة عشر بعد الهجره جـ ٣ ص ٢١ .

(١٥٩) المقتطف : عدد نوفمبر ١٨٨١ .

جعله يفكر فى العـدول عن الـكتابة بالعاميه [١٦٠] فى صحفه ، وعن ذلك قال « خفت أن تمشى الـكتابة بالبلدى فنحارب لغتنـا العربيـة بجيشين جيش الدخيل الأجنبى [١٦١] وجيش اللغة العـامية » [١٦٢] ولـكنه لم يستطع حيث وصلته رسائل كثيرة من عامة القراء يوضحون له فيها أنه بذلك سيحرم الـكثيرين من مقالاته وأفـكاره التى يكتبها

---

(١٦٠) لم يدرك النديم خطورة العـامية على الفصحى الا فى وقت متأخر لذلك نراه لا يتعرض لذلك فى « التنكيت والتبكيت » وأن كان قد تعرض للمتفرنجين والمفتونين بلغـات الغير .

وخطورة العامية انها تتخذ لهجات مختلفة فى النطق بين الشعوب العربية فى مصر والعراق والشام وشمال أفريقيا وغيرها .

وتعـد اللهجات العربية العامية بالعشرات ، وكلها لا ضـابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعانى الألفاظ فهى كـلام العـامة يستعمل فى الأغراض المعـاشية وفى علاقات النـاس بعضهم ببعض لذلك فاللهجـات العـاميه لا يمكن أن تكون لغـات علم وادب وثقافة وليس فى مقدورها أن تعيش مدة طويلة ، ولا أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربيـة كافة ، وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصـورا فى قطره ، وقلما يفهمه غير أبنـاء ذلك القطر .

الأمير مصطفى الشهابى . محاضرات عن القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميها) ص ٣١٥ — ٣١٦ .

(١٦١) قامت سلطات الاحتلال بحلزنة التعليم فى مصر حتى تـكون من المصريين شخصيات يكونون أميل الى تقبل وجهات نظرهم فزادوا من عدد حصص اللغـة الانجليزية بالمـدارس الابتدائيـة ، واصـبح الأمر فى عام ١٩٠١ أن يبـدأ التـدريس من الصـف الأول الابتدائى .

Dunlop-Note on the Progress and Condition of Public Instruction in Egypt (Annual Report 1901) P. 17.

(١٦٢) الأستاذ : العـدد العـاشر فى ٢٥ اكتوبر ١٨٩٢ ص ٢٢٦ تحت عنوان « عقد اتفـاق » .

والجدير بالذكر أن الصراع بين العـامية والفصحى ظل قائما بعد النـديم فقد ندد مصطفى صـادق الرافعى بالداعين الى استعمال العامية فقال « كيف نرضى لغة القرآن التى تأبى الا أن تتقيد بها اللهجات الأخرى .. ثم نرضى من جهة أخرى هذه اللهجات العامية التى تأبى أن تتقيد بشىء وهى أبدا دائمة التغير » .

تحت راية القرآن . المعركة بين القديم والجديد ص ٥٤ .

بالعامية ، وانهم لا يستطيعون فهم الكلام العربى النحوى [١٦٣] ، وطالبوه بالرجوع الى الكتابة بالعامية بقولهم ارجع الى ما كنت عليه من انشاء بعض فصول ينتفع بها النساء والأطفال والعامة انما لابد أن يكون ذلك بقلمك فان فصولك التهذيبية فعلت فى نفوس العامه والخاصة ما لا تفعله الخطبة ولا الوعاظ على أن فصولك العامية نبهت كثيرا من الأفكار الى مطالعة الجرائد السياسية والعلمية فاذا التزمت هذا الطريق بعثت فى الأمة روحا محبه للجرائد باحثة فيما يشب الطفل على صغره على ميله لقراءة الأخبار ومطالعة الفصول العلمية » [١٦٤] .

فنزل النديم على رأيهم وأعاد مجلته كما كانت عربية فصيحة فى بعضها عامية فى بعضها الآخر [١٦٥] .

والواقع أن الشهرة التى اكتسبها النديم عن طريق مقالاتهالعامية كانت لها عدة عوامل أهمها : نزعته الاصلاحيه ، ومقدرته على الكتابة بالعامية ، شخصيته الشعبية [١٦٦] ، كما يتضح لنا أن كلا ممن يتعصبون للفصحى ومن يجيزون العامية استخدموا أحيانا حججا متشابهة لتأييد وجهة نظرهم فأنصار الفصحى اتهموا الاستعمار بأن همه القضاء عليها لتمزيق شملها وتفريقهم عن طريق تشجيع اللهجات المحلية حتى تظهر الحركات الانفصالية داخل الوطن الواحد ، وان

---

(١٦٣) الأستاذ : المقال السابق الذكر ص ٢٢٦ .

(١٦٤) الأستاذ : العدد الحادى عشر فى أول نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٤٤ تحت عنوان « رأى جمهور الأفاضل » .

(١٦٥) الأستاذ : العدد السابق الذكر ص ٢٤١ — ٢٤٥ ، احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ص ٢٤٠ .

(١٦٦) د. نفوسة زكريا : المرجع السابق الذكر ص ١٢١ .

العامية ليست الا من بقايا مخلفات الاستعمار وهى حركة رجعية (١٦٧) بينما ينادى الفريق الآخر بتشجيع العامية لأنها من مقومات الشخصية الوطنية وان الاستعمار لم يهدف الى القضاء على الفصحى لحساب العامية بل كان هدفه القضاء على كلتيهما لحساب نشر لغته الانجليزية (١٦٨) •

لقد حمل النديم عبء الدفاع عن اللغة العربية الفصحى بروح لا يتخللها الملل ، وكانت له اليد الطولى فى ايقاظ الرأى العام ليس من الناحية السياسيه فحسب بل من النواحى الاجتماعية والعلميه والأدبية والثقافية ، وكانت أفكاره نعبيرا صادقا عما يجيش فى نفوس شعبه وأمانى مواطنيه كما كان امتدادا لما نادى به أستاذه جمال الدين الأفغانى بالاهتمام باللغة (١٦٩) ، حتى يمكننا القول أن اللغة العربية مدينة بالفضل لهذا الجيل من الرواد الذين أحاطوهابعنايتهم ورعايتهم بعد أن كانت قد أوشكت على الضياع •

---

(١٦٧) مجله العربى الكويتيه العدد ٤٦ فى سبتمبر ١٩٦٢ ص ٩ مقال للاستاذ عبد الرحمن البزاز تحت عنوان « الفصحى عنوان وحدتنا » مجلة صباح الخير فى فبراير ١٩٥٦ ص ٥٠ مقال للاستاذ نجيب محفوظ تحت عنوان « العاميه والفصحى » .

(١٦٨) مجله الكاتب العدد التاسع فى ديسمبر ١٩٦١ ص ٥٨ .
مقال للدكتور محمد مندور تحت عنوان « المسرحيه بين العامية والفصحى والشعر » .

(١٦٩) نادى الأفغانى بالاهتمام باللغه فقال : « ان الحزب الوطنى لا تحصل له القوة . ولا تكون له البقاء ما لم يكن لأهل الوطن لغه جامعه مهذبه التركيب جيدة الأساليب فان لم يكن لهم ذلك لاتستقر فيهم المعارف » .
جريدة مصر : العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ . خطبة جمال الدين الأفغانى فى قاعه زيزينيا بالاسكندرية .
ولمزيد من التفاصيل انظر : حافظ ابراهيم : ليالى سطيح تقديم وتبويب الدكتور محمد كامل جمعه ص ١٣ ، ٥٣ وايضا الدكتور شارلز آدمس : المرجع السابق الذكر ص ١٦ .

الفصل الحادي عشر

أساليب النديم في العمل الوطني

* الخطـــابة .
* الصحـــافة .
* العمل المسرحي .

تعددت مراحل العمل الوطنى عند النديم فبدأ حياته السياسية بالانضمام الى الجمعيات ذات الصبغة السرية [1] فدخل الحركة الماسونية [2] كما دخل جمعيه مصر الفتاه السريه [3] ، ولما آحس أن العمل من خلال هذه الجمعيات لا يتفق وطبيعته الشعبية لجأ الى العمل الوطنى العلنى ، واستخدم فى ذلك الوسائل التى أعانته على مزاولة هذا العمل وهى الخطابة والصحافه ، كما طوع فن المسرح لخدمة المبادىء الوطنية فاستخدم المسرحيات لتوصيل أفكاره الى مواطنيه كما شجع على تأسيس جمعية الشبان بالاسكندرية لتكون سندا للحركة الوطنية [4] : وبما أنه قد تم معالجة انضمام النديم الى الجمعيات ذات الصبغة السرية وجمعية الشبان فى فصول سابقة فاننا سنقتصر هنا على الخطابة والصحافة ثم المسرح كأسلوب من أساليب العمل الوطنى لدى النديم .

الخطابة :

لما كانت الأمية « متغلبة على السواد الأعظم [5] » من المصريين فى ذلك الوقت حيث كان معظمهم لا يقرأ ولا يكتب وفى حاجة الى من

---

(١) ترجع بداية التنظيمات السياسية فى مصر الى الجمعيات السرية، وتواجه دراسة هذه الجمعيات العديد من الصعوبات ، وذلك لندرة وقلة المعلومات عنها من ناحية ، وغياب سجلات أنشائها ونشاطها بحكم طبيعتها السرية من ناحية أخرى .

د. على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر ص ٦٧

(٢) انظر الفصل الاول .

(٣) انظر الفصل الأول .

(٤) انظر الفصل الثانى .

(٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ١٢٨

يوضح له المسائل [٦] فقد اهتم النـديم بالخطابة [٧] كوسيلة تمكنه من نقل أفكاره الى أبناء وطنـه فأقام فى ٢٢ أغسطس ١٨٧٩ محفـلا للخطابه فى ساحه الجمعيه الخيريه الاسلامية [٨] لالقاء الخطب به يوم الخميس من كل أسبوع وفى الحفلات التى تعقدها المدرسة والمناسبات الوطنية [٩] والدينيه [١٠] وعن ذلك قال : « افتتحنا المدرسة على تلك القواعد المؤسسه بمحفل جمع الأمراء والوجهـاء والوزراء والنبهـاء والمحافظ ومامور الضبطيه وجملة من أمراء الجهـاديه ، وقمت فيهم خطيبا وأسمعتهم كلاما رطيبا وأطلت والناس بين ناقد ومحقق ومحبذ ومصفق ، فكنت أول خطيب مصرى وقف بين الحكام والظـلام وفتح فاه بكلام . ولمـا اشتهرت الجمعيه بالسمعه جعلت هـذا المحفل فى ليله كل جمعه وأطلقت الخطابة لكل خطيب . وفتحت المحـاورة لكل نجيب [١١] » .

وأخذت ساحة المدرسه تغص بالوافدين عليها الذين أخذ عددهم فى التزايد حتى وصل الى خمسمائه مستمع فى كل اجتماع [١٢] ، وكانت خطب النـديم فى هـذا المحفل ظاهرها الاصلاح الاجتماعى والثقافى

---

(٦) صلاح عيسى : المرجع السابق ذكر ، ص ٢٨٥

(٧) سار النديم على نهج استاده الأفغـانى الذى نادى بالاهتمام بالخطابه وانشاء قاعه يقوم فيها الخطباء بترسيخ الأمور لمواطنيهم بما يبين لهم الحقوق ويعين الواجبات .

انظر جريده مصر : العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ — خطبة الأفغانى بقاعه زيزينيا بالاسكندريه .

(٨) جريدة التجاره : فى ٢٣ أغسطس ١٨٧٩

(٩) مجله الكتاب : المقال السابق الذكر ، ص ٨١

(١٠) كانت الجمعيه تحتفل بالمناسبات الدينيـه وخصـوصا المولد النبوى الشريف .

جريدة اسكندرية : العدد ١٥٧ فى ١٥ يناير ١٨٨٢

تحت عنوان : « عوائد الجمعيه الخيريه الاسلاميه بثغر الاسكندرية » .

(١١) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٤٩

(١٢) التجارة : فى ٢٣ أغسطس ١٨٧٩

وباطنها تنبيه الأذهان الى ما وصلت اليـه البلاد من سـوء الحال ، وأسباب تأخر الشرق وتقدم الغرب كما كانت « مصبوغة بدم الغيرة الوطنية ، تمحو فتور الانسانية[١٣] » وقد نشرت بعض الصحف هذه الخطب فى صفحاتها الأولى [١٤] .

كما أخـذ النـديم يتنقل بين البـلاد [١٥] لتحريك أفكار الناس فيرتقى منابر المساجد ويقف فى كل محفل ، ويخطب فى كل ناد حيث يرتجل الكلام ارتجالا ، ويتدفق فيه تدفقا[١٦] . يجلس الى الفلاحين فى مجتمعاتهم فيبذر فيهم بذور الثورة وعن ذلك يذكر « أخذت أتقلب فى البلاد ، وجاهرت بالتضاد ، ولبست ثوب الجلد ، وتابعت الخطب فى كل بلد ، وحركت الأفكار حركة لا سكون لها ، ونشرت مظالم الحكام وأعمالها وناديت بهدم دعامة الاستبداد وكسرت قيد الاستعباد [١٧]».

ولمـا كانت الخطابة فى ذلك الوقت قاصرة على خطباء المسـاجد ووعاظها وفى معظمها عبارات دينية متكررة ومحفوظة تتلى على مسامع العـامة [١٨] دون أن تحرك القوى الكامنة فى النفس فقد حاول النديم تغيير منهج هـذه الخطب لأهميتها فى نشر الوعى الوطنى وتحـويل المجتمع — خاصة الفلاحون لأنهم قاعدته الأساسية — الى قوة وطنية ضاربة — فكتب مقالا تحت عنوان « ألسن الخطباء تحى وتميت » ذكر

---

(١٣) مصر : فى ٦/١٣ ، ١٨٧٩/١٠/٣١ والتجارة : فى ٧٩/٨/٢٣

(١٤) التجارة : فى ٢٣ اغسطس ١٨٧٩ ، مصر : فى ٣١ اكتوبر سنة ١٨٧٩

(١٥) تنقل النديم بين ميت غمر والمنصورة ودمياط ودسوق وزفتى . انظر التنكيت والتبكيت : صفحات ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨

(١٦) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية ، ج ٢ ص ١٢١

(١٧) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٦

(١٨) المنـار : المجلد الثانى . العدد ٤٤ فى ١٣ يناير ١٩٠٠ ، ص ٦٨٩ — ٦٩٠
تحت عنوان : « اقتراح على السـادة العلماء فى تقويم اعوجاج الوعاظ والخطباء » .

فيــه أن الخطابة هامة لتنوير العقول حيث هى بمثابة الغذاء للبــدن على مر العصور . ثم ذكر ان خطبة الجمعه فرضت فى الاسلام لأمر يغيب عن كثير من الناس حكمته وهو أن يقف الخطيب بين قومه وقفه الخليفة الآمر الناهى فيقص على الرعيــه ما ورد عليه من الأخبــار ، وما يرجوه من الاصلاح ، ويوضح لهم أحوال البــلاد ، وأحوال من بعــد عنهم من اخوانهم المؤمنين لتكون الأمة على علم بأحوالهــا فى سائر بلادها حيث يكون فى هــذا من النصح والوعظ والأمر بالمعروف والنهى عن المنــكر ما لا ينكره الا مقيــد بديوان أو مربوط فى بعض وريقات صنفها غيره ، ثم تحدث عن أهمية خطبة الجمعة فقال ان أمة تجتمع كل أسبوع فى ساعة واحدة فى سائر أنحــاء بلادها ، وتســمع من حوادثها وغوامض سياسة خلفائها ما يقف به كل فرد على أحــوال البــلاد وسيرها وتقدمها لهى أمة جديرة بالتقدير ، وذكر الخطبــاء أن الخطــابة لم تكن فى الاسلام قاصرة على ذكر الموت والزهد والتحذير من الدنيــا وزخرفها كما يحدث الآن بل كانت تتضمن أخبــار الأمة وحوادثها لأنها بمنزلة الجرائد [١٩] ، ودعا الى أن يتبرع الأعيان بمبلغ من المــال يخصص لنشر الخطب الأدبية والسياســية ، كما أعلن عن استعداده لكتابة خطبه فى كل أسبوع تتناسب مع الأحوال ثم تطبــع وتنشر فى سائر أنحــاء القطر لتنبه الأفكار ، وتعرف الأمة قــدرها وما تحفظ به نظامها بين الأمم ، وطلب أن يجتمع الأعيــان ، ويعرضوا ذلك على ديوان الأوقاف ليتمكنوا من العمل بالخطبة ، وقــد وضــع النديم نموذجا لخطبه يمكن السير على منوالها تحدث فيها عن أهمية الاتحاد وحث على الائتلاف وحذر من الاختلاف وطالب بالابتعاد عن الظــلم والبغى فى معاملة الآخرين والتمسك بالدين مع عدم التعرض للأديان الأخرى والابتعاد عن التهور لأن ذلك يجلب الشر للأمة ، وذكر بحقوق النزلاء وعدم الاســاءه للأجانب [٢٠] .

---

(١٩) عبد الفتاح غنيم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ١٢٣—١٢٩ تحت عنوان : « السن الخطباء تحى وتميت » .

(٢٠) نفسه : ص ١٢٩ — ١٣٢

بهذه المعانى أراد النديم أن تسير حطبة الجمعة لتوضح للشعب ما يمكنه من السير فى الطريق السليم لأنها تعد بمثابه اذاعــة محليــة وطنيــه ٠

وقد برز نشــاط النديم الخطابى بعــد اتصــاله بالعرابيين ، ويبدو أن من اسباب قوة تأثيره فى الناس بخطبه أنه كان يندمج تماما معها وينفعل بهــا كما كان لديه القدرة على تصوير مآسى الفقراء حيث عاشها هو بنفسه ويتضح ذلك من قول « ميخائيل شاروبيم » : كان « يجوب المــدن والبنادر والقرى ويخطب فى النــاس ويقص عليهم حديث أجدادهم وأخبارهم وما ألم بهم من الجور والعسف وما حــل بالبــلاد من التويل والخراب فكان يصعد المنــابر والجوامع ويخطب جهارا وعيناه تذرفان الدمع فافتتن النــاس به ومال اليــه خلق كثير من الأعيان والوجهاء من كل صوب وحدب (٢١) » ٠

بعد حادث قصر النيــل جاءت الوفود لمبايعة عرابى فاســتغل النديم ذلك فى ابراز مواهبه الخطابية فخاطب عواطف الناس وحضهم على التكاتف والاتحــاد وبين لهم أحوال البــلاد فى أسلوب مؤثر كما وضح لهم أضاليل الافرنج ومفاسدهم (٢٢) حتى جعل مستمعيه على استعداد لبذل الروح والمــال فى سبيل الوطن ٠

وأثنا مظــاهرة عابدين وقف النــديم خطيبا بين الجنود فكان كمــا يذكر عرابى « ثانى اثنين فى حفظ قلوب الرجــال من الزيــغ والارتجاف (٢٣) » ٠

كما كان له موقف بارز فى وداع آلاى عبد العال حلمى الى دمياط

---

(٢١) ميخائيل شاروبيم : المرجع السابق الذكر ، حـ ٤ ص ٢٣٩
(٢٢) احمد تيمور : تراجم اعيان ، ص ١٧
(٢٣) احمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار ـ مخطوط ـ دار الكتب العربية ، ص ١٦٦

حيث وقف خطيبا موجها حديثه « الى حماة البلاد وفرسانها » مشيدا بشجاعتهم موضحا واجبهم فى الدفاع عن البلاد فقال :

« من قرأ التـواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحـوادث والنوازل عرف مقـدار ما وصلتم اليـه من الشرف وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات [٢٤] » ثم دعا الى الألفة والاتحاد فقال « اجعلوا عروة الود وثيقة ولا تحلوا حبـل الاتحـاد الذى جاهدتم الأنفس فى احكامه [٢٥] » .

وقد ألقى النـديم خطبة فى وداع عرابى عند سفره بآلايه الى رأس الوادى فى ١٨ أكتوبر ١٨٨١ فقال « ... رأينا المشنوق من أهلنا والمصلوب والمذبوح والحريق والموضوع على الخازوق والمشرد والمغرب والمنفى والمسجون والمنهوب والمسلوب ولا ذنب لنا فى هذا كله الا عدم المحافظة على البلاد .

ثم رأينا الدور الثانى فشهدنا جنازة المسموم والمخنوق وودعنا المنفى ولا جنايه لهؤلاء الا المطالبة بحقوق الأمة . ثم وصلنا الى الدور الثالث فرأينا مساعدة الأجنبى واكرامه وتكثير العطية وتسليمه أزمة الكثير من أشغالنا ، واذلال الوطن وضـيـاع حقـه وتركه فى زوايا الكثير من أشغالنا ، واذلال الوطن وضياع حقه وتركه فى زوايا الاهمال . فوقفنا عند هـذا الحد وسعينا فى طريق الاتحاد وجمع القلوب .. وأعربت الجيوش عن ضمائرنا ، وترجمت الحمية عبارتنا ونادى الجند

---

(٢٤) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ أكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٧٥ تحت عنوان « المحاسن التوفيقيه أو تاريخ مصر الفتاة أو زفاف الحرية الى مصر » .

(٢٥) نفسه .

وايضا نشر الدكتور محمد أحمد خلف الله نص الخطبة كاملا فى كتابه « عبد الله النديم ومذكراته السياسية » ص ٩٩ — ١٠١ .

المظف المنصور بحقوق الأمة (٢٦) •• » •

لقد وقف النديم خطيبا يعبىء مشاعر الناس ويعبر عن أفكارهم فى أسلوب واضح استثار به حماسة مواطنيه ••

ولما سافر النديم الى الشرقية مع عرابى جعل منها مجالا خصبا لخطبه وحينما استعدت البلاد لانتخابات مجلس النواب طاف النديم بالأقاليم يخطب فى الناس موضحا لهم أهمية اختيار الأصلح ، ونتيجه لخطبه المؤثرة التى ايقظت شعور الأهالى خشى شريف باشا مغبه الأمور فحاول الترصد النديم والتخلص منه وقد أوضح النديم ذلك فى مقال قال فيه « اجتمع رهط من أهل الاستبداد ، وتذاكروا فيما أخطب به فى المحافل والجحافل ثم اختلفت أفكارهم الفاسدة ، ولم يهتدوا فى حيرتهم •• أقول لهم أن خطابات المحافل للحث على فعل الخير وتوسيع دائرة الاداب والصنائع •• وأنا أخطب باسم الوطنية (٢٧) » •

كما كون فرقة من تلاميذه الذين علمهم الخطابة وجعل منهم فرقة « دعاية » تطوف معه الأقاليم لتساعده فى نشر دعوته (٢٨) مستغلا فى ذلك فرصه ايجاد أى تجمعات لتوضيح مقاصد الحركة الوطنية فكان له المواقف المشهودة والأيام المعدودة (٢٩) • وحتى الأفراح فقد استغلها النديم فكان الناس يسمعون وصلة من الغناء ثم خطبة من النديم حتى شاع عن « محمد عثمان » المغنى الشهير فى ذلك الوقت

---

(٢٦) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ ، ص ٢٨١ تحت عنوان : « المحاسن التوفيقية أو تاريخ مصر الفتاة أو زفاف الحرية فى مصر » •

(٢٧) التنكيت والتبكيت : العدد السابع عشر فى ٩ اكتوبر ١٨٨١ ، مقال تحت عنوان : « تقريع الأغبياء » •

(٢٨) احمد بهاء الدين : ايام لهـا تاريخ • القاهرة • روز اليوسف ١٩٥٤ ، ص ٣٣

(٢٩) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ١٨

انه 'دا سئل فى أى فرح تغنى الليله كان يقول فى الفرح الفلانى مع « عبد اللــه النــديم [٣٠] » .

وعندما تألفت وزارة محمود سامى البارودى وأعلنت أن من حق مجلس النواب الاشراف على الميزانية شارك النــديم البلاد فى بهجتها حيث خطب فى وفود المهنئين متحدثا عن الحــرية وأهميــة الائتلاف والتحالف والعدل والاستقلال والتعاون فأشعل القــلوب بالحمــاس والوطنية [٣١] وسيطر على عواطف الناس بفصاحته وطلاقة لســانه وحينما أقام الضباط حفلا بسراى قصر النيل لتهنئة البارودى برئاسة مجلس النظار وعرابى بنظارة الجهادية [٣٢] قام النديم وألقى خطبة فى ثدرة الاتحاد وأهمية التحالف وحب الوطن والتغنى بأمحاده واستمر فى دلك حتى الصباح [٣٣] ، كما افتتح النديم الحفل الذى أقامه الحزب الوطنى فى جمعية المقاصد الخيرية [٣٤] فى ١٣/٢/١٨٨٢ ثم علق على أحاديث الخطباء أربع مرات متخذا من موضوعاتهم مجــالات جديدة للحديث ، ولمــا انتقلت هــذه الاحتفالات الى الأقاليم حيث عقد بعض الأعيان الاجتماعات وأقام بعضهم الولائم للعرابيين [٣٥] كان النــديم نجم هــذه الاحتفالات [٣٦] .

ولمــا كشفت مؤامرة الشراكسة ألقى النديم خطبا تناولت ذم

---

(٣٠) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ص ١٤٦
د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقــاله الصــحفية فى مصر ، ج ٢ ص ١٢٢

(٣١) سليم النقاش : المرجع الســابق ، ج ٤ ص ٢٣٤
(٣٢) محمد البارودى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢١
(٣٣) أحمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ٢٢٦
(٣٤) عن هــذه الجمعيه انظــر الفصل الثانى من الكتاب .
(٣٥) أحمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣١
(٣٦) سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٤ ص ٢٣٤

الشراكسه والتنبيه على سلامة عرابى [٣٧] ، وأثناء الأزمة بين الخديو والوزارة نتيجة المذكرة المشتركة فى ١٨٨٢/٥/٢٥ توجه النـديم الى الأزهر وجعل من منبره مكانا لتوضيح الأمور [٣٨] فخطب فى رجـاله ملهبـا حماستهم حتى أحاطوا به وهو ينادون « اللائحة مرفوضة » . كما أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو وبعـد أن أتم النـديم مهمته بالأزهر توجه الى الاسكندرية المحاصرة بالأساطيل يخطب فى شوارعها ويقود المظاهرات الشعبية كما عقد اجتماعا ضم حوالى عشرة آلاف شخص نادى فيـه برفض المذكرة المشتركة وهاجم موقف الخـديو واتهمه بالخيانة ولمـا حضرت بعثة درويش الى القاهرة وأشـيع أن السلطان أرسل البعثة للحث على قبول المذكرة المشتركة عقد النـديم بالاسكندرية اجتماعا لحوالى عشرة آلاف شخص تكلم فيـه ساعتين ضـد المذكرة كما تحدث عن عدم كفاءة الخديو للحكم [٣٩] كما استمر فى حملته الدعائية وأرسل تلاميذه الى المديريات يخطبـون فى النـاس ويطلبون منهم كتابة العرائض احتجاجا على التدخل الأجنبى وارسالها الى درويش باشا .

وعندما أساء درويش معاملة علماء الأزهر عقد النـديم اجتماعا بالمكان المعـد للصـلاة بالجامع الأزهر [٤٠] وخطب فى جمع تجـاوز أربعة آلاف شخص حمل فيـه على البعثة التركية والخـديو حمـلة

---

(٣٧) محافظ الثورة العرابية . محفظـة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ — استجواب محمد شكرى وكيل عموم الاستحكامات .

(٣٨) لقد استخدم الأزهر كمنبر للخطـابة السياسية اثناء الحمـلة الفرنسـية على مصر فكان عمر مكرم وغيره من العلمـاء يقومون بتعبئة الشعور الوطنى والدينى لدى الشعب واستمر نشـاط الأزهر السياسى حتى اول عصر محمد على وفتر ذلك النشاط بعـد الضربة التى وجهها محمـد على للأزهريين ، ثم جاء النـديم وحـول الأزهر الى منبر سياسى مرة أخرى .

(39) Blunt : Op. Cit. P. 329.

(40) Ibid. P. 27.

مؤثرة كان لها أكبر الأثر فى النفوس (٤١) مما هز مركز درويش وجعل المجتمعين ينادون برحيله ولو بالقوة (٤٢) .

ونتيجة لخطب النديم المؤثرة التى ألقاها قبل مذبحة الاسكندرية وتأثيرها على شبانها (٤٣) اتهم بأنه كان السبب المباشر فى توتر النفوس بها مما ساعد على قيام المذبحة ويوضح النديم مقصده من ذلك بقوله : « توجهت فى الحال الى الاسكندرية ، وأعلنت جمعية الشبان القصدية (٤٤) بأنى أريد أن أخطب بأمر فيه صلاح بلدنا وتقوى عددنا . فاجتمعت مئات غير محصورة ، وخطبت فيهم خطبة الأنفوشى المشهورة ونبهتهم على لزوم السكون اذا كثرت الظنون ، والبعد عن مجالس الأجانب حتى تنتهى تلك المصائب . وحرضتهم على لزوم الهدوء وعدم التداخل مع العدو ، وبينت لهم أن عرابى باشا أخذ عهده الأمن على نفسه والخديو بسعى فى عكسه ، فلما بلغ ذلك عمر باشا لطفى طلبى لديه وأخذ يرفع صوته ويشير بديه وقال :
عمر باشا لطفى طلبنى لديه وأخذ يرفع صوته ويشير بيديه وقال :
لم خطبت بين الأهالى ؟ قلت لتسكين الهرج الحالى . قال : ومن أمرك بذلك ؟ قلت : الخوف من المهالك (٤٥) .

وعندما قامت الحرب بين العرابيين والانجليز قام النديم بتعبئة

---

(41) Blunt . op. cit., P 308.

(42) Ibid. P. 332.

(٤٣) دار المحفوظات . محافظ الداخلية — محفوظات العرضحالات محفظة ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥٠ .

(٤٤) يقصد بذلك جمعية المقاصد الخيريه ، وهذه الجمعية تعتبر من اقدم الجمعيات الخيرية التعليمية المصرية حيث انشئت فى أواخر أيام اسماعيل وبالتحديد فى عام ١٨٧٨ وكان رئيسها سلطان باشا ، وكانت تلقى فيها الخطب واشهر خطبائها عبد الله النديم وحسن الشمسى .

جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . الجزء الرابع القاهرة — مطبعة الهلال ١٩١٤ ، ص ٩٩

(٤٥) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٦

الشعور الوطني وظهرت مواهبه الخطابية حيث كان قديرا على اللعب بعواطف النـــاس فأسرع الى الأزهر مشعلا حماسه لمناصرة الثورة حتى أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو لانحيازه لأعداء الوطن ثم أخـــذ يجوب مدن البلاد وقراها لحفز الهمم فى مواجهة أعداء الوطن والدين فكان لخطابته دوى شديد فى النفوس حيث تناقلها الناس فيما بينهم وتزاحموا على اعانة الجيش بما يلزمه (٤٦) .

وبعد ذلك انتقل النـديم الى ميدان القتال يخطب فى الجنـــود ويحثهم على الاستبسال فى المعركة ويتنقل بين صفوفهم يلهب حماستهم وقـــد وضح ذلك بقوله : « وكنت كلما مررت على أورطـــة أحمسها وأشجعها فلا أسمع منها الا صـــوت البنـــادق ولا أرى الا سرعة حركتها (٤٧) » .

ولم يقتصر نشاط النـديم الخطابى على فترة الثورة العرابيـــة بل كان همزة الوصل بين جيل الثورة العرابيـــة والجيـــل الذى حمل الراية بعد انتكاسة الثورة فكان صاحب أول مدرســـة خطابية فى العصر الحديث (٤٨) حيث أوصى الشباب بأن يتقنوا فن الخطابة ، وأخـــذ يمرنهم عليهـــا ، وخص بعنايته مصطفى كامل بعـــد أن وجـــد فيـــه الاستعداد تبينت له قدرته الخطابيـــة وطالعته من مواهبه أمارات الزعامة (٤٩) فشحن عواطفه بمـــا فى نفسه من أفكار مكبوتة ســـنينا طوالا ، وقـــدظهر أثر النديم واضحا فى خطة مصطفى كامل وأسلوبه حيث اقتبس منه بعض أساليبه فى الخطابة (٥٠) ، وكان ممن يرددون

---

(٤٦) دار الوثائق القوميـــة . محافظ الثورة العرابية — محفظـــة رقم ٨ دوسيه ٥٣/د/ ملف ٢٢٢ محفظة رقم ٩ دوسيه ٨٦ تحت عنوان : « الثورة العرابية وقضايا المتهمين » .

(٤٧) الطائف : فى ١٨٨٢/٩/١م.

(٤٨) د. نفوسة زكريا : المرجع السابق الذكر ، ص ٩٠

(٤٩) محمد كامل الفقى : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٢٥ ،

(٥٠) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ١ ص ٣٤٧ ،

نغماته ؛ ولكن تميز مصطفى كامل عن النـــديم بالمـــامه باللغة الفرنسية ومعرفته لآراء الغربيين (٥١) .

لقد اختلف الكثيرون فى الحكم على الثورة العرابية وعلى قادتها ولكن لم يختلف منهم أحـــد فى أن النـــديم كان خطيب الثورة العرابية الأول ، وأنه كان خطيبا ملهما يتمتع بكل الصفات التى تجعله خطيبـــا مرموقا مما دفعنا الى البحث عن العوامل التى ساعدته على اتقان هذه الموهبة بالرجوع الى بعض نصوص الخطب التى ألقاها ، والمقـــالات التى تحـــدث فيهـــا عن قيمـــة الخطـــابة حتى نصـــل الى أســـباب مقدرته فى هـــذا الفن .

وبالرجوع الى مقـــاله « ألسن الخطبـــاء تحيى وتميت (٥٢) » و « خطبة الجمعة (٥٣) » التى اقترحها كمنوال يمكن أن يسير عليه خطباء المساجد يتضح لنا مدى احساس النديم بقيمة الخطابة فى توعية أبناء وطنه فى النواحى الاجتماعية والسياسية والدينية حيث أبرز أهميتها بقوله : « انها للعقول بمنزلة الغـــذاء للبدن (٥٤) » كما ذكر أنه عن طريقهـــا « تتضارب الأفكار وتتنبه الأذهان وتحيا الهمم وتتحرك الدماء (٥٥) » وهـــذا يوضح لنـــا أن الخطابة من وجهة نظر النـــديم ليست كلاما منمقا فقط ؛ ولكن وراءها فكرة تطرح بنبرات وأسلوب يتناسب مع جمهور السامعين ثم تطرق النـــديم الى ابراز أهميـــة الخطـــابة فى العصرين الجاهلى والاســـلامى فذكر أن خطبـــاء ما قبل الاســـلام

---

(٥١) مجلة آخر ساعة : العدد ١١٩١ بتاريخ ٢١ اغسطس ١٩٥٧ مقال للأستاذ عباس محمود العقاد بعنوان « حياة قلم » .
ولمزيد من التفاصيل : انظر الفصل السادس من الكتاب .

(٥٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٢٣ — ١٢٩ مقال للنديم بعنوان « ألسن الخطباء تحيى وتميت » .

(٥٣) نفسه ، ص ١٢٩ — ١٣٢

(٥٤) نفسه ، ص ١٢٣

(٥٥) نفسه :

« لم يقتصروا فى حطاباتهم على مســائل الحرب والصلح بل كانوا يخوضون بحار الأفكار فلا يتركون ملمه الا شرحوها ولا يذرون فضيلة الا حنوا عليها [٥٦] » وكان من نتيجــة ذلك أن أصبحت بلاد العرب « منيعة المقام [٥٧] » وهابتها الأمم ثم تحدث عن دور الخطبــاء فى الاسلام وبين أهمية خطبه الجمعة [٥٨] فى المجالين الدينى والدنيوى ثم انتقل الى الدعوة الى النهوض بالخطابة فى عصره فقال ان الخطابة فى الأمة بمنزلة جرائد الأخبار [٥٩] وبين لأولى الأمر الاسباب التى يقتضى من أجلها النهوض بالخطابة فقال : « ان الأمية كثيرة فى بلادنا متغلبة على السواد الأعظم منا ، ولو كانت الأمة قارئة كلها لاستغنت عن تغيير هيئة الخطابة بالجرائد ، ولكن مطالعى الجرائد عدد قليــل محصور فى دفاتر المحررين ، والأميون فى ظلمــات الجهاله قد ضرب بينهم وبين ما يقدمهم بسور لا باب له فترى الرجل يجهل حال المديرية المجــــاورة لبلاده ولا يعــرف بعض بلاد قطــره الا ســماعا من الناس [٦٠] » .

لقد استغل النــديم قدرته على التمكن من اللغــة العربيــة فى ابراز مواقفه الخطابية فاستشهد بالقــرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأبيات من الشــعر لتأييد فكرته وحتى تكون حجتــه مقنعة ويعطى لأسلوبه مذاقا يقبله السامعون فكان يسجع أحيانا ويترســل أحيانا أخــرى ، وأعانه ذلك لسانه الفصيح وبديهته الحاضرة وجرأته الفائقة فى مواجهة المواقف وان تعددت فى المناسبة الواحدة فكان كما

---

(٥٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ١٢٣

(٥٧) نفسه ، ص ١٢٤

(٥٨) نفسه ، ص ١٢٥.

(٥٩) ذكر النديم «.أن الجرائد بالنسبه للأمه كالمرشد الأمين » .
انظر الطائف : فى ٢٩ يونيه ١٨٨٢

(٦٠) عبد الفتاح نديم : لمرجع السابق الذكر ، ص ١٢٨

يذكر معاصروه خطيبا لسنا (٦١) متوقد الذهن صافى القريحة ، قوى الأداء جهير الصوت شديد المعارضة لا يدانيه أحد فى بلاغته وفصاحته وتملكه لناصية القول وقوة أسره وشدة تأثيره على الجمهور يرتجل فلا يعييه الارتجال ويفجؤه الموقف فلا يزيده الا حسنا ، فكان خطيبا مطبوعا ومحدثا من الطراز الأول (٦٢) شهد له بذلك العدو قبل الصديق فقد وصفته جريدة التايمز اللندنية بأنه أشد الخطباء عنفا واثارة (٦٣) بقولها :

Abdallah Nedem, one of the most Violent and seditious of the orators Who excited the Arabs in 1882.

كما قال عنه ولى الدين يكن — وكان من أعدائه — أن البيان كان سجية فى هذا الرجل (٦٤) ، وذكره الدكتور « شبلى شميل » « بأنه كان خطيبا شديد المعارضة يقيم ويقعد (٦٥) » • وذكر عن جمال الدين الأفغانى أنه قال : « ما رأيت مثل النديم طوال حياتى فى توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة المعارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعا محكما بازاء معانيها ان خطب أو كتب (٦٦) » •

وقال عنه أحمد تيمور باشا أنه كان شهى الحديث حلو الفكاهة

---

(٦١) لويس شيخو اليسوعى : الآداب العربية فى القرن التاسع عشر ، ص ٥٠

(٦٢) عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، ص ٦٨

(63) The Times-London, 19 Mars 1893.

(٦٤) المعلوم والمجهول ، ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩

(٦٥) الأخبار : العدد ١٨١ فى ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧ مقال للدكتور شبلى شميل تحت عنوان « عود على بدء » .

(٦٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ١ ص ٢٧.

اذا أوجر ود المحدث أنه لم يوجر [٦٧] ، رجلا فى ذكاء « اياس [٦٨] » وفصاحة « سحبان [٦٩] »•

لقــد كان النــديم يخاطب العواطف وقل أن يأبه للعقل [٧٠] ، وكان أول خطيب مصرى يتقدم الى ميدان الحرية [٧١] ويقف ضــد ظلم الحكام ويجهر بذلك فى الأماكن العامة يستعرض مقدرته الخطابية فى الجماعات والمجالس الخاصــة والعــامة ومحاورات العلماء والجهال حتى لقبته بعض الصحف [٧٢] بأنه « خطيب الشرق » و « محــامى الوطن » و « محيى الوطنية » وأطلقت على محافله (ســوق عكاظ) و (معرض باريس) وقد بلغ من سحر حديثه أن أنس به الخــديو توفيق وهو من أعنف الثائرين عليــه كما أنس به الخــديو عبــاس

---

(٦٧) احمد تيمور : أعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٤٠

(٦٨) كان قاضيا ايام عمر بن عبد العزيز اشتهر بالذكاء ، وضربت به الأمثال فى صدق الفراسة .

محمد فريد وجدى : دائرة معــارف القرن العشرين المجلد الأول ، ص ٧٦١

(٦٩) خطيب مخضرم اســلم فى زمن النبى (صلعم) وعاش حتى عهد معاوية يضرب به المثل فى البلاغة فاذا خطب يتوكأ على عصا ، ويسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يتنحنح. اعتمد فى خطبه على العبارات التى تضم حكما صالحة للشيوع •

الموسوعة العربية الميسرة ـــ اشراف الأستاذ محمد شفيق غربال . القاهرة . دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ص ٩٧٢

(٧٠) يذكر ســلامة موسى ان « الخطيب الملهم يخاطب العواطف ، وقل ان يأبه للعقل لأن الناس اذا اجتمعوا شملهم ادراك آخر غير ادراكهم الشخصى فهم يفكرون او بالأحرى يحسون جماعه فينزلون عندئذ من سماء العقل والنطق الى حضيض العواطف والشعور ».

سلامة موسى : اشهر الخطب ومشاهير الخطباء . القاهرة . مطبعة الهــلال ١٩٢٤ ، ص ١

(٧١) يعقوب صنوع : ابو نظــارة زرقاء ـــ باريس فى ٩ يونيــو سنة ١٨٨٢

(٧٢) التجارة : فى ٢٣ اغسطس ١٨٧٩ ، مصر : فى ٣١ اكتوبر ١٨٧٩ ، المحروسة : فى ٧ فبراير ١٨٨٠

الثانى (٧٣) أيضا فكان أعظم خطيب مصرى . لا فى الثورة العرابيــة وحدها بل فى القرن التاسع عشر كله (٧٤) وكان المقدمة المنطقية لعصر الخطابة الوطنية التى بلغت ذروتها على يد كل من مصطفى كامل وسعد زغلول .

الصــحافة :

بدأ النــديم يتصل بسواد الشعب فى محاولة منه لتكوين رأى عام يقف فى وجه الظلم ولم يقتصر فى ذلك على الخطابة بل قدم أفكاره أيضا عن طريق الصحافه فكتب فى صحيفتى « مصر » و « التجارة(٧٥) » متخذا طريق الاصلاحات الاجتماعيه والسياسية مجالا لمقــالاته ، وقد نالت هــذه المقالات اعجاب الناس أولا لأنها كانت جديدة عليهم من ناحية الأسلوب (٧٦) حيث أدرك النديم « أن لغــة الصحافة البحتــة

---

(٧٣) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ، ص ٧٤

(٧٤) د. ابراهيم عبده : جريدة الاهرام تاريخ وفن ١٨٧٥ — ١٩٦٤ القاهرة . دار المعارف ١٩٥١ ، ص ١٥٨

(٧٥) قال النــديم عن ذلك « طلب منى أن يكون لى عبارة فى مصر والتجارة . فالتزمت تحرير اغلبهما لكون مشربى من مشربهما » .

د. محمد أحمد خلف الله : عبد اللــه النديم ومذكراته السياسيه ، ص ٥٤ .

(٧٦) لم يكن بمصر للكتابة قبل الأفغانى شىء يذكر ، ولم يكن يعرف من الكتاب سوى عبد الله باشا فكرى . حاضر العالم الاسلامى ، ج ١ ص ٢٠٠

وقد اتبع النــديم فى الكتابة الطريقــة المرسلة التى دعا اليهــا جمال الدين الأفغانى ، وقام بالتمهيد لها تلميذه الشيخ محمد عبــده فى الرسائل الرسمية والصحف من عام ١٨٨٠ عنــدما تولى تحــرير الوقائع المصرية كما اتبع احيانا طريقــة الكتابة المسجوعه التى كان يتبعها الكتاب فى عصره وهو فى اتباعه لهاتين الطريقتين لم يكن نسيج وحده بل شاركه فى ذلك بعض كتاب عصره ومنهم عبد الله فكرى ، وحنفى ناصف .

د. نفوسه زكريا : المرجع السابق الذكر : ص ٥٥

ينبغى أن تكون غير لغـة الأدب البحث (٧٧) كما كانت غريبة عليهم من حيث الافكار والجرأة فى التعبير عما يجيش فى الصدور حتى أن بعض الصحف سارت على أسلوبه الجديد فى الصحافة(٧٨) وبعد نفى الأفغانى من مصر(٧٩) وتعيين رياض باشا رئيسا للنظار فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩(٨٠) قبض على البلاد بيد من حديد ، وأغلقت الصحف الوطنية ومنها مصر والتجارة (٨١) ومع ذلك فقد زاول النـديم نشاطه الصحفى بطريقـة اكثر فاعليـة وتأثيرا حيث كتـب فى جـريدتى « المحروسـة (٨٢) » و « العصر الجديد (٨٣) » بأسلوب تناول فيه الأحوال السياسية التى

---

(٧٧) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ، ج ٢ ص ١٦٠

واحمد تيمور : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، ص ١٦

(78) Delanoue : Op. Cit P 83.

(٧٩) أمر الخديو توفيق بالقبض على الأفغانى فى « تمتر وسرية » متهما اياه بتكوين جمعية سرية من الشبان هدفها فساد الدين والدنيا .

دار الوثائق القومية . اوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغـانى خطـاب من ضبطية مصر ، ملف بعنوان الحركة الفكرية — جمال الدين الأفغانى محفظة رقم ٦

الوقائع المصرية : العدد ٨٢٦ فى ٣١ أغسطس ١٨٧٩

(٨٠) الوقائع المصرية فى ٢٥ سبتمبر ١٨٧٩ ولمزيد من التفاصيل انظـر :

F. O. 407/18 No. 38. Memorandum of Events in Egypt since the Deposition of the late Khedive leading to the Resent Military Insurrection by P. Currie, Sep. 17, 1881.

(٨١) د. محمد احمد خلف اللـه : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٤

عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٧

(٨٢) اصدرها سليم النقاش : فى ٥ يناير ١٨٨٠

(٨٣) اصدرها سليم النقاش : فى ٨ يناير ١٨٨٠

وعن اشتراك النديم فى تحرير هاتين الصحيفتين يذكر « اجتمع بى سليم النقاش وعاهدنى العهد الأكد أن احرر المحروسة والعصر الجديد ثم استرخص عنهما فأذن له ، واستعطفت بكليى عليـه ، والزمت تحريرهما بقلمى وشحنهما بكلمى . ولم اذكر اسمى بهما مداجاة لرياض حتى لا يسوق لى مرضا من هـذه الامراض » .

د. محمد احمد خلف اللـه : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٤

تمر بها البـــلاد بأسلوب رمزى [٨٤] ثم اتجه الى انشاء صحيفة تحمل الى الناس أفكاره ، وتوصل اليهم رسالته واستطاع الحصول على اذن باصدار جريدة التنكيت والتبكيت وعن ذلك قال : « اجتمعت برياض باشـــا فى مصر وقد أضمر لى الأضر - منافقته ونافقتنى ، وجاذبته الحديث فوافقنى حتى أخـــذت منه اذنا بجريدة التنكيت والتبكيت ، وما أردت الا التبكيت ، وقصدت أن تكون لسانى .. ليكون لى فى كل بلد محافل خطابية [٨٥] » .

وقد صدر العدد الأول من هذه الجريدة فى ٦ يونيه ١٨٨١ صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية . انقسمت الكتابة فيهـــا الى قسمين قسم للتنكيت بمعنى السخرية من العيوب التى لحقت بالمصريين [٨٦] وقسم للتبكيت بمعنى توبيخهم على ما وصلوا اليه من عيوب [٨٧] فى أسلوب قد يكون لاذعا ، وقد يكون مضحكا [٨٨] وقد نجحت هـــذه الصحيفة

---

(٨٤) الرمزية هى أن يتخذ الكاتب من بعض الكائنات غير الانسانية ستارا لبث بعض الأفكار والمبادىء لأن الظروف الســـياسية والاجتماعية لا تبيح بمـــا يريد للكاتب أن يقول بل تنشر جوا من الكبت والارهاب فيحتال الكاتب وسط هـــذا الجـــو للتعبير عن أفكاره ليسلم من الأذى باختيـــار شخوص غير انسانية ليجرى على ألسنتها هـــذه الأفـــكار ، كمـــا تكون الرمزية ناشئة عن براعة الكاتب فى بث الأفكار واجراء الحوار واختيـــار الشكل الذى يتشكل به موضوعه .

درويش حسن الجندى : الرمزية فى الأدب العربى ، رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ص ٥٠٣

انظر ايضا :

Delanoue . Op. Cit. P. 86.

(٨٥) د. محمد أحمد خلف اللـــه : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٥

(٨٦) النكتة اما نكتة دعابة او نكتة تهكم ، والدعابة تقوم فى الغالب على ادراك النقائص وملاحظة المفارقات .

(٨٧) يذكر الأستاذ عباس محمود العقاد : ان التنكيت لازم للايقاظ والانهاض .

انظر : اشتات مجتمعات فى اللغة والآداب ص ١١٣

(٨٨) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ، جـ ٢ ص ١٥٩

ووصل ندا ؤها الى أكبر عدد ممكن فمن كان قارئاً قرأ ومن لم يكن سمع فهم (٨٩) ، حيث برزت قدرة النديم الفذة على الكتابة بالعامية (٩٠) فكانت صحيفته مؤثرة فى موضوعاتها وأسلوبها حيث تناولت آفات المجتمع الاجتماعية والسياسية بأسلوب التزم اللغة السهلة البسيطة (٩١) كما احتوت على قوالب متعددة مثل القصص الرمزية والنوادر والزجل والمحاورات والأبحاث الهادفة ، وبعد انضمام النديم الى العرابيين وبعد أن أصبح داعيتهم الأول وأصبحت جريدته هى لسان حالهم طلب منه عرابى تغيير اسم جريدته من «التنكيت والتبكيت» الى اسم يتناسب مع الظروف التى يمر بها الوطن واقترح عليه أن يكون هذا الاسم هو « لسان الأمة (٩٢) » وأن يكون موضوعها سياسيا تهذيبيا للذب عن حقوق الأمة والدافعة عنها (٩٣) ، وقد أرسل الى اداره المطبوعات بخصوص هذا التغيير خطابا قال فيه « لدخولنا فى عصر جديد وفوت زمن التنكيت والتبكيت اقتضى تبديل اسم جريدة التنكيت والتبكيت الأدبية التهذيبية كما استقر الرأى عليه بالممارسة مع حضرة الفاضل عبد الله أفندى نديم محررها ومدير ادارتها باسم « لسان الأمة (٩٤) » ولكن هذا الاسم الجديد الذى أراده عرابى

---

(٨٩) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ص ٢١٨

(٩٠) لم يكن النديم اول كاتب صحفى يدخل العامية فى ميدان الصحافه فقد سبقه الى ذلك يعقوب صنوع .
د. ابراهيم عبده : اعلام الصحافة العربية ، ص ٥١
والجدير بالذكر ان النديم ترسم خطوات صنوع ونهج نهجه فيما كتبه بهذه الصحيفة .

(91) Delanoue : Op Cit P. 87.

(٩٢) دار الوثائق القومية : سجلات الثورة العرابية — سجل رقم ١٠٩ مسلسل عمومى ٤١٢٤ تحت عنوان : « مكاتبات الداخليه » .

(٩٣) احمد عرابى : المخطوط السابق الذكر ، ص ١٦٨

(٩٤) دار الوثائق القومية : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم٨ دوسيه ٥٣/د/٨ ملف ٢٢٢ خطاب احمد عرابى الى مأمور ادارة المطبوعات، التنكيت والتبكيت العدد ١٩ فى ٢٣ اكتوبر ١٨٨١
تحت عنوان : « صورة ما كتبه احمد عرابى الى ادارة المطبوعات » :
Delanoue · Op Cit. P. 90.

للجـريدة لم ينل اعجـاب النـديم [٩٥] فصـدرت تحـت اسـم الطائف [٩٦] .

ويعلل الأستاذ أحمد تيمور اختيار النديم لاسم الطائف كعنوان

---

(٩٥) أطلق الأستاذ عباس محمود العقاد على النـديم « اسـتاذ العناوين » انظر : مجلة آخر ساعه فى ١٩٥٧/٨/١٤
تحت عنوان « حيـاة قلم » .

(٩٦) يذكر الرافعى ان عرابى هـو الذى اختـار للصحيفة اسم الطائف .

انظر : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٥١٥ ، ونقل عنـه الأستاذ عمر الدسوقى ذلك .

انظر : فى الأدب الحديث ، جـ ١ ص ٢٧١

ولكن احدى وثائق الثورة العرابية تثبت عدم صحة ذلك القول حيث ان نصـها كالتالى : « انه بمدة ما كان احمد عرابى ميرالاى براس الوادى حرر افادة للداخلية يطلب فيها تبديل جرنال التنكيت والتبكيت (بلسـان الأمة) » وعلى مقتضاها تصرح لصاحب امتياز ذلك الجـرنال بجـرنال الطـائف » .

سجلات الثورة العرابية سـجل رقم ١٠٩ مسلسل عمومى ٤١٢٤
كما اختلط الأمر على أحمد شفيق فذكر « وكان قلمه (يقصد النـديم) فى جريدة الطائف ثم لسـان الأمة شعلة من نار » أى انه يعنى أن للنديم جريدة باسم الطائف ثم جاء بعدها جريدة باسم لسان الأمة .

انظر : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ ص ١٤٦

كما يذكر فى مجال آخر انه صدر العفو عن النـديم محرر جريدة لسان الأمة .

مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ٢ القسم الأول ، ص ٣٥

ورجحت الدكتورة نفوسـة زكريا استنادا على أحمد شفيق ان اعدادا قليلة ظهرت تحت اسم لسان الأمة وأنهـا فقـدت شأن الكثير من آثار النـديم .

انظر : عبد اللـه النديم بين الفصحى والعامية ، ص ١١

ولكننا مع اقتناعنا بعدم ظهور جريدة للنديم باسم لسان الأمة فقـد بحثنا فى سجلات دار الكتب المصرية وفى ما جمعه قسطاكى الياس عطارة تحت اسم تاريخ الصحف المصرية فلم نجد جريدة بهذا الاسم .

لجريدنه بأن ذلك تبمنا بالبلده الموجودة بهذا الاسم فى الحجـاز [٩٧] وتفاؤلا منه بأن هـذه الجريدة ستطوف البلدان الاسلامية [٩٨] وعن اسبابتغيير اسم الجريدة قال النديم: «خلصنا منزمن التنكيتوالتبكيت وأصبحنا فى زمن الحرية ومعرفة الحقوق ، وهـذا الذى قضى علينـا بتغيير اسم الجريدة ومشربها فقد صيرناها سياسيه سياسة ظاهرة بعد أن كنا ندمجها فى محاورات ودروس تهذيبية ، وجعلناها تطالب بحقوق الأمة وتدافع عن حقوق الحكومة [٩٩] » .

كما اعتبر النديم هذه الصحيفة امتدادا للتنكيت والتبكيت فذكر « أن الطـائف ظهـرت فى أول أمرهـا تحـت عنـوان التنـكيت والتبكيت [١٠٠] » .

ولكننا نرى أن « الطائف » كانت مختلفة عن التنكيت والتبكيت » التى كان يكتب بها مقالات ومحاورات بالعـاميه بينما لم يوجـد فى الطائف مكان لذلك حيث كانت مقالاتها تكتب بالفصحى وفى حين كانت التنـكيت والتبكيت أسـبوعية صـدرت الطـائف فى بعض الفترات

---

(٩٧) بلدة الطائف تقع شرقى مكة ، وتبعد عنها خمسين ميلا ، وتعتبر من اقدم مدن الجزيرة العربية ولا تقل قدما عن مكه ، وان كانت تختلف عنها فى طبعتها السخيه لبدأ تذهب أسطورة الى أن نبى اللـه ابراهيم بعـد أن اقام قواعـد البيت بمكة دعا ربه الذى اسـتجاب له بأن امر الملائكه ماننزعوا قطعه من ارض الشـام الخصبة ، والقوا بها حيث قامت الطائف ببساتينها النضرة ، وكان اكثر اهل الطـائف عند قيام الدعوة من قبيلتى ثقيف وهوازن وجاء فى السيرة أن الرسول عليه السلام وهو فى مكة قد راى اسـتهانة قريش به فاعتزم السـير الى الطـائف لأنه له فى أهلها خئـوله .

احمـد عطيـة اللـه : القاموس الاسـلامى . المجـلد الرابع ، ص — ٤٤٣ ، ٤٤٤

(٩٨) احمد سمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر ، ص ١٧

(٩٩) التنكيت والتبكيت : العدد التاسع عشر فى ٢٣ اكتوبر ١٨٨١ ص ٣٠٦

(١٠٠) الطائف : فى ٢١ يونيه ١٨٨٢

يومية[١٠١] وخصوصا أثناء ازدياد التدخل الأجنبي كما أن التنكيت والتبكيت اهتمت بصفة خاصة بالاصلاح الاجتماعي بينما اهتمت الطائف بالأحوال السياسية ذات الطابع الثوري الواضح [١٠٢] وأن لم تهمل النواحي الاجتماعية .

وقد احتلت الطائف مكانة هامة بين الصحف المصرية في تلك الفترة [١٠٣] وقامت بعض الصحف بتقريظها هي وصاحبها فتمنت لها « الأهرام » ولصاحبها التوفيق[١٠٤] كما ذكرت جريدة « العصر الجديد » أن جريدة « الطائف » حرة النزعة مستقيمة المبادىء طيبة النشر رقيقة اللفظ دقيقة المعنى محكمة الوضع لطيفة الاشارة [١٠٥] » ورحبت صحيفة الاسكندرية بصدورها وبمنهجها المنيد الذى يتبعه صاحبها[١٠٦] ووصفتها جريدة مصر بأنها موصوفة بالوطنية ، وبأنها نافذة الكلام خطيرة مرعية المقام [١٠٧] كما دافع عنها وعن محررها يعقوب صنوع فى جريدته « أبو نظارة زرقاء » فقال : السلام عليك ياسى نديم يا قرة عين قراء جريدة الطائف الله الله على ذوقك السليم يا حاوى الظرائف

---

(١٠١) ذكر قسطاكى الياس أن جريدة الطائف كانت جريدة سياسية أسبوعية ولم يشير الى أنها تحولت الى جريدة يومية بعد ذلك .
انظر : تاريخ الصحف المصرية ، ص ٢٦٠.

(١٠٢) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ٢ ص ٩٧
Delanoue : Op. Cit. P. 88.

(١٠٣) أهم الصحف التى كانت تصدر فى تلك الفترة هى الأهرام ، الفسطاط ، العصر الجديد ، المفيد ، المحروسة ، البرهان ، الاعتدال ، السفير .

(١٠٤) الأهرام : عدد ١٢٥٦ فى ٢٣ نوفمبر ١٨٨١

(١٠٥) العصر الجديد : العدد ٩٢ فى ٢٣ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان « الجد بعد الهزل » .

(١٠٦) الاسكندرية : العدد ١٥٥ ، ١٥٦ فى ٣١ ديسمبر ١٨٨١ ، ٨ يناير ١٨٨٢

(١٠٧) مصر : العدد ١٣ فى ٢٣ مارس ١٨٨٢ تحت عنوان : « نبذة سياسية » .

واللطائف أحلف بحب الوطن ياعم . أنى كلما أقرأ جرنالك يزول عنى الهم من حـلاوة أقوالك . مقـالاتك الأدبيـة نورت مصرنا ونبذاتك السياسية جددت عصرنا . وحياة دقتك يا عزيزى من عشقى فى فصولك الفريدة باترجمها بالفرنساوى والانجليزى (١٠٨) كما نصحه فى مقـال آخر بقوله : « ان الجرائد هى المرشد للأمة ولا يجوز للمرشد أن يرشد مسترشده الا الى طريق الصلاح والاصلاح (١٠٩) . لقـد استطاعت صحيفة الطـائف أن تصبح صحيفة الثورة الأولى فكانت منذ صدورها لسان العرابيين الرسمى وترجمانهم الصحيح » ، ويذكر « عبد الفتاح نديم » ان العرابيين كانوا يحررون فيها ما يشاءون دون أن يقدر أخوه على رد أحد منهم (١١٠) فقد اغتصبوها منه ، ولم يدعو له منهـا غير الاسم (١١١) ومع ذلك فقد برزت مكانة « الطائف » فى تلك الفتره حيث أن الصحف جميعها لم تبلغ مكانتها ولا خطـرها (١١٢) حيث أصبحت كتاباتها مصدرا موثوقا به ونقلت عنها الصحف الأخـرى مقالاتهـا الاجتماعية والسياسية (١١٣) كما أحرزت من الشـهرة ما لم تحـرزه صحيفة أخرى ، وأخذت فى الانتشار والتأثير على الأفكار (١١٤) حتى

---

(١٠٨) يعقوب صنوع : ابو نظارة زرقاء — لسان حال الأمة المصريه الحـرة — باريس فى ١٧ مارس ١٨٨٢

(١٠٩) يعقوب صنوع : ابو نظـارة زرقاء — باريس فى ٩ يونيو سنة ١٨٨٢

(١١٠) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٨

(١١١) الهـلال : المقال السابق الذكر ، ٤٠٥

(١١٢) مصر : العـدد ١٣ فى ٢٣ مارس ١٨٨٢ تحت عنـوان : « نبـذة سـياسية » .

(١١٣) د. ابراهيم عبـده : تطـور الصحافة المصريه واثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية . القاهرة — مكتبة الآداب . الطبعه الثانية ١٩٤٥ ، ص ١٢٦ — ١٢٧

وعن هـذه الصحف انظر : المحروسة والعصر الجديد .

(١١٤) فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربيـه . بيروت — المطبعة الأدبية ١٩١٣ ، ص ٦٢ ، ٦٣

أن بعض قرائها دكـر « ان تلاوة الطـائف ألذ فى الذوق من أكـل القطائف (١١٥) » .

اقتصر النديم فى نحرير هـذه الصحيفة أول الأمر على معالجه نواحى النقص الاجتماعية (١١٦) ثم انتقل الى الموضوعات السـياسية العميقة (١١٧) والأخبـار الهـامة التى تميزت بها تلك الفترة (١١٨) ، ولمـا كانت انتخابات مجلس النواب على الأبواب قام النـديم بحملة دعائية كبيرة لتهيئة أذهان الناس للحياه الدستورية ، فأخذت الطائف على عاتقها توعية المواطنين بأهمة الحيـاة النيابيه ، وضرورة التروى فى انتخاب الأعضاء حتى يقع الاختيار على أناس فيهم المروءه والشهامه والذكاء والمعرفة وحب الوطن فيستطيعوا تحمل المسئوليـه بأمانة كما شاركت بعض الجرائد الأخرى النديم فى توعيه المواطنين (١١٩) وبدأت انتخابات مجلس النواب بطريقة طبيعية (١٢٠) وافتتح الخديو المجلس بالقاء خطبة العرش ، وسارت حكومة شريف تؤدى وظيفتها بطريقـة

---

(١١٥) العصر الجديد : العدد ٩٢ فى ٢٣ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان « الجـد بعد الهزل » .

(١١٦) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٢٦

(١١٧) د. ابراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ، ص ١٢٦

(١١٨) د. ابراهيم عبـده : تطـور الصـحافة المصرية واثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ، ص ١٢٦

(١١٩) اخذت صحيفة « العصر الجديد » فى تنبيه الأذهان الى أهمية اختيار المرشحين فقالت : « ان زمن تسليم الخاتم وتوقيع الامضاء بلا بحث ولا علم قد ذهب غير مأسوف عليـه وانه يجب انتخـاب نواب جديرين بتحمل المسئوليه » .

انظر العصر الجديد : العدد ٩١ فى ١٦ نوفمبر ١٨٨١ تحت عنوان « مجلس شورى النواب » .

(١٢٠) نصت المـادة الثانية من لائحـة مجلس النـواب ان يكون انتخاب أعضاء المجلس لمـدة خمس سنوات ويعطى لكل منهم مائة جنيه فى السنة .

محافظ مجلس النواب . محفظة رقم ١ — مجموعة ١٩ داخلية مجلس النواب بتاريخ ٧ فبراير ١٨٨٢

ديمقراطيه ، كما اكتتب النواب فى « الطـائف » بمبالغ كبـيره [١٢١] واختاروها لنسر آراء المجلس وتقاريره ومحاضره [١٢٢] .

وكتب محمد سلطان باسا [١٢٣] الى نظارة الداخليـه ما يلى .
« داخليه ناظرى عطوفتلو أفندم حضرتلرى حيث أن حضره صـاحب الطائف أظهر ارتياحه الى نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه ، وما ينبع ذلك مما يستدعى القيام بالحقوق الوطنيه للمجلس رؤى أنه لا مانع من مكاتبة الداخلية لتصدر أمرها الى ادارة المطبوعات بمعرفة الصحيفه ممتازة بهذا الاختصاص ونسبتها الى المجلس [١٢٤]» ومد وافقت اداره المطبـوعات على ذلك تنفيذا لأوامره [١٢٥] ، ونشر ذلك رسميا بأمر محمود سامى ناظر الداخلية [١٢٦] ، وبهذه الصفة الرسـمية لجريدة الطائف استطاع النـديم أن يكون قريبا من أخبار الدوله . وعلى بينه من شئونها . كما وجد من العون المـادى والأدبى من الجهات الرسمية

---

(١٢١) محمد رشـد رضا : المرجع السابق الذكر . جـ ١ ص ٢٣٦
(١٢٢) مصر : العـدد ١٣ فى ٢٣ مارس ١٨٨٢ تحت عنـوان : « مبذه سياسية » .
(١٢٣) وقف مع الثوره فى اول حركتها ثم تنكر لها فى احلك اوقاتها.
د. عبد العزيز رفاعى : محمد سلطان امام التاريخ . ص ٣
ويذكر « النديم » انه لم يكن مرتاحا لسلطان باشا وقد اوضح ذلك لعرابى بقوله : انه ربيبة الخدو اسماعيل .
د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر : ص ٦١
وقد عين سلطان باشا رئيسا لمجلس النواب من ابتداء يناير ١٨٨٢ بماهية ١٢٥٠٠ قرش شهرى .
انظر : دار المحفوظات العمومية : دولاب ١٨ عين ٣ محفظة ٣٨٨ . دوسيه ١١٣٦٩ — اوراق ربط معاش ورثة سلطان باشا .
(١٢٤) محفوظات مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظه رقم٦
احمد عرابى المخطوط السابق الذكر . ص ٣
(١٢٥) الامام محمد عبـده : آراء ومذكرات — مذكرات عن الثورة العرابية ، ص ٢٨
(١٢٦) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٣٦

ما يعينه على تخطى الصعاب والتقدم (١٢٧) ، وتطور أسلوبه فى الكتابة والخطابة طبقا لمواقف العرابيين ، وتمضى الثورة من نصر الى نصر ، والعرابيون فى مقدمتها يجنــون ثمارها والصحف فى أغلبها مواليــه لهم (١٢٨) ، وان لم يكن هناك صحيفة أكثر ثورية من الطــائف التى أصبحت لسانا عنيفا يكتب صاحبها بلغة سافرة لا يخشى سـلطانا ، ولا يأبه بأمير فكتب عن حياة الخديو اسماعيل مقالا بأســلوب فيــه الكثير من التشفى ناسبا اليه ما حل بالبلاد من مصائب (١٢٩) فى أسلوب عنيف خرج فيه عن أدب المنــاظرة (١٣٠) وتكلم عن بؤس الفــلاحين والعــذاب الذى يلاقونه أثناء جباية الضرائب ، وربما لجأ النديم الى هــذه الموضوعات ليوضح أن طلب الثوار للحكم النيابى هو ضــمان العدالة والقضــاء على الاستبداد (١٣١) وعهوده ، وبلغ من كراهيــة النــديم للخديو اسماعيل أنه كتب لقرائه وهو على سرير المرض يعتذر عن تحرير صحيفته « الا ما كان من تاريخ حضرة اسماعيل باشــا فانى أتكلف بكتابته لأن نشره من ضمن علاج ما بى (١٣٢) » .

وقد أدى عنف هــذه المقالات وشدة تأثيرها (١٣٣) أن أمر رئيس قلم المطبوعات وكان وقتئذ الشيخ محمد عبده بايقاف هــذه الجريدة لمــدة شهر (١٣٤) وذلك طبقا لقانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر

---

(١٢٧) سليم خليل النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٧ ص ١٣٨

(١٢٨) د. ابراهيم عبده : جريدة الأهرام تاريخ وفن ، ص ١٢٣

(١٢٩) الطائف : فى ٢٠ يونيه ١٨٨٢ مقال تحت عنوان : « سلب الأملاك من المــلاك » .

(١٣٠) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٢٣

(١٣١) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث . القاهرة ـ مطبعــة الرسالة ١٩٤٨ ، جـ ١ ص ٢٧١

(١٣٢) الطائف : فى ٦ مايو ١٨٨٢

(١٣٣) الامام محمد عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨

(١٣٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٣٦

١٨٨١ [١٣٥] حيث أنها لم ترع أدب المناظرة ، ولم تحسب لولى الأمر، وهو ابن اسماعيل أى حساب [١٣٦] ، ورغم ذلك فان النديم استمر فى مهاجمة الخديو اسماعيل كما شن حملة قاسية على الخديو توفيق بهدفه الاطاحه بعرشه [١٣٧] كما وقف مؤيدا للحياة النيابية والدستور .

ولما قامت الحرب بين العرابيين والانجليز أصدر النديم « الطائف » من ميدان القتال وحولها من جريدة أسبوعية الى جريدة يومية تدعو الى الحرب وتستنفر الشعب الى القتال [١٣٨] وتحرض الجنود على الاستبسال وتلهب مشاعرهم [١٣٩] فكتب مقالات أقرب الى الخطب منها الى المقالات الصحفية [١٤٠] دعا فيها الشعب الى النضال من أجل الوطن فقال « يا بنى مصر .. هذه أيام نضال .. هذه أيام الذود عن الحياض . هده أيام الذب عن الأعراض . هذه أيام

---

(١٣٥) محافظ مجلس النظار . محفظة رقم ٩ تحت عنوان : « قانون المطبوعات » محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخليه — محفظة رقم ٢ قرار بتنفيذ قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١

(١٣٦) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٦

(١٣٧) شكى الخديو توفيق بأن الجرائد كانت فى أيدى عرابى والنظار وهم يأمرون اصحابها بالكتابه كما يشتهون .

ملف ثابت باشا — محفظة ١٦٣ — برقية من خديو مصر الى ثابت باشا .

(١٣٨) صلاح عيسى : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٧٨

ويذكر يعقوب سامى ان « النديم محرر الطائف كان دائما مقيما مع عرابى فى مركز الجيش وما كنت انظر ما يطبعه لكونه هو مصاحب العرابى والجرنال منسوب لعرابى » .

سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٧ ص ١٠٢

(١٣٩) د. ابراهيم عبده : جريدة الأهرام — تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة ، ص ١٣٨

محمود عيسى : الصحافة العسكرية فى مصر ، القاهرة — القوات المسلحة ١٩٥١ ، ص ٢٠

(١٤٠) فاروق أبو زيد : تطور الفكر اللبرالى ومفهومه فى الصحافة المصرية ١٨٤٢ — ١٨٨٢ رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكليه الاعلام — جامعة القاهرة عام ١٩٧٣ ، ص ١٣

يمتطى فيها بنو مصر صهوات الحماسة وغوارب الشجاعة لمحاربة عدو مصر [١٤١] » وكان كلما اشتد الأمر اشتد النديم فى تحمسه فكان بحق ترمومتر الأحداث فخرجت مقالاته لاستثارة الهمم والطعن فى الخديو وانجلترا [١٤٢] وعن صحيفته نقلت صحف القاهرة أخبار الحرب وتفاصيلها [١٤٣] فضلا عن مقالات محررها كاملة [١٤٤] أو ملخصه تلخيصا وافيا [١٤٥] حيث كانت ممنوعة من نشر أى شىء فيما يختص بالأحوال الحاضرة بدون موافقة المجلس العرفى [١٤٦] ، وكانت القيادة العسكرية توافيها بصور من التلغرافات الحربية مما زاد من أهميتها ولم يقتصر نشاطه الصحفى على المقالات أو الأخبار وتنقلات الجيش، وخطورة استعداده والدعاية له [١٤٧] بل واجه الصحف التى استمالها الخديو [١٤٨] لتقف بجانبه ضد عرابى فهاجمها بأسلوب عنيف [١٤٩]

---

(١٤١) الطائف : العدد ٤٧ فى ٢٨ يوليه ١٨٨٢

(١٤٢) نفسه :

ولما سئل عرابى اثناء محاكمته عن انه سمح لصحيفة الطائف أن تصدر بمعسكره بكنج عثمان رغم انها مشحونة بالطعن فى الخديو والانجليز وعن اطلاعه اليومى عليها ، قال : « لم يكن لى الحق فى منع اسديم من ذلك » .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ / أ ملف ٢١٢ محضر استجواب عرابى .

(١٤٣) لما كان النديم مصدر ثقه العسكريين فقد كانت صحيفته المصدر الأساسى لأخبارهم لذلك نقلت عنه الصحف الأخرى .

محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٢١ دوسيه ٥ — قرار المجلس العرفى بخصوص عدم نشر أى شىء خاص بالأحوال الحاضرة دون موافقته .

(١٤٤) دكتور ابراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ، ص ١٢٧

(١٤٥) دكتور ابراهيم عبده : جريدة الأهرام تاريخ وفن ، ص ١٣٨

(١٤٦) الوقائع المصرية : العدد ١٤٥٥ فى ١١ يوليو ١٨٨٢ ، محافظ الثورة العرابية . محفظة ٢١ دوسيه ٥ قرار المجلس العرفى .

(١٤٧) دكتور ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٨

(١٤٨) من هذه الصحف البرهان والاعتدال والأهرام .

(١٤٩) سليم النقاش : المرجع السابق الذكر ، جـ ٧ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٧

وأنشأ ملاحق لصحيفته ، ووقف قلمه فى كل ملحق منها على خصم من خصومه سواء أكان هـذا الخصم الخديو توفيق أم واحدا من أصدقائه أو معاونيه ، وقد ازدحمت هـذه الملاحق بالهجاء الشديد والأسـلوب العنيف (١٥٠) ، ولما كان النديم على دراية تامة بحساسية أبناء وطنـه من ناحية الشرف والعرض والدين فقد ضغط على هذه الأوتار الحساسة ونجح فى ذلك حيث أطلق على الخديو وأعوانه والانجليز الشائعات(١٥١) التى تمس هذا الشعور (١٥٢) فكان بارعا فى ادارته للحرب النفسية(١٥٣) فخرج الناس يتغنون بذم الخديو والانجليز ومن ذلك قولهم :

يا توفيـق يا وش النمـلة
مين قال لك تعمل دى العمـلة

يا عـزيـز يا عـزيـز
كبـة تاخـد الانجـليز

ومن ناحية أخبار المعارك فقد كان النـديم يصفها بالطريقة التى لا يفقد بها الشعب ثقته فى جيشه (١٥٤) فكان أحيانا يقلل من الهزائم

---

(١٥٠) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣٨

(١٥١) سليم خليـل النقـاش : المرجع السابق الذكر ، ج ٧ ، ص ١٧١ — ١٧٢

ومن هذه الشائعات قوله « تقفل الانجليز المساجد بدعوى أن الأهالى يجتمعون فيها لا للصلاة بل للمؤامرات ، ولا يجوز لشخص أن يدخل عود كبريت الى منزله ، ومن وجد وعنده علبه كبريت قتل »

الطائف : فى ٧ اغسطس ١٨٨٢

ومنها « استغاثت امرأة .. من بعض الانجليز وهم يجرونها الى دكان مهجور ليفجروا بها .. » .

الطائف : فى ١٤ اغسطس ١٨٨٢

(١٥٢) الطائف : العدد ٤٧ فى ١٨٨٢/٧/٢٨ وأيضا الأعداد الصادرة فى ١٤ ، ١٨٨٢/٨/١٦

(١٥٣) عن تفاصيل الحرب النفسية التى خاضها النديم ضد الخديو وأعوانه يمكن الرجوع الى الطائف أعداد ٧/٢٨ ، ٨/٣ ، ٨/٧ ، ٨/١٤ ، ٨/١٥ ، ١٨٨٢/٨/١٦

(١٥٤) الطائف : العدد ٦٤ فى ٢٣ اغسطس ١٨٨٢

وأحيانا أخرى يقتصر على نشر التلغرافات الرسمية بدون تعليق (١٥٥) أما اذا ظهرت بوادر انتصار للعرابيين فكان يهلل ويبالغ ويصف المعارك بيوم الملحمة (١٥٦) .

يذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة أن النديم وقع فى خطأ اعلامى كبير فى الحرب ذلك أنه طمعا فى رفع الروح المعنوية للمحاربين والمواطنين المصريين أخذ يهون فى وصف المعارك ، ويبالغ فى وصف العتاد الحربى الذى لا يملكه الجيش المصرى فى ذلك الحين ، ويزيف فى وصف الهزائم التى أوقعها المصريون بالانجليز ، ولم يلتزم جانب الصدق فى جميع ما أورده من أخبار هذه الحرب ، وهكذا فشل النديم فى جريدة الطائف بمقدار ما نجح فى صحيفة التنكيت والتبكيت من حيث الاصلاح الاجتماعى (١٥٧) ، ولكننا نرى أن الطائف بالرغم من عدم وصفها للمعارك بصدق (١٥٨) فقد كانت سلاحا فعالا عبأ الشعب للقتال ، وبث روح الشجاعة فى الجند ، وأن ما فعله النديم كثيرا ما حدث مثيله فى الحروب الحديثة ، والمثال على ذلك ما ذكره مونتجومرى فى مذكراته من أنه لم يقل دائما الحقيقة أثناء الحرب حتى لا يتعرض سير العمليات للخطر (١٥٩) .

ومع ذلك فنحن نرى أن سلاح الدعاية دائما ما يكون ذا حدين فهو من ناحية يعبىء النفوس للقتال ، ويقوى روح الشعب المعنوية ،

---

(١٥٥) الطائف : العدد ٦٦ فى ٢٥ اغسطس ١٨٨٢

(١٥٦) الطائف : العدد ٦٥ فى ٢٤ اغسطس ١٨٨٢

(١٥٧) قصة الصحافة العربية ، ص ٨٥ ، ٨٦

(١٥٨) جمع الأمير عمر طوسون الأخبار التى اذاعتها الطائف عن ضرب الاسكندرية وكان معظمها غير صحيح .
انظر : عمر طوسون : يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(١٥٩) مذكرات المارشال مونتجومرى — فيكونت العلمين — ترجمة ن . البعلبكى ، ص ٨٠

النــديم بهدف تهذيبهم واظهار عيوبهم وترمية أفكارهم وقــد صــور النــديم فى هــذه المحاورات أدواء المجتمع ، ووصف له الدواء مثــال ذلك محاربته للعادات السيئة مثل شرب الخمر فى المحاورة التى كتبت تحت عنوان « حنيفــة ولطيفــة (١٦٢) » أو محاورة النديم عن أهمية التعليم وضرورة العناية بالنظافة تحت عنوان . « نديم وحافظ (١٦٣) » او حديثــه عن العــدالة الاجتماعيــة تحت عنــوان : « ســعيدة وبخيتة (١٦٤) » .

لقد أدرك النديم أن تهذيب الشعب واصلاح عيوبه هو الخطــوة الأولى فى سبيل النهضة والتقــدم ، فنفده كمصلح اجتماعى يهدف الى الاصلاح فكان رد فعل كتاباته فى الأعداد الأولى من الأستاذ التأثير الكبير لدى أمتار الأمة على مختلف نحلها (١٦٥) .

انتشرت مجلة الأستاذ انتشارا فاق ما كان متوقعا حتى أصبحت أوسع الجرائد الوطنية انتشارا (١٦٦) ، فقد كان يطبع منها ثلاثة آلاف نسخه كاكبر جريدة يوميه فى ذلك الوقت مع أن عمرها لم يطل أكثر من عشرة أشهر (١٦٧) فكان العــامى يشتريها وهو لا يعــرف القراءة ثم يعطيها لقارىء يقرؤها له (١٦٨) ، وقد حاول النديم مرة أن يحررها كلها بالفصحى فأتته رسائل احتجاج كثيرة تطالبه بالعــدول عن ذلك (١٦٩) والرجوع الى كتابة بعض الفصول بالعامية « لينتفع بهــا النســاء والأطفال والعــامة .. لأن فصوله التهذيبية فعلت فى نفوس العــامة

---

(١٦٢) الأستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٦٨

(١٦٣) نفسه : ص ٢٩٥

(١٦٤) الأستاذ : الجزء الثالث فى ١٣ سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ٩٠

(١٦٥) الهلال : المقال السابق الذكر ، ص ٤٠٦

(166) The Times, London 19 March 1893.

(١٦٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ١٣

(١٦٨) الأستاذ : العدد الحــادى عشر فى أول نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢

(١٦٩) للتفاصيل انظر الفصل العاشر .

والخاصة ما لم تفعله الخطبة ولا الوعظ كما أن فصوله العامية نبهت كثيرا من الأفكار لمطالعة الجرائد السياسية والعلمية [١٧٠] » .

ونظرا لاحتجاجات الكثير من الناس ومطالبتهم للنديم بأن يخصص لهم بعض الفصول بالعامية نزل الى رأيهم فأعاد جريدته كما كانت فصيحة وعامية معا .

والجدير بالذكر أن النديم لم ينتقد فى أوائل أعداد مجلته الاحتلال علانية بل كان ذلك من طرف خفي حتى وقعت أزمه الانقلاب الوزارى فى يناير ١٨٩٣ فكانت هذه الحادثة بمثابة الحد الفاصل بين حذر النديم فى كتاباته فى الميدان السياسى وبين مناصرة الحركة الوطنية ومؤازرة الخديوعباس الثاني واثارة العواطف القومية ضد الاحتلال [١٧١] وبدأ ذلك واضحا فى مقاله الطويل الشديد اللهجة الصادر فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا [١٧٢] » .

فقد وضح النديم فى هذا المقال ما حدث فى البلاد من تغييرات اجتماعية وسياسية نتيجة للتغلغل الأجنبى والاحتلال الانجليزى ، فكتب عن أساليب الاستعمار ووصف حالة الغرب وحالة الشرق وندد بجشع الغربيين ومحاولاتهم افساد قيم وأخلاق الشرقيين كما ندد بغفلة الشرقيين واستكانتهم ودعا للالتفاف حول الخديو .

بدأ النديم هذا المقال بتوضيح أسباب اختياره لعبارة :

---

(١٧٠) الأستاذ : العدد الحادى عشر فى أول نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢

(171) Tignor . op. cit. p. 153.

(١٧٢) الأستاذ : العدد الثانى والعشرون فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٠٧ — ٥٣٣ ، وقد نشر ايضا فى الجزء الثانى من سلافة النديم فى منتخبات عبد الله النديم ، ص ٦٤ — ٨٣

ويذكر ولى الدين يكن : لقد قرأت للنديم فى الأستاذ مقالة عنوانها (لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا) فعلمت ان البيان سحية فى هذ الرجل المعلوم والمجهول ، ج ١ ص ٢٨

« لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » كعنوان لموضوع مقاله فقال : أن أوربا كانت توجه هـذه الكلمات دائمـا الى الشرقيين كلمـا حاولت تبرير أفعالها ، لذلك قسم المقال الى فقرات كل فقرة يبدأها بعرض ادعاء من ادعاءات الأوربيين فى محاولاتهم الانتقـاص من قدر الشرقيين أو فى سعيهم لتحقيق مصالحهم الاقتصادية والسياسية ثم يرد على كل ادعاء بالحجج والأسانيد الواضحه ويختتم كل فقره بعبارة « لو كنتم مثلنـا لفعلتم فعلنـا » .

تحدث النديم فى الفقرة الأولى من مقاله عن ادعاءات الأوربيين بجهل الشرقيين فى الصـناعة حتى يتمكنوا من ادخال مصنوعاتهم الى الشرق فقال : « قالت أوربا أنكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صناعة الأثاث واللباس وأنكم فى حاجة الى مصنوعنا ولا تصلون اليه الا بعقد المعاهدات التجارية وبذا تمكنت من ادخال مصنوعها فى الشرق لتحول الثروة اليها فأماتت ما كان يصنعه الشرقيين [١٧٣] » .

ثم رد على هذا الادعاء بحث أبناء وطنه على احياء الصـناعة الوطنيـة وتوضيح الطريق احماية مصنوعاتهم أمام المنافسة الأوربية بقوله : « ان كثيرا من الممالك التى لا آلات فيها استعانت بآلات اشترتها من الغير وأحيت صناعتها الوطنية ، وحتمت على أهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير [١٧٤] حفظا لثروة أهلها [١٧٥] .

ثم ندد بضعفاء العقول الذين لا يتحركون للعمل من أجل احيـاء الصناعة « الوطنية » لوقوعهم فى اليأس والقنوط بالمغتريات ورجـال

---

(١٧٣) الأستاد : المقال السابق الذكر ، ص ٥٠٩
عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٦٥

(١٧٤) يقصد النـديم بذلك ما يعرف فى الوقت الحالى بالحمـاية الجمركيه .

(١٧٥) الأسـتاذ : المقـال السـابق الذكر ، سلافة النديم ٢٠ ص ٦٦

أوربا تتعجب من تقاعدهم وتقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا [١٧٦] .

وفى الفقرة الثانية من المقال تحدث النديم عن محاولات الأوربيين جر الشرقيين الى مهاوى الرزيله . وابعادهم عن عاداتهم الشرقية . وأخلاق الآباء والأجداد فقال : « قالت أوربا أن وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم بأخلاق آبائكم بقاء على الهمجية والتوحش فلا بد من مجاراتنا فى حركاتنا المدنية لتساوونا فى الرتبة وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران ففعل الشرقيون رغم ما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف [١٧٧] » .

وهاجم النديم الانجليز لاتخاذهم المدنية الحديثة ستارا لنشر الموبقات فى الشرق فقال : « ان الانجليز هم الذين نشروا قانون المومسات [١٧٨] ورخصوا للنساء أن يخرجن للبغاء تحت حماية القانون، وهم الذين سنوا كشف الأطباء على البغايا اعطائهن شهادات بأنهن صالحات للزنا فهتكوا حرمه القرآن والانجيل والتوراة [١٧٩] » .

ثم قام بتحذير أبناء وطنه .. مغبه ما يحدث موضحا لهم أن هدف أوربا من ذلك هو افساد الأخلاق وانلاف العقول والأجسام وضياع الدين والبلاد فقال : « وانما هذه اشراك وفخاخ تنصب فى طريق الشرقى حتى لا يخطو حطوه الا وقد وقع فى حبالة أوربا ولما رأت أوربا أن الشرقيين لا ينتبهون من غفلتهم ... ولا يسعون فى صالح بلادهم ولا يحافظون على دينهم ولا يعرفون شرف لغاتهم ، ولا يحفظون كراسى ملوكهم ولا يهمهم ضياع أوطانهم

---

(١٧٦) سلافه النديم : ص ٦٦
(١٧٧) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥١٠ ، سلافة النديم ، ص ٦٦
(١٧٨) عن هذا الموضوع انظر الفصل التاسع .
(١٧٩) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥١٧ ، سلافة النديم ج ٢ ص ٧١ — ٧٢.

اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء وهي تقول لهم : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا [١٨٠] » .

وفي الفقرة الثالثة من المقال تحدث النديم عن ادعاءات الأوربيين بأن الشرق في حاجة اليهم حتى يتمكن من اصلاح شئونه فقال : « قالت أوربا أن الشرق في حاجة لتداخل أوربا لاصلاح ادارته وماليته وتجارته، وتهذيب أممه بالتعاليم الأوربية وأجمع رجال أوربا على جعله قسما مقابلا لها ، وربطوا عزمهم على ضمه اليهم الجزء بعد الجزء ، والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لي وهذا لك [١٨١] » .

وقد رد النديم على ذلك مناشدا أولي الأمر بضرورة الاهتمام بالرجال فقال لو اهتم ولاة الأمور بالرجال ، ومرنوهم على الأعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة وهذبوهم بالأدبيات ، وصانوهم من المفاسد العقلية وعلموهم العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر الملية ونبهوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية .. لوجدوا أمامهم رجالا وأي رجال ولكنهم أهملوا ممالكهم وأهدروا حقوق رعاياهم فأصبح ملوك أوربا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا اليه من الضعف والاضمحلال ويقولون لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا [١٨٢] » .

---

(١٨٠) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٦٧ والجدير بالذكر ان مصطفى كامل لم يغفل تنبيه المصريين الى ضرورة التمسك بتقاليدهم واحترام أنفسهم بقوله : « ان المصري لا يحترم الشرقي الا اذا احترم الشرقي نفسه ، وحافظ على عوائده وأخلاقه وآدابه فانما الاستقلال الشخصي أساس الاستقلال الكلي أو الوطني » .

اللـواء : في ٥ ابريل ١٩٠١ تحت عنـوان « الداء الأدبي عنـد الأفـراد » .

(١٨١) الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥١١ ، سلافة النديم ص ٦٧

(١٨٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٧ — ٦٨

وفى الفقرة الرابعة من المقال تحدث النديم عن سعى الأوربيين لتحقيق مصالحهم بينما الشرقيون لا يتحركون لجاراتهم فقال : « انهم يسعون فى مصالحهم واتساع ممالكهم وتجارتهم والشرقيون .. ينظرون اليهم نظر المغشى عليه من الموت ولا يتحركون لجاراتهم أو لايقاف تيار تداخلهم (١٨٣) » ثم انتقل للدفاع عن الدولة العثمانية بوصفها زعيمة العالم الاسلامى والمدافعة عنه فوصفها بقوة العزيمة وهاجم الذين يرمونها بالعجز والضعف (١٨٤) ثم حض مواطنيه على عدم التهاون فى حق الوطن محذرا لهم من محاولات الأوربيين السيطره عليه فقال : « ولقد أذهلتنا أعمال أوربا التى لم نسمح لشرفى بامتلاك شبر من أراضيها ، وهى تخرجنا من مساكننا ونقيم فيها بلا شروط معقودة ولا حجة مسجلة ، ولكنها معذورة فانها لم تجد من يعارضها أو يجاريها فهى لا تعترف أننا معها فى ثوب الانسانية بل تقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا (١٨٥) » .

وفى الفقره الخامسة من المقال كشف النديم النقاب عن الأساليب التى يستخدمها الأوربيون للتدخل فى شئون الشرقيين بحجة الاصلاح ونشر الحضارة والمدنية وتدريب الشرقيين على ادارة شئونهم فقال : « ان دولة من دول أوربا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء ، وانما تدخل باسم الاصلاح وبث المدنية وتنادى أول دخولها أنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ فى تغيير الاثنين شيئا فشيئا (١٨٦) » ثم تحدث عن أن هدف انجلترا من اطلاق حرية المطبوعات هو ايجاد التناقضات بين الشعب المصرى .

---

(١٨٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٨

(١٨٤) انظر : الفصل السابع تحت عنوان : « النديم بين الجامعة الاسلامية والوطنية المصرية » .

(١٨٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر . ص ٦٩

(١٨٦) نفسه : ص ٦٩ ، ٧٠

وأيضا مجلة الأستاذ : المقال السابق الذكر ، ص ٥١٤

الوطنيــة المحب لجميع أجناس رعيته على اختلاف أديانهم الســاعى في منح الوطنبين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الادارية وما يحتــاج فى تنفبذ ارادته الا الى رجال (١٩٢) » •

ثم قال : « فأى مانع يمنع المصريين من المطالبــة بحقــوقهم بالتظاهرات الأدبية أصرنا أقل درجة من فعله الانكليز والغزالين الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم وأذهلوا العــالم بأفعالهم التى ما دخلها شغب ولا تخللها خلل (١٩٣) » •

ثم حذر من المرجفين الذين يبثون الشعائعات فقال : « تعودنا سماع الأراجيف من الدخلاء وتسليط الأوربيين على كل بلد تؤدي معه بالمحافظة على وطنيته ، ونحن نضع حجرا فى فم هــذا الدخيل قبــل أن يحرك شفتيه بكلمة اغراء (١٩٤) » •

وتحدث النديم عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط فقال : « هم فى اختلاط أهل بيت ومعاملة عشيرة واتحاد عائلة ما جرى بينهم يوما واقعة عدوانية مسببه عن اختلاف الدين •• ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتداخل بها فى شأن مصر باسم راحــة المسيحى والمحافظة على المعــابد المقدسة واعطــاء الأقباط حريتهم فى عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجابا بين مصر وبين تلك الدعوة التى تعودتها أوربا تغريرا وتضليلا وفتحا لباب الحروب بعلل وهمية (١٩٥) » •

ثم ناشد أبناء وطنه تقليد عقلاء أوربا فى أفعالهم وعدم اللبــاذ بالأجنبى فقال: « قلدوا عقلاء أوربا فى أفعالهم وكفاكم الاغترار بترهات

---

(١٩٣) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ٧٤

(١٩٣) نفسه : ص ٧٥

(١٩٤) نفسه : ص ٧٥

(١٩٥) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٧٦ — ٧٧

المضلين واللياذ بالأجنبى الذى سلبكم ثوب المجد ، ولم يبق الا أن يأكل لحمكم ويشرب دمكم غيظا (١٩٦) » كما طالب النديم بتحريك الهمم وزيادة النشاط للاكثار من الثروة فقال : « أيكفينا من الثروة أن نرى أكبر تاجر منا لا تزيد ماليته عن عشرين ألف جنيه واذا عددنا هذا القسم فلنا واحد اثنان فاذا انتهينا الى التسع وقفت بنا الأعداد ، أما تتحرك الهمم الخامدة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيرا وتفتح بيوتا أغلقت أبوابها أو كادت أعجزنا عن مجاراة الأمم حتى فى هذا العمل الذى يقوم به الأميون والجهلاء الذين تبعثهم ضرورة المعاش الى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد (١٩٧) » ؟

ثم تحدث عن التعليم والمنهج الدراسى الصحيح الذى يجب أن يدرس للتلاميذ فقال مناشدا الآباء : « لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم . حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم . ردوهم الى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة (١٩٨) » ، وانتقد الاباء الذين يرسلون أبناءهم الى المدارس الأجنبية وناشد ولاة الأمور بفتح المدارس بقوله : « أفلا يحسن فى أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوربية التى تغرسها ببلادنا مدارس أوربا (١٩٩) » ثم ناشد أبناء وطنه بتوحيد كلمتهم وخدمة وطنهم فقال : « جاهدوا أنفسكم فى توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن أبواب أوربا وفتنها ، واخدموا بلادكم بظهوركم أمة واحدة واقفة على قدم الخدمة لأميرها والمحافظة على حقوقها (٢٠٠) » .

---

(١٩٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق ، ص ٧٨
(١٩٧) نفسه :
(١٩٨) نفسه :
(١٩٩) نفسه :
(٢٠٠) نفسه : ص ٨٠ .

. تحدث النـــديم عن محاولات الاحتـــلال التفرقة بين السوريين الموجودين بمصر وبين المصريين(٢٠١) ودعا الى اجتماع الكلمة والائتلاف فقال : « ولو اجتمعت كلمتنا وائتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هـــذه الهمم فى حفظ الوطنيين واعلاء كلمة الجنسين لحسدتنا المعـــالى ووقفت أوربا تنظرنا بعين الاعظام والاجلال (٢٠٢) » .

كما قال : « اذا شددنا أزر بعضنا وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشاميه وعربية وتركية أمكننا أن نقول لأوربا نحن نحن وأنتم أنتم وان بقينا على هـــذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعـــد فريق حق لأوربا أن تطردنا منبلادنا الى رءوس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشى ونصدق فى قولها لم كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا (٢٠٣) » .

هكذا عرض النديم آراءه فى هـــذا المقال بطريقة واقعية وجريئة، واقعية لأنها عبرت عن سوء أحوال البلاد وما ألم بها فى ظل الاحتلال ، وجريئه حيث أن النديم لم يخش أحدا حيث تكلم بصراحة ، وعبر عما سمعه وشاهده بنفسه فى أسلوب متأجج بالحرص على الوطن والحماسة له ، وكان حديثه بلغة عربية فصيحة لأن الموضوعات التى طرحهـــا فى مقاله كانت تتميز بالنوع الجدى الذى لا تلائمه الا اللغـــة الفصحى كما تتطرق الى موضوعات متعددة فعرضها بطريقة موضوعية فخـــرج المقال متماسكا ومعبرا عما يجيش فىنفوس أبناء وطنه حيث كان صدى لـــا يعانيه الشعب من آلام ، وصدى لـــا يحدث فى البلاد من أزمات فأثبت النـــديم أنه يحمل بين جنبيه نفسا أقوى من الكوارث وعزيمة لا يوهنها الفشل .

والى جانب ما كتبه النديم من مقالات فى الأستاذ فقد أفســـح

---

(٢٠١) التفاصيل انظر : الفصل الثامن .
(٢٠٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٨١
(٢٠٣) نفسه : ص ٨٢ — ٨٣ .

المجال للكثير من كتاب وشعراء تلك الفترة بالكتابة فى مجلته مما أشاع نهضة كبرى فى الأوساط الأوربية نسببت عن اثارة جماهرية كبيرة[٢٠٤].

ولما أحس كرومر بخطورة مقالات الأستاذ رأى ضرورة اسكات صاحبها حتى لا تحدث ثورة أخرى فى البلاد [٢٠٥]، فخرج آخر عدد من الأستاذ فى ١٣/٦/١٨٩٣ وهو العدد الثانى والأربعين وانتهت بذلك حياة هذه الصحيفة [٢٠٦] كما أرسل صاحبها الى منفاه « بيافا » .

العمل المسرحى :

عرف النديم فن التمثيل بأنه « فن بديع يقوم فى التهذيب وتوسيع أفكار الأمم وأخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الأدبية مقام أستاذ وقف أمام تلامذته يلقنهم العلم بما تألفه نفوسهم وتميل اليه طباعهم [٢٠٧] » وقد أرجع هذا الفن الى العرب منذ القدم ثم نقله عنهم الأوربيون عند مخالطتهم لهم فى الأندلس والشام [٢٠٨] » .

والجدير بالذكر أن العرب لم يعرفوا فن المسرح والتمثيل منذ

---

(204) Gamal M. Ahmed . Op. Cit. P. 19.

(٢٠٥) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، جـ ١ ص ٢٨ — ٣٠

(٢٠٦) للتفاصيل : انظر الفصل الخامس .

(٢٠٧) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٦٣
فى حين يذكر مصطفى كامل انه « يغرس فى القلوب محبه الوطن .. وبالجملة فهو مثل الصحافة والخطابة آلة من اقوى آلات التقدم والحياة » .
اللواء : العدد الثانى عشر فى ١٥ يناير ١٩٠٠

(٢٠٨) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٣
علما بأن الغرب أخذ هذا الفن عن اليونان كما ان « المسرح الأوربى تأثر فى القرن الثامن عشر بالفن الصينى فأخذ عنه النوع الغنائى التمثيلى المعروف بالأوبريت فلولا الصين ما استطاع هذا الفن ان يبلغ ما بلغه فى أوربا .
جورج يعقوب : اثر الشرق فى الغرب خاصة فى العصور الوسطى — ترجمة د. فؤاد حسنين على . القاهرة — مطبعة مصر ١٩٤٦ ، ص ٨٨

القدم كما يذكر النديم ، وربما يقصد بذلك المنشدين والمغنيين أو رواية ابن دانيال الموصلى المسماه «طيف الخيال» التى هى من قبيل ما يسميه المصريون «خيال الظل[٢٠٩]» والسوريون «كراكوز» وليست من قبيل التمثيل[٢١٠] والذى يؤكد ذلك أن رواية «ابن دانيال الموصلى» بها الكثير من المجون والخلاعة والألفاظ البذيئة[٢١١] والنديم يذكر أن الأوربيين هذبوا هذا الفن بعد أن أخذوه من العرب بقوله : «ولكنهم هذبوه على تمثيل الوقائع الشهيرة التى لها وقع فى التهذيب والتأديب .. وكتبوا فيه الروايات الكثيرة بين حاصلة ومصورة[٢١٢]».

وعموما فان نظرية النديم فى تاريخ الحضارة الأوربية هى النظرية التقليدية التى تعيد كل سىء الى أصول عربية ، واعتبار الشرق معلم أوربا[٢١٣] واليه يرجع الفضل فى نهضتها فى حين أ نفن التمثيل يعتبر جديدا على الحياة المصرية ، فلم نتوارثه عن الفراعنة ولا عن العرب بل أن مجتمعنا المصرى لم يعرف الأدب المسرحى الا بعد أن اتصلت مصر بوسائل الغرب الحضارية اتصالا وثيقا[٢١٤] .

---

(٢٠٩) لمزيد من التفاصيل انظر احمد تيمور : خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب . القاهرة — لجنة نشر المؤلفات التيمورية .

(٢١٠) جرجى زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ ٤ ص ١٥٢

(٢١١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الثالث ، ص ١٢١ .

(٢١٢) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، حـ ٢ ص ٦٣

(٢١٣) كان لرفاعة الطهطاوى قصب السبق فى هذا المضمار حيث قال عن مصر : «واما امتيازها بعد زمن الفتوح وانفرادها بكمال المعارف فهو فى غاية الوضوح فكما كانت فى القديم محط رحال العلماء فلا زالت فى الحديث عدد علمائها كعدد نجوم السماء» .
انظر : أنوار الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل . القاهرة ١٢٨٥ هـ ، ص ١٨

(٢١٤) يوسف عبد العزيز : المسرح الاجتماعى فى مصر — رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ ص ١٦٢ .

ذكر النديم أن الأوربيين بعـــد أن هذبوا هذا الفن المسرحى نقله عنهم بعض الشرقيين فقال · « وقد أخذه الآن بصورته الأخيرة جماعة من الشرقيين منهم من أحسنه ، ومنهم من بقى تحت التمرين ، فكان من المحسنين الفريق (الجوق) الشرقى المكون من المجيـــد المـــاهر الشيخ سلامة حجازى (٢١٥) ومعه المحسن أحمد أفندى أبو العـــدل والمتقن حسين أفنـــدى الانبابى وجماعة من الشرقيين يصحبهم ثلاث مشخصات شرقيات (٢١٦) » .

ومع أن النديم لم يكن يجيد أى لغة أجنبية حتى يستطيع بهـــا الاطلاع على نصوص المسرحيات الأوربية فانه اســـتطاع أن يكتسب قدرا من الثقافة المسرحية عن طريق مشـــاهداته لمسرحيات « يعقوب صـــنوع (٢١٧) » الذى ظـــل مسرحه « يعمل سنتين عرض فيهما على

= فى حين يذكر الدكتور لويس عوض أن « طقوس العبادة فى مصر القديمة كان يصاحبها التمثيل » .

انظر : دراسات فى ادبنا الحديث (المسرح ــ الشعر ــ القصة) القاهرة . دار المعرفة ١٩٦٠ ، ص ١٢

(٢١٥) قرظ مصطفى كامل ايضا الشيخ سلامه حجازى على صفحات جريدة اللواء .

انظر : اللواء . العدد الثانى عشر فى ١٥ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « التمثيل » .

والجدير بالذكر ان الشيخ سلامه حجازى اهتم بالمسرحيات الغنائية وحرص على ان تكون بلغة عربية سليمة حتى وصل به الأمر أن جاء بمعلم للغة العربية فى فرقته لكى يتولى تلقين الألفـــاظ للمثلين بلســـان عربى لا يشوبه أى لحن .

د. فؤاد رشيد : تاريخ المسرح العربى . القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٦

(٢١٦) عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٦٤

(٢١٧) أول من أوجد فكرة المسرح العربى فى مصر الحديثة ، وهى فكرة لم يسبقه اليها أحد من المصريين أو الشاميين الذين نزحوا الى مصر واتخذوا من التمثيل حرفة ومهنة .

د. ابراهيم عبده : أبو نظارة امام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح فى مصر .

خشبته اثنين وثلاثين تمثيلية من تاليفه .. الى جانب كثير من التمثيليات التى ترجمت عن الفرنسية [٢١٨] » كما تأثر أيضا بالمسرح عن طريق الفرق المسرحية التى وفدت من الشام الى مصر وخصوصا فرقة سليم النقاش وأديب اسحق التى مثلت العديد من المسرحيات على « مسرح زيزينيا [٢١٩] » ، كتب النديم روايتين قدمهما للمسرح وهما « رواية الوطن وطالع التوفيق [٢٢٠] » . و « النعمان » وقد قال عنهما . ألفت رواية الوطن وبينت فيها ما ظهر وما بطن ، مما هو جار فى البلاد من الظلم والفساد . ثم ألفت رواية النعمان وملأتها بالبديع والبيان ، وبينت فيها فضل العرب وما أتوه من العجب [٢٢١] » .

ولم يوجد بين أيدينا من هاتين المسرحيتين سوى فقرات من رواية الوطن وهى منشورة ضمن منتخبات عبد الله النديم التى جمعها شقيقه عبد الفتاح النديم تحت عنوان : « سلافة النديم [٢٢٢] » وقد كتب النديم هذه الرواية بالعامية والفصحى معا حيث جعل كل شخصية تتحدث باللغة التى تناسبها ، وكان الهدف منها هو حث أبناء الوطن على النهوض من وهدة الحضيض الى أوج التقدم [٢٢٣] ورسم صورة ناطقة للمجتمع المصرى الذى أفقده الاستبداد ارادته وأماتت المصائب المتراكمة احساسه فصور الوطنى بشخصية رمزية تنادى بالتعاون بين

---

(٢١٨) د. ابراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ٢٧

(٢١٩) جرجى زيدان : المرجع السابق الذكر ، جـ ٤ ص ١٥٤

(٢٢٠) د. نفوسه زكريا : المرجع السابق الذكر ص ١٠٨ — ١٠٩
عبد الفتاح نديم : المرجع السابق الذكر ، جـ ٢ ص ٣٣ — ٦٣

(٢٢١) د. محمد احمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٠ — ٥١ .

(٢٢٢) سلافة النديم : الجزء الثانى ، ص ٣٣ — ٦٣

(٢٢٣) التنكيت والتبكيت : العدد السابع فى ٢٤ يوليه ١٨٨١ ، ص ١١٣ مقال للشيخ حمزة فتح الله عن رواية الوطن وطالع التوفيق .

جميع المصريين كما اختار شخوصا من سكان القرى وبعضها الآخر من سكان المدن ومنها من هو من فلاحى الأرض أو الصيادين أو الجهلة[٢٢٤] مثل أبو دعموم وأبو الزلفى والحاج حسين وأبو العلا والسيد على والسيد ابراهيم والحاج رزيجه وأبو رجب وعزت أفندى ومظهر وبدر وعامر وسلمى ودعدوعى والطيئة والنابغة والعرب .

وكان الشكل الحوارى لهذه الرواية عبارة عن الدعوة لتطوير المجتمع وما يسوده من أخلاق وعادات [٢٢٥] فصور النديم الظلم الواقع على الفقراء وانتقد أسلوب رجال الحكومة فى جمع الأموال ، وانتشار الرشوة بينهم وأوضح للفقراء بأن الاصلاح لا يكون الا بالاتحاد وانشاء الكتاتيب ليتعلم أولادهم فتنتشر المعارف وتعرفه الحقوق ، وانتقد ما يردده البعض من أنه لا يذهب الى المدارس الا الأولاد المصابون بعاهة فى أبصارهم أو فقدوا أحد أطرافهم حتى يرتزقوا من قراءة القرآن على الأضرحة وفى المقابر كما طالب النديم الفقراء بالمساهمة فى انشاء الجمعيات ، وذكرهم بأنهم أصل كل شىء ، وصور الأغنياء بالبخلاء الذين لا يعرفون حق الوطن كما صور رجال الحكومة بالمفسدين وامتدح الخديو فى نهاية الرواية ووضع الأمل على على يديه للاكثار من انشاء المدارس [٢٢٦] ومع أن هذه الرواية تنقصها الحبكة الفنية فانه يمكن القول بأن النديم اتخذ من المسرح وسيلة حاول أن يوصل من خلالها الى الشعب رسالته ويلقنه عن طريقها بالمبادىء الوطنية والاجتماعية [٢٢٧] وتبدأ الرواية بحوار يدور بين

---

(٢٢٤) دكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر . القاهرة — مكتبة الاداب ١٩٥٦ ، جـ ١ ص ٢٢٥

(٢٢٥) يوسف عبد العزيز : المسرح الاجتماعى بمصر ، ص ٢٣٧ — رسالة ماجستير غير منشورة . مكتبة جامعة القاهرة .

(٢٢٦) سلافه النديم ، جـ ٢ ص ٣٣ — ٦٦ تحت عنوان : « شذرة من روايه الوطن وهى روايه تشخيصية الغرض منها الحث على التعاون » .

(٢٢٧) نجيب توفيق : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨٥ ، ويتضح من موضوعات المسرحيه ان النديم اختارها من مأساة الشعب المصرى .

رجلين يشكوان سوء الحال على النحو التالي :

أبو دعموم : كانت فين دى العيبة .

أبو الزلفى . فى جهنم الحمرة .

أبو دعموم : ليه من غير شر ما انت بخير ،

أبو الزلفى : ما بار علينا ما بخير ولا ..

أبو دعموم : ايه بس ما تقلش نصيبتك ايه .

أبو الزلفى . يبقى ما انت شايف الطوافة نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينـا بالصرم وحاكم الخط مشرمطنـا بالكرميش والمدير مكسرنا بالنبابيت له الواحد بقا حدبد ولا ابه .

أبو دعموم : يادم يلهفك ياخى يبقى ما ترمبش للكلب منهم بريزية وتخلص .

أبو الزلفى : عوار يحول عبنـك هى كام بريزية دا اللى بيطلبوه الصبح ما بيطلبهشى المغرب (٢٢٨) .

ومن النص المسرحى لهذه الرواية يتضح أن النديم أنطق شخوص مسرحيته بما يتناسب مع الطبـ التى ينتمون اليها فتحـدث الفـلاح بلهجة أهل الريف « يبقى ما انت شايف الطوافة نازلين عليا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينا بالصرم .... » .

والصياد يستعمل لهجة أهل السواحل « هى كام بريزية » وأجرى على لسان المتعلم لغة فصحى قريبة من العامية « تعلمت شيئا كثير » كما جعل حديث الشباب من المتفرنجين بلغة عربية ممتزجة بلغة أجنبية « بنجور يا مسيو مظهر » و « بنجور عليك يا منشير عزت » ثم جعل

---

(٢٢٨) عن نص المسرحية . أنظر سلافة النديم ، هـ ٢ ص ٣٣ — ٣٤

الوطن يتحدث بلغة عربية فصحى كما خص سكان البادية بالشعر العربى الفصيح .

وبذلك استطاع النديم أن يحقق نوعا من الواقعية فى نصه المسرحى وقد مثل تلاميذ النديم تحت اشرافه هـذه الرواية على مسرح زيزينيا أكبر مسارح الاسكندرية فى ذلك الوقت فى حضور الخديو توفيق وكبار رجال الدولة (٢٢٩) فكان لها فى النفوس أثر كبير بعد أن نبهت الأذهان الى العيوب الاجتماعية والسياسية فى المجتمع المصرى (٢٣٠) وما يتحمله الأهالى من المظالم والمغارم .

ومع أن النديم قد مدح فيها الخديو فى النهاية الا أنها كانت تبرز الظلم الواقع على كواهل الناس وتحارب الدكتاتورية والحكم المستبد والاستسلام للأجنبى المسيطر على الأجهزة الحكومية (٢٣١) .

وبما أن الكتابة للمسرح تحتاج الى خبرة ودراية لا تتوازن لغير المنقطع لهذا الفن يدرسه ويروض نفسه عليه فان للنديم العذر فى عدم اجادته فيما كتبه للمسرح فروايته مزدحمة بالكثير من الشخصيات وقارئها لا يعرف متى دخلت هذه الشخصيات الى المسرح ومتى خرجت ومع ذلك فان استعماله للسخرية اللاذعة بقصد علاج النقائص الاجتماعية ومدى انتشار الرشوة بين رجال الحكومة كان له أكبر الأثر فى النفوس (٢٣٢) .

---

(٢٢٩) د. محمد أحمد خلف الله : المرجع السابق الذكر ، ص ٥٥

(٢٣٠) عبد الفتاح النديم : المرجع السابق الذكر ، ج ٢ ص ٣٢ ، التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يوليو ١٨٨١

(٢٣١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، ص ٨٠

(٢٣٢) محمد عبد الوهاب سكر وفوزى شاهين : عبد الله النديم ، ص ١٩٧

ويذكر البعض أن مسرحيات النـــديم جاءت فى صـــورة عظــاته وخطب ، « وكان من الأجدر لمؤلفى هــذه الفترة أن يتذكروا أن وظيفة المسرح هى الترفيه عن النفس قبل كل شىء أما الخطب الرنانه والعظات القيمه فمجالها المنابر ودور العباده (٢٣٣) » .

ولكننا نرى أن الظروف التى مرت بها البـــلاد فى تلك الفترة جعلته من المسرح صدى للأحداث القائمه ، وحتمت على رجل مثل النـــديم أن يساير هذه الأحداث بل يطوع مسرحه لخدمة الحركة الوطنية مع التركيز على القاعدة الشعبيه .

وهكذا استعمل النـــديم كافة الوسائل لتنبيه أبناء وطنه ، وانقاذهم مما تردوا فيه ، وكان المسرح ضمن وسائله وكانت مسرحيتـــه « الوطن وطالع التوفيق » صـــدى قويا وصادقا لمــا ألم بالمجتمـــع المصرى من مساوىء اجتماعية وسياسية .

ومما سبق يتضح أن النديم قد تأثر بالنهضة المسرحيـــة التى بدأها يعقوب صنوع ثم نقل خبرته الى الجيل الجديد الذى حمل الراية بعـــد انتكاسة الثورة العرابية والمتمثل فى مصطفى كامل (٢٣٤) .

---

(٢٣٣) يوسف عبد العزيز : رسالة المـــاجستير الســـابقة الذكر ، ص ٢٤١

(٢٣٤) اخذ مصطفى كامل عن النديم فكرة تأليف الروايات المسرحية فكتب رواية عن فتح الأندلس ، وقد نشرت المؤيد فى عـــدد ١٨ ديسمبر ١٨٩٣ مقتطفات منها .

ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع أنظر :

على فهمى كامل : مصـــطفى كامـــل ، فى ٣٤ ربيعـــا ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ — ١٦٦

وفاة النـــديم :

تختلف الآراء فى تحديد يوم وفاة النـــديم فيذكر محمـــد فريد أن النديم توفى فى ١١ أكتوبر ١٨٩٦ (٢٣٥) بينما يتضح من وثيقة بشأن اعلام وفاته أنه توفى بالآستانة فى مساء ليلة العـــاشر من أكتوبر ١٨٩٦ (٢٣٦) وينفى صحة هذين التاريخين افاده من « جناب قبو كتخـــدا الحضرة الخديوية بالآستانة » ان النديم توفى فى ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ ونحن نتفق مع هـــذه الافادة لأنها واردة من الآستانة وهى المكان الدى توفى به النديم ، كما أنه يوجد بسركى المعاش الخاص بالنديم تأشيرة بأنه صرف معاش شهر سبتمبر ١٨٩٦ فى العاشر من أكتوبر ١٨٩٦ (٢٣٧) مما ينفى أنه مات فى هـــذا اليوم (٢٣٨) ، كما أن هذا التاريخ هو الدى سارت عليه المكاتبات الرسمية بعد ذلك بخصوص اشهار الوراثة الدى تخص ورثة عبد اللـــه النديم (٢٣٩) .

والجدير بالذكر أن النديم لم يترك أولادا حيث ماتوا جميعا فى

---

(٢٣٥) دار الوثائق القومية : مذكرات محمد فريد ـــ القسم الاول . الجزء الخامس ، كراسة رقم ١٨

(٢٣٦) دار المحفوظات العمومية بالقلعه . ملف معاش عبد الله نديم دولاب رقم ٢٩ عين ١ محفظه ٥٩٩ دوسيه ١٧٩٣٠ وثيقه رقم ٣٧٧ بشأن اعلام وفاة عبد اللـــه نديم .

ويتضح انه لم يتفق أحد ممن كتبوا عن النديم على تحديد تاريخ وفاته فتذكر جريدة الأهرام بمناسبه مرور ٥٣ سنه على وفاة النـــديم انه توفى فى ٢٣ ابريل ١٨٩٦

انظر : الأهرام : العدد ٢٨٦٦ فى ٢٤ أبريل ١٩٤٩ تحت عنـــوان : « السيد عبد الله نديم ـــ مرور ٥٣ سنة على وفاته » .

(٢٣٧) دار المحفوظات العمومية : ملف معاش عبد اللـــه نديم ـــ سركى نمرة ٤٩ حرف ٨ سجل عمومى رقم ٢٣٤٥ معـــاش ضمن نوع ٩ بمقتضى قرار مجلس النظار رقم ١٥ يونيه ١٨٩٣

(٢٣٨) ربما يكون النديم قد مات بعد صرف المعاش فى نفس اليوم ولكننا نرجح ان وفاته كانت فى ١٣ أكتوبر استنادا على افادة قبو كتخـــدا الحضرة الخديويه بالأستانة .

(٢٣٩) دار المحفـــوظات العمومية . ملف معـــاش عبد اللـــه نديم دولاب ٢٩ عين ١ محفظة ٥٩٩ دوسيه ١٧٩٣٠ .

طمولتهم[٢٤٠] . لقد مات النديم « فى نحو الثانية والخمسين من عمره، وليس هذا بالعمر الطويل ، ولكنه عمر عريض فطالما عذى الناس بقلمه وهيجهم بأفكاره ، وأضحكهم وأبكاهم ، وحير رجال الشرطة وأقلق بال رجال السياسة ، ونازل خصومه من رجال الصحافة فنال منهم أكثر مما نالوا منه : ولم يهدأ له لسان ولا قلم حيث حل .. حتى هدأه الموت الذى يهدأ كل ثائر [٢٤١] » .

أحتفل بجنازة النديم رسميا فى الآستانة بأمر من السلطان حيث سارت أمام نعشه فرقتان من الجيش وفرقة من الشرطه وكبار رجال الدولة وعلماؤها يتقدمهم السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد الظافر شيخ مشايخ الطريقة الشاذلية فى دار الخلافة ومن أشد المقربين الى السلطان [٢٤٢] وكثيرون غيرهم فساروا به حيث دفن فى مقبرة يحى أفندي فى باشكطاش [٢٤٣] بعيدا عن الأهل والوطن الذى عاش من أجله ، وقاسى الكثير فى سبيله ، وكان العزاء لروحه يوم أن مات أنها سلمت راية الكفاح الى الجيل الجديد — وعلى رأسه مصطفى كامل . ليواصل الجهاد ويقود المرحلة التالية من مراحل الحركة الوطنية فى سبيل الاستقلال والحرية [٢٤٤] .

---

(٢٤٠) رزق النديم « محمد وعثمان والياس وفاطمه وعائشة وسكينه وخديجه ثم استودع هياكلهم التراب كما رزق حفصه وريا فى الاحتفاء ودرجا ايضا » كان ويكون ، جـ ١ ص ١٦

وايضا احمد امين : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ، ويؤكد ذلك الاقرار الذى كتبه اخوه بالمحكمة الشرعية بالاسكندرية على نفسه فى ١٨ يوليه سنه ١٨٩٧

انظر : ملف معاش النديم السابق الذكر .

(٢٤١) احمد امين : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٤٥

(٢٤٢) احد كبار الكتاب فى الآستانة : جلاء العينين فى المحاكمة بين الشيخين فى دار الخلافة العظمى ، ص ٦

(٢٤٣) احمد تيمور : تراجم أعيان ، ص ٢٧ ، اعلام الفكر الاسلامى ، ص ١٣٩

(٢٤٤) د. على الحديدى : المرجع السابق ، ص ٣٩٢

الخاتمة

بعد أن قدمنا هذه الدراسه التى اكدت انه ما يزال فى تاريخنا الحديث والمعاصر الكثير من الشخصيات التى كان لها أدوار كبيرة فى حياة البلاد السياسية والاجتماعيه ولم تأخذ الاهتمام الكافى من البحث والاستقصاء سنعرض لأهم ما توصلنا اليه فى هـذا البحث .

١ — أن انضمام النديم للعرابيين لم يكن محببا اليه فى أول الأمر لأنه من تلاميذ الأفغانى الذين لم يحسبوا للعسكريين حسابا أثناء مناداتهم بالاصلاح لذلك كان يتأفف سرا من وقوعه فى تلك الورطة ولكنه بعد أن اندمج بهم وعرف خططهم وافكارهم أصبح من اشد المخلصين لهم ، وكان أول مدنى استطاع أن يشق طريقه وسط العرابيين ويحول حركتهم الى ثورة شعبيه بكل ما تحمل هـذه الكلمة من معنى بعد أن كانت هذه الحركة انقلابا عسكريا هدفه المحدد مساواة أبناء الفلاحين مع الجراكسة فى الترقيات بالجيش .

٢ — ان جذور مظاهرة عابدين نبتت من المنشور الذى وزعه النديم على الأهالى ، ويتضح ذلك من أن النديم قبل المظاهرة طلب من الشعب أن ينيب (عرابى) عنه فى نقطتين اساسيتين هما :

(أ) المطالبة باسقاط نظارة رياض .

(ب) انشاء مجلس للنواب .

وهذان المطلبان كانا ضمن الطلبات التى قدمها عرابى للخديو اثناء المظاهرة ، كما يتضح أن « عرابى » لم يقم بمظاهرة عابدين الا بعد الحصول على التوكيلات التى جمعها له النديم من الشعب فاصبح نائبا عن الأمة فى المطالبة بحقوقها .

٣ — ان للنديم دورا كبيرا فى مظاهرة عابدين حيث قام بحفظ قلوب الرجال من الزيغ والارتجاف (١) .

٤ — ان النديم شجع بعد مظاهرة عابدين على تأسيس جمعية الشبان السياسيه بالاسكندرية لتكون ركيزة شعبية تستند عليها الثورة .

٥ — ان النديم — اثناء المعارك بين العرابيين والانجليز — حاول فى كتاباته وخطبه تجنب الشقاق بين عنصرى الأمة فذكر أن الحرب بين المصريين والغزاة ، وليست بين مسلمين ومسيحيين حتى يقطع على الانجليز طريق اتخاذ الدين وسيله للتفرقة بين أبناء الوطن

٦ — بالرجوع الى « محافظ مجلس الوزراء — نظارة الداخليه » انضح من التقرير المقدم من وكيل نظارة الداخلية الى رئيس مجلس النظار اسماء القرى والكفور التى احتبأ فيها النديم واسماء من تستروا عليه وآووه من الوطنيين طوال الفترة التى احتفى فيها عن عيون السلطة ، كما اتضح ايضا ان النديم لم ينكر اسماء من آووه — كما ذكر الذين كبوا عن ذلك من قبل — وان كان انكر أنهم يعرفون حقيقته .

٧ — استغل النديم حساسية الشعب من ناحية الدين فاستخدم الأزهر منبرا من منابر الثورة فكان يتوجه اليه كلما تنفجر الأزمات ويخطب فى رجاله مشعلا حماستهم دون المساس بالوحدة الوطنية حتى وصل الأمر بأن افتى بعض المشايخ بتكفير الخديو .

٨ — ان النديم امتاز بالوفاء للثورة حتى بعد فشلها فكان الوحيد بين العرابيين الذى استمر فى جهاده ونضاله عن مصر فى عهد الاحتلال .

٩ — ان النديم كان صانعا للزعامات فهو صاحب التأثير الأول فى تكوين مصطفى كامل الصحافى والخطابى والسياسى وأن جريدته « الأستاذ»

---

(١) مخطوط كشف الستار ، ص ١١٦

كانت الأستاذ لمصطفى كامل حيث نعلم منها الاتجاه والنغمة ، وقد أوضح مصطفى كامل ذلك فى افتتاحيه العدد الأول من مجلة المدرسة بأنه أنشأ هــذه الجريدة « لتكون مركزا لجمع دور فرائد الأستاذ (٢) » ولم يقتصر أثر النديم على تكوين مصطفى كامل الصحافى بل أن بعض عناوين المقالات التى كتبها النديم اقتبسها مصطفى كامل فى مقالات كتبها على صفحات اللواء مثل « متى يستقيم الظل والعود أعوج » و « الحقوق المقدسة » .

١٠ ــ أن الكثير من افكار النديم السياسية والاجتماعيه لم يكن قد كشف عنها من قبل وبالتالى فقد تناولناها بالدراسة والتحليل حيث كانت هذه الأفكار سابقه لأفكار أبناء وطنه ، وكانت جديدة عليهم لم يسمعوا عنها من قبل حيث نبه افكارهم الى موضوعات جديدة ايقظ بها الراى العام بعد فترة رقاد فتحدث عن مفهوم القوميه ومبدأ مصر للمصريين ، واهمية الوحدة الوطنية وفكرة الجامعه الشرقيه واهميه الديمقراطية كأساس للحكم فى مصر والدستور كنظام له وتكلم عن الأحزاب واهميه الراى العام وفكرة الجمهورية ، وقد استطاع أن ينشر هذه الأفكار والآراء فى اكبر عدد ممكن من ابناء وطنه حيث أوتى من الفصاحة واللباقة ما مكنه من استيعاب آراء استاذه الأفغانى فى الاصلاح المنشود ثم الاختلاف معه فى كثير من المواقف وتبريره لهذا الاختلاف ثم تبسيطه لهذه الآراء والأفكار عن الاصلاح المنشود وتوصيلها الى العامة : الفلاح فى حقله والتلميذ فى مدرسته والصانع فى محل عمله وبذلك اسهم فى تكوين راى عام ـــ وان كان محدودا ـــ يتطلع إلى الاصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

١١ ــ أن النديم كان أول من أعطى لمفهوم الديمقراطية بعدا اجتماعيا فكان أول مصرى يكشف عن الجانب الاجتماعى لمفهوم الديمقراطية .

١٢ ــ ان النديم وضع اسسا وافكارا جديدة لأحوال الصناعة والصناع قبل أن يضع محمد فريد أساس حركة النقابات فى مصر فقد طالب بانشاء

---

(٢) المدرسة : المقال السابق الذكر .

الشركات الوطنيه لاحياء الصناعات المصرية وتشجيعها كما طالب بتنظيم احوال العمال ، وعقد جمعية لكل طائفة وانشاء بنك قومى لمساعدتهم وتقديم السلف اللازمه لهم ، وشراء الآلات الحديثة ومقاطعه المصنوعات الأجنبية مع انه لم يعترض على الاقتباس من الغرب بل شجع على ذلك .

١٣ — ان النديم طالب بتعميم التعليم بين طبقات الشعب ، وعدم قصره على طبقة دون اخرى « لاننا اذا اقللنا من المدارس أو قصرنا التعليم على افراد معينين او طبقة دون اخرى فقد رجعنا بالمدنيه القهقرى » كما أنه شجع على انشاء الجمعيات الخريه لتعليم اليتامى وابناء الفقراء وبدأ بنفسه فقام بتأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية بالاسكندرية ومن نص قانون هذه الجمعيه يتضح لنا ان اسمها تغير الى « الجمعية الخيرية المصرية » وان الهدف منها هو انشاء المدارس لتعليم البنين والبنات وانشاء المستشفيات لعلاج المرضى ، ومع ذلك فقد استطاع النديم تحويل منبر الجمعية الى منبر سياسى وضح فيه للشعب الظلم الذى يحيق به والحقوق التى يجب ان يتمسك بها كما ان دعوته لانشاء الجمعيات قد نجحت اذ تسابق ابناء الوطن على انشاء الجمعيات اقتداءا بجمعيته فتكونت الجمعيه الخيرية القبطيه كما تكونت جمعيات شبراخيت والاخلاص ببيت عمر والصنائع والفنون الخيرية بالمنصورة والتوفيق الخيرى بالقاهرة والجمعية الخيرية القبطية بالفيوم .

١٤ — ان المبارزة الفكرية بين النديم وابى الهدى الصيادى استعمل فيها الطرفان الاسلوب الذى خرج عن أدب المناظرة حيث كان النديم فى كتابه « المسامير » للصيادى كيلا فاق ما يعرفه فن الهجاء ثم رد الصيادى فى كتابه « صوت الهزار ونعيق العذار » بالدفاع عن نفسه ولم يتطرق اسلوبه الى مهاجمة النديم فحسب بل الى مهاجمة مصر واهلها

١٥ — لقد كانت شخصية النديم مختلفة تماما عن كافة الشخصيات الاصلاحية فى تلك الفترة فقد . . . بعلية أبناء وطنه اكثر من كثيرين ممن كانوا يكتبون فى ذلك الوقت كما ان ظروف حياته أعطت لكتاباته لونا محببا لدى الناس فأثر فيهم تأثيرا قويا وفعالا دون ان يتملق احدا ، وكان فى

عرضه لمشاكل الشعب يشارك في البحث عن طرق العلاج ولكن على هيئة افكار عامة وليست بعمق المتخصص .

١٦ — رغم انه لم يتفق احــد ممن كتبوا عن النديم على تحديد تاريخ وفاته فقد اتضح لنــا بعد الاطلاع على افادة « قبــو كتخـــدا » الحضرة الخديوية بالآستانة والموجوده بملف عبد الله النديم المحفوظ بدار المحفوظات العموميه بالقلعه انه توفى فى ١٣ اكتوبر ١٨٩٦

— ان اهم ما فى النديم هو شعبيته وقوة تاثيره ورغبته الشديدة الى الاجتماع بمواطنيه ، فهو رجل خالط الشعب بجميع طبقاته حيث انبعث من غمار عامة الشعب وعانى وذاق ما يعانيه افراده من فقر وحرمان فالتأم شقاؤه بشقاء أمته فكانت كلماته تعبيرا حيا عما يدور بخلد الشعب ثم ارتفع الى مصاف القادة فلم يفتنه المجد بل عمل على رفع مســـتوى شــــعبه الاجتماعى وبعث وعيه الوطنى والعمل على تعليمه ، فكان من أعلم الناس بمحاسن هــذا المجتمع وعيوبه لذلك كانت آراؤه فى روحهـــا وجوهرها تعبيراً عما يجيش فى صدور ابناء وطنه من احاسيس الألم والأسى كما كان اول كاتب مصرى يعالج مشكلة القوميه المصرية بأسلوب شعبى فهو أول من سهل على الشعب استيعاب المفاهيم القومية التى كان ادراكها قاصرا على المثقفين والاستقراطيين (٣) ، وكان حركة لا تهدأ وكان رجلا من رجال العمل ورجال القلم والقرطاس (٤) ، ذكى القلب شديد العارضة ، ذرب اللسان سريع الخاطر حاضر البديهة ظريف المحاضرة ، حلو الشمائل ، وكان كذلك جريئا ، سريع الغضب صعب الرضا (٥) عاش حيـــاته يتأمل افراح وطنه ويعانى اتراحه فترجم عما يجول بخاطر شعبه .

يذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة ان « التاريخ يؤاخذ الناس كلا على قدر منزلته وموهبته ، فقد خص اللـــه النديم بطائفة من هـــذه المواهب كان يستطيع بها أن يقيم من أود الثورة وأن يلطف من حدة الثوار وأن يقـــود

---

(٣) دكتور احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، ص ٣٣

(٤) عباس العقاد : المرجع السابق الذكر ، ص ٧٤

(٥) ولى الدين يكن : المرجع السابق الذكر ، ص ٢٨ .

السفينه الى بر الأمان ، ولكنه لم يرد ولو اراد لتولى لسانه الاتساع (٦)»
ولكننا نرى أن طبيعه النديم الثوريه ولهجته الحطابيه كانت فى حاجه
الى من يلطف حدتها فبالرغم من ان النديم شخصيه ثوريه اصلاحية فانه
ايضا كان مندفعا ومتسرعا ويحرج فى بعض الأحيان عن جادة الحق
والانصاف (٧) فيذكر صابونجى فى رسالة له الى بلنت أن النديم حينما يجد
نفسه مهزوما فى مناظره يغضب بشدة وينتقل الى التعصب الدينى (٨) كما
ذكر يعقوب صنوع انه كان فى بعض الأحيان يطلب المبح تبيحا (٩) لذلك
نصحه بأن يكون بصيرا بالعواقب حكيما معتدلا (١٠) .

ان ابرز ما فى النديم هو ذلك النشاط الروحى الزاخر ، وتلك العزيمة
التى لا تكل عن العمل يوما حتى وافته المنيه فكان بوءا عظيما للشعب دائم
التفكير فى اصلاح احواله ، عمل من اجلها اكثر مما عمل لنفسه ولأسرته ،
وبوقا عظيما للجند وبوقا عظيما للثورة (١١) أفنى نفسه وحسه فيها ووهب
حياته لهما وحارب الطغيان فى الداخل وناهض المستعمر الذى وفد من
الخارج حتى بالغ البعض فى وصفه بأنه كان « نادرة عصره وأعجوبة
دهره (١٧) » وأنه « ليس فى طلائع نهضتنا مثالا آخر من هذا الطراز
يضارع عبد الله النديم (١٣) كما قيل عنه انه أذكى قائد لاورما فى مصر(١٤)
وأنه صحفى القرن التاسع عشر بلا منازع (١٥) .

(٦) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية فى مصر ، جـ ٢
ص ١٣٠

(٧) يعقوب صنوع : أبو نظارة زرقاء باريس فى ٩ يونيه ١٨٨٢.
ويذكر شبلى شميل : أن النديم هو الذى اوقع زعماء الثورة فى
الضعف لأنه كان يعرف كيف يموه على العقول .
الأخبار : العدد ١٨١ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٠٧؛

(8) Blunt . op cit. p. 545

(٩) يعقوب صنوع : أبو نظارة زرقاء . باريس فى ٩ يونيو ١٨٨٢

(١٠) يعقوب صنوع : ابو نظارة زرقاء . باريس فى ٦ اكتوبر ١٨٨٢

(١١) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية ، جـ ٢

(١٢) أحمد تيمور : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع
عشر ، ص ٣

(١٣) عباس العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم ، ص ٧٠

(14) Gamal M. Ahmed. op. cit. p 68.

(١٥) د. ابراهيم عبده : قصة الصحافة العربية فى مصر ، ص ٧٧

